
coptic-books.blogspot.com
لي ستروبل
حائز على
الميدالية الذهبية
للكتاب العالمي
القضية...
المسيح
مكتبة
دار الكلمة
LOGOS

تعليقات النقاد على الكتاب و مؤلفه

• مؤلف "القضية.. المسيح" صحفي باحث ومحقق ذو خلفية قانونية- يحقق بتمسك وعناد الأدلة على صدق المسيحية الكتابية. وسيتعلم من هذا الكتاب السريع، المؤمنون واللا أدريون على حدّ سواء. **بروس إم متزچير**
أستاذ العهد الجديد الفخري بمعهد برينستون اللاهوتي

• يسأل لي ستروبل الأسئلة التي سيسألها المتشكك العنيد ويقدم الإجابات المقنعة على جميعها. وكتابه جيد جداً حتى أنني قرأته بصوت مرتفع مع زوجتي في أمسيات ما بعد العشاء. ويجب على كل من لديه أسئلة أن يقتني هذا الكتاب. **فيليب باي چونسون**
مؤلف أحسن الكتب رواجاً وأستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا في بيركلي

• هذا الكتاب معالجة ساحرة تماماً للموضوع. إنه فعلاً كتاب فريد من نوعه وإني أزكيه من كل قلبي. **رافي زاكريا**

• لا أحد يدري كيف يستخلص مثل هذا الصحفي ذو الخبرة بالتحقيقات الحقيقة من الخيال، أو يجادل في قضية كمن تدرّب في كلية يايل Yale القانونية. وهنا، في هذا الكتاب الرائع، يستخدم لي ستروبل كلا المؤهلين. وبالإضافة إلى شهادته الهائلة بصفته مسيحي مهتدي عن الإلحاد فإن المؤلف ينظم شهادات لاتقبل التفنيد من "شهود خبراء معروفين ليعزز قضيته القوية من أجل يسوع المسيح. وإني أوافق أن كتاب "القضية .. المسيح" يضع مقياساً جديداً لعلم الدفاعيات عن العقائد المسيحية المعاصرة والموجودة حالياً. **دكتور جيمس كنيدي**
(دكتوراه الفلسفة) ورئيس كهنة الكنيسة المشيخية في كورال پردچ

• لم أقابل أبداً أي شخص بذلا جهداً أكبر ليقدم للباحثين والمؤمنين على السواء الأساسات المنطقية للإيمان المسيحي. فهذا الكتاب سيصبح من الكتب الخالدة. **بل هايبلز** رئيس الكهنة بكنيسة جالية منطقة ويلو

• لقد أثارني أن أشارك في "القضية .. المسيح" فهو من أحسن الكتب المقروءة بسهولة عن الأدلة المسيحية في السوق- وأعتقد أنه سيؤثر تأثيراً كبيراً على نطاق واسع. فكل من كان مهتماً بالأساس التاريخي للمسيحية ينبغي أن يقرأ هذا الكتاب. **چيه پي مورلاند**
أستاذ الفلسفة بمدرسة تالبوت للاهوت- جامعة بايولا- لاميرادا- كاليفورنيا

• "حيث أنه متثقف في القانون والصحافة فقد أجري لي ستروبل تحقيقات صحفية مع ثلاث عشرة شخصية قيادية من العلماء والمراجع يسألهم الأسئلة العسيرة عن يسوع الناصري والسجل الإنجيلي عن حياته. ويستنتج لي أن الملحد سيحتاج فعلاً قدراً من الإيمان لكي يحتفظ بالإلحاد أكثر مما يحتاجه

للإيمان بيسوع. وأعتقد أن لي على حق فكتاب "القضية .. المسيح" يقدم أدلة تاريخية ساحقة أن يسوع هو ما أقر بأنه (الله)."

لويس يالو

• "إنها قضية مقنعة وكتاب مثير"

پيتر كريفت

أستاذ الفلسفة بكلية بوسطون

• "الكتابة الصحفية المشحونة بالحقائق والتحقيقات الذكية مكنت لي ستروبل أن يجمع الأدلة الساحقة عن ما أقره المسيح حول هويته. فهذا الكتاب ضروري جداً لمكتبة ومراجع كل مسيحي ويجب أن يشارك معه الآخرين."

دكتور بيل برايت

مؤسس ورئيس الحملة الجامعية العالمية من أجل المسيح

• "كقليل من الناس في جيلنا- فإن لي ستروبل يفهم عقلية المتشككين المحدثين. وهذا الكتاب البارع- الذي يعتبر أكثر من مدافع عن العقائد المسيحية- يجيب عن الأسئلة الأساسية التي يسألها الناس الذين يبحثوا فيما أقره المسيح عن هويته. وهو كتاب ساحر بقدر ماهو مقنع".

دكتور روبرت إي كولمان

مدير مدرسة الإرسالية العالمية والرسالة الإنجيلية-
ومدير معهد مركز بيلي جراهام الإنجيلي

• "إن لي ستروبل قد ألف كتاباً سيصبح بالتأكيد من أحسن الكتب المقروءة في الدفاع المحبوب عن العقائد المسيحية. ويستخدم لي خلفيته في القانون والصحافة ليحكي مناقشاته مع أكثر من اثني عشر عالماً إنجيلياً بارزاً. ولكونه ملحد سابقاً فهو يعرف كيف يسأل الأسئلة الصحيحة. والأدلة مقنعة فعلاً في كتاب "قضية من أجل المسيح"

دكتور توم إس رينر

عميد مدرسة بيلي جراهام للإرساليات والمذهب الإنجيلي وإنماء الكنيسة - المعهد اللاهوتي المعمداني الجنوبي- لويزفيل- كنتاكي

• "إن كتابات لي ستروبل دائماً مبدعة وآسرة ومقنعة. وهذه المرة شاهدت بعض ما تم عمله في النسخة الأصلية حيث أنه قد أبدع في تأليف كتاب مقنع بدون تلاعب ومثير بدون أن يكون ثقيل الوطأة وساحر بدون أن يكون هزيل المعاني. وبإمكاني أن أشجعك بحماس أن تقرأ هذا الكتاب الحاسم".

جاري كولنز

دكتوراه فلسفة الاتحاد الأمريكي للاستشاريين المسيحيين

لي ستروبل



القضية ... المسيح

تحقيق صحفي شخصي للشهادة عن يسوع

ترجمة: سعد مقاري

القاهرة - مصر
٢٠٠٧
مكتبة
دار الكلمة
LOGOS

من مؤلفات لي ستروبل

- القضية .. الخالق
- القضية.. الإيمان
- إقرارات الله الحاسمة
- داخل عقل هاري وماري المحرومين من الكنيسة
- ما الذي كان يود أن يقوله يسوع؟

مكتبة دار الكلمة Logos
٠٢٠١٦٣٧٣٢٩٨
www.el-kalema.com　Info@el-kalema.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

الطباعة والتنضيد: مطبعة سان مارك　٠٢ ٤٩٥٠٦٩٠
الجمع والإخراج الفني: إيفا تاوضروس
زهور برنابا
الترجمة: سعد مقاري
المراجعة اللغوية: خالد سمير
تصميم الغلاف: جرمين شفيق
الإشراف الفني والإداري: محمد حسن غنيم

رقم الإيداع : ٢٠٩٤٥/ ٢٠٠٦
ISBN :977- 384 -074-3

المحتويات



آيات الشكر المستحقة

إني أقدم وافر الشكر لبصيرة ومساهمات العديد من الناس الذين ساهموا في هذا الكتاب وبوجه خاص فإني مدين لبلي هاييلز الذي سمح لي أن أقدم سلسلة من الكلمات عن هذا الموضوع في كنيسة مجتمع منطقة ويلو- وإن زوجتي ليزلي التي ألهمتني فكرة ترجمة هذا المفهوم في كتاب وناشر كتبي چون سلووان الذي طاقته البدعة عززت المشروع بشدة كما أني أعبر عن شكري لمارك ميتلبرج وجاري پول لتشجيعهم المستمر ومساعدتهم- كما أشكر تشاد ميستر وبوب وجريتشن باسانتينو لأبحاثهم وأفكارهم وأشكر أيضاً روس روبنسون لوجهات نظره القانونينة وكذلك أشكر مساعَدتي چودي والي لمساعدتها التي لا تقدر بثمن كما أشكر ابنتي أليسون وابني كايلي لمساهماتهما من وراء الستار.

وأخيراً أود أن أشكر العلماء الذين سمحوا لي أن أجري أحاديث معهم لهذا الكتاب. ومرة بعد أخرى لقد تأثرت ليس فقط بمعلوماتهم وحكمتهم بل أيضاً بإيمانهم المتواضع والمخلص- وكذلك برغبتهم مساعدة الباحثين في النواحي الروحية أن يحققوا في إقرارات يسوع الحاسمة عن حقيقة هويته الشخصية.



مقدمة

إعادة فتح تحقيق العمر

في حديث المدّعين، في قضية محاولة القتل ضد جيمس دكسون كان بمثابة "ضربة قاضية"، إذ سرعان ما فُتح وأغلق. وحتى التحقيق السريع الخاطف للأدلة كان كافياً لإثبات أن ديكسون أطلق النار على رقيب الشرطة ريتشارد سكانلون في بطنه أثناء مشاجرة في جنوب شيكاغو.

وبعد تحقيق جزء بعد جزء، وبند بعد بند، وشهادة بعد شهادة، ضيقت الأدلة بإحكام الخناق حول رقبة ديكسون. فقد كانت هناك بصمات الأصابع، والسلاح، وشهود العيان، والدافع، وشرطي مجروح ومدعى عليه تاريخه مملوء بالعنف.

والآن استعد نظام القضاء الجنائي لرفع الباب السحري الذي سيترك ديكسون متدلياً تحت وطأة جريمته.

فالحقائق كانت بسيطة. فالرقيب الشرطي سكانلون كان قد ذهب مسرعاً إلى غرب الموقع ١٠٨ بعد أن قام أحد الجيران باستدعاء الشرطة للإبلاغ عن رجل يحمل مسدساً. فلما وصل سكانلون وجد ديكسون يتجادل بشكل صاخب مع صديقته من خلال الباب الأمامي لمنزلها. وظهر أبوها عندما رأى ديكسون- فقد اعتبر أنه من الأمان أن يخرج خارج المنزل.

وفجأة نشبت مشاجرة بين ديكسون والأب، فتدخل رقيب الشرطة بسرعة محاولاً فض المشاجرة، فانطلقت رصاصة، وتمايل سكاناون مترنحاً، وهو جريح في بطنه. وعندئذ وصلت سيارتا دورية شرطة أخريتين، وخرج منهما ضباط وهم يصرخ

مندفعين لاعتقال ديكسون.

وبالقرب من مكان الحادث وجد مسدس عيار ٢٢مم يخص ديكسون، وعليه بصمات أصابعه، وقد أطلقت منه رصاصة واحدة وقد وجد في مكان قريب، حيث رماه، على ما يبدو، بعد إطلاق النار. ثم جرد الأب من سلاحه، أما مسدس الرقيب سكانلون فقد كان باقياً في جرابه. وتُظهر حروق البارود على جلد سكانلون بأن إطلاق الرصاص كان من مسافة قريبة جداً. ولحسن الحظ أن جرحه لم يكن مميتاً، مع أنه كان خطيراً لدرجة جعلته ينال وسام لشجاعته، ثبتت بفخر على صدره من قبل مدير الشرطة شخصياً. أما بالنسبة لديكسون، فقد وجدت الشرطة بصحيفة سوابقه، أنه سبق إدانته لإطلاق الرصاص على شخص آخر. وهو ما يُظهر بأنه كانت له نزوع للعنف.

وبعد ذلك بسنة تقريباً، كنت واقفاً أُسجّل المُلاحظات في قاعة محكمة شيكاغو شبه الخاوية فيما كان ديكسون يعترف علناً، "نعم"، بأنه مذنب بإطلاق الرصاص على جندي الشرطة الذي كانت له خمسة عشر عاماً في الخدمة. وقد دمغ اعترافه كل الأدلة الأخرى ليحسم الأمر. وقد حكم قاضي محكمة الجنايات فرانك ماتشالا بسجن ديكسون، ثم طرق بمطرقته إشارة إلى إغلاق هذه القضية. وبذا تحققت العدالة.

وضعت دفتر ملاحظاتي في جيب سترتي الرياضية ونزلت ببطء إلى الطابق السفلي باتجاه حجرة الصحافة. وعلى أكثر تقدير، حَسبتُ أن رئيس التحرير سيعطيني ثلاث فقرات لكتابة هذه القصة في عدد اليوم التالي من جريدة "شيكاجو تربيون". فبالتأكيد أن هذا هو كل ما تستحقه، فلم تكن بالقصة الكبيرة.

أو هذا ما كنت أعتقده.

همسة من مُخبر صحفي

أجبت على الهاتف في غرفة الصحافة وتعرفت على الصوت في الحال، فهو مخبر صحفي كنت قد شجعته أثناء السنة التي كنتِ أقوم فيها بتغطية أخبار مبنى المحاكم الجنائية. وكان يمكنني أن أدرك بأن لديه شئ هام يريد أن يبلغني به، لأنه كلما كانت المعلومات السرية أكبر كلما كان حديثه أسرع وصوته أخفض، إذ كان يهمس بسرعة ميل في الدقيقة.

فسألني "هل تعرف قضية ديسكون؟"

وأجبته: "نعم بالتأكيد، لقد غطيتها منذ يومين، فهي قضية روتينية جداً".

"لا تكن متأكداً هكذا. إذ أنه قبل حادث إطلاق النار بأسابيع قليلة، كان رقيب الشرطة سكانلون في حفلة يستعرض مسدسه القلم".

"ماذا؟"

"مسدس قلم، وهو عبارة عن مسدس عيار ٢٢مم مصنوع بطريقة تُظهره كقلم حبر. وكما تعلم فإن حمله غير قانوني بالنسبة لأي شخص، بما في ذلك رجال الشرطة".

وعندما أخبرته بأني لا أرى أية أهمية لذلك، حينها أصبح صوته أكثر حيوية فقال: "هذه هي النقطة الهامة. إن ديكسون لم يطلق النار على سكانلون. بل إن سكانلون قد جرح حينما إنطلق مسدسه القلم بالصدفة في جيب قميصه. وقد لفق التهمة لديكسون لكي لا يقع في مشاكل لحمله سلاح غير مرخص. ألا ترى أن ديكسون برئ؟".

فصحت قائلاً: "مستحيل!".

فأجاب: "راجع الأدلة بنفسك، لترى إلى أين تشير حقاً".

وضعت سماعة الهاتف وأسرعت على السلالم إلى مكتب المدعي العام، وتوقفت قليلاً لألتقط أنفاسي قبل أن أدخل إليه.

وسألته عرضاً، "هل تعرف قضية ديكسون؟ إذا لم يكن لديك مانع فإني أريد أن الإطلاع على التفاصيل مرة أخرى".

فشحب وجهه وقال متعلثماً: "آه ... لا يمكنني الحديث عنها، وليس لديَّ أي تعليق".

واتضح أن المخبر الصحفي كان قد أبلغ شكوكه إلى مكتبٍ المدعي العام من قبل. ودعيت هيئة المُحلفين الكبرى، سراً، لإعادة النظر في الأدلة. وبطريقة مذهلة، وبدون توقع، كانت قضية ديكسون التي أغلقت بإحكام، قد أعيد فتحها.

حقائق جديدة لنظرية جديدة

في نفس الوقت، بدأت تحرياتي الخاصة، وقمت بدراسة مسرح الجريمة، وأجريت مقابلات مع الشهود، وتكلمت مع ديكسون، وفحصت الأدلة المادية. وبينما كنت أراجع القضية بدقة، حدث أغرب شئ: فكل الحقائق الجديدة التي اكتشفتها، وحتي الدليل القديم الذي كان يشير بطريقة مقنعة إلى أن ديكسون مذنب، تناسب نظرية مسدس قلم الحبر بشكل مريح.

- قال الشهود بأنه قبل وصول سكانلون إلى مسرح الجريمة، كان ديكسون يدق بمسدسه على باب منزل صديقته. فانطلقت رصاصة من المسدس إلى أسفل، وفي أسمنت المدخل الأمامي كانت هناك شظية متسقة مع تأثير الرصاصة. وهذه الرصاصة هي التي كانت مفقودة من مسدس ديكسون.
- قال ديكسون بأنه لم يكن يريد أن يقبض عليه ومعه مسدسه، لذا خبأه بين الحشائش عبر الشارع قبل وصول الشرطة، وقد وجدت شاهداً أيَّد ذلك. وهذا يفسر لماذا وجِد المسدس على مسافة من مسرح الجريمة مع أن أحداً لم يرى ديكسون وهو يرميه.
- لقد كانت حروق البارود متركزة داخل، وليس فوق،

الجيب الأيسر لقميص سكانلون. وكان الثقب الذي أحدثته الرصاصة في قاع الجيب. والاستنتاج هو أن سلاحاً قد أطلق، بطريقة ما، من داخل جيب القميص.

• وعلى نقيض البيانات الموجودة في تقرير الشرطة، كان مسار الرصاصة بزاوية متجهة إلى أسفل. وتحت جيب قميص سكانلون كان هناك تمزق مُلطخ بالدم حيث خرجت الرصاصة مُخترقة اللحم.

• وإن صحيفة سوابق ديكسون لم تذكر قصته كاملة. فمع أنه كان قد قضى ٣ سنوات في السجن بسبب حادثة إطلاق نار سابقة، إلا أن محكمة الاستئناف أطلقت سراحه بعد أن قررت أن قد أدين ظلماً. واتضح أن رجال الشرطة قد أخفوا شهادة دفاع هامة وبأن شاهد الإثبات قد كذب. فأين هذا من سجل ديكسون وميوله للعنف.

رجل بريء يُطلق سراحه

وأخيراً طرحت على ديكسون السؤال الحاسم: "إذا كنت بريئ، فلماذا اعترفت بأنك مذنب؟"

فتنهد ديكسون قائلاً: "لقد كانت صفقة قضائية"، وهو يشير بذلك إلى الممارسة التي فيها المدّعين يوصون بإصدار حكم مخفف إذا اعترف المتهم بالتهمة، وبذا يوفر على الجميع الوقت وتكاليف المحاكمة.

"قالوا لي إذا اعترفت بالتهمة، فسوف يحكمون علىَّ بالسجن لمدة سنة واحدة. وكنت قد قضيت ٣٦٢ يوماً في السجن في انتظار محاكمتي. فكان كل ما يجب علىَ فعله هو أن أعترف بأني مُذنب وأذهب إلى منزلي بعد بضعة أيام. لكن إذا صممت على المحاكمة ووجدتني هيئة المحلفين مذنباً، فسيحكمون علىَ بالسجن عشرون سنة لإطلاق النار على شرطي. وهو ما لم يستحق المقامرة، فقد كنت أرغب في الذهاب إلى منزلي..."

فقلت له: "وهكذا اعترفت بارتكاب جريمة لم ترتكبها".

فأومأ ديكسون برأسه قائلاً: "هذا صحيح".

وفي النهاية أُطلق سراح ديكسون، وكسب دعوى قد رفعها فيما بعد، ضد قسم الشرطة. أما سكانلون فقد جردوه من وسامه، ثم حوكم بواسطة هيئة محلفين كبرى، واعترف بأنه مذنب بإساءة أدائه لوظيفة حكومية، وطرد من المصلحة. أما أنا فقصتي نُشرت في الصفحة الأولى. والأهم من ذلك، لقد تعلمت دروساً كبيرة كمخبر شاب.

ومن أكثر الدروس وضوحاً كانت أن الأدلة يمكن أن تُرتّب لكي تشير إلى أكثر من اتجاه واحد. فمثلاً، كان هناك بسهولة دليل كافٍ لإدانة ديكسون باطلاق الرصاص على رقيب الشرطة. لكن الأسئلة الرئيسية كانت: هل كانت عملية جمع الأدلة دقيقة وشاملة فعلاً؟ وما هو أفضل تفسير يلائم لمجموع الحقائق؟ فعندما عُرضت نظرية المسدس القلم، أصبح واضحاً بأن هذا السيناريو فسر جميع الأدلة بأحسن طريقة.

وكان هناك درس آخر. أحد الأسباب التي جعلت الأدلة تبدو مقنعة في أول الأمر، كان لأنه كان متفقاً مع أفكاري السابقة في ذلك الوقت. فبالنسبة لي كان ديكسون إنسان مشاغب وفاشل، وهو المنتج العاطل لعائلة مُفككة. أما رجال الشرطة فهم رجال صالحين، والمدعون لا يخطئون.

وبالنظر من خلال تلك العدسات، وجدت أن جميع الأدلة الأصلية قد وقعت بعناية في المكان المناسب. وحيثما كانت هناك تعارضات أو فجوات، فسرتها بسذاجة. وعندما أخبرني رجال الشرطة أن القضية خالية من نقاط الضعف، صدقت كلامهم ولم أنقب عن المعلومات لأبعد من ذلك بكثير.

ولكن عندما غيرت تلك العدسات، واستبدلت انحيازي بمحاولة التفكير بطريقة موضوعية، عندئذ رأيت القضية في ضوء جديد تماماً. وأخيراً سمحت للأدلة أن تقودني للحقيقة، بصرف النظر عن هل كانت تناسب افتراضاتي الأصلية أم لا.

كان ذلك قبل أكثر من عشرون عاماً. لكن أكبر دروسي كانت آتية بعد ذلك.

من ديكسون إلى يسوع

السبب الذي جعلني أحكي قصة هذه القضية الغير عادية هو أن رحلتي الروحية كانت تشبه كثيراً تجربتي مع جيمس ديكسون.

فلقد كنت متشككاً في جزء كبير من حياتي. وفي الواقع، كنت أعتبر نفسي ملحداً. فبالنسبة لي كانت هناك أدلة كثيرة تدل على أن الله مجرد نتاج التفكير بما تتمناه النفس، من أساطير قديمة، وخرافات بدائية. فكيف يُمكن وجود إله حنون إذا كان يرسل الناس إلى الجحيم لمجرد أنهم لا يؤمنون به؟ وكيف استطاعت المعجزات أن تنتهك القوانين الأساسية للطبيعة؟ ألم توضّح نظرية التطور بشكل مُرضي كيف نشأت الحياة؟ ألا يُبدد التفكير العلمي الاعتقاد بعالم ما وراء الطبيعة؟

أما بالنسبة ليسوع، ألم تعلم بأنه لم يزعم أبداً بأنه الله؟ لقد كان يهودياً ثائراً وحكيماً ومهاجماً للمعتقدات التقليدية، لكن إله؟ لا، فإن تلك الفكرة لم تخطر بباله أبداً! يمكنني أن أشير لك على الكثير من أساتذة الجامعات الذين قالوا بذلك، وبالتأكيد يمكن أن نثق بهم. أليس كذلك؟ وعندما نواجه المسألة: حتى الفحص السريع للأدلة يبين بشكل مقنع أن يسوع كان مجرد إنسان مثلي ومثلك تماماً، مع أن له مواهب غير عادية من الشفقة والحكمة.

ولكن هذا هو كل ما قدمت له الدليل: نظرة سطحية خاطفة. ولقد قرأت كمية كافية من الفلسفة والتاريخ لكي أجد دعماً لشكوكي، حقيقة هنا، ونظرية علمية هناك، وإقتباس بليغ، ومجادلة ذكية. ومن المؤكد، يُمكنني أن أرى بعض الفجوات والتناقضات، ولكن كان عندي حافز قوي لتجاهلها: أسلوب حياة أناني فاسق ولا أخلاقي، وهو ما كنت سأضطر للتخلى عنه لو كنت أغير آرائي في وقت ما وأصبح من أتباع يسوع.

وفيما يتعلق بي، فإن القضية قد إنتهت. فقد كان لديَّ برهان

كافي لكي أستريح وأقنع بالاستنتاج السهل بأن ألوهية يسوع لم تكن أكثر من اختراع خيالي من صنع المؤمنين بالخرافات.

أو هكذا اعتقدت

ردود على إنسان ملحد

لم تكن مكالمة تليفونية من مخبر صحفي هي التي دفعتني إلى إعادة فحص قضية المسيح، بل كانت زوجتي.

لقد أذهلتني ليزلي في خريف سنة ١٩٧٩ بإعلانها قد أصبحت مسيحية. زاغت عيوني وإستعددت لما هو أسوأ. وشعرت بشعور ضحية طعم قصد به إغرائي. فلقد تزوجت ليزلي واحدة، ليزلي التي لا تحمل هماً، ليزلي المرحة، ليزلي المجازفة، وأخشى الآن أن تتحول إلى تلك المرأة المحتشمة والمكبوتة جنسياً والتي تريد أن تستبدل أسلوب حياتنا الطموح للمعالي، بأسلوب السهرانين في الصلاة طول الليل والعمل التطوعي في مطاعم الفقراء القذرة.

وبدلاً من ذلك فقد فوجئت بسرور حتى سحرت بالتغيرات الجوهرية في شخصيتها، ونزاهتها، وثقتها بنفسها. وفي النهاية أردت أن أصل إلى أعماق السبب الدافع وراء حدوث هذه التغيرات البارعة لكنها مهمة في مواقف زوجتي. ولذلك بدأت تحقيقاً شاملاً للحقائق المحيطة بقضية المسيحية.

فتخليت عن اهتماماتي الشخصية وتميزاتي بقدر الإمكان، وبدأت قرأة الكتب، وأجريت أحاديث مع خبراء، وسألت أسئلة- وحللت التاريخ، ونقبت في علم الآثار، ودرست الآداب القديمة، ولأول مرة في حياتي فحصت الكتاب المقدس بالتفصيل آية .. آية.

وبدأت أغوص في هذه القضية بحماسة أكثر من أي قصة سبق لي أن تابعتها. وطبقت التدريب الذي تلقيته في كلية حقوق بيل، هذا بالإضافة إلى تجربتي كمحرر للشئون القانونية في جريدة "شيكاجو تربيون". وبمرور الوقت بدأت أدلة العالم، وأدلة

التاريخ، ومن العلوم، ومن الفلسفة، ومن علم النفس، كلها بالإشارة تجاه ما لا يمكن تصوره.

فقد كانت مثل قضية جيمس ديكسون، يُعاد النظر بها.

إحكم بنفسك

لربما أنت أيضاً تبني وجهة نظرك الروحية على الأدلة التي لاحظتها من حولك أو التي جمعتها من فترة طويلة من الكتب، أو أساتذة الجامعات، أو أفراد عائلتك، أو أصدقائك. لكن هل استنتاجك يعتبر حقاً أحسن تفسير ممكن لهذه الأدلة؟ وماذا لو عمقت دوافعك بمواجهة تصوراتك السابقة وبحثت في الأدلة بشكل منظّم.. تُرى ما الذي يمكن أن تجده؟

هذا هو موضوع الكتاب. ففي الواقع أني سوف أستعيد وأتوسع بالتفصيل في الرحلة الروحية التي اجترتها على مدار عامين تقريباً. وسآخذك معي الأحاديث الصحفية التي أجريتها مع كبار العلماء والخبراء الذين لهم مكانة جامعية معصومة من الخطأ.

ولقد جُبت أرجاء البلاد من ولاية مينيسوتا إلى ولاية چورچيا ومن فرچينيا إلى كاليفورنيا مُستخرجاً آراء الخبراء ومتحديهم بالاعتراضات التي كانت لديَّ عندما كنت متشككاً، ولاجبارهم على الدفاع عن مواقفهم بالمعلومات الصلبة والحجج الدامغة، ولاختبارهم بنفس الأسئلة التي يمكن أن تسألها أنت لو أتيحت لك الفرصة.

في هذا المسعى عن الحقيقة، استخدمت خبرتي كصحفي في الشئون القانونية للنظر في الأصناف العديدة من الأدلة: أدلة شهود العيان، والوثائق والمستندات، والأدلة المدعمة، وأدلة النقض، والأدلة العلمية، والأدلة النفسية، والأدلة الظرفية، نعم، وحتى أدلة بصمات الأصابع (التي تبدو مثيرة للاهتمام، أليس كذلك؟).

فهذه هي نفس الأصناف التي قد تصادفك في قاعة المحكمة. وربما تأخذ منظور قانوني، ولعل أفضل طريق لتصور هذه

العملية هو أن تقوم بدور المحلف.

غداً فقد تمَّ اختيارك لهيئة المحلّفين في محاكمة حقيقية، وستُسأل مقدماً بأنه ليس لديك أيّة تصورات مُسبقة عن القضية. وسيطلب منك أن تقف لتقسم بأنك ستكون ذو عقلية متفتّحة وعادل، وأن تكون استنتاجاتك مُستندة على وزن الحقائق وليس على أهوائك أو تحيزاتك. وسيُطلب منك أن تفحص مصداقية الشهود بشكل مدروس، مُتمحصاً الشهادات بعناية، وتُخضع الأدلة بصرامة لحكمك السليم على الأشياء ولمنطقك. وهذا هو نفس الشيء الذي أطلبه منك وأنت تقرأ هذا الكتاب.

في النهاية فمن مسئولية المحلفين أن يصدروا حكماً. وهذا لا يعني أنهم متأكدين تماماً مائة في المائة، لأننا لا يمكن أن نحصل على برهان مُطلق حول أي شئ في الحياة. ففي المُحَاكمة، يُطلب من المحلفين أن يزنوا الأدلة ويتوصلون إلى أفضل استنتاج ممكن. وبعبارة أخرى، لو رجعنا مرة أخرى إلى قضية جيمس ديكسون، فأي سيناريو يتفق مع الحقائق بالتفصيل أحسن من غيره؟

تلك هي مهمتك. وأتمنى أن تأخذ الأمر بجدية، لأنه قد يكون هناك ما هو أكثر من مجرد الفضول التافه الذي يُعلق في الميزان. فإذا كنت ستؤمن بيسوع، وإني أدرك بأن ذلك قد يكون شيئاً عظيماً لك، فعند هذه النقطة ليس هناك شئ أكثر أهمية من كيف ستستجيب له.

ولكن من هو يسوع حقاً؟ وما الذي زعمه حول شخصه؟ وهل هناك أي دليل جدير بالثقة يؤيد مزاعمه؟ هذا هو ما سنحاول أن نقرره فيما نقوم برحلة طيران إلى دينفر لإجراء مقابلتنا الأولى.

الجزء الأول

فحص السجلات





أدلة شهود العيان

هل بالإمكان الوثوق بسير حياة يسوع؟

عندما قابلت ليو كارتر الخجول واللطيف الكلام لأول مرة، كان ذاك المحارب القديم بعمر سبعة عشر سنة والأكثر حزما في منطقة شيكاغو. وقد أدت شهادته إلى وضع ثلاثة من القتلة في السجن. و ما زال يحمل في جمجته آثار طلقة مسدس عيار ٣٨ كرسالة تذكير مروعة لقصة بطولة رهيبة بدأت عندما شاهد أليشع بابتست يطلق النار على بقال محلي.

وكان ليو وصديقته، لزلي سكوت، يلعبانٍ كرة السلة عندما شاهدا إليشع الذي كان وقتها شخصاً منحرفاً، عمره ستة عشر عاماً، وصحيفة سوابقه بها ٣٠ سابقه تم فيها القبض عليه، شاهداه وهو يقتل سام بلو خارج محل بقالته.

وكان ليو يعرف البقال منذ الطفولة. وقد شرح ليو ذلك بصوت هادئ "عندما لم يكن لدينا أي شئ نأكله كان يعطينا بعض الطعام. لذا، عندما ذهبت إلى المستشفى وقالوا أنه قد مات، عرفت بأنني لابد أن أشهد بما رأيته".

لقد كانت شهادة شاهد عيان قوية. إنها إحدى أكثر اللحظات المثيرة في المحاكمة عندما يصف الشاهد بالتفصيل الجريمة التي رآها أو (رأتها) وعندما يشير بثقة نحو المتهم بأنه مرتكب الجريمة. وكان يعلم إليشع بأن الطريقة الوحيدة التي تُجنبه دخول

السجن هي أن يمنع ليو كارتر ولزلي سكوت من الإدلاء بشهادتهما بأي طريقة.

لذا ذهب إليشع مع إثنين من أصدقائه ليصطادوا. وسرعان ما تعقبوا ليو وليزلي، أثناء سيرهما في الشارع مع هنري أخّ ليو، وجروا الثلاثة معاً تحت تهديد السلاح إلى رصيف مُظلم مخصص لتحميل البضائع.

عندئذ قال ابن عم إليشع "ليو، إنني أحبك لكني مضطر أن أفعل هذا" ثم ضغط المسدس بقوة على أنف ليو ثم جذب الزناد. وانطلق المسدس هادراً، فاخترقت الرصاصة من زاوية ضيقة فأصابت ليو بالعمى في عينه اليمنى واستقرت في رأسه. فلما ارتمى على الأرض، اطلقت رصاصة أخرى، فاستقرت على بُعد بوصتين من عموده الفقري.

وفيما كان ليو يراقب الموقف من مكانه حيث كان منبطحاً على الأرض، متظاهراً بالموت، إذ رأى أخاه وصديقته ينتحبان وقد عُمَلا على مقربة منه، بلا رحمة. وعندما هرب إليشع وعصابته زحف ليو إلى مكان آمن.

وعلى نحو غير متوقع، ورغم كل ما تمَّ، فقد عاش ليو كارتر. أما الرصاصة التي كانت إزالتها في منتهى الخطورة، فقد بقيت مستقرة في جمجمته. وبالرغم من الصداع الفظيع الذي لم عجزت الأدوية القوية عن تخفيفه، فقد أصبح ليو شاهد العيان الوحيد ضد إليشع بابتست عند محاكمته لقتل البقال سام بلو. لذا صدَّق المحلفون شهادة ليو، وحُكَم على إليشع بالسجن ثمانون عاماً.

مرة أخرى كان ليو هو الشاهد العيان الوحيد الذي شهد ضد إليشع وزميليه في قتل صديقته وأخيه. ومرة أخرى كانت شهادته كافيه لبقاء الثلاثة في السجن لبقية حياتهم.

إني أعتبر ليو أحد أبطالي. فقد خدم العدالة، وعمل على تأكيدها، بالرغم من أنه دفع في ذلك ثمناً ما زال أثره باقياً. وعندما أفكر في شهادة شاهد العيان، حتى يومنا هذا وبعد مرور أكثر من عشرون سنةً- فما زال وجهه يظهر في خاطري.

شهادة من زمن بعيد

نعم، إن شهادة شاهد العيان يمكنها أن تكون ملزمة ومقنعة. فعندما تتاح للشاهد الفرصة الكافية لرؤية جريمة، وعندما لا يوجد لديه دوافع متحيزة أو خفية، وعندما يكون الشاهد صادقاً وعادلاً، فإن عملية إشارته إلى المدعى عليه في قاعة المحكمة تصبح كافية لإدانة ذلك الشخص بالسجن أو بما هو أسوأ.

وشهادة شاهد العيان تعتبر حاسمة بنفس الدرجة في التحقيق في الأمور التاريخية حتى مسألة ما إذا كان يسوع المسيح هو إبن الله الفريد.

لكن ماذا لدينا من رواياتٍ شهود العيان؟ هل لدينا شهادة أي شخص تعامل شخصياً مع يسوع، واستمع إلى تعاليمه، ورأى معجزاته، وشهد موته، والذي قد يكون قابله بعد قيامته المزعومة؟ وهل لدينا أي سجلات من "صحفيي" القرن الأول والذين قابلوا شهود العيان، وسألوهم الأسئلة الصعبة، ثم سجلوا بأمانة ما قرروا بدقة أنه صدق؟ وبنفس الأهمية، إلى أي حد تستطيع هذه الروايات أن تصمد وتقاوم تدقيق المشككين؟

لقد علمت أنه مثلما استطاعت شهادة ليو كارتر أن تثبت إدانة ثلاثة قتلة متوحشين، كذلك فإن روايات شهود عيان من سُحب الماضي البعيد يمكنها أن تحسم القضية الروحية الأكثر أهمية للكل. وللحصول على أجوبةٍ حاسمة، رتبت لمقابلة العالم الشهير قومياً الذي ألَّف كتاب تحديداً حول هذا الموضوع: الدكتور كريج بلومبيرج، مؤلف كتاب "الموثوقية التاريخية للأناجيل".

ولقد عرفت بلومبيرج أنيقاً؛ بلِ وحتى مظهره، في الواقع، كانِ مُلائماً كمانيكان. فقد كان طويلاً (ست أقدام وبوصتين) ونحيفاً، وشعره قصير وبني متموج وممشط للأمام دون تكلف، ولحية مجعدة، ونظارات سميكة بدون إطار. فهو يبدو مثل ذلك النوع الذي يمكن أن يكون طالب متفوق، والذي يلقي خطبة الوداع في حفل تخرجه من المدرسة العليا (وقد كان كذلك)، وعالم موهوب

وطني (وقد كان كذلك). وخريج بدرجة إمتياز من معهد لاهوتي جدير بالإحترام (هو فعلاً قد تخرج من كلية الثالوث اللاّهوتية الإنجيلية).

بيد أنني كنت أرغب في شخص أكثر من كونه ذكي ومتعلم. فقد كنت أبحث عن خبير لا يُبرر الفروق التافهة أو يرفض التحديات الموجهة للسجلات المسيحية بتعالي ولا مبالاة. كنت أريد شخصاً ما نزيهاً، وقد تصارع بأكثر فاعلية مع من انتقدوا الإيمان، والذي يتكلم بحزم ولكن لا يستخدم العبارات الطنّانة التي تخفى بدلاً من التعامل مع المسائل الخطيرة الحاسمة.

لقد أخبروني أن بلومبيرج هو بالضبط الشخص الذي كنت أبحث عنه، فسافرت بالطائرة إلى دينفير متمنياً أن يكون على المستوى المطلوب. في الواقع، لقد كانت لدى بُضعة شكوك، خصوصاً عندما أسفرت أبحاثي عن حقيقة مُقلقة بشكل كبير، إحداها هي أنه لربما يفضّل أن يبقى محتجباً: بلومبيرج ما زال مُتمسكاً بأمل أن يفوز أبطال طفولته المحبوبين، أشبال شيكاغو، ببطولة وورلد سيريز للبيسبول في حياته.

بصراحة، لقد كان هذا سبباً كافياً لجعلي مُرتاب قليلاً من فطنته.

المُقابلة الأولى: كريج ل. بلومبيرج، دكتوراه في الفلسفة

يعتبر كريج بلومبيرج من أهم المراجع لدراسة سيرة يسوع الذاتية، التي تدعى الأناجيل الأربعة. وقد حصل على الدكتوراه في العهد الجديد من جامعة أبيردين في أسكتلندا، وبعد ذلك عمل كباحث أول في تيندال هاوس بجامعة كامبردج في إنجلترا، حيث كان أحد أفراد المجموعة المختارة من العلماء العالميين الذين أصدروا سلسلة من الأعمال المتميزة المحترمة عن يسوع. وفي الاثنتى عشر سنة الأخيرة كان يعمل كأستاذ في العهد الجديد في معهد دينفير اللاهوتي المحترم جداً.

ومن الكتب التي ألفها بلومبيرج "يسوع والأناجيل *Jesus and*

the Gospels" و "تفسير الأمثال *Interpreting the Parables*"، و"إلى أي مدى هذا الانقسام؟ *How wide the Divide?*"، وتعليقات على إنجيل متى ورسالة كورنثوس الأولى. كما ساعد في تحرير المجلد السادس من كتاب: "وجهات نظر الإنجيل *Gospel Perspectives*" الذي يبحث بالتفصيل في معجزات يسوع. كما شارك في وضع كتاب "مدخل للتفسير الكتابي *Introduction to Biblical Interpretation*". كما ساهم ببعض الفصول عن تاريخية (عدم أسطورية) الأناجيل في كتاب "الإيمان المعقول *Reasonable Faith*" والكتاب الحائز على جوائز "يسوع تحت النار *Jesus under Fire*". وهو عضو في "جمعية دراسة العهد الجديد"، و "جمعية الأدب الكتابي"، و"معهد أبحاث الكتاب المقدس".

وكما توقعت كان مكتبه به أكثر من نصيبه من المجلدات الجديرة بالعلماء مصفوفة على الرفوف (بل وحتى رابط عنقه كانت مزينة برسومات الكتب).

على أية حال، لاحظت بسرعة بأن حوائط مكتبه لم تكن تُهيمن عليها المجلدات المتربة لمؤرخين قدماء بل بأعمال فنية من بناته الصغيرات. وكانت رسوماتهن الغريبة والملونة لحيوانات اللاما ،والبيوت، والزهور، لم تكن قد ثبتت وعلقت مصادفة كفكرة غير منظمة تخطر على البال فيما بعد، بل من الواضح أنها كانت تعامل كجوائز، وضعت لها براويز بعناية، وموقعة بأسماء إليزابيث وراشيل بأنفسهن. ففكرت في نفسي، من الواضح أن هذا الرجل لديه قلب مثلما له عقل.

يتكلم بلومبيرجٍ بدقة علام رياضيات (نعم، فقد كان معلماً للرياضايات أيضاً، في أول حياته العملية)، فكان يزن كل كلمة بعنايةٍ بسبب اعتراضه الواضح على إغفال أي تفصيل قد يبدو تافهاً في المعنى قد يخفي ورائه الدليل. وهذا ما كنت أبحث عنه بالضبط.

وعندما استقر على كرسيٍ عالي الظهر، وفي يده فنجان القهوة، شربت أنا أيضاً بعض القهوة لأتفادى برودة كولورادو.

ولأني شعرت أن بلومبيرج رجل من النوع الذي يحب الدخول في الموضوع مباشرة، قررت بدء مقابلتي بالدخول في صميم الموضوع مباشرة.

شهود عيان للتاريخ

قلت له بنبرةٍ تحدي في صوته "قل لي، هل من الممكن فعلاً أن تكون شخصاً ذكياً يفكر بعقلية نقدية ومع ذلك تُصدّق أن الأناجيل الأربعة دونها الذين نُسبت أسماؤهم إليها؟".

وضع بلومبيرج فنجان القهوة على حافة مكتبه ونظر إلىَ باهتمام شديد، وقال بيقين "الجواب نعم".

ثم اعتدل في جلسته، "من المهم أن نُسلّم بذلك على وجه التحديد، أن كُتاب الأناجيل غير معروفين. لكنّ الشهادة الموحدة للكنيسة الأولى تثبت أن متى، وهو معروف كذلك بـ لاوي، جابي ضرائب وأحد التلاميذ الإثنا عشر، بأنه كتب الإنجيلِ الأول في العهد الجديد؛ وأن يوحنا مرقس، الذي كان مرافقاً لبطرس، هو من كتب الإنجيل الذي ندعوه مرقس؛ ولوقا المعروف بطبيب بولس المحبوب، هو من كتب كلّ من إنجيل لوقا وأعمال الرسل".

فسألته "إلى أي حد يُمكن الإعتقاد بأن هؤلاء هم الكُتّاب؟"

قال "ليس هناك منافسون معروفون لهؤلاء الانجيليين الثلاثة، وهذا واضح بيّن، وليس ذلك وحده بل أن ذلك ليس لم يكن محل نزاع".

ورغم ذلك، أردت فحص هذه المسألة أكثر فقلت له "معذرة لتشككي، ولكن كان هناك شخص تم تحريضه بالكذب بإدعاء أن هؤلاء الأشخاص دونوا هذه الأناجيل، في حين أنهم لم يكتبوها فعلاً؟".

فهز بلومبيرج رأسه قائلاً "هذا غير محتمل حدوثه. تذكّر، أن هؤلاء الأشخاص بعيدي الإحتمال" ثم قال وابتسامة عريضة تبزغ على وجهه "حتى أن مرقس و لوقا لم يكونا من بين الإثنا

عشر تلميذاً. ومتى الذي كان سابقاً جابي الضرائب مكروه، وكان بالإمكان أن يصبح الأكثر سؤ سمعة بجانب يهوذا الإسخريوطي، الذي خان يسوع!

"قارِن هذا بما حدث مع الأناجيل الخيالية المزورة (الأبوكريفا) التي كُتبت بعد ذلك بمدة طويلة. فقد اختاروا لها أسماء مشهورة وأشخاص نموذجيين لينسبوا هذه الكتابات لكُتَّاب وهميين مثل: فيليبس، وبطرس، ومريم، و يعقوب. فهذه الأسماء لها ثقل أكبر بكثير من أسماء مثل: متى، ومرقس، ولوقا. لذا ولإجابة سؤالك: ليس هناك أي مبرر لنسب تدوين الأناجيل لهؤلاء الثلاثة الأقل إحتراماً ما لم يكن هذا هو الصحيح".

لقد بدا هذا الكلام منطقياً، لكن من الواضح أنه بسهولة أغفل واحداً ممن كتبوا الأناجيل فسألته "وماذا عن يوحنا؟ فقد كان شخصية بارزة جداً، وفي الواقع، أنه لم يكن مجرد واحداً من بين الإثني عشر تلميذاً، بل كان احد الثلاثة المُقرَّبين من يسوع، مع بطرس ويعقوب"

فسلَّمَ بلومبيرج موافقاً "نعم هو الإستثناء الوحيد، وبشكل مثير للأنتباه، فيوحنا هو الإنجيل الوحيد الذي تثور حول مدونه بعض التساؤلات"

"ما هو بالضبط محل النزاع؟"

أجاب بلومبيرج "ليس هناك شك حول اسم الكاتب، فهو بالتأكيد يوحنا، لكن السؤال هل هو يوحنا الرسول أم هو يوحنا آخر".

"إذا نظرت إلى شهادة كاتب مسيحي يدعى بابياس مؤرخة بحوالي ١٢٥م. فهي تشير إلى يوحنا الرسول ويوحنا الشيخ، فليس واضحاً من السياق ما إذا كان يتحدث عن شخص واحد من منظورين أو عن شخصيتين مختلفتين. لكن بخلاف هذا الإستثناء، فإن بقية الشهادات المُبكرة أجمعت على أن يوحنا الرسول الذي هو ابن زبدي ــــ هو من كتب الإنجيل".

فقلت في محاولة لإمساكه بشدة أكثر "هل أنت مقتنع بأنه من

قام بتدوينه؟"

فأجاب "نعم، أعتقد أن أغلبية المادة الأساسية تعود للرسول. ومع ذلك، فلو قرأت الإنجيل بعناية، فسترى أن هناك إشارة إلى أن السطور الختامية لربما تكون قد دونت من قبل محرر. وأنا شخصياً، لا أجد مشكلة في أن أعتقد وأؤمن أن شخصاً مرتبطاً جداً بيوحنا ربما قد قام بهذا الدور، فوضع صيغة الآيات الأخيرة وتمكن من تحقيق تماثل الأسلوب للسفر كله.

ثم قال مؤكداً "لكن على أي حال، فمن الواضح أن الإنجيل مبني على مواد جمعها شاهد عيان مثلما حدث للثلاث أناجيل الأخرى".

التنقيب عن التفاصيل

مع تقديري لتعليقات بلومبيرج حتى الآن، لكني لم أكن مستعداً للانتقال إلى موضوع آخر. فإن مسألة تدوين الأناجيل مسألة ذات أهمية كبرى، فأنا أريد تفاصيل معينة، أسماء، وتواريخ، و اقتباسات أنهيت قهوتي ووضعت الفنجان على مكتبه، ثم أمسكت بقلمي، استعداداً للحفر والتنقيب أعمق من ذي قبل.

قلت "دعنا نعود ثانياً إلى مرقس، ومتى، ولوقا، ما هو دليلك المحدد الذي يثبت أنهم مؤلفو الأناجيل".

مال بلومبيرج للأمام وقال "مرة أخرى، تأتي الشهادة الأقدم والأهم على الأرجح من بابياس حوالي ١٢٥م. الذي أكد بدقة أن مرقس قد سجّل بدقة وبعناية ملاحظات بطرس، شاهد العيان. وفعلاً قال أن مرقس "لم يرتكب أي غلطة" ولم يتضمن ما كتبه "أي عبارة مزيفة" وقال بابياس أن متى حفظ تعاليم يسوع.

"ثم كتب إريناس سنة ١٨٠م. تقريباً وأكد الأصلي التقليدي لمؤلفي الأناجيل. ثم مد يده وسحب كتاباً وفتحه ثم قرأ كلمات إيريناوس".

نشر متى إنجيله بين العبرانيين بلسانهم، عندما كان بطرس

وبولس يبشران بالإنجيل في روما ويؤسسان الكنيسة هناك. وبعد رحيلهما قام مرقس، تلميذ ومترجم بطرس، نقل إلينا بنفسه كتابة مادة وعظ بطرس. ولوقا، تلميذ بولس، سجّل الإنجيل الذي بشر به معلمه. ثم يوحنا، تلميذ المسيح، الذي إتّكأ أيضاً على صدره، دوّن بنفسه إنجيله فيما كان يعيش في أفسس بآسيا(٢).

وهنا تركت المذكرات التي كنت أكتبها قائلاً "حسناً، دعني أوضح هذه النقطة، إذا سلمنا بأن الذين كتبوا الأناجيل هم: متى، ويوحنا، تلاميذ المسيح، ومرقس، المرافق والتلميذ لبطرس، ولوقا المؤرخ، والمرافق لبولس، والذي يعتبر بمثابة صحفي في القرن الأول، فيمكننا أن نتأكد بأن الأحداث التي سجلوها مبنية إما على شهادة شاهد عيان مباشرة أو غير مباشرة".

وفيما كنت أتكلم، كان بلومبيرج يمحص كلماتي عقلياً. وعندما انتهيت، أومأ برأسه موافقاً وقال بوضوح "بالضبط".

السير الذاتية القديمة مقابل الحديثة

لقد كانت هناك بعض النواحي المقلقة في الأناجيل أحتاج إلى توضيحها. وبصفة خاصة، أردت فهم بطريقة أفضل نوع الأسلوب الأدبي الذي تمثله.

فقلت له: "عندما أذهب إلى المكتبة وأبحث في قسم السير الذاتية، فإني لا أرى نفس أسلوب الكتابة الذي أراه في الأناجيل. ففي هذه الأيام عندما تُكتب سيرة ذاتية لشخص ما، فإنهم ينقبون بدقة في حياته. لكن انظر إلى مرقس، فهو لا يتحدث عن ميلاد يسوع أو أي شئ عن سنوات يسوع الأولى حتى بلوغه. وبدلاً من ذلك يُركز على فترة الثلاث سنوات صارفاً نصف إنجيله على الأحداث التي أدَّت إلى وبلغت ذروتها في الأسبوع الأخير من حياة يسوع. فكيف تفسر هذا؟"

عندئذ رفع بلومبيرج أصبعين وأجاب "هناك سببان، أحدهما أدبي والآخر لاهوتي.

"السبب الأدبي، هو أن الناس في العالم القديم كانوا يكتبون السير الذاتية بهذه الطريقة.. فلم يكن لديهم الحسُّ، الذي لدينا اليوم، بأنه من المهم إعطاء نسب متساوية لكل مراحل حياة الشخص، أو بإنه من الضروري لسردِ القصة بترتيب زمني دقيق أو حتى ذكر كلمات الأشخاص حرفياً، طالما أنه حافظ على جوهر ما قالوه. كما أن اللغة اليونانية القديمة واللغة العبرية لم يكن لديهما حتى رمز لعلامات الإقتباس.

"فالهدف الوحيد الذي فكّروا في تأريخه هو ما كان يستحق التسجيل، وإن كان هناك بعض الدروس التي يمكن تعلمها من الشخصيات التي يتم وصفها. لذا، فكاتب السير يسكت عن التفاصيل العادية فيما يركّز على تفاصيل متناثرة من حياة الشخص التي كانت مثالية ونموزجية، فتلك ما كان يقف عندها بالتوضيح، والتي يُمكن أن تساعد الناس الآخرين، والتي تعطي المعنى لفترة التاريخ".

فسألته: "وما هو السبب اللاهوتي؟"

"السبب اللاهوتي ينبع من النقطة التي ذكرتها الآن. فالمسيحيون يؤمنون بأنه مثلما كانت حياة يسوع وتعاليمه ومعجزاته رائعة، لكنها كانت تعتبر بلا مغزى ما لم يثبت تاريخياً حقيقة أنِ المسيح مات، وقام من الموت، وبأن ذلك منح كفارة، أو غفراناً، لخطايا البشر.

"من ثمَّ فمرقس بالذات، الذي ربما كان كاتب أقدم إنجيل، يكرس نصف روايته تقريباً للأحداث التي تشمل فترة الأسبوع الواحد والتي توّجت بموت وقيامة المسيح".

ثم قال مستنتجاً "مُعطياً أهمية للصلب، وهذا يجعل المعنى مثالي في الأدب القدريم".

سر Q

بالإضافة للأناجيل الأربعة غالباً ما يشير العلماء لما يسمونه Q من الكلمة الألمانية *Quelle*، أو "مصدر"(٣). وبسبب التشابهات في اللغة والمحتوى، جرى العُرف بإفتراض أن متى ولوقا نقلا عن إنجيل مرقس الأقدم عند كتابتهم لإنجيليهما. وبالإضافة إلى ذلك، يقول العلماء بأن متى ولوقا دمجا أيضاً بعض النصوص أو المواد من هذا المصدر الغامض Q، وهي المواد التي تغيب عن إنجيل مرقس.

فسألت بلومبيرج "ما هو بالضبط المصدر Q؟".

أجاب وهو يميل ظهره بارتياح في كرسيه "إنه لا شيء أكثر من كونه فرضية، فيما عدا بعض الحالات، فهي مجرد أقوال وتعاليم يسوع، التي ربما كانت قد تشكّلت من وثيقة منفصلة مستقلة.

"فكما ترى، لقد كان أسلوباً أدبياً مشتركاً لجمع أقوال المعلمين المحترمين، مثلما نجمع أحسن موسيقى لمطرب ونسجلها في ألبوم "الأفضل". فـ Q ربما كان شيئاً مثل ذلك، على الأقل تلك هي النظرية".

لكن إذا كان Q موجوداً قبل متى ولوقا، لكان قد شكل معلومات عن يسوع في وقت مبكر. وأظن أنه ربما استطاع أن يلقي ضوءاً جديداً على حقيقة شخص يسوع.

فقلت له "دعني أسألك هذا السؤال: لو أنك عزلت المادة من Q وحدها، فأي نوع من الصور يمكن أن تكونه صورة يسوع؟"

مسَّد بلومبيرج لحيته وحدّق في السقف للحظة فيما يتأمّل السؤال ثم قال "حسناً، يجب أن تتذكر بأن Q ما هو إلا مجموعة الأقوال، ولذلك فهو يخلو من المادة القصصية التي كانت ستعطينا صورة أكثر تكاملاً عن يسوع". واسترسل في إجابته متكلماً ببطئ فيما كان يختار كل كلمة بعناية.

"ومع ذلك، تجد يسوع يدعي بعض الإدعاءات القوية جداً، فمثلاً، أنه الحكمة المتجسدة، وأنه من سيخوّل من قبل الله لدينونة كل البشر، سواء من اعترفوا به أو من أنكروه. مؤخراً ناقش كتاب

علمي مهم مسألة إذا تم عزل جميع أقوال Q فهل سنحصل فعلاً على نفس نوع الصورة ليسوع، الشخص الذي إدعى إدعاءات جريئة حول نفسه، كتلك التي نلاقيها في الأناجيل بصفة عامة".

أردت دفعه أكثر إلى هذه النقطة فسألته "هل كان الناس سيرونه كصانع معجزات؟"

فأجابني قائلاً "مرة أخرى، يجب أن تتذكر أنك لن تحصل على العديد من قصص معجزات بحد ذاتها، لأنها موجودة بشكل طبيعي في القصة، أما المصدر Q فهو أساساً قائمة أقوال".

وهنا توقف ليصل إلى مكتبه، وتناول نسخة من الكتاب المقدّس مجلّدة، وتصفح صفحاته المهترئة.

"لكن، على سبيل المثال، لوقا ٧: ١٨- ٢٣ و متى ١١: ٢- ٦ تقول هذه الآيات بأن يوحنا المعمدان أرسل تلاميذه ليسألوا يسوع إن كان هو حقاً المسيح- المسيا الذي كانوا ينتظرونه. فأجاب يسوع إجابة جوهرية "اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانَ وَتَنْظُرَانَ: اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ".

ثم استرسل مُقرراً "هكذا حتى المصدر Q هناك وعي واضح بإرسالية يسوع التي ترافقها المعجزات".

جلبت إشارة بلومبيرج لمتى إهتماني بسؤال آخر يتعلّق بكيف جمعت هذه الأناجيل فسألته "لماذا متى الذي هو شاهد عيان ليسوع ينقل في إنجيله أجزء من إنجيل مرقس، الذي يتفق الجميع على أنه لم يكن شاهد عيان؟ فلو كان إنجيل متى قد كتب فعلاً بواسطة شاهد عيان لكان إعتمد على ملاحظاته الشخصية".

إبتسم بلومبيرج قائلاً " يبدو هذا معقولاً فقط إذا كان مرقس قد بنى روايته فعلاً على ما ذكره شاهد العيان بطرس". وكما قلت أنت نفسك، كان بطرس من الدائرة المقربة ليسوع، وكان شخصياً يمكنه رؤية وسماع أشياء لم يسمعها باقي التلاميذ. من ثمَّ يبدو معقولاً جداً لمتى، بالرغم من أنه كان شاهد عيان، أن يعتمد على

رواية بطرس للأحداث كما دونت عبر مرقس".

ففكرت في نفسي، نعم، فهذا معقول فعلاً. وفي الحقيقة، بدأ يتكون في ذهني تناظر لما حدث معي منذ سنوات خلال عملي كمراسل صحفي. تذكرت أنني كنت ضمن مجموعة حاشدة من الصحفيين الذين حاصروا ذات مرة أبَّ شيكاغو السياسي المشهور، رئيس البلدية مايورريتشارد جي. دالي، وامطروه بوابل من الأسئلة عن فضيحة كانت قد حدثت في قسم الشرطة. فأدلى ببعض التعليقات قبل هروبه إلى سيارته الليموزين.

وبالرغم من أني كنت شاهد عيان على ما قد حدث، فقد ذهبت في الحال إلى مراسل إذاعي كان الأقرب لدالي، وطلبت منه إعادة تشغيل الشريط الذي يحتوي على ما قاله دالي تواً. وبهذه الطريقة، إستطعت أن أتأكد من أن ما لديَّ من كلماته قد كتبته بشكل صحيح.

لذا، فقد فكّرت، بأن هذا على ما يبدو ما قد فعله متى مع مرقس، مع أن متى كانت له ذكرياته الخاصة كتلميذ للمسيح، فإن مسعاه نحو الدقة دفعه للإعتماد على بعض المعلومات التي جاءت إليه مباشرة من بطرس الذي هو من الدائرة الاقرب ليسوع.

المنظور الفريد ليوحنا

لقد إعتراني شعور بالرضا والإقتناع بإجابات بلومبيرج الأولية المتعلقة بالثلاثة أناجيل الأولى، والمسماة بالازائية أو المتشابهة، والتي تعني "رؤية الأشياء في نفس الوقت"، بسبب تشابه الخطوط الرئيسية للأحداث والعلاقة المتبادلة بينهم[٤]. ثم حوّلت إنتباهي إلى إنجيل يوحنا. إن أي شخص يقرأ الأناجيل الأربعة سيدرك في الحال وجود إختلافات واضحة بين الأناجيل الازائية و إنجيل يوحنا، وأردت أن أعرف ما إذا كان هذا يعني وجود تناقضات لا يمكن التوفيق بينها.

فسألت بلومبيرج "هل يمكنك أن توضح لي الفروق بين الأناجيل الازائية و إنجيل يوحنا؟".

إرتفع حاجباه بحدة، وقال "هذا سؤال ضخم! أتمنى تأليف كتاب كامل عن هذا الموضوع".

وبعدما طمأنته بأنني أريد فقط معرفة أساسيات المسألة، وليس مناقشة شاملة، رجع إلى كرسيه مستريحاً.

"حسناً، صحيح أن يوحنا أكثر إختلافاً عن الأناجيل الازائية، وهناك حفنة قليلة فقط من القصص الكبرى التي تظهر في الثلاثة أناجيل الأخرى تظهر ثانيةً في إنجيل يوحنا، مع أنها تختلف بشكل ملحوظ عندما نصل إلى الأسبوع الأخير من حياة يسوع. من ذلك فهو يُشير إلى تقوية أقرب بكثير من المتوازيات.

"ويبدو أن هناك أيضاً إختلاف كبير في الأسلوب اللغوي. ففي إنجيل يوحنا يستخدم يسوع إصطلاحات مختلفة، ويتحدث في خطب طويلة، كما يبدو أن هناك درجة عالية من الكرستولوجي (التعليل اللاهوتي لشخص المسيح)، وإدعاءات أكثر صراحة ومباشرة أكثر والتي تجعب من يسوع واحداً مع الآب، الله نفسه، فهو الطريق، والحق، والحياة، والقيامة.

فسألته "ما هو تفسير هذه الإختلافات؟"

فقال "على مدي سنين عديدة، كانت الفرضية بأن يوحنا يعرف كل شئ عما كتبه متى، ومرقس، ولوقا، وأنه رأى عدم وجود حاجة لتكرارها، لذلك إختار أن يكملها. لكن منذ عهد أقرب، أصبح الإفتراض بأن يوحنا مستقل تماماً عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، وهذا الأمر أمكن أن يعلل الإختيارات المختلفة للمعلومات وكذلك وجهات النظر المختلفة عن يسوع".

إدّعاءُ يسوع الأكثر جرأة

وقلت مُعلقاً "هناك بعض السمات اللاهوتية ليوحنا".

فقال لي "لاجدال في ذلك، ولكن هل تستحق أن تدعي هذه تناقضات؟ أظن أن الجواب لا، وإليك السبب: تقريباً لكل موضوع مهم أو مميز في إنجيل يوحنا، يمكنك أن تجد ما يوازيه في أناجيل

متى، ومرقس، ولوقا، حتى وإن لم تكن بنفس الغزارة".

لقد كان هذا زعم جرئ فقررت على الفور أن أضعه موضع الإختبار بإثارة أهم القضايا المتعلقة بالإختلافات بين الأناجيل الازائية وإنجيل يوحنا.

فقلت "يقدم يوحنا إدعاءات صريحة وواضحة جداً بأن يسوع هو الله، والبعض يرجعون إلى حقيقة أن يوحنا كتب إنجيله متأخراً عن الآخرين وبدأ بتزيين الأمور. فهل تستطيع أن تجد موضوع الألوهية في الازائية؟

قال "نعم، أستطيع ذلك، وأن كان بطريقة أكثر ضمنية لكنه موجود. تأمل في قصة يسوع مشي على الماء، وهي مذكورة في متى ١٤: ٢٢- ٣٣؛ و مرقس ٦: ٤٥- ٥٢. وفي معظم الترجمات الإنجليزية تتخفي الكلمات اليونانية، فحين إقتبس يسوع قائلاً "أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا" لكن الترجمة اليونانية[1] تقول حرفياً (لاَ تَخَافُوا أنا هو الكائن)، فالكلمتين الأخيرتين مطابقتان لما قاله يسوع فِي إنجيل يوحنا ٨: ٥٨، عندما نسب لنفسه الاسم الإلهي "قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" الذي هو إله البرية الذي أعلن نفسه لموسى في الشجيرة أو العليقة المشتعلة في سفر الخروج ٣: ١٤. لذا فإن يسوع يُظهر نفسه بأنه الواحد الذي له نفس القدرة الإلهية على مثال طبيعة يهوه إله العهد القديم".

أومأت برأسي ثم قلت "هذا مثال واحد، فهل لديك أمثلة أخرى؟"

قالٍ بلومبيرج "نعم، يمكنني الاستمرار على طول هذا الخط. فمثلاً، اللقب الأكثر شيوعاً الذي اطلقه يسوع على نفسه في الإنجيل الثلاثة الأولى "ابن الإنسان، و ..."

وهنا رفعت يدي لأوقفه وقلت "توقف قليلاً،" ثم أمسكت بحقيبتي، وسحبت كتاباً وتصفحته حتى وجدت مكان الإقتباس الذي كنت قد حددته مسبقاً، وكنت أبحث عنه "كارين أرمسترونج، التي كانت

---

١ لمزيد من التفاصيل راجع مادة رقم (١٦٣٩) بالقاموس الموسوعي للعهد الجديد، مكتبة دار الكلمة، مصر، القاهرة، ٢٠٠٧

راهبة سابقاً والتي كتبت كتاباً من أكثر الكتب رواجاً وهو "تاريخ الله" قالت أنه يبدو أن التعبير "ابن الإنسان" "يؤكد ببساطة ضعف حالة الإنسان وفناؤه"، لذا باستخدام يسوع لهذا التعبير، كان يؤكد فقط "بأنه مجرد إنسان ضعيف سيقاسي الآلام يوماً ما ويموت"(٥) ثم قلت: "لو كان ذلك صحيحاً، فلا يبدو أن هذا التعبير يمثابة إدعاء كبير بالألوهية".

وهنا أصبحت تعبيرات وجه بلومبيرج تنم عن الغضب فقال بحزم "على نقيض الاعتقاد السائد فإن تعبير "ابن الإنسان" لا يُشير، في المقام الأول، إلى إنسانية يسوع. فبدلاً من ذلك تلميح مباشر إلى دانيال ٧: ١٣-١٤"

وعندئذ فتح العهد القديم وقرأ تلك الكلمات من سفر دانيال النبي

"كُنْتُ أَرَى فَي رُؤَى اللَّيْلَ وَإذَا مَعَ سُحُبَ السَّمَاءَ مَثْلُ ابْنَ إنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَي الْقَدِيمَ الأَيَّامَ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبَ وَالأُمَمَ وَالأَلْسِنَةَ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدَيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ".

ثم أغلق بلومبيرج الكتاب المقدس، ثم إسترسل قائلاً "من ثَمَّ، أنظر لما كان يسوع يفعله بتطبيق هذا التعبير "ابن الإنسان"[٢] على نفسه. فهذا الواحد يقترب من الله نفسه في عرشه السماوي ويُعطى سلطة وسيادة عالمية. وهذا يجعل من "ابن الإنسان" لقباً ذا منزلة سامية وعظيمة، وليس مجرد إنسانية".

فيما بعد صادفني تعليق لعالم آخر، سأجري معه قريباً مقابلة لهذا الكتاب، وليم لين كريج، الذي أبدى ملاحظة مشابهة

"ابن الإنسان" كثيراً ما يُظن بأنه يُشير إلى إنسانية يسوع، كما أن التعبير المُعاكس له "ابن الله" ليُشير إلى لاهوته.

---

٢ لمزيد من الدراسة للجذر اللغوي وتاريخ تطوره في كلٍّ من العهد القديم والجديد، راجع مادة (٥٦٢٦) بالقاموس الموسوعي للعهد الجديد، مرجع سابق.

لكن في الحقيقة، العكس هو الصحيح. إبن الإنسان كان شخصية إلهية في سفر دانيال بالعهد القديم والذي سيأتي في نهاية العالم ليدين البشرية ويدوم مُلكه إلى الأبد. من ثمَّ، فإن تعبير "ابن الإنسان" هو في الواقع إدعاء للألوهية"(٦).

استمر بلومبيرج قائلاً "وبالإضافة إلى ذلك، فإن يسوع في الأناجيل الازائية يدعى أنه يغفر الخطايا، وهذا شئ يستطيع الله وحده أن يفعله. كما أن يسوع يقبل الصلاة والعبادة إذ يقول: "كل من يعترف بي سأعترف به أمام أبي الذي في السماء". فالدينونة النهائي تعتمد على موقف الإنسان تجاهه ـــ من؟ هل هو مجرد إنسان؟ كلا، وإلا سيكون ذلك إدعاء متغطرس جداً. فالدينونة النهائية تستند رد فعل الإنسان تجاه يسوع بصفته الله.

"وكما ترى يوجد كل أنواع المواد في الأناجيل الازائية حول ألوهية المسيح، والتي أصبحت أكثر وضوحاً في إنجيل يوحنا".

المخطط اللاهوتي للأناجيل

في تدوين الإنجيل الأخير، كان لدى يوحنا ميزة متمثلة في الفترة الزمنية الأطول والتي مكنته من التفكير في القضايا اللاهوتية. لذا سألت بلومبيرج "لقد كان يوحنا يكتب بنزعة لاهوتية أكثر، أليست هذه الحقيقة تعني بأن مادته التاريخية قد أفسدت ومن ثمَّ فهي أقل صلاحية للإعتماد عليها؟".

فقال بلومبيرج مؤكداً "لا أعتقد أن يوحنا أكثر لاهوتية من باقي الإنجيليين. بل لديه فقط سلسلة مختلفة من التأكيدات اللاهوتية. وقد كان لدى كل من متى، ومرقس، ولوقا، زوايا لاهوتية متميزة جداً التي عملوا على إبرازها: فلوقا، يُبرز النواحي اللاهوتية للفقراء والنواحي الإجتماعية؛ فيما عمل متى، على محاولة إدراك العلاقة اللاهوتية بين المسيحية واليهودية؛ ومرقس، يظهر يسوع كالخادم المتألم. ويمكنك أن تعمل قائمة طويلة للنواحي اللاهوتية المميزة لكل من متى، ومرقس، ولوقا".

وهنا قاطعت بلومبيرج إذ كنت أخشى أن يفوته غايتي الأوسع

والأعم فسألته: "حسناً، ولكن ألا تُلقي هذه الدوافع اللاهوتية ظلاً من الشك على قدرتهم ورغبتهم في نقل ما حدث بدقة؟ أليس من المحتمل أن مخططهم اللاهوتي قد دفعهم لتلوين وتحريف التاريخ الذي سجلوه؟".

فاعترف قائلاً "بالتأكيد قد يحدث ذلك كما يحدث في أي وثيقة فكري، وعلينا أن ندرس ذلك كإمكانية. فهناك أناس ذوي أغراض شخصية يُحرفون التاريخ لخدمة غاياتهم الفكرية، ولكن لسوء الحظ فأن الناس قد استنتجوا بأن ذلك يحدث دائماً، وهو ما يُعتبر خطأ.

"في العالم القديم، كانت الفكرة من كتابة التاريخ الموضوعي المحايدة فقط لتدوين الأحداث، بدون أي هدف أيديولوجي، وهذا أمر لم يُسمع به من قبل. فليس هناك من أحد يكتب التاريخ ما لم يكن هناك سبب للتعلم منه".

فابتسمت واقترحت قائلاً "أفترض بأنه يمكنك القول بأن هذا يجعل كل شئ موضع شك".

فأجاب قائلاً "نعم هذا يحدث في مستوى معين. ولكن إذا استطعنا أن نعيد بناء تاريخ دقيق ومعقول من كل أنواع المصادر القديمة الأخرى، وهو ما يجب أن نكون قادرون على فعل ذلك من الأناجيل، بالرغم من أنها أيضاً ذات نظريات أيديولوجية".

ثم ظل بلومبيرج يفكر لحظة، باحثاً عن تشبيه ملائم ليثبت صحة فكرته. وأخيراً قال "إليك مثال حديث، من تجربة المجتمع اليهودي، وهذا المثال قد يوضح المعنى الذي أقصده.

"بعض الناس لأهداف معادية للسامية ينكرون أو يقللون من قيمة أهوال المحرقة (الهولوكوست). لكن العلماء اليهود أقاموا متاحف، وألفوا كتب، واحتفظوا بمصنوعات يدوية، وسجلوا شهادات شهود عيان المتعلقة بالمحرقة (التي أحرق هتلر فيها اليهود).

فهؤلاء لديهم هدف أيديولوجي واضح، ألا وهو، ضمان عدم

تكرار مثل هذا العمل الوحشي أبداً مرة أخرى، لكنهم كانوا أيضاً أشد إخلاصاً وموضوعية في نقل الحقائق التاريخية".

"وبالمثل إستندت المسيحية على بعض الإدعاءات التاريخية وذلك بأن الله دخل بشكل فريد إلى عالمنا وزماننا في شخص يسوع الناصري، لذا عمل المسيحيين على ترويج عمل تاريخي بأكثر دقيق ممكنة".

وهكذا جعل التشابه يتحقق. ثم نظر إلى وجهي مباشرة وسأل "هل فهمت فكرتي؟"

أومأت برأسي إشارة على أنني قد فهمتها.

أخبار مثيرة من التاريخ

شئ واحد يمكنه دعم القول بأن الأناجيل متجذّرة على شهادة شهود عيان مباشرة أو غير مباشرة؛ ولكن شئ آخر أن ندعى أن هذه المعلومات حُفظت بشكل موثوق حتى دونت أخيراً وبعد سنوات. وإنني أعرف أن هذه النقطة كانت نقطة نزاع وخلافات كبرى، وأردت تحدى بلومبيرج بهذه المسألة بكل صراحة ممكنة.

إلتقطت، ثانيةً، كتاب آرمسرونج الشهير "تاريخ الله" وقلت له "انصت لشئ آخر كتبته"

> إن ما نعرفه عن يسوع قليل جداً. فأول رواية كاملة عن حياته كانت إنجيل مرقس، الذي لم يُكتب حتى حوالي سنة ٧٠، أي بعد موته بأربعين سنة. وخلال هذه الفترة، كُسيت الحقائق التاريخية بعناصر أسطورية عبرّت عن المعنى الذي أوصله يسوع لأتباعه. وهذا هو المعنى الذي ينقله القديس مرقس أولاً بدلاً من التصوير الواضح الموثوق(٧).

وبعد إعادة الكتاب إلى حقيبتي، إلتفت إلى بلومبيرج قائلاً: "يقول بعض العلماء أن الأناجيل قد كتبت بعد الأحداث بمدة طويلة لدرجة

أن الأساطير طوّرت وشوهت ما قد كُتب في النهاية، فحوّلت يسوع من مجرد معلم حكيم إلى ابن الله الأسطوري. فهل هذا إفتراض معقول، أم أن هناك دليل جيد على أن الأناجيل سجلت في وقت أسبق من ذلك، وقبل أن تتمكن الأساطير من تشويه كلي لما تم تسجيله في النهاية؟".

ضاقت عينا بلومبيرج، واتخذ صوته نبرة عنيدة وقال "لدينا هنا مسألتان منفصلتان، ومن المهم أن نبقيهما منفصلتين. أظن أن هناك أدلة قوية لإقتراح تواريخ مبكرة لكتابة الأناجيل، لكن حتى إذا لم توجد هذه التواريخ، فإن مجادلة أرمسترونج لا تفلح بأية حال من الأحوال".

فسألته: "ولما لا؟"

فأجاب قائلاً "إن التواريخ العلمية القياسية، وحتى في الدوائر التحررية جداً، تقول بأن مرقس قد دوّن في السبعينات، ومتى ولوقا في الثمانينات، ويوحنا في التسعينيات. لكن أرجو أن تنتبه إلى: بان كل هذا تمَّ في أثناء حياة شهود العيان المختلفين والذين عاصرا حياة يسوع، بمن فيهم شهود العيان المعادين الذين كانواسيعملون على كشف أي بُطل في التعاليم أو الأخبار حول يسوع التي كانت رائجة وقتئذ.

"وبالتالي، فإن هذه التواريخ المتأخرة للأناجيل ليست بمتأخرة حقاً. ففي الحقيقة، يمكننا عقد مقارنة مفيدة جداً لمعلوماتنا:

"أقدم سيرتان ذاتيتان للإسكندر الأكبر كتبهما أريان وبلوتارك بعد أكثر من ٤٠٠ سنة على موت الإسكندر في ٣٢٣ق.م، ورغم ذلك فإن المؤرخين يتدارسونهما على اعتبار أنهما جديرتين بالثقة. نعم، فالمادة الأسطورية حول الإسكندر قد تطوّرت بمرور الزمن، غير أن ذلك قد حدث بعد هذين الكاتبين بقرون.

"وبعبارة أخرى، فإن الخمسمائة سنة الأولى إستمرت قصة الاسكندر تقريباً سليمة، ثم بدأت المادة الأسطورية بالظهر على مدى الخمسمائة سنة التالية. من ثمَّ فسواء كُتبت الأناجيل بعد حياة يسوع بستين أو ثلاثين سنة، فإن هذه الفترة الزمنية تعتبر تافهة

بالمقارنة بحياة الاسكندر الأكبر. لذا فهي تعتبر مسألة غير ذات قيمة".

كان يمكنني أن أرى ما قاله بلومبيرج. إلا أنه كان لديَّ، في نفس الوقت، بعض التحفظات حولها. فبالنسبة لي، بدا واضحاً بأنه كلما قلّت الفجوة الزمنية بين وقوع الحدث وموعد تسجيله كتابةً، فإنَّ إحتمالات وقوع هذه الكتابات ضحية للأساطير أو الذكريات الخاطئة.

فقلت له: "دعني أسلم بوجهة نظرك مؤقتاً، ولكن دعنا نعود إلى تواريخ كتابة الأناجيل. فقد أشرت بأنك تعتقد أنها كتبت قبل التواريخ التي ذكرتها".

فقال لي: "نعم، قبلها، ويمكننا دعم ذلك بالنظر في سفر أعمال الرسل، الذي كتبه لوقا. إذ يبدو أن سفر الأعمال بدون نهاية، وبولس فيه الشخصية الرئيسية، حيث يُختم السفر فجأة، وبولس تحت الإقامة الجبرية في روما. لكن ماذا حدث لبولس؟ لن نعرف ذلك من سفر الأعمال، ربما لأن هذا الكتاب تمت كتابته قبل الحكم على بولس بالاعدام"

وهنا أصبح بلومبيرج أكثر استعداداً عندما استمر يقول: "وهذا يعني بأن تاريخ تدوين سفر الأعمال لا يمكن أن يكون في أي تاريخ بعد سنة ٦٢م. وبعد أن أثبتنا ذلك، فمن الممكن أن نرجع إلى الخلف قبل هذا التاريخ. فبما أن سفر الأعمال يعتبر الجزء الثاني من عمل مكون من جزئين، ونحن نعرف بأن إنجيل لوقا هو الجزء الأول، فلابد وأن يكون قد كتب قبل ذلك الوقت. وحيث أن لوقا قد نقل أجزاء من إنجيل مرقس، فهذا يعني أن إنجيل مرقس تمت كتابته قبل ذلك أيضاً.

"فلو سمحنا بمدة سنة لكل من هذه الكتب، لانتهينا إلى أن إنجيل مرقس لم يكتب متأخراً عن سنة ٦٠م. ولربما حتى في أواخر الخمسينات. فإذا كان يسوع قد حكم عليه بالموت سنة ٣٠ أو ٣٣م، فإن أقصى فجوة زمنية تعتبر ٣٠ ثلاثون عاماً تقريباً.

ثم عاد إلى الخلف ليجلس مستريحاً على كرسيه مع إحساسه

بالنصر وقال "هذا من الناحية التاريخية، خاصةً بالمقارنة مع الاسكندر الأكبر، فإن هذه الفجوة تشبه لحظة إنتقال الخبر!.

حقيقةً، لقد كان ذلك رائعاً، فأن الفجوة بين أحداث حياة يسوع وتاريخ كتابة الأناجيل ضيقة إلى هذا الحد الذي أصبحت لا تُذكر بحسب المعايير التاريخية. ومع ذلك فمازلت أريد أن أواصل متابعة القضية. وقد كان هدفي إعادة الساعة إلى الوراء إلى أبعد حد ممكن للحصول على أقدم معلومات عن يسوع.

عودة إلى البداية

وقفت وتمشّيت إلى خزانة المكتبة، ثم التفت إلى بلومبيرج قائلاً: "دعنا نرى إن كان بالإمكان الرجوع إلى ما هو أبعد من ذلك. إلى أي وقت مبكر يمكننا تحديد تاريخ المعتقدات الأساسية لكفّارة يسوع، وموته، وقيامته، وعلاقته الفريد مع الله؟".

فبدأ يقول: "من المهم أن نتذكر بأن كتب العهد الجديد ليست مرتبه ترتيباً زمنياً. فالأناجيل قد كتبت بعد كل رسائل بولس تقريباً، وكتابات بولس كرسول ربما تكون قد بدأت في أواخر الأربعينات. وأغلب رسائله الكبرى ظهرت في الخمسينات. ولكي نتوصل إلى أقدم المعلومات نذهب إلى رسائل بولس ثم نسأل "هل هناك إشارات حتى إلى مصادر أقدم من ذلك قد استخدمت في كتابتها؟".

فعدت أحثه قائلاً: "وماذا نجد؟"

فأجاب قائلاً: "نجد أن بولس أدخل بعض العقائد، واعترافات الإيمان، أو تراتيل من أقدم كنيسة مسيحية. وهذه تعود إلى فجر الكنيسة الأولى بعد القيامة مباشرة.

وأشهر هذه المعتقدات متضمنّة في فيلبي ٢: ٦- ١١، التي تتحدث عن كون يسوع "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ" وكذلك في كولوسي ١: ١٥- ٢٠، التي تصفه بأنه "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ"، الذي خلق كل

الأشياء والذي "يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَا عَلَى الأَرْضِ امْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ".

"فهذه مهمة بالتأكيد في توضيح ما الذي كان المسيحيون الأوائل مقتنعين به عن يسوع. لكن ربما كان أهم الإعتقاد الأكثر أهمية من جهة يسوع التاريخي هي التي في كورنثوس الأولى ١٥، حيث يستخدم بولس لغة فنية مميزة للإشارة إلى التقليد الشفهي المُسلّم بشكل ثابت نسبياً عبر الرسل".

ثم حدَّد بلومبيرج مكان الفقرة في الكتاب المقدس وقرأها لي: "فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسَمِئَةِ أَخٍ أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا"(٨).

ثم قال بلومبيرد "ها هي النقطة الهامة. إذا كان الصلب قد تم سنة ٣٠م، فإن إهتداء بولس للمسيحية كان حوالي سنة ٣٢م. وفي الحال أخذ بولس إلى دمشق حيث إلتقى رجلاً مسيحياً يدعى حنانيا وبعض الأتباع الآخرين. وأول لقاء له مع الرسل في أورشليم كان حوالي سنة ٣٥م. وفي نقطة من الزمن في هذه الفترة، أعطيت لبولس هذه المعتقدات، التي كانت قد صيغت وتداول استخدمها في الكنيسة الأولى.

"والآن، أصبح لديك الحقائق الرئيسية حول موت يسوع عن خطايانا، بالإضافة إلى قائمة مُفصّلة لأولئك الذين ظهر لهم في جسد قيامته، حيث يعود تاريخ هذه الحقائق خلال سنتين أو خمس سنوات من تاريخ الأحداث نفسها!

"فهذه ليست أساطير ظهرت بعد ذلك بأربعين سنة أو يزيد، كما إقترحت آرمسترونج. ومن الممكن إثبات هذه الحالة بقولنا أن الإيمان المسيحي بالقيامة، حتى وإن لم يُكت، يمكن أن يؤرخ في

غضون سنتين من حادثة القيامة نفسها.

ثم رفع صوته قليلاً مؤكداً ثم قال "هذه المسألة هامة جداً، فالآن لاتقارن ثلاثون أو ستون سنة بسنوات الخمسمائة المقبولة عادة للمعلومات الأخرى، فإنت هنا تتحدث عن عامين!"

لم أستطع أن أنكر أهمية هذا الدليل. إذ يبدو بالتأكيد أنها قد قضت على التهمة القائلة بأن القيامة التي يستشهد بها المسيحيين كتأكيد تتويج لاهوت يسوع، على أنه فكرة أسطورية تطورت عبر فترات زمنية طويلة على شكل أساطير أفسدت روايات شهود العيان عن حياة المسيح. وبالنسبة لي، إن هذه الأدلة أقنعتني كمتشكك بطبيعتي، فقد كانت هذه أحد أكبر إعتراضاتي على المسيحية.

إتكأت على خزانة الكتب. لقد اكتسبنا معلومات كثيرة، وبدا زعم بلومبيرد الذروي بمثابة مكان مناسب للتوقف.

إستراحة قصيرة

لقد تأخر بنا الوقت إلى ما من بعدِ الظهر. فقد كنا نتحدث لفترة طويلة بدون استراحة. ومع ذلك لم أرد إنهاء محادثتنا بدون وضع روايات شهود العيان تحت نفس الاختبار الذي يُخضعه المحامي أو الصحفي. وأردت أن أعرف هل ستتمكن من الصمود لهذا الفحص الدقيق، أم ستنكشف كمشكوك فيها في أحسن الأحوال، أو غير موثوق بها في أسوأ الأحوال.

وبعد ما وُضَعَ الأساس الضروري، دعوت بلومبيرج للوقوف وفرد ساقيه قبل أن نجلس مرة أخرى لإستئناف مناقشاتنا.

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

- كيف تأثرت آراءك برواية شهود العيان عن حادث معين؟ وماهي بعض العوامل التي تستخدمها عادة للتقييم سواء كانِ قصة شخص ما إذا كانت صادقة ودقيقة؟ ما الذي تعتقده حول الأناجيل وهل يمكنها أن تصمد أمام هذا النوع من التدقيق والفحص؟
- هل تعتقد أن الأناجيل يمكن أن يكون لها مخطط لاهوتي فيما تُعتبر جديرة بالثقة في نفس الوقت في كل ما تنقله؟ لماذا ولم لا؟ هل تجد تناظر بلومبيرج بمحرقة الهولوكوست معيناً لك في التفكير بهذه القضية؟
- كيف ولماذا يؤثر وصف بلومبيرج للمعلومات المُبكّرة عن يسوع على رأيك حول موثوقية الأناجيل؟

طزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

• Barnett, Paul. Is the New Testament History? Ann Arbor, Mich.: Vine, 1986.

• ____. Jesus and the Logic of History. Grand Rapids: Eerdmans, 1997.

• Blomberg, Craig. The Historical Reliability of the Gospels. Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1987.

• Bruce, F. F. The New Testament Documents: Are They Reliable? Grand Rapids: Eerdmans, 1960. • France, R. T. The Evidence for Jesus. Downers Grove, 111.: InterVarsity

Press, 1986.



فحص أدلة شهود العيان

هل نصمد سير حياة يسوع أمام التمحيص؟

لقد كانت كلمات مايكل مكولوغ ذو الستة عشرة سنة خافتة جداً حتى إن المحلفين لم يستطيعوا سماعها مع صوت اللهاث الخفيض لجهاز التنفّس الصناعي الذي يبقيه على قيد الحياة. لذا كان لزاما أن ينحني قارئ شفاة على سرير مايكل، ليميز ما كان يقوله، ثم يكرر شهادته لقاعة المحكمة المؤقتة.

ولما كان ميشيل مشلولاً بسبب رصاصه اصابة في أسفل الرقبة مما تسببت في قع حبله الشوكي، لقد كان مايكل ضعيفاً جداً حتى أنه كان لا يمكن نقله إلى المحكمة حيث يُحاكم الشابين المتهمين بمهاجمته. وبدلا من ذلك، احتشد في غرفته بالمستشفى، القاضي، وهيئة المحلفون، والمتهمون، والمحامون، والمراسلون، والمشاهدون، والتي تم الإعلان عنها كفرع مؤقت تحت اسم محكمة كوك كانتي للمقاطعة.

وتحت الإستجواب من قبل المدّعين، تذكّر ميشيل كيف ترك شقته في مشروع إسكان شيكاغو وفي جيبه دولارين. قال بإن المتهمين قد تحرّشا به على السلم، وأنهما أصاباه عمداً في وجهه كما حاولا سرقة ماله. وقد دُعمت قصته من قبل شابين آخرين قد راقبا وهما مرعوبين كيف حدث الاعتداء.

لم ينكر المتهمين إطلاق النار؛ وبدلا من ذلك إدّعوا بأن الرصاص قد أطلق عرضياً فيما كانا يلوحان به إليه. بالطبع يعرف محامي الدفاع بأن الطريقة الوحيدة للحصول على أحكام مخففة لزبائنهم هي أن ينجحوا في تقويض شهادة إطلاق الناس كعمل من أعمال العنف مع سبق الإصرار والترصد.

لقد بذلوا ما بوسعهم لإثارة الشكوك حول روايات شاها العيان. فشككوا في قدرة الشاهدان في رؤية ما حدث، بيد أن كل محاولاتهم بائت بالفشل. كما حاولوا إستغلال التضارب في الروايات، بيد أن الأعتبارات توافقت مع النقاط المركزية. وطالبوا ببراهين أكثر، لكن لم يكن هذا، وبشكل واضح، سوى مجرد إحتجاج.

كما حاولوا أثارة الشبهات حول الأشخاص، لكن الضحية والشاهدان كانوا شبّانا مطيعون للقانون وليس لهم سجل إجرامي. تمنوا أن يظهروا أي تحيّز ضد المتهمين، لكنهم لم يستطيعوا أن يجدوا شيئاً. كما شككوا في أحد الشهود، عمره تسع سنوات واسمه كيث، إلا أن سنّه كان كافيا لفهم المقصود من قول الحقيقة تحت القسم، لكن كان من الواضح للجميع أنه فهم.

ونظرا لأن مُحامي الدفاع عجزوا عن زعزعة مصداقية الضحية وشهود الإثبات، فقد تم إدانة المتهمين بمحاولة إغتيال وحُكم عليهما بالسجن المؤبّد خمسون سنة. ومات مايكل بعد ثمانية عشر يوماً.[1]

محامو الدفاع لديهم مهمة صعبة: لإثارة الأسئلة، وتوليد الشكوك، وتقصي النقاط الضعيفة والقابلة للنقد لرواية الشاهد. إنهم يفعلون هذا بإخضاع الشهادة إلى مجموعة متنوعة من الاختبارات. والفكرة هنا هي أن الشهادة الصادقة والدقيقة ستحتمل التمحيص، فيما ستنكشف الشهادة المضللة أو المُبالغة أو الباطلة.

لقد إنتصرت العدالة في قضية مايكل لأن المحلفين تمكنوا من معرفة أن الشهود والضحية كانوا بصدق يحكون وبدقة ما واجهوه.

دعونا الآن نعود إلى تحقيقنا عن الدليل التاريخي المُتعلِّق بيسوع.

لقد حان الوقت لإخضاع شهادة دكتور بلومبيرج للإختبارات التي إما أن تكشف عن نقاط ضعفها أو تؤكّد قوتها. العديد من هذه الاختبارات ستكون نفس الاختبارات التي استخدمها مُحامي الدفاع في قضية مايكل منذ عدّة سنوات.

قلت لبلومبيرج فيما كنا نجلس بعدما إسترحنا خمسة عشر دقيقة "هناك ثمانية اختبارات مختلفة أودُّ سؤالك حولها".

التقط بلومبيرج كوبا ساخنا من القهوة السوداء وهو يتكأ للخلف. لم أكن متأكداً، إلا أنه كان بدا متطلعاً للتحدي.

فقال "موافق".

١. إختبار القصد

يسعى هذا الاختبار لتحديد إذا ما كان القصد المُعلن أو المكنون للكُتّاب هو الحفاظ على التاريخ بشكلٍ دقيق. سألته قائلا "هل كان كُتّاب القرن الأول هؤلاء مهتمين حقاً بتسجيل ما حدث بالفعل؟"

أومأ بلومبيرج برأسه وقال "نعم، بالتأكيد، ويمكنك أن ترى ذلك في بداية إنجيل لوقا، الذي يُقرأ بشكل مشابه جداً لمقدمات الأعمال التاريخية والمتعلقة بالسيرة المؤتمنة عموماً من العصر القديم".

التقط بلومبيرج كتابه المقدس، وقرأ افتتاحية إنجيل لوقا.

> إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ. (٢)

استرسل بلومبيرج في الحديث قائلا «كما ترى، فإن لوقا يقول بشكل واضح بإنه عندما نوى الكتابة عن هذه الأمور تحرى الدقة للتحقق منها ووجد أنه من اللازم دعمها بشكل جيد بشهادة الشهود".

سألت قائلا «وماذا عن بقية الأناجيل؟ والتي لم تُستهل بتصريحات مشابهة؛ هل يعني ذلك أن كُتابها لم يكن لديهم نفس المقاصد؟"

فجاءت إجابة بلومبيرج "صحيح أن مرقس ومتى ليس لديهما هذا النوع من البيان الواضح، إلا أنهما قريبين جدا من لوقا من ناحية النوع، ويبدو من المعقول أن قصد لوقا التاريخي يعكس قصديهما بطريقة محكمة".

سألت "وماذا عن يوحنا؟"

"بيان القصد الآخر الوحيد في الأناجيل يأتي في يوحنا ٢٠: ٣١: " وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ".

اعترضت قائلا "ذلك يبدو كتصريح لاهوتي أكثر مما هو تاريخي".

أجاب بلومبيرج "سأوافقك في ذلك، لكن إذا ما كنت ستقتنع بدرجة كافية لأن تؤمن، فإن اللاهوت ينبغي أن يتدفق من التاريخ الدقيق، هذا بالإضافة إلى أنه يوجد دليل ضمني هام لا يمكن إغفاله. فكّر في الطريقة التي تُكتب بها الأناجيل- بأسلوب واقعي ومسؤول- بعرض تفاصيل دقيقة، وبحرص شديد ودقة. فلن تجد الأمور الغريبة وأساطير سمجة كتلك التي تراها في الكثير من الكتابات القديمة الأخرى.

سأل قائلا "إلى ماذا يضيف كل هذا؟" ثم أجاب على سؤاله قائلا: "يبدو واضحاً جداً أن هدف كُتّاب الوحي الإلهي بأنهم حاولوا تسجيل كل ما حدث بالفعل".

الإجابة على الاعتراضات

ومع ذلك، هل هذا هو ما حدث فعلاً؟ هناك سيناريو مُعارض ومناقض روّجه بعض النقّاد.

قالوا بإن المسيحيين الأولين اقتنعوا بأن يسوع سيعود أثناء فترة

حياتهم ليتمم التاريخ، لذا فإنهم لم يروا ضرورة لحفظ أي سجلات تاريخية عن حياته أو تعاليمه. وباختصار، لماذا القلق طالما أنه سيأتي وينهي العالم في أي لحظة؟

فقلت "لذا، بعد سنوات وعندما أصبح من الواضح أن يسوع لم يكن راجعاً سريعاً، وجدوا أن ليس لديهم أي مادة تاريخية دقيقة فانجذبوا إلى كتابة الأناجيل. لم يُنتزع شيئا للأغراض التاريخية. أليس ذلك ما يحدث حقاً؟"

أجاب بلومبيرج "هناك بالتأكيد طوائف وجماعات، بما في ذلك الدينية عبر التاريخ، والتي يعمل لأجلها هذا الجدال، لكن ليس مع المسيحية المبكّرة»

فقلت له متحدياً "ولما لا؟ ما الذي كان مختلفا في المسيحية؟"

فأجاب "أولاً، أعتقد أن المقدمة مُبالغ فيها قليلاً. الحقيقة هي أن أغلبية تعاليم يسوع تفترض مسبقاً امتداداً كبيراً للوقت قبل نهاية العالم، لكن ثانياً، حتى إذا ما اعتقد بعض من أتباع يسوع بأنه ربما سيعود سريعاً إلى حد ما، فتذكّر أن المسيحية ولدت من اليهودية.

"لثمانية قرون عاش اليهود مع التوتر بين الإعلانات المتكررة للأنبياء بأن يوم الرب كان قريباً، والتاريخ المستمر لإسرائيل. وكان لا يزال أتباع هؤلاء الأنبياء يسجلون، ويقيّمون، ويحفظون كلمات الأنبياء. وطالما أن أتباع يسوع نظروا إليه كأعظم من نبي، فيبدو من المعقول جدا أنهم كانوا سيفعلون نفس الشيء".

فيما بد ذلك معقولاً، إلا أن بعض الباحثين أثاروا أيضا اعتراضا آخر وهو ما أردت عرضه على بلومبيرج. "يقولون بإن المسيحيين الأوائل أمنوا تكراراً أن يسوع الميت جسدياً كان يتحدث من خلالهم برسائل، أو "نبوءات"، لكنائسهم. وطالما أن هذه النبوءات كانت تعتبر موثوقة ككلمات يسوع حين كان حياً على الأرض، فإن المسيحيين الأوائل لم يميزوا بين هذه الأقوال الجديدة والكلمات الأصلية ليسوع التاريخي. وكنتيجة لذلك، تمزج الأناجيل هذين النموذجين من المواد، لذا فإننا لا نعرف حقا ما الذي يعود ليسوع التاريخي والذي لا. ذلك اتهام مزعج لكثير من

الناس. كيف تردُّ على ذلك؟"

قال وهو يبتسم "هذا الجدال له دعم تاريخي أقل من سابقه. في الحقيقة، يتضمّن العهد الجديد نفسه دليل يدحض هذا الفرضية.

"يوجد مناسبات يُشار فيها إلى النبوة المسيحية المبكرة، لكنها مميزة دائماً عن ما قاله الرب. على سبيل المثال، في ١ كورنثوس ٧ يُميّز بولس بشكل واضح بين كلامه هو وبين ما اقتبسه من كلام الرب، يسوع التاريخي. وفي سفر الرؤيا يمكن للفرد أن يميز بوضوح مقدار الوقت القصير الذي يتحدث فيه يسوع مباشرة إلى هذا النبي- يُفترض تقليديا أنه يوحنا الرسول- وعندما يسرد يوحنا رُؤاه الخاصة المُوحية له.

"وفي ١ كورنثوس ١٤، عندما يناقش بولس المعايير للنبوة الحقيقية، يتحدث عن مسئولية الكنيسة المحلية لامتحان الأنبياء. وبالدنو من خلفيته اليهودية، نعرف بأن المعايير للنبوة الحقيقية كانت ستضمن إذا ما كانت النبوة تتحقق أو إذا ما كانت هذه التصريحات الجديدة تتوافق مع كلمات الرب المُعلنة.

"لكن الجدال الأقوى هو ما لا نجده أبداً في الأناجيل: فبعد صعود يسوع كان هناك عدد من الخلافات التي هددت الكنيسة المبكرة- إذا ما كان يجب أن يُختتن المؤمنين، وكيف يجب أن يُنظم التكلم بألسنة، وكيف يمكن الحفاظ على اليهودي والأممي متحدين، وما هي الأدوار الملائمة للنساء في الخدمة، وإذا ما كان يمكن للمؤمنين أن يُطلّقوا من الأزواج والزوجات غير المسيحيين.

"كان يمكن أن تُحل هذه القضايا بطريقة ملائمة إذا ما كان المسيحيون الأوائل رجعوا إلى ما أخبرهم به يسوع من العالم البعيد في الأناجيل، لكن هذا لم يحدث مطلقاً. فاستمرار هذه الخلافات يُظهر أن المسيحيين كانوا مهتمين بالتمييز بين ما حدث أثناء حياة يسوع على الأرض وما تم مناقشته فيما بعد في الكنائس".

٢. إختبار القدرة

حتى إذا ما كان يميل الكُتَّاب إلى تسجيل التاريخ بشكل موثوق، فهل كانوا قادرين على عمل هذا؟ كيف يمكننا التأكد من أن المادة الخاصة بتعاليم وحياة يسوع تم حفظها بشكل جيد لمدة ثلاثين عاما قبل أن تكون قد كُتبت كاملة في الأناجيل؟

سألت بلومبيرج "ألا تعترف بأن الذكريات التي تحتوي عيوباً، والتفكير الآمل، ونشوء الأسطورة كانت ستشوه التقليد عن يسوع بشكل يتعذر إصلاحه قبل كتابة الأناجيل؟"

بدأ إجابته بتوطيد السياق قائلا "لا بد أن نتذكر أننا في أرض غريبة، في زمان ومكان بعيدين، وفي ثقافة لم تخترع بعد الكمبيوتر أو حتى آلة الطباعة. فالكتب- أو بالحقيقة لفائف ورق البردي- كانت نادرة نسبياً، ومن ثم فالتربية، والتعليم، والعبادة، والتعلم في الجماعات الدينية كانت جميعها تتم بالسماع.

"لقد إشتهر الحاخامات بحفظهم غيباً لكامل العهد القديم، من ثمَّ فمن الجيد، وفي إطار قدرة أتباع يسوع على الإستظهار، أنهم قد إعتمدوا بنسبة أكبر على الذاكرة، ومما يظهر في كل الأناجيل الأربعة أن هذا قد تمّ تسليمه وتسلّمه بشكل دقيق".

قاطعته قائلا "انتظر لحظة. بصراحة، يبدو ذلك النوع من الإستظهار غير معقول. كيف يمكن أن يكون ذلك ممكناً؟"

إعترف قائلاً «نعم، من الصعب علينا تصوّر ذلك اليوم، لكنها كانت ثقافة شفهية، حيث كانت هناك إعتماد كبير على الإستظهار. ويجب أن تلاحظ أنه ما بين ثمانون إلى تسعون بالمائة من أقوال يسوع كانت أصلاً بصيغة شعرية. وهذا لا يعني أنها كانت محشوّة بالقافية الشعرية، لكنها كانت موزونة، وسطورها متوازنة، ومتوازية، وهلم جرا، وهذا سيُشكّل مساعدة كبيرة على التذكر.

"الشيء الآخر الذي من الضروري قوله هو أن التعريف عن طريق الإستظهار كان أكثر مرونة في ذلك الحين. ففي دراسات الثقافات بالتقاليد الشفهية، كان هناك حرية لتباين المقدار الذي يتم

إخباره من القصة في أي مناسبة- ما خُتم به، وما تم تركه، وما تم تفسيره، وما تم توضيحه، وهلم جرا.

"اقترحت إحدى الدراسات أنه في الشرق الأوسط القديم، فإنه في أي مكان من عشر إلى أربعون في المائة لأي إعادة رواية معطاة بتقليد مقدس يمكن أن تتباين من مناسبة لأخرى. وبرغم ذلك، إلا أنه كان هناك دائما نقاط ثابتة لا يمكن تعديلها، وكان للجماعة الحق في التدخل والتصحيح للراوي إذا ما أخطأ في إحدى هذه السمات الهامة للقصة.

توقف باحثا في ذهنه عن الكلمة الصحيحة وقال "إنه شيء ممتع. مصادفة أن النسبة من عشرة لأربعون في المائة متناسقة إلى حد ما مع مقدار التباين بين الأناجيل الازائية في أي فقرة مُعطاة".

لقد كان بلومبيرج يُلمّح إلى شيء ما؛ رغبت أن يوضحه أكثر فقلت "وضح هذا لي. ما الذي تقوله بالضبط؟"

"أقول إنه من المرجح أن الكثير من التشابهات والاختلافات بين الأناجيل الازائية يمكن توضيحها بافتراض أن التلاميذ والمسيحيين الأوائل الآخرين إستظهروا الكثير مما قاله وفعله يسوع، لكنهم شعروا بحرية في إعادة سرد هذه المعلومات في صيغ مختلفة، محافظين دائما على مغزى تعاليم وأعمال يسوع الأساسية.

ما زال لدي بعض الأسئلة حول قدرة هؤلاء المسيحيين الأوائل على حفظ هذا التقليد الشفهي بدقة. كان لدي أيضا ذكريات كثيرة عن ألعاب طفولية التي من خلالها كنا نُغربل الكلمات ثم نعيد ترتيبها في غضون دقائق.

لعبة التليفون

من المحتمل أنك لعبت لعبة التليفون بنفسك: يهمس أحد الأطفال بشيء ما في أذن طفل آخر، على سبيل المثال "أنت أفضل

أصدقائي"، ويُهمس بهذا لآخر، وهكذا في دائرة كبيرة إلى أن تصير في النهاية مُشوهة بشكل مُفرط، وربما تكون قد تحرّفت إلى "أنت أفحل أصدقائي".

قلت لبلومبيرج "لنكن صرحاء، أليس هذا تشبيهاً جيداً لما قد حدث للتقليد الشفهي عن يسوع؟"

لم يكن بلومبيرج يقبل هذا التفسير فقال "لا، ليس حقاً، وإليك السبب: عندما تستظهر شيئا بعناية وحرص فإنك تحرص على تمريره وفي نفس الوقت تتاكد من أنك حصلت عليه بطريقة صحيحة، فبذا أنت تفعل شيئ مختلف جداً عن لعب لعبة التليفون.

"جزء من لعبة التليفون، هو المرح بأن الشخص قد لا يُصيب الحقيقة أو يسمع بشكل جيد في المرة الأولى، ولا يمكنه أن يطلب من الشخص أن تكرار ما ذكره. ثم عليك فورا نقلها إلى الشخص المجاور لك، أيضا في النغمات المهموسة التي تجعل على الأرجح إمكانية الخطأ للشخص التالي بدرجة كبيرة. لذلك نعم، ففي الوقت الذي تكون فيه المعلومة قد دارت في غرفة بها ثلاثون شخص، فإن النتائج ستكون مرحة".

ثم سألت "لماذا إذاً لا يُشابه ذلك عملية تمرير وتسليم التقليد الشفهي القديم؟"

رشف بلومبيرج من قهوته قبل الإجابة "إذا أردت حقاً تطوير هذا التشبيه في ضوء رقابة جماعة القرن الأول، فيجب أن تقول إن كل شخص ثالث، وهو يسمع بصوت واضح جداً، ويجب أن يسال الشخص الأول "هل ما زلت أقولها بشكل صحيح؟" ويغيرها إذا لم يكن ما يقوله صحيح.

فقال "فالجماعة الأولى ستراقب باستمرار ما قيل وتتدخل لإجراء التصحيحات على طوال الطريق. وهو ما يحفظ نزاهة الرسالة. والنتيجة ستكون مختلفة جداً عن نتيجة لعبة التليفون الطفولية".

٣. إختبار الشخصية

ينظر هذا الاختبار فيما إن كان في شخصية هؤلاء الكُتَّاب بكونها صادقة. وإن كان هناك أي دليل على عدم الأمانة أو عدم الأخلاقية الذي قد يفسد قدرتهم أو رغبتهم في نقل التاريخ بدقة؟

هز بلومبيرج رأسه وقال "إننا ببساطة لا نملك أي دليل معقول لإقتراح أنهم كانوا أي شيء عدا أنهم أناس ذوي نزاهة عظيمة".

"إننا نراهم يُبلغون كلمات وأفعال إنسان دعاهم إلى مستوى من النزاهة والإستقامة تفوق ما دعت إليه أي ديانة أخرى. وهم كانوا راغبين للعيش وفق إعتقاداتهم لدرجة أن عشرة من بين الأحد عشر تلميذا الباقين تعرضوا لميتات مروعة، وهو ما يُظهر عظمة شخصياتهم:

«من جهة الإستقامة، من جهة الصدق، من جهة الفضيلة الأخلاقية، فلدى هؤلاء الأشخاص سجل حافل بالنجاحات يُحسدون عليه".

٣. إختبار الاتساق

هذا اختبار يتهم فيه المتشككين غالبا الأناجيل بالفشل. باختصار، هل هم متناقضين بلا أمل مع بعضها البعض؟ ألا يوجد تعارضات لا تقبل المصالحة بين أوصاف الإنجيل المختلفة؟ وإذا كان يوجد فكيف يمكن لأي شخص أن يثق في أي شيء يقولونه؟

أقرَّ بلومبيرج بأن هناك نقاط عديدة التي تبدو فيها الأناجيل متعارضة فقال "يمتد هذا طوال الطريق من التباينات الصغيرة جداً في الكلام إلى التناقضات الظاهرة الأكثر شهرة".

"اقتناعي، هو أنك عندما تسمح للعناصر التي تحدثت عنها من قبل- من أعادة صياغة، والاختصار، والإضافات التوضيحية، والاختيار، الحذف- فإنك ستجد أن الأناجيل متسقة جداً مع بعضها البعض بالمعايير القديمة، التي تمثل المعايير الوحيدة التي من

الإنصاف الحكم بها".

أشرت قائلا «على نحو ساخر، لو كانت الأناجيل مطابقة لبعضها البعض، كلمة بكلمة، فإن ذلك كان سيرفع الاتهامات التي تقول بأن الكُتَّاب تآمروا فيما بينهم لتنسيق قصصهم مسبقاً، والتي كانت ستثير الشك حولهم".

وافق بلومبيرج وقال "هذا صحيح. إذا ما كانت الأناجيل متطابقة تماماً، فإن ذلك في حد ذاته كانٍ سيبطلهم كشهود مستقلين. ومن ثم كان الناس سيقولون إننا حقاً لدينا شهادة واحدة لذلك فإن كل شخص آخر يردد الكلام كالببغاء".

أومض ذهني بكلمات سيمون جرينفيلف من كلية حقوق هارفارد، أحد الشخصيات القانونية البارزة ومؤلف دراسة مؤثرة عن الأدلة. بعد دراسة الإتساق بين كُتَّاب الأناجيل الأربعة، قدَّم تقييمه هذا: "يوجد ما يكفي من تناقض ليرينا أنه لا يمكن أنه كان هناك اجتماع سابق بينهم؛ وفي نفس الوقت فإن مثل هذه الموافقة الجوهرية كما لو أنها تظهر أنهم جميعا كانوا رواة مستقلين لنفس التعامل العظيم".[٣]

من منظور مؤرخ كلاسيكي، اتفق العالم الألماني هانز ستير على أن الموافقة على المعلومات الرئيسية وتباين التفاصيل يقترحان مصداقية؛ لأن الروايات المُلفقة تميل إلى أن تكون متطابقة ومتوافقة تماماً. لقد كتب "كل مؤرخ متشكك على نحو خاص في تلك اللحظة التي يتم فيها تقرير حدث غير عادي في روايات خالية تماما من التناقضات".[٤]

في حين أن ذلك صحيح، إلا أنني لم أرد إهمال الصعوبات التي تثيرها التناقضات المزعومة بين الأناجيل. فقررت تقصي القضية أكثر بمهاجمة بلومبيرج ببعض التناقضات الواضحة الظاهرة التي ينتهزها الشكاكون تكرارا كأمثلة على السبب بأن الأناجيل لا يمكن الاعتماد عليها.

التعامل مع التناقضات

بدأت بقصة معروفة لمعجزة شفاء. أشرت إلى أنه "في متى يقول إن قائد المئة نفسه جاء ليطلب من يسوع أن يشفي خادمه رغم أن لوقا يقول إن قائد المئة أرسل الشيوخ ليفعلوا هذا. أليس ذلك بتناقض واضح، أليس كذلك؟"

أجاب بلومبيرج "لا ، لا أعتقد ذلك. فكر في الأمر بهذه الطريقة: في عالمنا اليوم نسمع تقريرا إخباريا يقول "أعلن اليوم الرئيس أن... " بينما في الحقيقة بأن الخطاب قد تم كتابته من قبل كاتب أحاديث وسلّم من قبل السكرتير الصحفي- وربما بمقدار ضئيل من الحظ ألقى الرئيس نظرة عليه فيما بين هذا وذاك. ومع ذلك لم يتهم أحد المذيع بأنه مخطئ.

"وبطريقة مشابهة كانٍ من المفهوم والمقبول جيدا في العالم القديم أن الأفعال كانت تُنسب غالباً إلى أشخاص فيما تكون في الحقيقة قد حدثت من خلال أتباعهم أو مبعوثيهم، في هذه الحالة من خلال شيوخ الشعب اليهودي.

"إذاً فأنت تقول إن متى ولوقا يمكن أن يكونا كليهما على صواب في نفس الوقت؟"

أجاب "هذا بالضبط ما أقوله".

لقد بدا ذلك معقولاً، من ثَمَّ انتقلت إلى مثال آخر. "ماذا عن مرقس ولوقا بقولهما بإن يسوع قد أرسل الشياطين إلى الخنازير في الجرجسيين، بينما يقو متى بأن ذلك قد حدث في الجدريين. ينظر الناس إلى ذلك ويقولونِ هذا تناقض واضح لا يمكن توفيقه- إنهما مكانين مختلفين تماماً. أقفلت القضية".

ضحك بلومبيرج بينه وبين نفسه وقال «حسنا، لم تُقفل القضية حتى الآن. هناك حل واحد ممكن: الأولى كانت مدينة، أما الثانية فكانت مقاطعة"."

بدا لي ذلك سطحياً جداً. بدا وكأنه يتخطى الصعوبات الحقيقية

التي تثيرها هذه القضية.

قلت "إن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك. فالجرجاسيين، المدينة، لم تكن قريبة من بحر الجليل في أي مكان، ومع ذلك هو المكان الذي من المفترض أن الشياطين- بعد دخولها إلى الخنازير- أخذت القطيع فوق المنحدر الصخري ليلقوا حتفهم".

فقال "حسنا، تلك نقطة جيدة، لكن كان هناك حطام مدينة تم الكشف عنها عند الجانب الأيمن بالضبط على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية. غالبا ما تُنطق الصياغة الإنجليزية لاسم المدينة خيرسا 'Khersa' لكنها ككلمة عبرية فإنها ترجمت أو تُرجمت صوتياً في اليونانية، يمكن أن تنتج صوتا شبيهاً جداً بكلمة 'الجرجاسيين Gerasa'. لذلك ربما كان هذا في خيرسا على الأرجح- والتي هجائها في اليونانية تم ترجمته كجرجاسيين- في مقاطعة الجدريين".

سلمت بذلك بابتسامة وقلت "حسنا، سأسلم بذلك التفسير، لكن يوجد هنا مشكلة ليست سهلة: ماذا عن التناقضات بين سلسلة نسب يسوع في متى ولوقا؟ غالبا ما يشير إليهما المتشككون كمتعارضتين بشكل بلا حل".

فقال "هذه قضية أخرى ذات خيارات متعددة. مثل ماذا؟ البديلان الأكثر شيوعا هما أن متى يقدّم سلسلة نسل يوسف، لأن أغلب الأصحاح الأول يُخبر من منظور يوسف، ويوسف، كالأب المتبني، كان يمكن أن يكون السلف القانوني الذي من خلاله كان سيتتبع نسب يسوع الملكي. فهذه موضوعات هامة بالنسبة لمتى.

"فيما تتبّع لوقا سلسلة النسب من خلال نسب مريم. ونظرا لأن كليهما من نسل داود، فإنك عندما تحصل على ذلك فإن الأنسال تلتقي عند نقطة واحدة.

"الخيار الثاني هو أن كلا السلسلتين يعكسان نسب يوسف كي يشكلان الشرعيات الضرورية، لكن واحد يمثل سلسلة نسب يوسف البشرية- إنجيل لوقا- والآخر يمثل سلسلة نسب يوسف الشرعية، والاثنين يتشعبان عند النقاط التي لم يكن لشخص ما في

السلسلة نسلا مباشرا. كان لزاما أن ينشئا ورثة شرعيين من خلال ممارسات متنوعة للعهد القديم.

"تتضخم المشكلة أكثر لأن بعض الأسماء محذوفة، الأمر الذي كان مقبولا تماما بمقاييس العالم القديم. وهناك المغايرات النصية — أسماء، المترجمة من لغة لأخرى، غالبا ما يكون لها تهجئات مختلفة ومن ثم تشوش بسهولة لاسم شخص مختلف".

أثار بلومبيرج نقطته الرئيسية: هناك على الأقل بعض التفسيرات المعقولة. حتى إذا لم تكن خالية من نقاط الضعف، إلا أنها على الأقل تزودنا بتوافق معقول للروايات الإنجيلية.

نظرا لأنني لم أرد أن تتفسّخ محادثتنا إلى نقطة جدال فقد قررت أن أنتقل، وفي نفس الوقت وافق بلومبيرج وأنا على أن أفضل منهاج شامل هو دراسة كل موضوع بشكل منفرد لرؤية ما إذا كان يوجد طريق عقلاني لحل التعارض الظاهري بين الأناجيل. بالتأكيد ليس هناك عجز في الكتب الجديرة بالاعتماد عليها والتي تفحص بشكل شامل، أحيانا بالتفصيل المفرط- كيف يمكن التناغم بين هذه الاختلافات.(٥)

قال بلومبيرج "هناك مناسبات قد نحتاج فيها لتأجيل الحكم ونقول ببساطة إنه نظراً لأننا قد قمنا بوعي من الأغلبية الشاسعة من النصوص وقررنا أنها جديرة بالثقة، فإننا نستطيع ثم إفتراض أنها تقول الحقيقة متى كنا غير متأكدون من بعض التفاصيل الأخرى".

٥. إختبار الانحياز

يحلل هذا الاختبار ما إذا كان لدى كُتَّاب الأناجيل أي تحيزات والتي كانت ستصبغ عملهم. هل كان لديهم أي مصلحة شخصية في تحريف المادة التي كانوا يخبرون عنها؟

أشرت قائلاً "لا يمكننا أن نقلل من تقدير حقيقة أن هؤلاء الأشخاص أحبوا يسوع. إلا أنهم لم يكونوا مراقبين محايدين؛ لقد

كانوا أتباعه المكرسين. ألا يدفعهم ذلك لتغيير بعض الأشياء لجعلها تبدو في صورة جيدة؟"

أجاب بلومبيرج «حسنا، سأسلم بهذا إلى حد كبير؛ فإنه يخلق إمكانية حدوث هذا، لكن من الناحية الأخرى، يمكن للناس أن يكونوا مكرمين جداً ويحترمون شخص ما حتى يدفعهم ذلك إلى تسجيل حياته بأمانة عظيمة. وتلك هي الطريقة التي كانوا سيظهرون بها محبتهم له، وأنا أعتقد أن ذلك هو ما حدث هنا.

"هذا بالإضافة إلى، أن هؤلاء التلاميذ لم يكن لديهم شيء ليكتسبوه سوى النقد، والنبذ، والاستشهاد. لم يكن بالتأكيد هناك شيء يكسبونه مادياً. وإذا ما كان هناك أي شيء فإن هذا كان سيزود الضغط على السكوت، وإنكار يسوع، والتقليل من شأنه، بل وأيضا نسيان أنهم قابلوه على الإطلاق، ومع ذلك فبسبب أمانتهم أعلنوا ما رأوه، حتى عندما كان هذا يعني المعاناة والموت".

٦. إختبار التغطية

عندما يشهد الناس على أحداث رأوها، فإنهم سيحاولون غالباً حماية أنفسهم أو آخرين بالتغافل، بطريقة ملائمة، عن ذكر التفاصيل المُحرجة أو الصعبة التفسير. وكنتيجة لهذا، يثير ذلك شكاً حول مصداقية شهادتهم كلها.

لذا سألت بلومبيرج "هل تضمن عمل كُتَّاب الأناجيل أي مادة قد تكون مُحرجة؟ أو عملوا علي تغطيتها لجعل مظهرهم لائقا؟ هل ذكروا أي شيء يمثل إزعاجاً أو صعوبة لهم للتوضيح؟"

فقال "في هذا الخط هناك جزء صغير للغاية واقعي؛ فهناك مجموعة كبيرة من تعاليم يسوع تُدعى الأقوال الصعبة ليسوع. وبعضها يطالب بمطالب أخلاقية مشددة. إذا ما كنت أبتدع ديانة لتناسب مع أهوائي، فعلى الأرجح أنني ما كنت أطالب نفسي بأن أكون كاملا كأبي السماوي الكامل، أو أُعرّف الزنا ليتضمّن شهوة القلب".

اعترضت قائلاً "هناك عبارات صعبة التحقيق في الديانات الأخرى أيضاً".

"نعم، ذلك صحيح، لهذا السبب فأن النوع الأكثر إقناعاً للأقوال العسرة هو تلك التي يمكن أن تتصف بالإرباك عندما أرادت الكنيسة تعليمه عن يسوع".

بدت تلك الإجابة مُبهمة فقلت "أعطني بعض الأمثلة".

فكر بلومبيرج للحظة ثم قال "على سبيل المثال، يقول مرقس ٦: ٥ بإن يسوعِ قام بمعجزات قليلة في الناصرة لأن إيمان الناس هناك كان قليلاً، وهو ما يبدو كتحديد لقدرة يسوع. وهاك مثال آخر، في مرقس ١٣: ٣٢ قال يسوع إنه لا يعرف اليوم أو ساعة رجوعه، وهو ما يبدو أنه كتحديد لكلية علمه.

"الآن، في النهاية لم يجد علم اللاهوت مشكلة في هذه التصريحات، لأن بولس نفسه، في فيلبي ٢: ٥-٨، يتحدث عن أن الله في المسيح قد تخلى طوعاً وعمداً عن صفاته الإلهية.

"لكن إذا ما شعرت بحرية في التصرف بشكل غير مسؤول بالتاريخ الإنجيلي، فسيكون أمراً أكثر ملائمة إذا ما حذفت تلك الأقوال عامة، ومن ثم فلست مضطراً للإنزعاج بأمر تفسيرها.

"مثال آخر، معمودية يسوع. مع أنه يمكن تفسير لماذا اعتمد يسوع، الذي بلا خطية، لكن ألا كان من الأسهل تغافل هذا الحدث عامة؟ وكذا الأمر مع صراخ يسوع وهو على الصليب "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" كان يمكن أن يكون حذفها لمصلحة الكتّاب الشخصية، إذ أنها تُثير الكثير من الأسئلة".

أضفت قائلاً «بالتأكيد، هناك عدد وفير من المواد المُربكة بشأن التلاميذ".

قال بلومبيرج «بلا ريب؛ فوجهة نظر مرقس لبطرس غير مفضلة على نحو متناغم إلى حد ما، وهو زعيم الجماعة! تكرارا ما يخطئ التلاميذ فهم يسوع. فيعقوب ويوحنا يريدان أن يكونا عن يمين ويسار يسوع، وكان لزاما أن يعلمهم دروسا قاسية عن

القيادة الخادمية بدلا من ذلك. إلا أنه يُظهرهم كفئة نفعية أنانية، السعي الذاتي، وكأناس متبلدين الذكاء في أحيان كثيرة.

"الآن، نحن نعرف بأن كُتاب الإنجيل كانوا إنتقائيون؛ حيث ينتهي إنجيل يوحنا بالقول، على نحو متسم بالغلو إلى حد ما، إن العالم بأكمله لا يستطيع أن يسع لكل المعلومات التي يمكن أن تُكتب عن يسوع. لذلك تركوا بعضه، والذي في حد ذاته ما كان بالضرورة سيتم رؤيته كتزييف للقصة.

"لكن هنا النقطة: فإذا لم يشعروا بحرية في ترك المواد التي من المناسب والمساعد في ذات الوقت، لكان من المعقول جداً الإعتقاد بأنهم أضافوا وإختلقوا كلياً مادة بدون أساس تاريخي؟"

ترك بلومبيرج السؤال معلقاً للحظة قبل أن يختم بثقة "أقول لا".

٧. إختبار التأييد

قدمت هذا الاختبار التالي بسؤال بلومبيرج «عندما تُشير الأناجيل إلى أشخاص، وأماكن، وأحداث، فهل تحققوا من صحتها في الحالات التي يمكن فيها أن يُثبت صحتها بشكل مستقل؟" غالبا ما يكون هذا التأييد ثمين في التقييم إذا كان لدى الكاتب لديه إلتزام بالدقة.

أجاب بلومبيرج "نعم، تحققوا، وكلما اكتشف الناس هذا لمدة أطول، كلما تم تأكيد التفاصيل أكثر. ففي غضون المائة سنة الأخيرة كشف علم الآثار مراراً وتكرارا عن اكتشافات أكدت إشارات محدد في الأناجيل، وبخاصة إنجيل يوحنا- الإنجيل الذي من المفترض أنه موضع اشتباه جداً، فيا لها من سخرية للقدر!

"إلا أنه، نعم، ما زالت هناك بعض القضايا عالقة، وكانت هناك مشكلات جديدة قد أوجدها علم الآثار، لكن تلك المشاكل أقلية بالغة مقارنة بعدد أمثلة التأييد.

"بالإضافة إلى أننا يمكن أن نعلم من خلال المصادر غير

المسيحية الكثير من الحقائق حول يسوع والتي تؤيد التعاليم الأحداث الرئيسية لحياته. وعندما تتوقف لتفكر في أن المؤرخين القدماء تعاملوا في الغالب مع حكام سياسيين، وأباطرة، وملوك، ومعارك عسكرية، وأناس دينيين رسميين، وحركات فلسفية هامة، فستلاحظ المقدار الكبير الذي يمكن أن نتعلمه عن يسوع وأتباعه برغم أنهم لا يتناسبون مع أي من تلك الفئات في الوقت الذي كان يكتب فيه هؤلاء المؤرخين".

كانت تلك إجابة دقيقة ومساعدة. رغم ذلك، ففي حين أنه لم يكن لدي سبب لشك في تقييم بلومبيرج، قررت أنه سيكون من الجدير أن أقوم ببحث أكثر على امتداد هذه الخطوط. التقطت قلمي ودونت سريعاً رسالة تذكير لنفسي على هامش مذكراتي: احصل على آراء الخبراء من عالم آثار ومؤرخ.

٨. إختبار الشاهد المضادّ

يطرح هذا الاختبار سؤال، هل يُقدّم الآخرين ما يناقض أو يُصحح الأناجيل إذا ما كانت مشوهة أو زائفة؟ وبمعنى آخر، هل نرى أمثلةٍ لمعاصري يسوع يشتكون بأن روايات الأناجيل خاطئة تماماً؟

قال بلومبيرج "كان لدى العديد من الناس أسباب متنوعة لتشويه هذه الحركة وكانوا سيفعلون ذلك إذا ما كانوا يستطيعون ببساطة أن يخبروا التاريخ بشكل أفضل".

"ومع ذلك انظر لما قاله معارضيه. في الكتابات اليهودية فيما بعد يسوع تدّعيٍ بأنه الساحر الذي قاد إسرائيل إلى الضلال، وهي تعترف بأنه حقاً صنع عجائب مذهلة، ولو أن الكتاب يُعارضون مصدر قوته.

"لقد كانت تلك فرصة مثالية لقول شيء مثل "سيخبرونك المسيحيين بأنه صنع معجزات، لكننا هنا لنخبرك بأنه لم يصنع". ومع ذلكِ هذا هو الشيء الوحيد الذي لا نرى معارضيه يقولونه. لكن بدلاً من ذلك يعترفون بشكل واضح بأن ما كتبته الأناجيل، أن

يسوع صنع معجزات، صحيح".

سألت قائلا «هل كان يمكن لهذه الحركة المسيحية أن تتأصل هناك في أورشليم- في المنطقة التي قام يسوع فيها بمعظم خدمته، وصُلب، ودُفن، وقام- إذا ما كان الذين عرفوه على وعي بأن التلاميذ كانوا يبالغون أو يشوهون الأشياء التي صنعها؟"

فأجاب بلومبيرج «أنا لا أعتقد ذلك. فلدينا صورة لما كانت عليه حقاً فقد كانت حركة ضعيفة وهشة جداً وكانت عرضة للاضطهاد. وإذا ما كان بإمكان المعارضون أن يهاجموها على أساس أنها مليئة بالأمور الزائفة أو التشويشات فإنهم كانوا سيفعلون ذلك.

وأكد في الخاتمة "لكن ذلك بالضبط هو ما لا نراه".

إيمان مُدعم بالحقائق

أعترف بأنني كنت مُعجباً ببلومبيرج؛ المقنع والعلمي المطلّع واللبق، فقد بنى قضية قوية لموثوقية الأناجيل. برهانه على كتابتها التقليدية، وتحليله للتاريخ المبكر جدا للاعتقادات الأساسية حول يسوع، ودفاعه العاقل جدا عن دقة التقليد الشفهي، وأسس فحصه المدروس للتناقضات الظاهرية- كل شهادته قد أسست أساسا راسخا لي كي أبني عليه.

ومع ذلك، كان لا يزال هناك طريق طويل لتحديد ما إذا كان يسوع هو ابن الله الفريد. في الحقيقة، بعد الحديث مع بلومبيرج، أصبحت مهمتي التالية واضحة: تقرير ما إذا كانت هذه الأناجيل- التي رأينا مع بلومبيرج أنها جديرة جداً بالثقة- تمَّ تسليمها لنا عبر القرون بشكل موثوق. كيف يمكن لنا أن نتأكد من أن النصوص التي نقرأها اليوم تحمل أي تشابه لما كان مكتوبا في الأساس في القرن الأول؟ والأكثر من ذلك، كيف نعرف أن الأناجيل تخبرنا بكامل قصة يسوع؟

نظرت إلى ساعتي. فإذا ما كانت الشوارع غير مزدحمة، فهذا يعني وصولي للمطار مبكراً في رحلة العودة إلى شيكاغو. وفيما

كنت أجمع مذكراتي، وأغلق جهاز التسجيل، طار نظري مُحدقاً مرة أخرى إلى رسومات الأطفال على حائط بلومبيرج- وفجأة فكرت فيه للحظة ليس كعالم، ولا كمؤلف، ولا كأستاذ جامعي، بل كأب يجلس على حافة أسرّة بناته في المساء ويتحدث بهدوء معهم عن ما هو هام حقا في الحياة.

تساءلت عما يخبرهم به عن الكتاب المقدس، وعن الله، وعن يسوع هذا الذي يدعي هذه الادعاءات الخيالية حول نفسه؟

لم أستطع أن أقاوم الخيط الأخير من الأسئلة فسألت "ماذا عن إيمانك؟ كيف أثر كل بحثك على معتقداتك؟"

بالكاد أخرجت الكلمات من فمي قبل أن يجيب "لقد رسخها، بلا شك. أعرف من بحثي أنه يوجد دليل قوي جدا لجدارة روايات الإنجيل."

ظل صامتا للحظة، ثم استرسل قائلاً "أنت تعرف، إنه شيء ساخر: الكتاب المقدس يعتبر أنه من الجدير بالمدح أن يكون لديك إيمان لا يتطلب برهانا. تذكر كيف أجاب يسوع على شك توما: "أنت تؤمن لأنك ترى؛ طوبى لمن أمن ولم يرى." وأنا أعرف أن البرهان لا يمكن أبداً أن يجبر أو يكره على الإيمان. فنحن لا يمكننا أن نأخذ مكان ودور الروح القدس، الذي يمثل غالبا اهتماما للمسيحيين عندما يسمعون مناقشات من هذا القبيل.

"لكنني سأخبرك بهذا: هناك الكثير من قصص باحثين في مجال العهد الجديد الذين لم يكونوا مسيحيين، ومع ذلك فمن خلال دراستهم لهذه القضايا أمنوا بالمسيح. وهناك باحثين أكثر بلا عدد، مؤمنين بالفعل، تقوى إيمانهم، وترسخ، زاد تأسيسا، بسبب البرهان- وتلك هي الفئة التي أقع فيها."

أما بالنسبة لي، فقد كنت في الأساس من الفئة الأولى- لا، ليس باحثا بل شكاكا، محطماً للمعتقدات التقليدية، مراسلاً متصلب المشاعر على تحقيق يبحث عن الحقيقة عن يسوع الذي قال إنه الطريق والحق والحياة.

أغلقت حقيبتي ووقفت كي أشكر بلومبيرج. لأعود بالطائرة إلى شيكاغو مرضيا لأن بحثي الروحي اتسم ببداية جيدة.

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

- بشكل عام، كيف أثرت ردود بلومبيرج على الإختبارات الثمانية الواضحة على ثقتك بموثوقية الأناجيل.. ولماذا؟
- أيٍ من هذه الإختبارات الثمانية دُرست بشكل أكثر إقناعاً، ولماذا؟
- عندما تعتمد على أشخاص تدلي بتفاصيل مختلفة قليلاً عن نفس الحدث، تشك في مصداقيتهم تلقائياً، أم تُرى تحاول إيجاد طريق معقول للتوفيق بين رواياتهم؟ كيف وجدت تحليل لومبرج المقنع حول للتناقضات الظاهرية بين الأناجيل؟

مزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Archer, Gleason L. The Encyclopedia of Bible Difficulties. Grand

Rapids: Zondervan, 1982. Blomberg, Craig. "The Historical Reliability of the New Testament." In Reasonable Faith, by William Lane Craig, 193-231. Westchester,

111.: Crossway, 1994. ____. "Where Do We Start Studying Jesus?" In Jesus under Fire, edited by Michael J. Wilkins and J. P. Moreland, 17-50. Grand Rapids: Zondervan, 1995.

Dunn, James. The Living Word. Philadelphia: Fortress, 1988. Marshall, I. Howard. I Believe in the Historical Jesus. Grand Rapids: Eerdmans, 1977.



الأدلة الوثائقية

هل حفظت سير حياة يسوع بشكل موثوق لنا؟

عندما كنت مراسلا بجريدة "شيكاغو تريبيون" كنت "فأر وثائق"ـــ كنت أقضي ساعات لا حصر لها منقباً في ملفات المحاكم وأتشمم أنباء الأخبار. لقد كانت مهنة مرهقة ومجهدة ومستهلكة للوقت، لكنٍ مكافآتها تستحق الجهد. استطعت كسب المنافسة وأحقق سبقاً صحفياً بأخبار الصفحة الأولى بشكل منتظم.

على سبيل المثال، ذات مرة عثرت على بعض نسخ سرية للغاية الخاصة بهيئة المحلفين الكبرى، والتي قد وضعت بشكل غير مقصود في ملف عام. وفي مقالاتي اللاحقة فضحت تلاعب في مناقصات ضخمة كانت تُدار في خلفية بعض مشاريع الأشغال العامة الكبرى بشيكاغو، بما فيها إنشاء الطرق السريعة الكبرى.

ولكن أكبر مخبأ مذهل للمستندات كشفت عنه كان في قضية تعتبر نقطة تحول لي، كانت الخاصة بشركة فورد للسيارات والتي إتهمت بقتل متهور وطائش لثلاثة مراهقين ماتوا حرقاً في سيارة موديل بِينتو. وتلك كانت المرة الأولى التي يُدان فيها صانع أمريكي جنائياً بإدعاء تسويق مُنتج خطر.

وعندما فَحصت ملفات محكمة مدينة ويناماك الصغيرة جداً،

بولاية إنديانا، وجدت عشرات من مذكرات شركة فورد السرية تكشف عن حقيقة أن شركة صناعة السيارات كانت تعرف مقدماً بأن بينتو يمكن أن تنفجر إذا إصطدمت من الخلف وهي تسير بسرعة ٢٠ ميل/ الساعة. وأشارت المستندات بأن شركة صناعة السيارات قررت عدم تحسين إجراءات سلامة السيارة لتوفر بضعة دولارات من كل سيارة، ولزيادة مساحة أمتعتها.

أما محامي شركة فورد، الذي تصادف أنه كان يتمشى في قاعة المحكمة، إكتشفني حين كنت أنسخ صوراً للمستندات. فاندفع بجنون إلى المحكمة ليحصل على أمر قضائي بأن يختم الملف بالشمع حظراً لرؤية الجمهور له.

بيد أن الوقت كان متأخراً جداً. فقد تصدّرت قصتي بعنوان كبير "فورد تتجاهل أخطار حريق بينتو، الكشف عن مذكرات سرية" وبعرض الصفحة جريدة التريبيون وانتشرت في كافة أنحاء البلاد[1].

تأصيل المستندات

لقد كان الحصول على المذكرات السرية للشركة شئ، لكن التحقق من أصالتها شئ آخر. فقبل أن يستطيع الصحفي نشر محتوياتها، أو قبل أن يستطيع المدعي العام أن يقبل هذه المستندات كدليل في محاكمة، هناك خطوات يجب أن تؤخذ للتأكد من أنها مستندات أصلية.

وفيما يتعلق بأوراق السيارة بينتو، هل الأوراق المعنونة بشعار شركة فورد هل صادرة عنهم أم من الممكن أن تكون مزورة؟ وهل التوقيعات عليها قد تكون مزورة؟ وكيف أتأكد من ذلك؟ وبما أن المذكرات، كما كان ذلك واضحاً، قد صورت عدّة مرات، فكيف أتأكد من موثوقية محتوياتها وأنه لم يتم العبث بها؟ وبعبارة أخرى، كيف أتأكد بأن كل وثيقة منسوخه مطابقة للمذكرة الأصلية، التي لا أملكها؟.

وما هو أكثر من ذلك، كيف أتأكد من أن هذه المذكرات تحكي

القصة كاملة؟ ومع ذلك، فهي تمثل جزءاً صغيراً فقط من المراسلات الداخلية لشركة فورد. فماذا يحدث لو كانت هناك مذكرات أخرى، ما زالت مخبأة عن جمهور، و إذا كُشفوا فهل ستُلقي ضوءاً شاملاً مختلفاً على القضية؟

إن فحص العهد الجديد أيضاً، وعلى حد سواء، بمثل هذه الأسئلة الهامة. فعندما أمسك بيدي كتاباً مقدساً، فإني أساساً أحمل نسخاً من سجلات تاريخية قديمة. فالمخطوطات الأصلية لسير حياة يسوع — متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وكل الأسفار الأخرى للعهدين القديم و الجديد، والتي دونت من زمن بعيد قد تحولت إلى غبار. لذا، فكيف لي التأكد من أن هذه النسخ الحديثة، والتي هي الناتج النهائي عن عمليات نسخ غير قابلة للعد في كافة أرجاء العصور والأجيال، لها أي شبه بما كتبه الكُتّاب أصلاً؟

بالإضافة إلى ذلك، كيف يمكنني معرفة إذا ما كانت هذه السير الذاتية الأربع تحكي لنا القصة كاملة؟ وماذا لو كانت هناك سير ذاتية أخرى لحياة يسوع لكنها خضعت لرقابة الكنيسة الأولى ولم تعجبها صورة يسوع التي صورها كُتابها؟ وكيف أثق أن سياسات الكنيسة لم تقضي على سير حياة يسوع التي كانت دقيقة كتلك الأربعة التي تضمنّها العهد الجديد، والتي كان يمكنها تسليط ضوء جديد هام على أقوال وأعمال ذلك النجار المثير للجدل الذي من الناصرة؟.

فهاتين المسألتين، سواء كانت سير حياة يسوع قد حُفَظت بشكل موثوق لنا، وإذا كانت هناك سير حياة أخرى عن يسوع ولكنها قد منعت الكنيسة إنتشارها بداعي الحذر. عرفت بأنه هناك عالم واحد مشهود له عالمياً بأنه كمصدر موثوق لهذه الأمور. فسافرت بالطائرة إلى نيويورك، وقُدت سيارة قد إستأجرتها إلى مدينة برينستون، لكي أزوره دون سابق إخطار لكي لا يستعد.

المقابلة الثانية: بروس م. متزجير، دكتوراه فلسفة.

وجدت بروس متزجر، ٨٤ عاماً، بعد ظهر يوم السبت في مكانه المفضل والمعتاد، مكتبة كلية اللاهوت برينستون، حيث قابلني بابتسامة "أنا أحب أن نفض الغبار من على الكُتب".

في الواقع، لقد كتب بعض أفضل هذه الكتب، خصوصاً إذا كان الموضوع عن نصوص العهد الجديد. إجمالاً، لقد ألّف أو حرر خمسون كتاب، من بينها: العهد الجديد: خلفيته، ونموه، ومحتواه *The New Testament: Its Background, Growth, and Content*؛ نصوص العهد الجديد *The Text of the New Testament*؛ قانون العهد الجديد *The Canon of the New Testament*؛ مخطوطات الكتاب المقدس اليونانية *Manuscripts of the Greek Bible*؛ التعليق على نصوص العهد الجديد اليوناني *Textual Commentary on the Greek New Testament*؛ المقدمة للأبوكريفا *Introduction to the Apocrypha*؛ دليل أكسفور للإنجيل *The Oxford Companion to the Bible*. والعديد منها تُرجم إلى لغات أخرى: الملاجاشية والكورية واليابانية والصينية والألمانية. كما اشترك أيضاً في تحرير "إنجيل أكسفور الجديد ذو الحواشي مع أسفار الأبوكريفا *The New Oxford Annotated Bible with the Apocrypha*، والمحرر العام لأكثر من ٢٥ مجلد في سلسلة "أدوات ودراسات العهد الجديد *New Testament Tools and Studies*".

يتضمّن تعليم متزجير درجة الماجستير من كلية برينستون اللاهوتية، ودرجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة برينستون. كما منح درجات دكتوراه فخرية من خمس كليات وجامعات، من بينها جامعة سانت أندرو في سكتلندا، وجامعة مونستر في ألمانيا، وجامعة بوتشيفتستروم في جنوب أفريقيا.

وفي سنة ١٩٦٩ عمل كأستاذ مقيم في تندال هاوس، بجامعة كامبردج، بانجلترا. وعمل كزميل زائر في كليرهول، بجامعة كامبردج، في سنة ١٩٧٤، وفي كلية ولفسون، بأكسفورد، في

سنة ١٩٧٩. وهو حالياً أستاذ فخري في كلية برينستون اللاهوتية بعدما أمضى ٤٦ عاماً في تدريس العهد الجديد.

ومتزجير هو رئيس لجنة الكتاب المقدس، النسخة القياسية، المراجعة الجديدة، وزميل مراسلة للأكاديمية البريطانية، ويعمل في كيورا توريام في معهد فيتوس لاتينا في دير ببرون بألمانيا. وهو رئيس سابق لجمعية الأداب الكتابي، والجمعية الدولية لدراسات العهد الجديد، وجمعية باتريستيك الأمريكية الشمالية.

إذا تفحصت هوامش أي كتاب موثوق به على نصوص العهد الجديد، فهناك إحتمالات أن ترى بأنه قد إستشهد بمتزجير مراراً وتكراراً. وكتبه واجبة القراءة في الجامعات والمعاهد اللاهوتية حول العالم. ويُأخذ بأعلى إعتبار لدى مجموعة واسعة من علماء العديد من المذاهب اللاهوتية.

من عدة نواحي، فإن متزجير ولد سنة ١٩١٤، يعتبر من نسل جيل أقدم. وعندما ينزل من سيارته البويك الرمادية التي يسميها (عربة تسوقي البنزينية) وهو يرتدي بدلة رمادي داكنة ورباط عنق أزرق من نسيج صوفي مزركش بالرسوم، التي تعتبر غير رسمية كتلك التي يرتديها عند زياراته للمكتبة، حتى في العطلة الأسبوعية. وشعره الأبيض ممشط بعناية؛ وعيناه لامعتان ويقظتان، مُؤَطرتان بنظارة بلا إطار. ويمشي أبطأ مما تعوّد عليه، لكن ليس بصعوبة فهو يتسلق السلم بشكل منهجي إلى الطابق الثاني حيث يجري أبحاثه في مكتب غامض قاتم وصارم.

إلا أنه لم يفقد روح المرح. فقد أراني علبة صغيرة من الصفيح ورثها كرئيس للجنة الترجمة الموحدة والمراجعة للكتاب المقدس. وفتح الغطاء ليكشف عن رماد كتاب مقدس أحرق في سنة ١٩٥٢ أثناء إحتجاج من قبل واعظ أصولي من مذهب العصمة الحرفية (الفندمنتالت).

"يبدو أنه لم تعجبه تغيير اللجنة لكلمة "زملاء" في نسخة الملك جيمس بكلمة "رفاق" الواردة في رسالة العبرانيين ١: ٩"، ووضّح متزجير بضحكة مكتومة بأن الواعظ الأصولي "اتهمهم

بالشيوعيون!".

ومع أن حديث متزجير متردد أحياناً فإنه يميل إلى الإجابة بعبارات جذابة مثل "تماماً"، ويستمر في البقاء عند حافة منحة لدراسة العهد الجديد. وعندما طلبت بعض الإحصائيات، لم يعتمد على الأرقام التي في كتابه سنة ١٩٩٢ عن العهد الجديد؛ بل أجرى بحثاً جديداً ليحصل على أحدث الأرقام. وسرعة بديهته لا تجد مشكلة في تذكر تفاصيل عن الناس والأماكن، وهو مُلِمّ بكل المحادثات والمناظرات الحالية بين خبراء العهد الجديد. في الحقيقة، فإنهم يواصلون اللجوء إليه لبصيرته وحكمته.

ومكتبه بحجم زنزانة سجن، بلا نوافذ ومطلي بلون رمادي مؤسساتي. به كرسيان خشبيان؛ وقد أصر على أن آخذ الكرسي الأكثر راحة. وكان هذا جزء من سحر شخصيته. وقد كان طيباً جداً، معتدل ومتواضع للغاية، وله روح لطيفة جعلتني أود عندما أكبر في السن أن أتحلى بنفس هذا النوع الناضج من النعمة.

لقد تعرفنا على بعضنا لفترة قصيرة، ثم إتجهت إلى القضية الأولى التي أردت الكلام فيها: كيف يمكننا أن نتأكد بأن سيرة حياة يسوع قد سُلمت إلينا على نحوٍ موثوق؟

نسخ من نسخ من نسخ

فقلت لمتزجير "سأكون أميناً معك. عندما اكتشفت لأول مرة عدم وجود أصول باقية على قيد الحياة للعهد الجديد، تشككت جداً. وفكرت، إذا كان كل ما لدينا هو نسخ من نسخ من نسخ، فكيف يكون لديَّ اي ثقة بالعهد الجديد الذي بين أيدينا اليوم بأنه يحمل أي تشابه مع الكتب الأصلية؟ فما ردك على ذلك؟

فأجاب "هذه ليست قضية قاصرة على الكتاب المقدس؛ بل إنها سؤال يمكننا أن نسأله عن الوثائق الأخرى التي وصلت إلينا من عصور قديمة. بيد أن الإجابة على هذا السؤال تسير في صالح العهد الجديد، خاصة إذا ما قورن بالكتابات القديمة الأخرى، حيث عدد النسخ التي بقيت حتى الآن لم يسبق له مثيل".

فسألته: "لماذا ذلك مهم؟".

فأجاب "حسناً، كلما كان لديك نسخ كثيرة تتفق مع بعضها البعض، خاصةً إذا ظهرت من مناطق جغرافية مختلفة، والأكثر من ذلك بأنها تُمكنك التحقق وإدراك كيف كان شكل الوثيقة الأصلية. والطريق الوحيدة التي تتوافق فيها هي انحدارها التسلسلي في شجرة العائلة التي تمثل سلالة المخطوطات".

فقلت له: "حسناً، أستطيع أن أفهم أن وجود عدد كبير من النسخ من أماكن مختلفة يمكن أن يساعد. ولكن ماذا عن عمر الوثائق؟ بالتأكيد أن ذلك مهم أيضاً، أليس كذلك؟".

فأجاب "تماماً لذا، وهذا شئ آخر يُميّز العهد الجديد. فلدينا نسخ تبدأ خلال جيلين من كتابة النسخ الأصلية، بينما في حالة النصوص القديمة الأخرى، نجد أنه ربما قد انقضت خمسة، أو ثمانية، أو عشر قرون بين النسخ الأصلية وأقدم نسخة بقيت سليمة".

"وفضلاً عن المخطوطات اليونانية، فلدينا أيضاً ترجمات للإنجيل في لغات أخرى كالقبطية والسريانية واللاتينية، والتي ترجع إلى زمن أقدم نسبياً. علاوة على ذلك، لدينا ما يمكن تسميته بالترجمات الثانوية التي تلتها بقليل، مثل الأرمنية والقوطية. والكثير غيرها، كالجورجية والأثيوبية وهي تشكيلة هائلة".

فسألته "كيف تساعدنا هذه الترجمات؟".

فأجابني "لأنه حتى لو لم يكن لدينا اليوم مخطوطات يونانية، فإننا بتجميع المعلومات من هذه الترجمات من تواريخ قديمة نسبياً، يمكننا أن نعيد إنتاج محتويات العهد الجديد حقاً. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه حتى لو فقدنا كل المخطوطات اليونانية والترجمات المبكرة، فما زال باستطاعتنا أن نُعيد إنتاج محتويات العهد الجديد من الأعداد الهائلة من الإقتباسات في التعليقات، والعظات، والرسائل، وغيرها من آباء الكنيسة الأوائل".

فيما بدا ذلك رائعاً، إلا أنه كان من الصعب الحكم على هذه الأدلة منفصلة. فقد إحتجت إلى لبعض السياق لتقدير العهد الجديد

ككتاب فذّ فريد من نوعه بشكل أفضل. وتساءلت، كيف يقارن بالأعمال المشهورة الأخرى من العصور القديمة؟.

جيل المخطوطات

فقلت له "عندما تتحدث عن عدد هائل من المخطوطات، كيف يتعارض ذلك مع كُتب قديمة أخرى والتي قبلها العلماء بطريقة روتينية عادية على أنها موثوق بها؟ فمثلاً حدثني عن كتابات لمؤلفين من نفس عصر يسوع تقريباً".

ولما كان متزجير قد توقع هذا السؤال فقد أشار إلى بعض المذكرات المكتوبة بخط اليد والتي أحضرها.

وبدأ حديثه قائلاً "تأمل تاسيتوس، المؤرخ الروماني الذي كتب حوليات روما الإمبراطورية في غضون ١١٦م. تقريباً، فكتبه الستة الأولى موجودة الآن في مخطوط واحد فقط، وقد نسخ سنة ٨٥٠م. تقريباً. والكتب من ١١- ١٦ في مخطوط آخر بتاريخ يعود إلى القرن الحادي عشر. أما الكتب من ٧- ١٠ فهي مفقودة. وهكذا فهناك فجوة كبيرة بين الزمن الذي بحث فيه تاسيتوس معلوماته كتبها والنسخ الحالية الوحيدة.

"أما فيما يتعلّق بمؤرخ القرن الأول يوسيفوس، لدينا تسع مخطوطات يونانية من كتابه "الحرب اليهودية"، وهذه النسخ تمت كتابتها في القرون العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر. وهناك ترجمة لاتينية من القرن الرابع ومواد روسية من العصور الوسطى من القرن الحادي عشر والثاني عشر".

لقد كانت تلك الأرقام مفاجئة لي. فلا يوجد إلا أقل عدد من المخطوطات التي تربط هذه الأعداد القديمة بالعالم الحديث. فسألته "بالمقارنة بتلك الأعداد، كم عدد المخطوطات اليونانية للعهد الجديد الموجودة حالياً؟".

إتسعت عينا متزجير وقال "أكثر من خمسة آلاف مخطوط، عمل لها بيان وفهرس" قال ذلك بحماس رافعاً صوته ١٠ درجات.

لقد كان ذلك بمثابة جبل من المخطوطات مقارنة بكثبان الرمل من أعمال تاسيتوس ويوسفوس!

فسألته "أليس ذلك غير معتاد في العالم القديم؟ من هو المنافس؟".

فقال: "كمية مادة العهد الجديد تُحرج أي مقارنة بالكتب الأخرى من العصور القديمة، فبجانب العهد الجديد، الكمية الأكبر لشهادة المخطوطات هو إلياذة هوميروس، التي كانت بمثابة إنجيل اليونانيين القدماء. ويوجد منها اليوم أقل من ٦٥٠ مخطوط يوناني. وبعضها متجزأ إلى أجزاء. وقد وصلت إلينا من القرن الثاني والثالث الميلادي، وما بعده. وعندما نتأمل أن هوميروس قد أعدّ ملحمته حوالي سنة ٨٠٠ ق. م. يمكنك أن ترى فجوة كبيرة جداً.

كلمة "كبيرة جداً" تعتبر أقل من الحقيقة فالفجوة كانت ١٠٠٠ (ألف سنة) ففي الواقع لم توجد أي وجه للمقارنة فإن أدلة المخطوطات للعهد الجديد أدلة ساحقة عندما توضع أمام المؤلفات المحترمة التي من العصور القديمة وهي أعمال لايجد العلماء المحدثين أي اعتراض على اعتبارها أصلية. وبما أن فضولي وحب استطلاعي عن مخطوطات العهد الجديد قد تمت إثارته فقد سألت متزجير أن يصف لي بعض هذه المخطوطات.

فقال لي: "أقدم المخطوطات كانت أجزاء من البردي، الذي كان من لوازم الكتابة وقتئذ مصنوع من نبات البردي الذي كان ينمو في أراضي دلتا النيل في مصر. ويوجد الآن ٩٩ قطعة متجزأة من ورق البردي تحتوي على فقرة أو أكثر أو كتب من العهد الجديد.

وأهم هذه البرديات التي ظهرت للنور هي برديات تشيستر بيتي والتي اكتشفت سنة ١٩٣٠. ومن هذه البرديات نجد أن الأولى تحتوي على أجزاء من الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث. والبردية الثانية تحتوي على أجزاء كبيرة لثمانية من رسائل بولس، بالإضافة إلى أجزاء من

الرسالة إلى العبرانيين، ويعود تاريخها إلى سنة ٢٠٠م. والبردية الثالثة تحتوي على جزء كبير من سفر الرؤيا ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث.

"وهناك مجموعة أخرى من مخطوطات البردي الهامة إشتراها سويسري مولع بجمع الكتب وهو م. مارتن بودمير. وأقدم هذه البرديات يرجع تاريخه إلى سنة ٢٠٠م. يحتوي على ثلثي إنجيل يوحنا. وبردية أخرى، تحتوي على أجزاء من أناجيل لوقا ويوحنا، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث".

وعند هذه النقطة، كانت الفجوة بين كتابة سير حياة يسوع وبين أقدم برديات، كانت ضئيلة جداً. ولكن ما هو أقدم مخطوط نمتلكه؟ إلى أي قرب مدة يمكننا التوصل إلى المخطوطات الأصلية التي يسميها الخبراء "أوتوجراف" أي كتبت بخط يد المؤلف نفسه؟

قصاصة الورق التي غيرت مجرى التاريخ

فقلت له "ما هو أقدم جزء من العهد الجديد كله نمتلكه اليوم؟".

متزجير لم يكن مضطراً لأن يفكر في الإجابة فقال "أقدم جزء هو عبارة عن جزء من إنجيل يوحنا، يحتوي على نصوص من الأصحاح الثامن عشر وهي خمسة آيات ثلاثة على أحد الوجهين، واثنان على الوجه الآخر، وتبلغ مساحته½ 2 بوصة × ½ 3 بوصة".

فقلت له: "كيف تم اكتشافه؟".

فقال "تم شراؤه في مصر حوالي سنة ١٩٢٠، لكنه ظل بعيداً عن الأنظار عدة سنوات مع أجزاء أخرى مشابهة من البردي. ثم في سنة ١٩٣٤ فيما كان سي. إتش. روبرتس من كلية القديس يوحنا، بجامعة أكسفورد، يُدقق في البرديات بمكتبة جون ريلاندز في مانشستر، بإنجلترا. تعرف في الحال على هذه البردية بأنها تحتفظ بجزء من إنجيل يوحنا. واستطاع أن يحدد تاريخها من أسلوب كتابتها".

فسألته: "وماذا كان استنتاجه؟ وإلى أي زمن يعود تاريخها؟

فأجاب "استنتج بأن أصلها يرجع إلى ١٠٠- ١٥٠م. وكثير من علماء البليوغرافيا المهمين مثل السير فردريك كينيون، والسير هارولد بيل، وأدولف ديسمان، و دبليو. إتش. بي. هاتش، وأولريك ويلكين وآخرون، اتفقوا على تقيمه. وكان ديسمان مقتنعاً بأنها تعود على الأقل إلى عهد الإمبراطور هادريان، الذي كان من سنة ١١٧- ١٣٨م. أو حتى الإمبراطور تراجان، وكان عهده من سنة ٩٨- ١١٧م."

لقد كان هذا اكتشاف مذهل. والسبب أن علماء اللاهوت الألمان المتشككين في القرن الماضي جادلوا بشدة بأن الإنجيل الرابع لم يكن قد دوّن حتى سنة ١٦٠م. على الأقل، وهو تاريخ بعيد جدا عن أحداث حياة يسوع مما يُضع هذا التقدير- بحسبهم- القيمة التاريخية. وقد استطاعوا التأثير على أجيال من العلماء الذين سخروا من موثوقية هذا الإنجيل".

فقلت معلقاً "هذا بالتأكيد يقضي تماماً على صدق هذا الرأي".

فقال "نعم، بالتأكيد، فلدينا هنا في تاريخ قديم جداً، جزء من نسخة من إنجيل يوحنا من مسافة بعيدة في جماعة عاشت على نهر النيل في مصر بعيداً عن أفسس في آسيا الصغرى، حيث من المُرجّح أن يكون قد كُتب الأصل هناك.

تمت كتابة آراء مشهورة في التاريخ إذ أرجع كتابة إنجيل يوحنا إلى زمن أقرب إلى أيام كان المسيح يمشي على الأرض. فكتبت مذكرة لتذكيري بمراجعة عالم آثار عما إذا كانت هناك اكتشافات أخرى دعمت الثقة بالإنجيل الرابع.

ثروة كبيرة من الأدلة

فيما تمثل مخطوطات البردي أقدم نسخ العهد الجديد، هناك أيضاً نسخ قديمة مكتوبة على ورق البرشمان، الذي كان يصنع من جلود الماشية، والخراف، والماعز، والظبي.

ثم أوضح متزجير قائلاً: "عندنا ما يسمى بالمخطوطات الأنشية وهي مكتوبة بالحروف اليونانية الكبيرة. فعندنا اليوم ٣٠٦ من هذه المخطوطات، والعديد منها يرجع تاريخه إلى القرن الثالث. وأهمها المخطوطة السينائية، وهي النسخة الكاملة الوحيدة للعهد الجديد بحروف الأنشيال، والمخطوطة الفاتيكانية، التي ليست كاملة تماماً، وكلاهما يرجع تاريخهما إلى سنة ٣٥٠م.

"وهناك أسلوب جديد في الكتابة، حروفها متصلة، ظهرت سنة ٨٠٠ م. تقريباً. وتسمى minuscule أي مكتوبة بحروف صغيرة، ولدينا ٢٨٥٦ من هذه المخطوطات. وهناك أيضاً كتب الفصول التي تحتوي على العهد الجديد من الكتاب المقدس مرتبة بترتيب معين لكي تقرأ في الكنائس الأولى في أوقات متناسبة من السنة. وهناك ٢٤٠٣ من هذه الكتب قد تم إعداد قائمة بها وفهرستها. وبذا يبلغ مجموع المخطوطات اليونانية ٥٦٦٤ مخطوط.

ثم قال: "بالإضافة إلى الوثائق اليونانية، هناك آلاف من المخطوطات القديمة للعهد الجديد بلغات أخرى. فهناك من ٨٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ مخطوط لاتيني [فولجاتا (معترف به)]، بالإضافة إلى ٨٠٠٠ باللغة الأثيوبية، والسلافية، والأرمينية. إجمالي هذه المخطوطات يبلغ حوالي ٢٤٠٠٠ مخطوط موجودة حالياً.

فسألته، وأنا أريد تأكيد واضح لما إعتقدت بأنني سمعته يقوله "إذن، ما هو رأيك؟ بالنسبة لتعدد المخطوطات والفجوة الزمنية بين أصولها ونسخها الأولى، كيف يصمد العهد الجديد أمام الأعمال الأخرى المشهورة من الأزمنة القديمة؟".

فأجاب "بطريقة جيدة جداً، ويمكننا أن نثق ثقة عظيمة في الإخلاص الذي وصلت به هذه النصوص إلينا، خاصةً لو قورنت بأي أعمال أدبية قديمة أخرى".

يشارك في هذا الاستنتاج علماء بارزين من كل أنحاء العالم. وقد قال المرحوم ف. ف. بروس، الأستاذ البارز الفذ في جامعة مانشستر، إنجلترا، ومؤلف كتاب "وثائق العهد الجديد: هل يمكن الوثوق بها؟ *The New Testament Documents: Are They*

Reliable?" "ليس هناك أي نص من آداب العالم القديم يتمتع بمثل هذه الثروة الهائلة من أدلة الشهادات النصية الجيدة كالعهد الجديد"(٢).

ذكر متزجير إسم السير فريدريك كينيون، المدير السابق للمتحف البريطاني ومؤلف كتاب "الكتابات القديمة في البرديات اليونانية *The Palaeography of Greek Papyri*". وقد قال كينيون أنه "لم يحدث في أي حالة أخرى أن الفترة الزمنية بين تأليف الكتاب وبين تاريخ أقدم مخطوطاته كانت قصيرة كما في العهد الجديد"(٣).

وكان استنتاجه: "آخر أساس لأي شك أن الكتاب المقدس قد وصل إلينا جوهرياً كما كُتب، هذا الشك قد زال الآن"(٤).

ومع ذلك، ماذا نقول عن التناقضات بين المخطوطات المختلفة؟ في الأيام التي مضت قبل ماكينات التصوير السريعة بسرعة البرق، كانت المخطوطات تُنسخ يدوياً بشكل مرهق من قبل نُسّاخ، حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وسطر سطر، بطريقة ملائمة لتسبب حدوث أخطاء. والآن أريد أن أحدد بالضبط ما إذا كانت هذه الأخطاء عند النسخ كتابة قد جعلت أناجيلنا الحديثة مشوهة بلا أمل في عدم الدقة.

فحص الأخطاء

فقلت له: "مع التشابه في طريقة كتابة الحروف اليونانية وبالظروف البدائية التي كان يشتغل بها النُسّاخ، يبدو أنه من الحتمي تسلل أخطاء النسخ إلى النص".

فقال متزجير مُسلماً "هذا صحيح تماماً"

فقلت له: "وفي الحقيقة أليس هناك حرفياً عشرات الآلاف من الإختلافات بين المخطوطات القديمة التي عندنا؟".

فقال لي: "هذا صحيح تماماً".

فسألته: "ألا يعني هذا إذن أننا لا نستطيع الوثوق بها؟".

وكان سؤالي هذا يبدو سؤالاً إتهامياً أكثر منه إستفزازياً.

فأجاب متزجير بحزم "كلا ياسيدي، لايعني ذلك. دعني أولاً أقول التالي: لم تُخترع النظارات حتى سنة ١٣٧٣م في فينيسيا، وانا متأكد بأن إنحراف البصر كان موجوداً بين النُسّاخ القدماء. وقد تضاعف هذا الأمر بحقيقة أنه كانِ من الصعب تحت أية ظروف قراءة مخطوطات باهتة قد تقشرت وزال عنها بعض الحبر الذي كُتبت به. كما كانت هناك مخاطر أخرى، سواء كان ذلك بسبب السهو، مع أنهم كانوا حذرين بشكل شكاك، إلا أن ذلك لا يمنع من تسلل بعض الأخطاء".

ثم أضاف مسرعاً "لكن هناك عوامل تُبطل هذه الحجة، فعلى سبيل المثال، أحياناً ذاكرة الكاتب تخدعه. فبين الحين والآخر فهو يعيد في النظر إلى النص ثم يكتب الكلمات، فإن ترتيب الكلمات قد يتبدل. فقد يكتب الكلمات الصحيحة لكن بالتسلسل الخاطئ. ولكن هذا الأمر لا يدعو للقلق لأن اللغة اليونانية تتميز بالتعريفات على خلاف اللغة الإنجليزية.

فسألته فوراً "بمعنى...".

فقال لي "لأن هناك فرق كبير في اللغة الإنجليزية إذا قلت "الكلب يعض الإنسان" أو "الإنسان يعض الكلب"، فتسلسل الكلمات مهم في اللغة الإنجليزية. لكن في اليونانية ليس الأمر مهماً. فالكلمة تؤدي وظيفتها كموضوع للجملة بغض النظر عن موقعها في السلسلة، بالتالي، فإن معنى الجملة لا يتحرّف إذا كانت الكلمات لم تكتب بالترتيب الذي نعتبره الترتيب الصحيح. لذلك، نعم هناك بعض الإختلافات بين المخطوطات، لكنها عموماً ليست بإختلافات هامة. ومثال آخر لذلك، الإختلاف في تهجئ الكلمات".

ومع ذلك فما زال العدد كبير للـ"مغايرات" أو الإختلافات بين المخطوطات، وهو مزعج. فقد رأيت تقديرات وصلت إلى ٢٠٠ ألف حالة(٥). ومع ذلك فقد قلل متزجير من قيمة هذا الرقم.

فقال "الرقم يبدو كبيراً، لكنه مُضلل نوعاً ما بسبب الطريقة

التي تُحسب بها هذه الإختلافات. وشرح ذلك بأنه لو أن هناك خطأ هجائي في كلمة واحدة في ألفين مخطوط، فإن هذا يحسب كأنه ألفين من الأخطاء.

ثم أثرت أهم مسألة: "كم عدد تعاليم وعقائد الكنيسة المعرضة للخطر بسبب هذه الإختلافات؟".

فأجاب بثقة "أنا لا أعرف أي عقيدة معرضة للخطر".

فقلت له "ولا واحدة؟".

فكرر قائلاً "ولا واحدة. إن شهود يهوه يأتون إلينا قائلين "إن إنجيلكم به خطأ في ترجمة الملك جيمس في رسالة يوحنا الأولى ٥: ٧- ٨، حيث تتحدث عن "الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ". ثم يقولوا "هذا الكلام غير موجود في المخطوطات الأولى".

"وهذا فعلاً صحيح. وأظن بأن هذه الكلمات موجودة في سبع أو ثمان نسخ فقط وكلها من القرن الخامس عشر أو السادس عشر. وإني أعترف أن هذا ليس جزءاً مما أوحي إلى يوحنا الأول بكتابته.

"لكن هذا لا يلغي الدليل الذي شوهد بحزم في الإنجيل بالنسبة لعقيدة الثالوث الأقدس. فعند معمودية يسوع يتحدث الآب، وإبنه المحبوب يُعمّد، والروح القدس يحل عليه. وفي نهاية رسالة كورنثوس الثانية يقول بولس "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ". وهناك العديد من المواضع حيث يُذكر فيها الثالوث الأقدس".

"وبذا فان الإختلافات، التي يتحدثون عنها، تعتبر أقل من أن تكون جوهرية؟".

"نعم، نعم، هذا صحيح، والعلماء يعملون بعناية شديدة لمحاولة تبديدها بالرجوع إلى المعنى الأصلي. فأهم هذه التغييرات لا تُسقط أي عقيدة من عقائد الكنيسة. وأي نسخة جيدة للكتاب المقدس بها مذكرات في الحاشية لتنبيه القارئ إلى القراءات المختلفة لأي

نتيجة. ولكن مرة أخرى، هذه الحالات نادرة".

وهي نادرة لدرجة أن العلماء نورمان جسلر، ووليم نكس يستنتجان، "إن العهد الجديد، قد ظل موجوداً في مخطوطات أكثر من أي كتاب من العصور القديمة، وليس هذا فقط بل أنه ظل باقياً وسليماً في صورة أكثر نقاء من أي كتاب آخر عظيم، وفي صورة نقية بدرجة ٥, ٩٩٪ "(٦)

ومع ذلك، فحتى لو كان صحيحاً أن نقل العهد الجديد عبر التاريخ لم يسبق له مثيل في أي كتاب آخر في موثوقيته، فكيف نعرف أن ما لدينا هو الصورة الكاملة؟

وماذا عن الإدعاءات أن مجالس الكنيسة قد ألغت وأبادت وثائق أخرى شرعية، لأن صورة يسوع بها لم تعجبها؟ كيف نعرف أن الـ ٢٧ سفراً التي هي أسفار العهد الجديد تمثل لنا أفضل والأكثر معلومات يعتمد عليها؟ ولماذا تحتوي أناجيلنا على أناجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، ولكن هناك عدّة أناجيل أخرى قديمة وكثيرة إنجيل فيلبس، وإنجيل المصريين، وإنجيل الحق، وإنجيل ميلاد مريم، لماذا استبعدت هذه الأناجيل؟

لقد حان الوقت أن نرجع إلى مسألة "قانونية" أي القانون الكنسي، وهي اصطلاح مأخوذ من كلمة يونانية معناها "القاعدة" أو "المبدأ" أو "المعيار"، وهو الذي يصف الكُتب التي أصبحت مقبولة رسمياً في الكنيسة ومتضمنة في العهد الجديد(٧). ويعتبر متزجير مرجعاً أساسياً في هذا المجال.

"درجة عالية من الإجماع"

فسألته: "كيف قرر قادة الكنيسة الأوائل، أي الكتب تعتبر موثوق بها، وأخرى تُنبذ؟ ما المعايير التي استخدموها ليقرروا أي الوثائق سيتضمنها العهد الجديد؟

فقال "بصفة أساسية، كان لدى الكنيسة الأولى ثلاثة معايير:

"أولاً، يجب أن يكون لدى الكتب سلطة رسولية، بمعنى أن

يكون قد كتبها إما الرسل أنفسهم، أو من كانوا شهود عيان لما كتبوا عنه، أو من قبل أتباع الرسل. لذا ففي حالة مرقس ولوقا، مع أنهما لم يكونا من بين التلاميذ الإثنى عشر، فبحسب التقليد أن مرقس كان مساعداً لبطرس، وكان لوقا مرافقاً لبولس.

"ثانياً، كان هناك معيار الإلتزام الذي دُعي قانون الإيمان. بمعنى هل كانت الوثيقة مطابقةً للمعتقدات المسيحية الأساسية التي تعترف بها الكنيسة كمعيارية؟

وثالثا: كان هناك معيار قبول الوثيقة، وهل استخدمتها الكنيسة بشكل مستمر وعام.

فسألته "هل طبّقوا تلك المعايير فقط وتركوا الأجزاء التافهة تسقط وتتلاشى حيثما كانت؟".

فأجاب: "حسناً، لن يكون من الدقة القول بأن هذه المعايير طُبّقت ببساطة بأسلوب ميكانيكي، لقد كانت هناك آراء مختلفة جداً حول أي من المعايير يجب أن تعطى أهمية أكبر".

"لكن من الجدير بالملاحظة أنه مع أن حواشي المعيار ظلت غير مقررة لفترة، إلا أنه كانت هناك درجة عالية من الإجماع فيما يتعلق بالجزء الأعظم من العهد الجديد خلال القرنين الأولين. وكان هذا صحيحاً بين الكنائس المختلفة والمتناثرة في أماكن كثيرة على نطاق واسع".

فقلت له: "إذن، فإن الأربعة أناجيل التي عندنا في العهد الجديد اليوم قيست بهذه المعايير، بينما الأناجيل الأخرى لم تطبق عليها هذه المعايير؟".

فقال لي: "نعم لقد كانت، لو جاز لي أن أعبر عنها بهذه الطريقة، إنها كانت مسألة "البقاء للأصلح" وعند الحديث عن قانونية الأسفار، إعتاد آرثر داربي نوك أن يقول لطلابه في هارفارد "إن الطرق الأكثر إستخداماً للسفر في أوربا هي أحسن الطرق؛ ولهذا السبب تستخدم للسفر بكثرة" وهذا تشبيه جيد. فالمُفسّر البريطاني وليم باركلي قالها بهذه الطريقة: "إن الحقيقة المجرّدة لقول أن

اسفار العهد الجديد أصبحت قانونية لأن أحداً لم يستطع أن يمنع ذلك".

"يمكننا أن نثق أنه لا توجد أي كتب قديمة أخرى يمكن مقارنتها بالعهد الجديد من ناحية الأهمية التاريخية أو العقيدة المسيحية. وعندما يدرس أحد التاريخ القديم لقانونية الأسفار، فسيخرج مقتنعاً بأن العهد الجديد يحتوي على أفضل المصادر لتاريخ حياة يسوع. وأولئك الذين أدركوا حدود القانون لديهم وجهة نظر واضحة ومتوازنة عن إنجيل المسيح".

"فقط اقرأ هذه الوثائق الأخرى بنفسك. فلقد كتبت في وقت متأخر عن الأناجيل الأربعة، في القرن الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، وحتى السادس، بعد يسوع بفترة طويلة، وتعتبر عامية وتافهة جداً. وتحمل أسماء مثل: إنجيل بطرس، وإنجيل مريم، إلا أنها غير ذات علاقة بمؤلفيها الحقيقيين. ومن ناحية أخرى، فالأربع أناجيل في العهد الجديد قد حازت القبول بسهولة وبإجماع ملحوظ لكونها موثوق بها في القصة التي أخبروا".

ومع ذلك عرفت بأن بعض العلماء التحرريين، وبشكل خاص أعضاء حلقة يسوع الدراسية المنتشرة بشكل جيد، يعتقدون بأن إنجيل توما يجب أن يُرفع إلى منزلة رفيعة مساوية للأناجيل الأربعة التقليدية. فهل يقع هذا الإنجيل الغامض ضحية للحروب السياسية داخل الكنيسة، وفي النهاية يُستثنى بسبب تعاليمه الغير مقبولة شعبياً؟ فقررت بأنني من الأفضل أن أتقصّي مع متزجير حول هذه النقطة.

كلمات يسوع "السرية"

فسألته: "دكتور ميزجير، إنجيل توما، الذي كان بين وثائق نجع حمادي التي وجدت في مصر سنة ١٩٤٥، يدعى بأنها تحتوي على "الكلمات السرية التي قالها يسوع وهو حي وكتبها يهوذا ديديموس يهوذا توما. لماذا استبعدتها الكنيسة؟".

وإذ كان متزجير له معرفة تامة بالكتاب، فقال: "إنجيل توما

ظهر إلى النور في نسخة باللغة القبطية في القرن الخامس الميلادي، وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية. وهو يحتوي على ١١٤ مثلاً منسوبة إلى يسوع ولكن لا يشتمل على أي قصة لما عمله يسوع، ويبدو أنه قد كتب في سوريا باللغة اليونانية سنة ١٤٠م. وفي بعض الحالات أظن أن هذا الإنجيل يذكر بطريقة صحيحة ما قاله يسوع مع تعديلات طفيفة".

كان هذا تصريح مثير بالتأكيد، فقلت له: "من فضلك توسع في الشرح"

"علي سبيل المثال، في إنجيل توما يقول يسوع "مدينة مبنية على تل عالي لا يمكن أن تُخفى". فهنا أضيفت الصفة "عالي" ولكن باقي العبارة تقرأ كما ذكرت في إنجيل متى. أو يقول يسوع "إعطوا لقيصر الأشياء التي لقيصر، وإعطوا لله الأشياء التي لله، وأعطوني الأشياء التي لي" في هذه الحالة أضيفت العبارة الأخيرة.

"ومع ذلك، في إنجيل توما هناك بعض الأشياء المخالفة كلياً للأناجيل القانونية. فيقول يسوع "شقوا الخشب؛ سأكون هناك. ارفعوا حجراً، ستجدوني هناك" تلك هي عقيدة وحدة الوجود، الفكرة بأن يسوع متحد بمادة هذا العالم- وذلك على نقيض أي شيء في الأناجيل القانونية.

"يختتم إنجيل توما بقول ملاحظة: "دعوا مريم تبتعد عنا، لأن النساء لسن مستحقات الحياة". ويحكي عن يسوع أنه قال "أنظروا، سأقودها لكي أحولها إلى ذكر، لكي تصبح هي أيضاً روحاً حية، تشبهكم أيها الذكور. لأن كل إمرأة تصبح رجلاً ستدخل ملكوت السموات".

إرتفعت حواجب متزجير بحدّة كأنه مندهش لما قاله تواً. ثم قال مؤكداً "هذا ليس بيسوع الذي نعرفه من الأناجيل القانونية الأربعة!".

فسألته: "ماذا عن التهمة بأن توما استبعد عمداً بواسطة مجالس الكنيسة بناء على نوع من المؤامرة لاسكاته؟".

فأجاب متزجير قائلاً: "هذا كلام غير دقيق من الناحية التاريخية، إذ أن المجامع والمجالس الكنسية عقدت في القرن الخامس وما بعده وكانت تُصدّق على ما سبق وقبله المسيحيون كبيرهم وصغيرهم على حد سواء. وليس من الحق أن نقول أن إنجيل توما قد استبعد بأمر من مجلس؛ فالطريقة الصحيحة للتعبير عن ذلك أن نقول إن إنجيل توما استبعد نفسه! إذ إنه لم يتوافق مع الشهادات الأخرى عن يسوع التي قبلها المسيحيون الأوائل واعتبروها جديرة بالثقة".

فسألته: "لذلك أنت تختلف مع أي شخص يحاول رفع إنجيل توما إلى نفس تلك المنزلة التي للأناجيل الأربعة؟".

فأجاب: "نعم، أختلف كثيراً جداً. وأعتقد أن الكنيسة الأولى قد مارست فعل متعقّلٍ بنبذه. ويبدو لي أننا باهتماننا به الآن نكون قد قبلنا شيئاً أقل صحةً من الأناجيل الأخرى. والآن لا تفهمني بشكل خاطئ. فأنا أعتقد بأن إنجيل توما وثيقة مثيرة، لكنه ممتزج بمذهب وحدة الوجود وبيانات معادية للإيمان بالمساواة بين الجنسين وهو ما يستحق بالتأكيد أن نقدم القدم اليسرى لشراكته، إذاً ما كنت تعرف ما أعني.

"يجب أن تفهم بأن القانون الكنسي لم يكن نتيجة سلسلة من المجادلات المتعلقة بسياسات الكنيسة. فالقانون الكنسي هو بالأحرى الإفتراق الذي حدث بسبب البصيرة الحدسية للمؤمنين المسيحيين. فقد استطاعوا أن يسمعوا صوت الراعي الصالح في إنجيل يوحنا؛ ويمكنهم أن يسمعوه بالكاد بطريقة مكتومة ومشوهة في إنجيل توما، مختلطاً بأشياء أخرى كثيرة.

عندما صدر القرار بالقانون الكنسي، فإنه صدّق فقط على الإحساس العام الذي سبق أن قررته الكنيسة. فعليك أن تدرك أن القانون الكنسي هو عبارة عن قائمة بالكتب الرسمية الموثوق بها أكثر من كونه قائمة رسمية بالكتب. فهذه الوثائق لم تستمد سلطتها من أنها قد اختيرت؛ فكل منها له سلطة رسمية قبل تجميعها مع بعضها. فالكنيسة الأولى إستمعت فقط وأحست بأنها جديرة

بالثقة.

"فالآن، لو قال شخص بأن القانون الكنسي ظهر فقط بعدما أصدرت مجالس ومجامع الكنيسة هذه البيانات، فإن ذلك سيكون كالقول، "هيا لنأت بالعديد من أكاديميات موسيقية لتصدر تصريحاً بأن موسيقى باخ وبيتهوفن رائعة". سأقول "شكراً لكم على لاشئ! فقد عرفنا ذلك قبل تصريحكم. ونحن نعرفها بسبب الحساسية التي لدينا لما هو موسيقى جيدة وما هو غير ذلك. وهو نفس الشيء مع القانون الكنسي".

رغم ذلك، فقد أشرت بأن بعض أسفار العهد الجديد، خاصة يعقوب، والعبرانيين، والرؤيا، قبلت ببطئ أكثر في القانون الكنسي من الأسفار الأخرى. فسألته: "من ثمَّ، هل يجب أن نشك فيها لهذا السبب؟".

فأجاب: "في رأيي، أن هذا يرينا إلى أي حد كانت الكنيسة الأولى حذرة. فلم يكونوا متسرعين بإدخال كل وثيقة تصادف أن بها أي شئ عن يسوع. وهذا يرينا التروي والتأمل والتحليل الدقيق.

"بالطبع، حتى يومنا هذا هناك من الكنيسة السورية ترفض قبول سفر الرؤيا ومع ذلك فالناس الذين ينتمون إلى هذه الكنيسة مسيحيين مؤمنين. ومن وجهة نظري، إنني أقبل سفر الرؤيا كجزء رائع من الكتاب المقدس".

ثم هز رأسه قائلاً: "أظن أنهم يفقرون أنفسهم بعدم قبوله".

العهد الجديد "اللا نظير له"

لقد كان متزجير مقنع. فلم تبق عندي أي شكوك تتعلّق بسواء نص العهد الجديد إن كان قد حفظ بشكل موثوق حتى وصل إلينا عبر القرون. أحد أسلاف متزجير البارزين في معهد برينستون اللاهوتي، بنيامين وارفيلد، الحائز على أربعة دكتوراه وقام بتدريس علم اللاهوت النظامي حتى وفاته سنة ١٩٢١، عبّر عن

فكرة العهد الجديد الذي لا نظير له بقوله:

> لو قارنا الحالة الحالية لنص العهد الجديد بتلك التي لأي كتب قديمة أخرى، فلابد أن... نعلن بأنه صحيح بشكل رائع. فالعناية التي نُسخ بها العهد الجديد كانت عناية فائقة، والتي بلا شك ناتجة عن الوقار الحقيقي لكلماته المقدسة ... فالعهد الجديد لا نظير له بين الكتب القديمة في نقاوة نصوصه كما نقلت فعلاً وظلت مستخدمة(٨).

من ناحية الوثائق التي قُبلت في العهد الجديد، فعلى العموم لم يكن هناك أي خلاف جدي حول الطبيعة الموثوقة لعشرون من السبع وعشرون سفراً للعهد الجديد من متى إلى فليمون بالإضافة إلى رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى. وهذا طبعاً يشمل الأناجيل الأربعة التي تمثل سير حياة يسوع(٩). والسبعة أسفار الباقية، ولو أنها كانت موضع شك من قبل بعض قادة الكنيسة الأوائل، "تم إعتراف الكنيسة بها أخيراً بصورتها الكاملة على العموم" بحسب قول جيسلر وتكس(١٠).

أما من ناحية "الأسفار المزيفة pseudepigraphia"، وتكاثر الأناجيل، والرسائل، وأسفار الرؤى في القرون القليلة الأولى بعد يسوع، وتشمل أناجيل نيقوديموس، وبرنابا، وبارثلماوس، واندراوس، ورسالة بولس إلى اللاوديكيين، ورسالة اسطفانوس وغيرها،ـــ فكلها "خيالية وضلالية ... غير أصلية وغير ذات قيمة ككل" وفي الواقع "لا يوجد أب أرثوذكسي أو قانون كنسي أو مجلس" إعتبرها رسمية وجديرة بالقبول أو تستحق الإدراج في العهد الجديد(١١).

في الحقيقة، لقد قبلت تحدي متزجير بقراءة العديد منها بنفسي. فبمقارنتها بتلك التي نالت عناية التدقيق، والاعتدال، وشهود العيان التي نجدها في إناجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، فإن هذه الأسفار تستحق فعلاً الوصف الذي وصفها به يوسابيوس، مؤرخ الكنيسة الأول: "بأنها سخيفة كلياً، وعديمة التقوى"(١٢). فهي بعيدة جداً عن رسالة يسوع ولا تساهم بأي شئ ذو معنى في

عملية البحث والتحقيق التي أقوم بها، لكونها كُتبت في وقت متأخر في القرن الخامس، والسادس، وخصائصها غالباً أسطورية مما يؤهلها لتكون غير موثوقة من الناحية التاريخية.

وبعد أن تم إثبات هذه الحقائق، فقد حان الوقت لتحقيقي بالتقدم إلى مرحلته التالية. وقد كنت فضولياً: لمعرفة كم من الأدلة الموجودة لهذا النجار من القرن الأول الصانع المعجزات، كم من الأدلة موجودة خارج الأناجيل؟ هل المؤرخين القدماء يؤكدون أو يعارضون إدعاءات العهد الجديد عن حياته، وتعاليمه، ومعجزاته؟ لقد عرفت أن هذا يتطلب رحلة إلى أوهايو لزيارة واحد من أبرز علماء البلاد في هذا المجال.

فلما توقفنا، شكرت الدكتور متزجير لوقته وخبرته وسعة إطلاعه. ابتسم بدفء وعرض عليَّ توصيلي إلى الطابق السفلي. لم أرد أن استهلاك مزيد من وقته بعد ظهر يوم السبت، لكن فضولي لم يدعني أغادر برينستون بدون إرضاء نفسي حول مسألة واحدة باقية.

"كل عقود السنين هذه من الثقافة، والدراسة، وتأليف الكتب الدراسية، والتنقيب في التفاصيل الدقيقة لنصوص العهد الجديد—— ماذا كان تأثير كل هذا على إيمانك الشخصي؟".

فقال وقد بدا سعيداً بمناقشة هذا الموضوع "آه، لقد زاد أساس إيماني الشخصي أن أرى الحزم الذي أوصل هذه الكتب إلينا، بأعداد وفيرة من النسخ، التي بعضها تعتبر قديمة جداً، جداً".

فبدأت أقول له "وهكذا فإن العلم لم يُضعف إيمانك ...".

فهب واقفاً قبل أن أتمكن من إكمال جملتي وقال مؤكداً "بالعكس، لقد بناه. فقد كنت طول حياتي أسأل أسئلة، وقمت بالحفر والتنقيب في نصوص الإنجيل، ودرستها بدقة وعناية، والآن أعرف بثقة أن إيماني بيسوع قد وضع في المكان الصحيح".

وهنا توقف عن الكلام فيما كانت عيناه تتفحص وجهي، ثم أضاف للتأكيد "وضع جيداً في المكان الصحيح".

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. بعد أن قرأت المقابلة مع الدكتور متزجير، كيف تُقدّر موثوقية العملية التي نقل بها إلينا العهد الجديد؟ أذكر بعض الأسباب التي تجعلك تعتبر هذه العملية موثوقة أم لا؟

٢. تفحّص بدقة نسخة من العهد الجديد ثم تفحّص بعض الملاحظات التي في الهوامش والتي تتحدث عن القراءات المختلفة. هل يمكنك ذكر بعض الأمثلة التي تجد؟ وكيف يؤثر وجود هذه الملاحظات على فهمك لهذه الفقرات؟

٣. هل المقاييس التي تقرر إذا كانت أي وثيقة يجب أن يشمله العهد الجديد- أتبدو معقولة؟ لماذا ولم لا؟- هل تعتقد بوجوب إضافة معايير أخرى؟- وماهي الأضرار التي يلحقها العلماء المحدثين عند إعادة التصحيح في قرارات الكنيسة الأولى المتعلقة بما إذا كانت الوثيقة يمكن تضمينها بالكتاب المقدس.

مزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Bruce, F. F. The Canon of Scripture. Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1988.
Geisler, Norman L., and William E. Nix. A General Introduction to the Bible. 1968; reprint, Chicago: Moody Press, 1980.
Metzger, Bruce M. The Canon of the New Testament. Oxford: Clarendon Press, 1987.
_____. The Text of the New Testament. New York: Oxford Univ. Press, 1992.
Patzia, Arthur G. The Making of the New Testament. Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1995.



الأدلة المؤيدة

هل هناك دليل موثوق به عن يسوع من خارج سيرة حياته بالأناجيل؟

إلتفت إليَّ هاري أليمان ووجه إصبعه نحوي مهدداً وقال وهو يبصق الكلمات باشمئزاز "لماذا تستمر بكتابة تلك الأشياء عني؟" ثم استدار واختفى في بئر سلم خلفي لتجنُّب المراسلين الذين كانوا يطاردونه في قاعة المحكمة.

في الحقيقة، لقد كان أمراً صعباً ان تكون مخبراً صحفياً للجرائم في شيكاغو أثناء فترة السبعينيات، دون أن تكتب عن هاري أليمان. فقد كان، في النهاية، قاتل نقابة الجريمة المحترف المثالي. وسكان شيكاغو، كانوا على نحو منحرف، يحبون القراءة عن الغوغاء.

وقد اراد المدّعون وضع أليمان في السجن عن إحدى جرائم القتل العمد التي يشكون أنه إرتكبها نيابة عن رؤساء نقابته. وبالطبع، كانت المشكلة هي صعوبة وجود أي شخص يرغب في الشهادة ضد عضو في عصابة لها سمعة أليمان المرعبة.

إلى أن حدث تغير كبير. أحد أتباع أليمان السابقون، لويس ألميدا، والذي أُلقي القبض عليه وهو في طريقه لقتل مسؤول عمل في بنسلفانيا. فلما أدين بتهمة إحراز أسلحة وحكم عليه بالسجن

عشر سنوات، وافق ألميدا على الشهادة ضد أليمان لقتله وكيل إتحاد السائقين في شيكاغو إذا وافق المدّعين على إظهار بعض التساهل نحو ألميدا.

وهذا يعني أن ألميدا كان لديه حافز للتعاون، وهو ما يلوث مصداقيته، بلا شك، إلى حد ما. أدرك المدّعون بأنهم يحتاجون لتعزيز شهادته لضمان الإدانه، لذا بدأوا البحث عن شخص يؤيد رواية ألميدا.

يُرّف قاموس وبستر الكلمة "يؤيد/ يعزز" على هذا النحو: "أن يجعل الموضوع مؤكدا؛ يؤكّد: أيَّد روايتي عن حادث"[1] دعم الدليل الإثباتي بشهادة أخرى؛ يدعم أو يؤكد العناصر الأساسية لرواية شاهد عيان. ومن الممكن أن تكون سجلاً عاماً، أو صورة، أو شهادة إضافية من شخص ثاني أو ثالث. وتستطيع أن تؤكد صحة كامل شهادة شخص، أو مجرد الأجزاء الرئيسية منها.

في الواقع، إن الدليل الإثباتي يعمل كأسلاك التدعيم التي تحفظ الهوائي الشاهق الإرتفاع ليبقى مستقيماً وثابتاً. وكلما زادت الأدلة المؤيدة كلما أصبحت القضية أقوى وأضمن.

ولكن أين يجد المدّعون تعزيز لرواية ألميدا؟ لقد أتى من مصدر مفاجئ: من مواطن هادئ ملتزم بالقانون يدعى بوبي لوي، فأخبر المحققين أنه كان قد أخذ كلبه ليتمشى عندما رأى أليمان يقتل وكيل الإتحاد. وبالرغم من سُمعة أليمان السيئة والمرعبة جداً، وافق لوي على تأييد قصة ألميدا بأن يشهد ضد عضو العصابة الإجرامية.

قوة التأييد والتعزيز

في محاكمة أليمان، أذهل لوي وألميدا المحلفين برواياتهم. فرواية ألميدا بأنه يقود سيارة مندفعة إنسجمت مع وصف لوي الواضح لرؤيته أليمان يقتل ضحيته فوق رصيف مشاة عمومي، في مساء يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٧٢.

إعتقد المدّعون بأنهم قد نسجوا قضية مُحكمة ضد القاتل المحترف المخيف، إلا أنهم رغم ذلك قد أحسّوا طول المحاكمة بشئ ما ناقص. وقد ظهرت شكوكهم أولاً عندما قرر أليمان إعتراضه على محاكمته بواسطة محلفين مفضلاً أن تُسمع قضيته بواسطة قاضي بدلاً من ذلك.

وفي نهاية المحاكمة تحققت أسوأ شكوك المدّعين: فبالرغم من الشهادة الدامغة من قبل لوي وألميدا، إلا أن القاضي أنهى القضية معلناً براءة أليمان والسماح بإطلاق سراحه.

فما الذي حدث؟ تذكّر، بأن هذا قد حدث في مقاطعة كوك، بولاية إلينويز، حيث يكمن الفساد في أغلب الأحيان. فبعد سنوات إتضح أن القاضي قد أعطيّ خلسة عشرة آلاف دولار مُقابل الحكم بالبراءة. وعندما اكتشف أمر الرشوة مُخبر مكتب التحقيقات الفيدرالي، إنتحر القاضي المتقاعد آنذاك وأعاد المدّعين تهمة القتل ثانية ضد أليمان.

وعندما عقدت المحاكمة الثانية، تغيّر القانون وهو ما مكّن المدعون بالمطالبة بهيئة محلفين لسماع القضية، وهذا ما تمّ. وأخيراً، وبعد خمسة وعشرون سنة على جريمة القتل، أدين أليمان وحُكِمَ عليه بالسجن من مائة إلى ثلاثمائة سنة[٢].

وبالرغم من التأخير، فإن قصة أليمان تُرينا كيف يمكن أن تكون أهمية الأدلة المؤيدة. ونفس هذا الوضع صحيح في التعامل مع القضايا التاريخية. وقد سبق وسمعنا من خلال شهادة دكتور كريج بلومبيرج، أنه يوجد في الأناجيل أدلة شهود عيان ممتازة عن حياة، وتعاليم، وموت، وقيامة يسوع. ولكن هناك أي أدلة أخرى لتأييد ذلك؟ وهل هناك كتابات من خارج الأناجيل تؤكد أو تدعم أي من الأساسيات عن يسوع أو المسيحية المُبكرة؟

وبعبارة أخرى، هل توجد أي وثائق إضافية تستطيع المساعدة على ختم قضية المسيح، كما ختمت شهادة بوبي لوي القضية ضد هاري ألمان؟ إن الجواب، طبقاً لشاهدنا التالي، نعم، وكمية ونوعية هذه الأدلة قد تدهشك كثيراً جداً.

المقابلة الثالثة: إدوين إم. ياموكهي، دكتوراه فلسفة

عندما دخلت البناية التي من الطابوق البارز الكائن بها مكتب إدوين ياموكهي في جامعة ميامي في إكسفورد الرائعة، بولاية أوهايو، مشيت تحت قوس حجري يحمل هذا النقش: "سوف تعرف الحقيقة، والحقيقة ستجعلك تُحرُّرً". ولكونه من كبار خبراء البلاد البارزِين في التاريخ القديم، فإن ياموكهي قد صرف معظم حياته ساعياً وراء الحقيقة التاريخية.

ولد في هاواي سنة ١٩٣٧، إبن لأحد المهاجرين من أوكيناوا، بدأ موتشي حياته بداية متواضعة. وقد مات ابوه قبل الهجوم الياباني على بيرل هاربر مباشرة، تاركاً أمه لتتكسّب قوتها الضئيل بالعمل كخادمة للعوائل الثرية. وبينما كانت لم تتعلم تعليماً رسمياً، إلا أنها شجعت إبنها على القرأة والدرس، بأعطائه كتباً بها صور جميلة لتغرس فيه محبة دائمة للتعلّم.

إن إنجازاته الأكاديمية، بالتأكيد، كانت رائعة. فبعد حصوله على البكالوريوس في اللغة العبرية والتاريخ اليوناني القديم، حاز ياماوكهي على درجات الماجستير والدكتوراه في دراسات حوض البحر الأبيض من جامعة برانديز.

مُنَحَ ثمان درجات زمالة، من مجلس أبحاث روتجيرز، والمنحة القومية في العلوم الإنسانية، والجمعية الفلسفية الأمريكية، وغيرها. ولقد درس ٢٢ لغة، من بينها اللغة العربية، والصينية، والمصرية، والروسية، والسيريانية، واليوجارتية، وحتى الكومانشية.

قدّم ٧١ ورقة أمام الجمعيات الثقافية؛ حوضرت في أكثر من مائة من المعاهد، والجامعات، والكليات، بما فيها جامعات يايل، وبرينستون، وكورنيل. وعمل كرئيس ثم مدير لمعهد أبحاث الكتاب المقدس ومديراً لمؤتمر عن الإيمان والتاريخ، كما نشر ٨٠ مقالة في ٣٧ مجلة علمية.

وفي سنة ١٩٦٨ شارك في التنقيب الأولى للكشف عن هيكل هيرودس في أورشليم (القدس)، وكشف عن أدلة دمار الهيكل سنة ٧٠م. كان علم الآثار موضوعاً للعديد من كتبه بما فيها "الأحجار والكتاب المقدس"؛ "الكتاب المقدس وعلم الآثار"؛ و"عالم المسيحيين الأوائل".

ومع أنه ولد في خلفية بوذية، إلا أن ياموكهي يتبع يسوع منذ ١٩٥٢، وهي السنة التي ولدت أنا فيها. وقد كنت تواقاً ومشتاقاً بنوع خاص لأن أعرف إذا كان إلتزامه الطويل الأمد بالمسيح يلوّن تقييمه للأدلة التاريخية. وبعبارة أخرى، هل سيتمسك بالحقائق بدقة المتشكك أم سيُغري بالاستنتاجات التي تتجاوز الحدود التي تبررها الأدلة؟

وجدت لدى ياموكهي سلوك لطيف ومتواضع. ومع أن حديثه رقيق وناعم، إلا أنه شديد التركيز. فهو يعطيك إجابات كاملة وبالتفصيل لأسئلتك، ويتوقف في أغلب الأحيانً ليستكمل إجابته الشفوية بعرض نُسخ لمقالات علمية كُتبت عن الموضوع. وهو عالم جيد يعرف بأنه لا يمكنك أبداً إمتلاك البيانات الأكثر من اللازم.

وفي مكتبه المملوء بالكتب المتناثرة، في قلب حرم جامعي كثيف الأشجار والمتوهج بالألوان الخريفية، جلسنا للتحدث عن الموضوع الذي ما زال يجلب لمعان لعينيه، حتى بعد هذه السنين الطويلة من الأبحاث والتعليم.

تأكيد الإنجيل

بسبب مقابلتي مع بلومبيرج، لم أُرد أقترح أننا كنا محتاجين لتجاوز الأناجيل لكي نجد أدلة موثوقة فيما يتعلّق بيسوع. لذا بدأت بسؤال ياموكهي هذا السؤال "بوصفك مؤرخ، هل يمكنك أن تعطيني تقييمك إمكان الوثوق بالأناجيل نفسها من الناحية التاريخية؟".

فأجاب قائلاً: "إجمالاً، تعتبر الأناجيل مصادر ممتازة. وفي

الحقيقة، أنها تامّة وجديرة بأكبر ثقة، ومصادر يمكن الإعتماد عليها عن يسوع. أما المصادر الثانوية فهي لا تضيف معلومات مُفصّلة كثيرة؛ ومع ذلك، فهي ذات قيمة كأدلة مؤيدة ومعززة".

فقلت: "حسناً، هذا فما أريد مُناقشته ــــ الدليل الإثباتي.

"النكن أمناء: بعض الناس يسخروا من كمية هذه الأدلة. فمثلاً في سنة ١٩٧٩ كتب تشارلس تيمبلتون رواية بعنوان "أعمال الله" وفيها نجد عالم آثار خيالي ذكر مقولة تعكس معتقدات الكثير من الناس".

سحبت الكتاب وقرأت الفقرة المتعلقة بهذه النقطة:

> إن الكنيسة [المسيحية] تبني معظم إدعاءاتها على تعاليم شاب يهودي مغرور تظاهر بأنه المسيح الذي لم يحدث تأثيراً كبيرا في حياته. ولا توجد كلمة واحدة عنه في التاريخ العلماني: ولا كلمة. ولم يذكره الرومان ولم يذكر أو يشير إليه يوسيفوس"[٣].

فقلت له بحدة: "الآن، من هذا يبدو بأنه ليس هناك أدلة مؤيدة لحياة يسوع من خارج الأناجيل".

فابتسم ياموكهي وهز رأسه "إن عالم الآثار في رواية تيمبلتون يُخطئ ببساطة، وأضاف بنغمة رافضة "لأننا فعلاً نملك إشارات مهمة جداً ليسوع في أعمال يوسيفوس وتاسيتوس.

"والأناجيل نفسها تقول أن الكثيرين الذين سمعوه- حتى أفراد أسرته الذين لم يؤمنوا بيسوع أثناء فترة حياته- وبرغم ذلك، فقد كان له تأثير قوي لدرجة أن الناس وحتى يومنا هذا يتذكرونه في كل مكان، بينما هيرودس الكبير، وبيلاطس البنطي، وحكام قدماء آخرون ليسوا معروفين بنفس الدرجة وعلى نفس النطاق الواسع. لذلك فإنه بالتأكيد أثر تأثيراً قوياً على الذين آمنوا به".

ثم سكت قليلاً ثم أضاف قائلاً: "بالطبع، لم يؤثر على أولئك الذين لم يؤمنوا به".

الشهادة من قبل خائن

ذكر كلٌ من تيمبلتون وياموكهي يوسيفوس، مؤرخ القرن الأول المشهور بين العلماء إلا أن إسمه غير مألوف لدى معظم الناس اليوم، فقلت ليوموكهي "زودني ببعض المعلومات كخلفية عنه، وقل لي كيف أن شهادته تعطي تعزيزاً فيما يتعلق بيسوع".

فأجاب ياموكهي بعد أن وضع ساقاً على ساق وجلس مستريحاً علي كرسيه. "نعم، بالطبع، كان يوسيفوس مؤرخ يهودي مهم جداً من القرن الأول. ولد سنة ٣٧م. وكتب أغلب أعماله الأربعة نحو نهاية القرن الأول.

"في سيرته الذاتية دافع عن تصرفاته في الحرب اليهودية الرومانية، التي نشبت من سنة ٦٦- ٧٤م. فكما تري أنه استسلم للقائد الروماني فيسباسيان أثناء حصار جوتاباتا، بالرغم من أن العديد من زملائه إنتحروا مفضلينه على الإستسلام".

ضحك البروفيسور ضحكة مكتومة ثم قال "قرر يوسيفوس بأن إرادة الله له ألا ينتحر. ثم أصبح فيما بعد ذلك مُدافعاً عن الرومان".

وهذا ما يجعل صورة يوسيفوس كشخصيته متلونة؛ أردت تفاصيل أكثر عنه حتى يزداد فهمي عن دوافعه وتحيزاته فقلت له: "إرسم لي صورة عنه".

فقال لي "كان كاهناً، فريسياً، وكان مغروراً جداً. وأكثر أعماله طموحاً كتاب يدعى "العصور القديمة"، وهو عبارة عن تاريخ الشعب اليهودي منذ الخليقة وحتى عصره. ومن المحتمل أنه قد أكمله حوالي سنة ٩٣م.

"وكما يمكنك أن تتخيل من تعاونه مع الرومان المكروهين، جعله هذا مكروهاً من زملائه اليهود. إلا أن لديه شعبية كبيرة بين المسيحيين، لأنه في كتاباته أشار إلى يعقوب، أخو يسوع، وإلى يسوع نفسه"

هنا يكمن مثالنا الأول من الأدلة المؤيدة ليسوع من خارج الأناجيل فقلت له "أخبرني عن هذه الإشارات".

فأجاب ياموكهي "في كتاب "العصور القديمة" يصف كيف أن رئيس كهنة يدعى حنانيا إنتهز فرصة موت الحاكم الروماني فيستوس- الذي ذكر أيضاً في العهد الجديد- لكي يقتل يعقوب".

ثم إتكأ على رف كتبه، وسحب مجلداً سميكاً، وقلَّب صفحاته حتى وصل إلى صفحة يبدو أنه يعرف مكانها عن ظهر قلب "آه، ها هي الفقرة"

> دعا لعقد اجتماع السنهدرين وأحضر أمامهم رجلاً يدعى يعقوب، أخو يسوع، الذي يدعى المسيح، ومعه آخرون. واتهمهم بأنهم إنتهكوا القانون وسلمهم لكي يرجموهم"[٤].

ثم أكد ياموكهي بثقة قائلاً: "لاأعرف أيٍ عالم، إنتقد هذه الفقرة بنجاح. ولقد علق إل. إتش. فيلدمان قائلاً: لو كانت هذه الفقرة كانت إضافة مسيحية فيما بعد للنص، لكان من المحتمل أن تكون مدحاً وتمجيداً ليعقوب.

"فأنت هنا تجد إشارة إلى أخو يسوع- الذي يبدو أنه قد تحول إلى الإيمان بظهور المسيح بعد قيامته. فلو قارنت إنجيل يوحنا ٧: ٥ و ١كورنثوس ١٥: ٧، والأدلة المؤيدة لحقيقة أن بعض الناس كانوا يعتبرون يسوع هو المسيح، التي معناها: "الممسوح بالزيت" أو "المكرس" أو "المسيا".

"هناك عاش يسوع ..."

عرفت بأن يوسيفوس قد كتب فقرة أطول عن يسوع وهذه الفقرة تسمى "الشهادة الفلافيانيونية *Testimonium Flavianum*". وعرفت أيضاً أن هذه الفقرة كانت من أكثر الكتابات القديمة التي عُورضت بحرارة لأنه بظهورها إلى السطح تزودنا بدليل مؤيد ومعززاً كاسحاً لحياة يسوع، ومعجزاته، وموته، وقيامته. لكن هل هذه الشهادة أصيلة وموثوق بها؟ أم أنه تلاعب بها من قبل الناس

المحبين ليسوع.

فسألت ياموكهي عن رأيه، وكان من الواضح بأنني قد دخلت تواً منطقة ذات أهمية كبرى لديه. فانتصب معتدلاً على الكرسي ثم قال بحماس منحنياً للأمام والكتاب في يده "هذه فقرة ساحرة لكن نعم، إنها مثيرة للجدل" ثم قرأها لي:

في ذلك الزمان عاش يسوع، إنسان حكيم، لو كنا فعلاً ينبغي أن نسميه إنسان. لأنه كان الشخص الذي صنع أعمالاً فذة مدهشة وكان معلماً للناس الذين يقبلون الحق بسرور. وقد كسب أتباعاً عديدين من اليهود ومن اليونانيين. لقد كان هو المسيح. وعندما سمع بيلاطس أن رجالاً من أعلى المراكز بيننا يتهمونه حكم عليه بأن يصلب، فأولئك الذين كانوا يحبونه في المقام الأول لم يتخلوا عن محبتهم له، وفي اليوم الثالث ظهر لهم وقد عاد إلى الحياة لأن أنبياء الله كانوا قد تنبأو بهذه الأمور وبأشياء أخرى عجيبة وعديدة عن يسوع وجماعة المسيحيين الذين دُعيوا باسمه ما زالوا موجودين حتى يومنا هذا ولم يختفوا[٥].

إن كثرة الأدلة المؤيدة ليسوع كانت واضحة بسهولة.

فسألته: "هل توافق أن هذه الفقرة كانت مثيرة للجدل، وما الذي استنتجه العلماء من هذه الفقرة؟".

فقال: "إن العلماء إتجهوا إلى ثلاث إتجاهات عن هذه الفقرة. فقد ظن المسيحيون الأول- لأسباب واضحة- أنها تعتبر دليل رائع وصادق جداً ودقيق عن يسوع وقيامته. لذلك أحبوا هذه الفقرة- لكن القطعة كلها تعرضت للأسئلة من بعض العلماء على الأقل أثناء حركة التنوير الفلسفية (في القرن ١٨)".

"لكن اليوم هناك إجماع رائع بين كلّ من العلماء اليهود والمسيحيين بأن الفقرة ككل أصيلة، ولو أنه لربما قد يكون بها بعض الزيادات".

فرفعت حاجبي دهشةً وسألته: "زيادات، هل يمكنك أن تُعرّف

ماذا تقصد بهذه الكلمة؟".

فقال ياموكهي: "هذا معناه أن بعض النُسّاخ المسيحيين قد أدخلوا بعض العبارات التي لم يكن قد كتبها كاتب يهودي مثل يوسيفوس".

ثم أشار إلى جملة في الكتاب "فمثلاً يقول السطر الأول "في ذلك الزمان عاش يسوع، إنسان حكيم". هذه العبارة لم يستخدمها المسيحيين عادة عن يسوع، لذلك تبدو أصيلة وتُنسب ليوسفوس. لكن العبارة التالية تقول "لو كان فعلاً ينبغي أن يسمى رجلاً" فهذا يدل على أن يسوع كان أكثر من إنسان، لذا تبدو هذه العبارة زيادة".

فأومأت برأسي لأعرفه أنني قد تتبعته حتى الآن.

ثم إستمر بالقول "لأنه كان واحداً صنع أعمالاً فذة مدهشة وكان معلماً لأناس يتقبلون الحق بسرور. وقد كسب أتباعاً عديدين من اليهود ومن اليونانيين" ويبدو أن هذا متفقاً مع مفردات يوسيفوس الأسلوبية والتي استخدمها في أماكن أخرى، ويعتبر على العموم أصيل وموثوق به.

"ولكن هناك بعد ذلك العبارة الواضحة والخالية من الغموض: "إنه كان المسيح" فتلك تبدو زيادة ...".

فقاطعته قائلاً: "لأن يوسيفوس يقول في إشارته إلى يعقوب أنه كان "يدعى المسيح".

فقال ياموكهي: "هذا صحيح، إذ أنه من غير المحتمل أن يقول يوسيفوس هنا وبشكل قاطع أن يسوع هو "المسيا المنتظر"، في حين أنه في مكان آخر يقول فقط أنه كان "يُعلَم بأنه المسيا المنتظر من قبل أتباعه".

"والجزء التالي من القطعة- التي تتحدث عن محاكمة يسوع وصلبه وحقيقة أن أتباعه ما زالوا يحبونه- ليست بإستثنائية وتعتبر أصيلة. ثم هناك العبارة: " وفي اليوم الثالث ظهر لهم وقد عاد إلى الحياة" أيضاً، تعتبر إعلان واضح عن الإيمان بالقيامة، ولذلك

فمن غير المحتمل أن يوسيفوس هو كاتبها. وبذا فهذه العناصر الثلاثة تبدو أنها زيادات".

فسألته: ما هو الاستنتاج النهائي؟".

فأجاب قائلاً: "أن هذه الفقرة عند يوسيفوس من المرجّح أنها كُتبت عن يسوع أصلاً، مع كونها بدون هذه النقاط الثلاث التي ذكرت. ومع ذلك، فإن يوسيفوس يعطينا أدلة مؤيدة بمعلومات هامة عن يسوع: أنه كان القائد الشهيد للكنيسة في أورشليم (القدس) وأنه كان معلماً حكيماً صنع له أتباعاً كثيرين ودائمين، بالرغم من حقيقة أنه صلب تحت حكم بيلاطس بتحريض من بعض زعماء اليهود".

أهمية يوسيفوس

فيما عرضت هذه الإشارات بعض التأكيد الهام والمستقل عن يسوع، إلا أني تساءلت لماذا مؤرخ مثل يوسيفوس لم يقل المزيد عن مثل هذه الشخصية الهامة في القرن الأول. وقد عرفت بأن بعض المتشككين مثل فيلسوف جامعة بوسطن مايكل مارتن، كتب هذه المقالة النقدية.

لذا سألت عن رد فعل ياموكهي تجاه هذا البيان من قبل مارتن، الذي لا يؤمن أن يسوع كان قد عاش في أي زمن: "لو كان يسوع عاش فعلاً، لكنا نتوقع أن يوسيفوس... قال المزيد عنه ... من غير المتوقع أن يكون يوسيفوس قد ذكره ... عند مروره عندما ذكر أشخاصاً آخرين ينتموا إلى المسيا ويوحنا المعمدان بتفاصيل أكثر"[٦].

بدا ردُّ ياموكهي قوياً على نحو غير معهود. "ومن وقت لآخر حاول بعض الناس إنكار وجود يسوع، إلا أن ذلك في الحقيقة قضية خاسرة". قال ذلك بنغمة غاضبة. "فهناك أدلة ساحقة بأن يسوع كان فعلاً موجوداً، وهذه المسائل الإفتراضية بلا معنى وباطلة جداً جداً".

"ولكني أجيب بالقول: إن يوسيفوس قد كان مهتماً بالأمور السياسية والكفاح ضد روما، لذا كان يوحنا المعمدان أكثر أهمية بالنسبة له لأنه كان يُشكّل تهديداً سياسياً أعظم مما كان يسوع يشكله".

فقفزت قائلاً: "توقف لحظة. أليس هناك بعض العلماء الذين صوروا يسوع كمتطرّف من طائفة الغيورين اليهودية أو على الأقل كان متعاطفاً معهم؟ وقد أشرت بهذا السؤال إلى طائفة ثورية في القرن الأول كانت تعارض روما سياسياً.

رفض ياموكهي الإعتراض بإشارة من يده وأجاب "هذا موقف لم تؤيده الأناجيل نفسها، لأنك وكما تذكر، لم يعترض يسوع على دفع الضرائب للرومان. ومن ثمّ فإن يسوع وأتباعه لم يشكلوا تهديداً سياسياً مباشراً، ومن المفهوم بالتأكيد أن يوسيفوس لم يكن أكثر إهتماماً بهذه الطائفة، مع أنه قد أدرك متأخراً لأهميتها".

"وهكذا ففي تقييمك، إلى أي مقدار أهمية هاتين الإشارتين عند يوسيفوس؟".

فأجاب ياموكهي "مهمة جداً، لأن وصفه للحرب اليهودية ثبت أنها كانت دقيقة جداً؛ فمثلاً، إنها قد تم تأييدها بأدلة من خلال حفريات أثرية في ماسادا وكذلك بواسطة مؤرخين مثل تاسيتوس. والذي يُعدُّ مؤرخ موثوق جداً، وذكره ليسوع يعتبر عظيم الأهمية".

"خرافة مؤذية جداً"

لقد ذكر ياموكهي للتو المؤرخ الروماني الأكثر أهمية في القرن الأول، وكنت أريد أن أناقشه فيما كان تاسيتوس لديه ما يقوله عن يسوع وعن المسيحية. فسألته "هل يمكنك أن تفسر لي ما الأدلة التأييدية التي قدمها؟

أومأ ياموكهي برأسه موافقاً ثم قال: "إن تاسيتوس قد سجل ما قد يعتبر المصدر الأكثر أهمية عن يسوع من خارج العهد الجديد،

في سنة ١١٥م. يذكر بوضوح أن نيرون إضطهد المسيحيين واستخدمهم كأكباش فداء ليبعد الشك عن نفسه بأنهم من أشعل النيران العظيمة التي دمرت روما سنة ٦٤م".

فوقف ياموكهي وسار نحو الرف باحثاً عن كتاب معين ثم قال: "آه نعم، ها هو" وسحب مجلداً سميكاً وتصفحه حتى وجد الفقرة المطلوبة والتي قرأها لي:

> نيرون ألصق الذنب وأنزل أشد أنواع العذاب على طائفة مكروهة لبغضهم الشديد، والذين كانوا يُدعون من قبل العامة المسيحيين. وكان المسيح، الذي إشتق إسمهم من أصل إسمه، نال عقوبة شديدة في عهد طيباريوس على يدي أحد وكلائنا، بيلاطس البنطي. وكانت خرافة مؤذية جداً، تم إيقافها مؤقتاً، ولكنها ظهرت مرة أخرى ولكن ليس فقط في اليهودية، المصدر الأول لهذا الشر، بل حتى في روما ... وتبعاً لذلك ألقي القبض أولاً على كل من إعترف بهذه التهمة. ثم، بناء على معلوماتهم، أدين عدد هائل منهم، ليس فقط لإحراقهم المدينة، بل أيضاً لكراهيتهم للبشرية"[٧].

لقد كنت مُلماً بهذه الفقرة، وتساءلت كيف سيرد ياموكهي على ملاحظة قالها عالم بارز يدعى جي. إن. دي. أندرسن "يُظن بأنه عندما يقول تاسيتوس "هذه الخرافة المؤذية والمزعجة قد أوقفت مؤقتاً، لكنها ظهرت مرة أخرى"، إنه دون أن يدري، قدم دليلاً على إيمان المسيحيين الأوائل بأن يسوع قد صُلب لكنه بعد ذلك قام وخرج من القبر. فهل توافق على كلامه؟".

ففكر ياموكهي لحظة ثم أجاب: "لقد كان هذا بالتأكيد تفسير بعض العلماء" وكان يبدو أنه يتفادي طلبي لمعرفة رأيه.

لكنه عند ذلك ذكر نقطة حاسمة فقال: "بصرف النظر عما إذا كانت الفقرة كانت تقصد هذا بالتحديد، إلا أنها تقدم لنا فعلاً حقيقة جديرة بالإنتباه، وهي أن الصلب كان أبغض مصير يمكن أن يمر به أي شخص، وأنه كانت هناك حركة مبنية على رجل مصلوب

ولابد من تفسيرها.

"كيف تفسر إنتشار ديانة مبنية على عبادة إنسان تحمل أذل طريقة موت ممكنة؟. طبعاً الإجابة المسيحية هي أنه قام من الموت. أما الآخرون فقد جاءوا بنظرية بديلة إذا أنهم لا يؤمنون بذلك. ولكن في رأيي، أن كلا من الرأيين ليسا مقنعين".

فسألته أن يصف مدى أهمية ما كتبه تاسيتوس عن يسوع.

فقال لي "هذه شهادة هامة قدمها شاهد غير متعاطف مع نجاح وانتشار المسيحية، المبنية على شخصية تاريخية، يسوع، الذي صُلب تحت ولاية بيلاطس البنطي. ومن المهم أن تاسيتوس ذكر أن "عدداً هائلاً" تمسكوا بشدة بإيمانهم لدرجة أنهم فضلوا الموت عن الإرتداد عن هذا الدين".

الترتيل "كما لو كان لإله"

عرفت الروماني الآخر، يدعى بليني الأصغر، قد أشار أيضاً إلى المسيحية في كتاباته. فسألته "أيَّد بعض الأمور المهمة، أليس كذلك؟".

فأجاب قائلاً: "نعم، وهو إبن أخ بليني الشيخ، الموسوعي المشهور والذي مات في ثورة بركان زيفوفيوس سنة ٧٩م. وقد أصبح بليني الأصغر حاكماً لبيثينيه في شمال غرب تركيا. وقد حفظت معظم مراسلاته مع صديقه، الإمبراطور تراجان، حتى وقتنا هذا".

وهنا سحب ياموكهي نسخة مصورة من صفحة تقول، "في الكتاب العاشر من هذه الرسائل يُشار إلى المسيحين بشكل خاص على أنهم الذين ألقي القبض عليهم".

> لقد سألتهم إذا كانوا مسيحيين، فإذا اعترفوا بذلك، أُكرر السؤال مرة ثانية وثالثة، مع تحذير بالعقوبة التي تنتظرهم. فلو أصروا، أمرت باقتيادهم للإعدام؛ لأنه مهما كانت طبيعة إعترافهم، فإني مقتنع أن عنادهم وإصرارهم الذي

لا يهتز يجب ألا يفلت بدون عقاب...

كما أنهم أعلنوا أن المجموع الكلي لما ارتكبوه من ذنب أو خطأ لم يتعدى أكثر من هذا: إجتماعهم بانتظام قبل الفجر في يوم محدد ليرتلوا أشعار بالتناوب فيما بينهم تكريماً للمسيح كما لو كان لإله. كما أنهم يلتزمون بقسم، ليس لأي غرض إجرامي، بل للإمتناع عن السرقة، والسلب، والزنا ...

وقد جعلني هذا أقرر بأنه أصبح من الضروري جداً أن أنتزع الحقيقة بتعذيب جاريتين كانتا، تُدعيان شمّاسات. فلم أجد شيئاً إلا نوعاً منحطاً من العبادة يمارسانه بطريقة متطرقة مبالغ فيها(٨).

فسألته: "ما أهمية هذه الإشارة؟".

فأجاب: "مهمة جداً. فمن المحتمل أنها كُتبت سنة ١١١م. تقريباً وتشهد بالانتشار السريع للمسيحية، في كل المدن والمناطق الريفية النائية، بين كل طبقات الناس، من جواري إلى المواطنين الرومان، لأنه يقول أيضاً بأنه أرسل المسيحيين من المواطنين الرومان إلى روما لمحاكمتهم.

"كما تتحدث عن عبادة يسوع كإله، وأن المسيحيين كانوا يحافظون على مستويات أخلاقية عالية، وأنهم لم يمكن أن يتخلوا عن معتقداتهم وإيمانهم بسهولة".

اليوم الذي أظلمت فيه الأرض

أحد أكثر الإشارات الصعبة التي تقابلني في العهد الجديد هي حين يدعي كُتّاب الأناجيل بأن الأرض قد أظلمت أثناء فترة من الوقت الذي كان فيه يسوع معلقاً على الصليب. ألم تكن هذه مجرد حيلة أدبية لتؤكد أهمية عملية الصلب، أليس هناك من مصدر يشير إلى حدوثه تاريخياً فعلياً؟ ومهما يكن، فلو كان الظلام قد حل على الأرض، ألم يكن هناك على الأقل أدنى إشارة لهذا الحدث

الغير عادي من خارج الأناجيل؟

ومع ذلك فالدكتور جاري هابيرماس قد كتب عن مؤرخ يدعى ثالوس الذي سنة ٥٢ م. كتب تاريخ عالم شرقي البحر الأبيض المتوسط منذ حرب طروادة. ومع أن كتاب ثالوس قد فقد، إلا أن موجود في إقتباسات لدى كل من يوليوس الأفريقي سنة ٢٢١م. تقريباً، أشار إلى الظلام الذي كُتَبَ عنه في الأناجيل(٩).

فسألته: "هل يمكن أن يكون هذا دليلاً تعزيزياً مستقلاً لهذا الإدعاء الإنجيلي؟".

وضّح ياموكهي قائلاً: "في هذه الفقرة يقول يوليوس الأفريقي "ثالوس، في الكتاب الثالث من تواريخه، يفسّر بأن هذا الإظلام ككسوف للشمس، بطريقة غير معقولة، كما تبدو لي".

"وهكذا قال ثالوس كما يبدو "نعم"، بأنه كان هناك ظلام في وقت الصلب، وخمّن بأن سببه كسوف الشمس. وبعد ذلك يجادل الأفريقي أنها لم يكن من الممكن أن يكون هناك كسوف للشمس، قد حدث وقت عملية الصلب".

فمد ياموكهي يده إلى مكتبه ليسترد قصاصة من الورق وهو يقول: "دعني أقتبس ما قاله العالم بول ميير في حاشية على هامش كتابه سنة ١٩٦٨ بعنوان "بيلاطس البنطي"، ثم قرأ هذه الكلمات:

> من الواضح أن هذه الظاهرة، كانت مرئية في روما، وأثينا، ومدن أخرى على البحر الأبيض. وطبقاً لترتوليان... إنها كانت حدثاً "كونياً" أو "عالمياً". والمؤلف اليوناني، فليجون، من كاريا كتب تقسيراً كرونولوجيا [أي ترتيب الأحداث بحسب تسلسلها الزمني] بعد سنة ١٣٧م. بقليل ذكر أنه في العام الرابع من الدورة الأولمبية الـ ٢٠٢ (أي سنة ٣٣م.) حدث "أعظم كسوف للشمس" و"أنه قد حل الليل في الساعة السادسة من النهار (أي؛ عند الظهر) حتى أن النجوم ظهرت في السماء. وحدث زلزال عظيم في بيثينيه وانقلبت أشياء كثيرة في نيقية"(١٠).

استنتج ياموكهي قائلاً: "إذن هناك، كما أوضح بول مبير، شهادة من خارج الإنجيل أن الظلام قد حدث وقت صلب يسوع. ويبدو أن بعضهم شعروا بالحاجة إلى محاولة إعطاء هذا الظلام تفسيراً من الطبيعة بقولهم أنه كان كسوف للشمس.

صورة لبيلاطس

إن ذكر ياموكهي لبيلاطس ذكرني كيف أن بعض النقّاد شككوا في دقة الأناجيل بسبب الطريقة التي صوّر بها هذا القائد الروماني. فبينما العهد الجديد يصوره بأنه متردد وراغب للخضوع لضغوط عامة اليهود بإعدام يسوع، فهناك روايات تاريخية أخرى تصوره بأنه عنيد ومُتصلّب.

فسألته: "أليس هذا يمثل تناقضاً بين الإنجيل والمؤرخين العلمانيين؟".

فقال ياموكهي: "كلا، إنها لا تمثل أي تناقض، فدراسة مبير لبيلاطس تظهر حاميه أو راعيه كان سيجانوس، وأن سيجانوس سقط عن السلطة سنة ٣١م، لأنه كان يتآمر ضد الإمبراطور".

فسألته متحيراً: "ما علاقة هذا الموضوع بأي شئ؟.

فأجاب قائلاً: "هذه الخسارة أضعفت مركز بيلاطس جداً في سنة ٣٣م، وعلى الأغلب بأنها السنة التي صلب فيها يسوع. لذا يمكننا أن نفهم لماذا كان بيلاطس غير راغب في إغضاب اليهود في ذلك الوقت فيتعرض لمتاعب أخرى مع الإمبراطور. وهذا يعني أن الوصف الإنجيلي لهذه الواقعة محتمل جداً أنه صحيح"(١١).

روايات يهودية أخرى

بعد أن تحدثنا مبدئياً عن أدلة التأييد الرومانية ليسوع، أردت أن أخرج عن الموضوع في هذه النقطة وأناقشه فيما إذا كانت هناك أي روايات يهودية أخرى بالإضافة إلى رواية يوسيفوس لتؤكد صحة أي شئ عن يسوع. فسألت ياموكهي عن أي إشارات إلى

يسوع في التلمود، وهو كتاب يهودي هام تمت كتابته سنة ٥٠٠م. والذي يجمع المشنا وهي مجموعة قوانين جمعت في التلمود سنة ٢٠٠ م.

أجاب "إن اليهود ككل، لم يذكروا تفاصيل كثيرة عن الهراطقة أي المنشقين عن العقيدة. فهناك بضعة فقرات في التلمود التي تشير إلى يسوع على أنه المسيا المزيف الذي مارس السحر والذي حكم عليه بالموت بعدل. كما يكرروا أيضاً الإشاعة بأن يسوع ولد من جندي روماني ومريم، للإيحاء بأنه كان هناك شئ غير عادي حول ولادته".

فقلت له: "وهكذا، فبهذه الإشارات اليهودية السلبية تؤيد بعض الأشياء حول يسوع".

فقال "نعم، هذ صحيح، فالبروفسور إم. ويلكوكس ذكرها بهذه الطريقة في مقال ظهر في مرجع علمي:

> مع ان الأدب اليهودي التقليدي، يذكر يسوع باختصار فقط (ويجب على أي حال أن يستخدم بحذر)، فإنه يدعم الإدعاء الإنجيلي بأنه كان يشفي المرضى ويصنع معجزات، بالرغم من أنهم ينسبون هذه الفعاليات للسحر والشعوذة. بالإضافة إلى أنها تحتفظ بذكر أنه كان معلماً، وكان له تلاميذ (خمسة منهم)، وأنه على الأقل في الفترة الرابانية الأولى لم يكن كل الحكماء قد إتخذوا قرارهم بأنه كان "هرطوقي" أو "مخادع"[١٢].

أدلة بخلاف الإنجيل

مع أننا وجدنا إشارات قليلة جداً إلى يسوع خارج الأناجيل، تساءلت لماذا لم يوجد مزيد منها. ومع إني علمت بأن بعض الوثائق التاريخية من القرن الأول بقيت سليمة، لذا سألت: "عموماً، يجب أن لا نتوقع إيجاد المزيد عن يسوع في الكتابات القديمة من خارج الإنجيل؟".

قال ياموكهي "فعندما يبدأ الناس حركات دينية، ففي الغالب لا يحدث حتى أجيال كثيرة بعدهم، أن يسجّل الناس أشياء عنهم. لكن في الواقع، أنه لدينا وثائق تاريخية عن يسوع، أفضل من أي مؤسس لأي ديانة قديمة أخرى".

فجأني هذا الكلام "حقاً؟ هل بالإمكان أن تتوسع في ذلك؟".

فقال "على سبيل المثال، مع أن الجاثات من زرادشت، حوالي سنة ١٠٠٠ق. م. يعتقد بأنها أصلية، إلا أن أغلب الكتب الزرادشتية المقدسة لم تكتب حتى بعد القرن الثالث الميلادي. وأشهر سيرة ذاتية في الفارسية الشعبية عن زرادشت كتب في سنة ١٢٧٨م.

"والكتب المقدسة لبوذا، الذي عاش في القرن السادس ق.م. لم تكتب حتى بعد العصر المسيحي. وأول سيرة ذاتية لبوذا كُتبت في القرن الأول الميلادي. ومع أن لدينا أحاديث لمحمد الذي عاش من سنة ٥٧٠ م حتى سنة ٦٣٢ م، فإن سيرته لم تكتب حتى سنة ٧٦٧م. أي أكثر من قرن كامل بعد وفاته.

لذا فالوضع بالنسبة ليسوع فريد ومثير للإعجاب من ناحية كمية ما يمكننا تعلمه عن يسوع من خارج العهد الجديد"

أردت الإستمرار في هذا الموضوع وأوجز ما جمعناه من معلومات عن يسوع حتى الآن من مصادر غير إنجيلية، فقلت له: "دعنا نتظاهر بأننا لا نملك أي من العهد الجديد أو الكتابات المسيحية الأخرى، فحتى بدونهم، ماذا كنا سنستطيع أن نستنتج عن يسوع من المصادر القديمة الغير مسيحية مثل يوسيفوس والتلمود وتاسيتوس وبليني الأصغر، وغيرهم؟".

فابتسم ياموكهي وقال "ما زال لدينا كمية كبيرة من الأدلة التاريخية الهامة؛ وفي الواقع، ستوفر لنا نوعاً موجزاً عن حياة يسوع".

ثم استمر قائلاً وقد رفع إصبعه للتأكيد على كل نقطة: "سنعرف أولاً، أن يسوع كان معلماً يهودياً؛ ثانياً، أن كثير من الناس اعتقدوا بأنه مارس شفاء الأمراض وطرد الأرواح الشريرة؛ ثالثاً، بعض

الناس إعتقدوا بأنه المسيا؛ رابعاً، أنه رُفض من القادة اليهود؛ خامساً، أنه صلب في ولاية بيلاطس البنطي في عهد طيباريوس؛ سادساً، بالرغم من موفقته المخزي، إلا أن أتباعه اعتقدوا أنه ما زال حياً، وإنتشروا خارج نطاق فلسطين، بحيث كان هناك عدد كبير منهم في روما سنة٦٤م؛ سابعاً، كل أصناف الناس من المدن والريف رجالاً ونساء عبيداً وأحرار، عبدوه كإله".

لقد كان هذا حقاً كمية مؤثرة من الأدلة المؤيدة المستقلة. وليس فقط بإمكاننا إعادة رسم وتنظيم الخطوط الرئيسية لحياة يسوع من مصادر خارج الإنجيل، بل أيضاً هناك معلومات أكثر يمكننا أن نجمعها عنه من مصادر قديمة لدرجة أنها تسبق تاريخ الأناجيل نفسها.

تأييد التفاصيل المُبكّرة

إن بولس الرسول لم يقابل يسوع أبداً قبل موته، لكنه قال أنه قابل المسيح المُقام وإستشار بعض شهود العيان، فيما بعد، لتأكيد أنه كان يعظ ويبشر بنفس الرسالة التي كانوا يبشرون بها. ولأنه بدأ كتابة رسائل العهد الجديد قبل أن تُكتب الأناجيل بسنوات، لذا فإن هذه الرسائل تحتوي على تقارير وأخبار مبكرة جداً عن يسوع، وهي قديمة لدرجة أن لا أحد يستطيع أن الإدعاء بأنها قد شوهت تشويهاً خطيراً أو تلوّنت بالأساطير".

ويؤكد لوقا تيموثي جونسون، وهو عالم من جامعة إموري، يؤكد بأن رسائل بولس تُمثّل "إثبات خارجي ثمين" من "عصر قديم ووجود مطلق" للتعاليم والروايات القديمة عن يسوع[١٣]، فقالت لياموكهي: "هل تتفق معه في هذا الرأي؟".

كنا قد تحدثنا لفترة طويلة. فوقف ياموكهي ليمد رجليه قبل أن يجلس مرة أخرة، ثم قال "ليس من شك في أن كتابات بولس الرسول هي الأقدم في العهد الجديد، وأنها تشير بعض الإشارات الهامة جداً لحياة يسوع".

فسألته: "هل يمكن أن تشرحها بالتفصيل؟".

فأجاب قائلاً "حسناً، إنها تُشير إلى حقيقة أن يسوع من نسل داود، وأنه المسيا، وأنه تعرض للخيانة، وأنه حوكم، ثم صلب من أجل خطايانا، ودُفن، وبأنه قام ثانياً من الموت في اليوم الثالث وشوهد من قبل العديد من الأشخاص بما فيهم يعقوب، أخو يسوع الذي لم يكن آمن به قبل صلبه.

"ومن المهم والمشوق أيضاً أن بولس لا يذكر بعض الأشياء التي هي مهمة جداً في الأناجيل، على سبيل المثال، أمثال يسوع ومعجزاته، لكنه يركز على موته تكفيراً عن خطايا البشر وعلى قيامته من الموت. فهذه كانت، بالنسبة لبولس، هي الأشياء الأكثر أهمية عن يسوع، وفي الواقع هي التي حولت بولس من كونه مُضطهد المسيحيين ليصبح أول مبشر بالمسيحية في التاريخ، والذي كان مستعداً لإجتياز جميع أنواع الصعوبات والحرمان بسبب إيمانه.

"كما أن بولس يقدم الدليل المؤيد لبعض السمات الهامة لشخصية يسوع، تواضعه، وطاعته، ومحبته للخطاة،...الخ. وهو يدعو المسيحيين أن يكون لديهم فكر المسيح في الأصحاح الثاني من رسالة فيليبي. وهذه قطعة مشهورة التي فيها بولس ربما يقتبس من ترتيلة مسيحية قديمة عن تنازل المسيح، الذي هو مساويً لله ومع ذلك إتخذ شكل إنسان، وعبد، وتحمل أقصى وأشد عقوبة، وهي الصلب. من ثمَّ، رسائل بولس شاهد هام على ألوهية المسيح، حيث يدعو يسوع "إبن الله" و "صورة الله".

فقاطعته بقولي "الحقيقة بأن بولس الذي أتى من خلفية يهودية مؤمنة بإله واحد، عبد يسوع كإله، وتلك حقيقة هامة جداً. أليس كذلك؟"

فقال: "نعم، وهو يُقوّض النظرية الشائعة التي تقول بأن ألوهية المسيح قد أدخلت إلى المسيحية فيما بعد من معتقدات غير يهودية. فهي غير ذلك تماماً. حتى بولس في هذا التاريخ المُبكّر كان يعبد المسيح كإله".

"ولابد أن أقول بأن كل هذا التأييد من بولس ذو أهمية قصوى.

ولدينا رسائل أخرى مُبكِّرة من شهود عيان أيضاً مثلاً، يعقوب، وبطرس، التين بهما ذكريات موعظة يسوع على الجبل".

قام حقاً من الموت

لدينا أيضاً مجلدات من كتابات "الآباء الرسوليين"، الذين كانوا أول كُتَّاب مسيحيين بعد العهد الجديد. فقد كتبوا "رسائل كليمنت الروماني" و "رسائلة أغناطيوس" و "رسالة بوليكاربوس" و "رسائلة برنابا" وآخرون. وفي العديد من الأماكن في هذه الكتابات تشهد عن الحقائق الأساسية عن يسوع، وبشكل خاص تعاليمه، وصلبه، وقيامته، وطبيعته الإلهية.

فسألته: "أي هذه الكتابات تعتبرها الأهم؟".

تأمل ياموكهي في هذا السؤال. ففي حين أنه لم يُسمّي أحد كالأهم بينهم، إلا أنه إستشهد بالسبعة رسائل التي كتبها أغناطيوس بأنها الأكثر أهمية بين كتابات الآباء الرسوليين. كان أغناطيوس، أسقف أنطاكية في سوريا، قد استشهد أثناء عهد تراجان قبل سنة ١١٧م.

ثم قال ياموكهي: "الشئ المهم عن أغناطيوس، أنه أكد كلّ من ألوهية يسوع وكذا ناسوت يسوع، ضد بدعة الهرطقة الدوسيتية، التي أنكرت أن يسوع كان فعلاً إنسان. كما أكد الأساسات التاريخية للمسيحية، فقد كتب في إحدى رسائله، وهو في طريقه إلى الإستشهاد، أن يسوع الذي إضطهد حقاً في ولاية بيلاطس، صلب حقاً، وقام حقاً من الموت، وبأن أولئك الذين يؤمنون به سيقومون أيضاً من الموت"[١٤].

فعندما تضع كل هذا معاً، بالإضافة إلى يوسيفوس، والمؤرخين الرومان، والمسؤولين الرومان، والكتابات اليهودية، ورسائل بولس والآباء الرسوليون، ولديك أدلة مقنعة تؤيد كل الأساسيات الموجودة في سير حياة يسوع. فلو أنك حتى ضيعت كل نسخة من الأناجيل، فما زال لديك صورة ليسوع ملزمة جداً، في الواقع إنها صورة إبن الله الفريد.

وقفت وشكرت ياموكهي على مشاركته لي بوقته وخبرته. وقلت له: "إنني أعرف بأن هناك المزيد والمزيد الذي بإمكاننا أن نتحدث عنه، لأن هناك كتب كاملة قد كتبت حول هذا الموضوع، ولكن قبل أن ننهي، حديثنا أود أن أسألك سؤال أخير، وهو سؤال شخصي إذا لم يكن لديك مانع.

فهب البروفيسور واقفاً على قدميه، ثم قال: "نعم، هذا شئ جميل"

فنظرت حول مكتبه المتواضع البسيط، الذي كان مملوءاً حتى حوافه بالكتب والمخطوطات والسجلات والمجلات واقراص الكمبيوتر والصحف، وكلها نتاج حياة حافلة بالبحث العلمي في عالم مضى منذ زمن بعيد.

ثم قلت له: "لقد قضيت أربعون عاماً في دراسة التاريخ القديم وعلم الآثار، فماذا كانت نتيجة حياتك الروحية؟ هل عززت دراساتك أم أضعفت إيمانك بيسوع المسيح؟".

نظر إلى الأرض لحظة خاطفة، ثم رفع عينيه ونظر مباشرة في عيني، ثم قال بصوت حازم قوي لكن مخلص "ليس هناك من شك في أن دراساتي قد قوت وأثرت حياتي الروحية. وقد منحتني فهماً أفضل لثقافة والبيئة التاريخية للأحداث.

"هذا لا يعني أنني أدرك أن هناك بعض المسائل التي ستظل أثناء حياتنا هذه، سنظل لا نعرفها معرفة كاملة. ولكن حتى هذه المسائل لا يمكنها تقويض إيماني بالأمانة الضرورية للأناجيل وكذا باقي العهد الجديد".

"أظن أن التفسيرات البديلة، التي تعلل وتحاول أن تفسر سبب إنتشار المسيحية عن طريق أسباب إجتماعية أونفسية، تعتبر ضعيفة وضعيفة جداً" ثم هز رأسه مؤكداً ذلك".

ثم أضاف "بالنسبة لي، فإن الأدلة التاريخية قد عززت ودعمت تعهدي وإلتزامي بيسوع المسيح كابن الله الذي يحبنا والذي مات من أجلنا ثم قام من الأموات. إنه بهذه البساطة".

الحقيقة التي تحررنا

عندما خرجت من مبنى ياموكهي إلى بحر من طلبة الكلية ينطلقون بسرعة من مكان لآخر ليحضروا محاضرتهم التالية، أدركت إلى أيٍ حد كانت رحلتي بالسيارة إلى مدينة أكسفورد الصغيرة جداً، بولاية أوهايو، كانت رحلة ناجحةٍ ومرضية.. فقد جئت طالباً أدلة مدعمة ليسوع، وخرجت حاملاً خزاناً مليئاً بالمواد التي تؤكد كل سمة كبرى من حياة يسوع، ومعجزاته، وألوهيته، وانتصاره على الموت.

وقد علمت أن محادثتنا القصيرة قد خدشت القشرة فقط. فتحت ذراعي كنت أحمل "حُكم التاريخ *The Verdict of History*" وهو الكتاب الذي أعدت قراءته في التحضير لمقابلتي. ففي هذا الكتاب يُفصّل المؤرخ جاري هابيرماس تفاصيل ما يربو مجموعه ٣٩ من المصادر القديمة التي تُوثّق حياة يسوع، والتي يُعدّد منها أكثر من مائة حقيقة عن حياة يسوع، وتعاليمه، وصلبه، وقيامته[١٥].

والأكثر من ذلك أن ٢٤ من المصادر التي إستشهد بها هابيرماس، ومن ضمنها سبع مصادر علمانية والعديد من عقائد الكنيسة الأولى، التي تتعلق بالتحديد بطبيعة يسوع الإلهية. "تكشف هذه المذاهب بأن الكنيسة لم تعلم ببساطة ألوهية يسوع إلا بعد ذلك بجيل كامل، كما يتكرر كثيراً في علم اللاهوت المعاصر، لأن هذه العقيدة كانت موجودة بالتأكيد في الكنيسة الأولى" هذا ماكتبه هابيرماس. وكان استنتاجه الأخير: "إن أفضل تفسير لهذه المعتقدات هو أنها تمثل تعاليم يسوع بالطريقة الصحيحة"[١٦] وإن هذا دليل مدعم ومعزز مدهش لأهم توكيد بواسطة أهم شخصية مؤثرة عاشت حتى الآن.

أغلقت سوستة معطفي فيما توجّهت إلى سيارتي. فلما نظرت خلفي مرة أخرى رأيت شمس أكتوبر ساطعة تضئ النقش الحجري الذي لاحظته عند دخولي إلى ممشى الحرم الجامعي لهذه الجامعة العلمانية جداً: "سوف تعرف الحقيقة، والحقيقة ستمنحك الحرية".

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. هل في حياتك أي حدث جعلك تشك في قصة رواها شخص ما حتى قدم لك دليلاً مدعماً ومعززاً لروايته؟ كيف كانت هذه التجربة مماثلة لدراستك عن نوع الأدلة المدعمة والمعززة التي قدمها ياموكهي؟

٢. ما الذي تعتبر دليل التعزيز والدعم الأكثر إقناعاً الذي تحدث عنه ياموكهي؟ ولماذا؟

٣. تقول المصادر القديمة بأن المسيحيين الأوائل تمسكوا بمعتقداتهم بدلاً من إنكارها في مواجهة التعذيب. بحسب ظنك، لماذا تمسكوا بمثل هذه الشدة بإيمانهم الذي اقتنعوا به؟

مزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Bruce, F. F. Jesus and Christian Origins outside the New Testament. Grand Rapids: Eerdmans, 1974.

Habermas, Gary. The Historical Jesus. Joplin, Mo.: College Press, 1996.

McDowell, Josh, and Bill Wilson. He Walked among Us. Nashville: Nelson, 1994.



الأدلة العلمية

هل يؤكّد علم الآثار أم يُناقض سير حياة يسوع ؟

كان هناك شئ سيريالي عن غدائي مع الدكتور جيفري ماكدونالد. وكان هناك يمضغ ساندويتش تونا بطريقة غير منظمة وكذلك يمضغ رقائق البطاطس بنفس الطريقة في غرفة المؤتمرات في دار القضاء بولاية كارولينا الشمالية، ويعلق تعليقات مضحكة ويمتع نفسه بصفة عامة. وفي غرفة قريبة كان هناك ١٢ من المحلفين يستريحون بعد الاستماع إلى شهادة رهيبة بأن ماكدونالد قد قتل بوحشية زوجته وابنتيه الصغيرتين.

فلما كنا قد انتهينا من وجبة طعامنا، فلم أستطع أن أمنع نفسي من أن أسأل ماكدونالد، الأسئلة الواضحة: "كيف تتصرف وكأن شيئاً خاطئاً لم يحدث؟". وكان صوتي وأنا أسأله ممتزجاً بالدهشة والإستياء "أليس لديك أقل درجة من القلق بأن هؤلاء المحلفين سيحكمون عليك بأنك مذنب؟".

لوح ماكدونالد بسندويتشة نصف المأكول في اتجاه غرفة المحلفين وقال وهو يضحك "هم؟، إنهم لن يدينوني أبداً!".

ثم، يبدو أنه أدرك أن هذه الكلمات كانت بدت ساخرة، فأضاف بسرعة "إنني برئ، كما تعلم".

وكانت هذه آخر مرة أسمعه يضحك. ففي خلال أيام كان طبيب حجرة الطوارئ السابق ذو القبعه الخضراء قد وجد مذنباً بانه طعن زوجته، كوليت، وإبنتيه كيمبيرلي ذات الخمسة سنوات، وكريستين، ذات السنتين. وحكم عليه فوراً بالسجن مدى الحياة ونقل بالأصفاد.

لقد أُعيدت رواية ماكدونالد، ببراعة بواسطة جو ماكجينيس في كتاب من الكتب الأكثر مبيعاً وكذا في رؤية التلفزيون السينمائية "المشهد المميت"، كان هذ القاتل مغروراً لدرجة أنه ظن أن محاولة عدم وجوده في مكان الجريمة وقت ارتكابها ستساعده على الإفلات بدون عقاب.

أخبر المحققين بأنه كان نائماً على الأريكة عندما أيقظته أصوات بعض الخنافس (الهيبيز) المجانين من تعاطي المخدرات، أيقظوه في منتصف الليل. ثم قال أنه قاومهم ، حتى فقد وعيه وعندما أفاق وجد نفسه مطعوناً ومضروباً في هذه العملية. وعندما أفاق وجد عائلته قد ذبحت.

لقد شكك المحققون في روايته منذ البداية. فقد أظهرت حجرة المعيشة بعض آثار لصراع موت وحياة. أما جروح ماكدونالد فكانت سطحية. مع أن نظره ضعيف، فقد كان قادراً على إعطاء أوصاف مُفصّلة لمن هاجموه مع أنه لم يكن يلبس نظارته.

ومع ذلك، فالشك وحده لا يكفي للإدانة؛ التي تتطلب أدلة دامغة. ففي قضية ماك دونالد إعتمد المخبرون على دليل علمي يحل نسيج أكاذيبه ويدينه بعمليات القتل.

وهناك أنواع مختلفة من الأدلة العلمية التي يكثر إستعمالها في المعامل، تتروواح ما بين تحليل الحمض النووي DNA لمعرفة الأصل الشرعي إلى علم السموم. وفي قضية ماكدونالد كان علم المُصول (دليل الدم) وتتبع الدليل الذي أرسله إلى المحكمة الذي بعثته إلى سجن التأديب.

من الصدف الغير عادية، ولحسن حظ المدّعين، كان لدى كل فرد في عائلة ماكدونالد فصيلة دم مختلفة. وبتحليل بقع الدم التي

وجدت، استطاع المحققين أن يعيدوا ترتيب تسلسل الأحداث في تلك الأمسية المميتة، والتي تناقضت مباشرة مع رواية ماكدونالد للأحداث.

والدراسات العلمية لخيوط زرقاء دقيقة من البيجامة، التي وجدت مبعثرة في أماكن مختلفة، هذه أيضاً فندت محاولة ماكدونالد لإثبات عدم وجوده في مكان الجريمة وقت إرتكابها. كما أن التحليل المجهري (الميكروسكوبي) أظهر وجود ثقوب في بيجامته لم يكن من الممكن إحداثها، كما إدّعي، بمعول ثلج استخدمها من هاجموا المنزل. وبإختصار، فإن خبراء مكتب التحقيقات الفيدرالي هم السبب فعلاً في إدانة ماكدونالد[1].

يستطيع الدليل العلمي كذلك تقديم مساهمات مهمة في مسألة ما إذا كانت روايات العهد الجديد عن يسوع دقيقة. فبينما علم المصول وعلم السموم ليسا بقادرين على تسليط أي ضوء على القضية، فهناك نوع آخر من الأدلة العلمية، نظام وقواعد علم الآثار، لها علاقة كبيرة بكون الأناجيل يمكن الوثوق بها.

وعلم الآثار، الذي يُدعى أحياناً علم دراسة النفاية التي تتحمل البقاء مدة طويلة، يشمل الكشف عن المصنوعات اليدوية، والهندسة المعمارية، والفن، والعملات المعدنية، والأنصاب أو التماثيل، والوثائق، وبقايا أخرى من الزراعات القديمة.. يدرس الخبراء هذه الآثار لمعرفة ما كانت عليه الحياة حين كان يسوع يمشي في الطرق المتربة لفلسطين القديمة.

مئات من الإكتشافات الأثرية من القرن الأول كُشف عنها، وكنت مشتاق لمعرفة: ما إذا كانت ستضعف أو تدعم روايات شهود العيان عن يسوع؟ وفي نفس الوقت، فإن فضولي وحب استطلاعي زادت شدته بسبب الشكوك. لقد سمعت الكثير من المسيحيين يقدمون إدعاءات مفرطة بأن علم الآثار يمكنه أن يثبت حقائق أكثر بكثير من التي يثبتها فعلاً. لكني لم أن اكن مهتماً بمزيد منها.

لذلك إستمررت للبحث عن مصدر معترف به قد حفر شخصياً

بين خرائب الشرق الأوسط، والذي لديه معرفة موسوعية بالإكتشافات القديمة، والذي كان لديه تحفظ علمي كافي للإقرار بمحدودية علم الآثار وفي نفس الوقت يستطيع أن يشرح كيف يستطع علم الآثار أن يلقي ضوءاً على الحياة في القرن الأول الميلادي.

المقابلة الرابعة: جون ماكراي، دكتوراه في الفلسفة

عندما يقوم العلماء والطلاب بدراسة علم الآثار، يلجأ الكثيرون إلى كتاب جون ماكراي الشامل الهادئ (٤٣٢ صفحة) المُسمّى "علم الآثار والعهد الجديد *Archaeology and the New Testament*". وعندما أرادت شبكة الفنون والتسلية التلفزيونية أن تضمن دقة برنامج "أسرار الإنجيل"، إستدعت "ماكراي" أيضاً. وعندما احتاجت الجمعية الجغرافية الوطنية إلى عالم يستطيع أن يوضّح النقاط المعقدة في عالم الكتاب المقدس، إتصلت به تليفونياً مرة أخرى، بمكتب ماكراي في كلية هويتون المحترمة جداً في ضواحي مدينة شيكاغو.

فبعد أن درس في الجامعة العبرية،، والكلية الفرنسية لدراسات الكتاب المقدس والآثار في أورشليم (القدس)، وكلية اللاهوت بجامعة فاندربلت، وجامعة شيكاغو (حيث حصل على الدكتوراه سنة ١٩٦٧)، ظل يعمل أستاذاً للعهد الجديد وعلم الآثار في هويتون لأكثر من خمس عشرة سنة. وقد ظهرت مقالاته في ١٧ موسوعة وقاموس، كما نُشرت أبحاثه في مجلة جمعية علم الآثار الشرق الأدنى والمجلات الأكاديمية الأخرى، وقد قدّم تسع وعشرون ورقة علمية في جمعيات متخصصة ومحترفة.

وقد كان ماكراي مساعد ووصي على أبحاث الآثار في معهد دبليو. إف. أولبرايت في القدس؛ ومشرف على المدارس الأمريكية للأبحاث الشرقية (سابقاً)؛ ومشرف على جمعية آثار الشرق الأدنى (حالياً)؛ وعضو مجالس رؤساء تحرير "علم الآثار في عالم الكتاب المقدس" و "مجلة أبحاث الكتاب المقدس"

التي ينشرها معهد أبحاث الكتاب المقدس.

وبقدر ما يتمتع ماكراي بالكتابة والتدريس عن العالم القديم، فإنه يستمتع بالفرض التي تمكنه من إستكشاف المنجم الأثاري بنفسه. وقد أشرف على فرق التنقيب عن الآثار في قيصرية، وسيفوريس، وهيروديا، وكلها في إسرائيل، على مدار ثمانية سنوات. كما قام بتحليل مواقع آثارية رومانية في إنجلترا و ويلز، وحلل منجماً في اليونان، وأعاد تتبع معظم رحلات بولس الرسول.

وعندما بلغ عمره ٦٦ عاماً، تحول شعر ماكراي إلى اللون الفضي وأصبحت نظارته أكثر سمكاً، ولكنه ما زال محتفظاً بروح المغامرة.

وكان على المكتب في مكتبه، وفي الحقيقة على سريره بمنزله، صورة أفقية تفصيلية لمدينة القدس (أورشليم). وقد علق على ذلك قائلاً "إني أعيش في ظلها"، قالها بصوت ينم ويدل على الاشتياق عندما لفت الأنظار إلى مواقع معينة لعمليات الحفر والتنقيب والاكتشافات الهامة.

ويظهر في مكتبه نوع من الأريكة المريحة التي تجدها في المدخل الأمامي لبيت ريفي. فجلست عليها مستقراً ومستريحاً بينما كان ماكراي يرتدي قميص مفتوح الرقبة وسترة رياضية تبدو مريحة، ثم إتكأ عائداً إلى كرسي مكتبه.

ولرغبتي في إختبار ما إذا كان يبالغ في تأثير علم الآثار، فقد قررت فتح مقابلتنا بسؤاله ما الذي لا يستطيع علم الآثار أن يخبرنا به عن موثوقية العهد الجديد. ومهما يكن، فكما يذكر ماكراي في كتابه، أنه حتى لو استطاع علم الآثار أن يثبت وجود مدينتي المدينة ومكة الكائنتين بغرب المملكة العربية السعودية في القرن السادس والسابع، فإن هذا لا يُثبت أن محمداً عاش هناك.

فبدأ يتكلم ويتشدق في الكلام بالطريقة التي تعلمها وهو طفل في جنوب شرق أوكلاهوما، فقال: "إن علم الآثار قد ساهم بالتأكيد بعض المساهمات الهامة ولكنه لا يستطيع إثبات أن العهد الجديد هو كلام الله. فلو حفرنا في إسرائيل ووجدنا مواقع قديمة تتفق

مع الأمكن التي يذكر الكتاب المقدس، فإن هذا يرينا أن تاريخته وجغرافيته دقيقة. ومع ذلك فإنها لا تؤكد أن ما قاله يسوع المسيح صحيح. فالحقائق الروحية لا يمكن إثبات صحتها أو بطلانها بالإكتشافات الآثارية".

وكمثال مشابه، قدم لي قصة هنريك شليمان، الذي بحث عن طروادة في محاولة لإثبات الدقة التاريخية لإلياذة هوميروس. ثم لاحظ ماكراي بابتسامة رقيقة "ولقد وجد طروادة فعلاً، فقد كانت حقيقية، فقط كمرجع جغرافي معين، إلا أن هذا لم يُثبت إلياذة هوميروس".

وبعدم وضعنا بعض الحدود لما لا يستطيع علم الآثار أن يثبه، كنت متلهفاً للبدء بإستكشاف ما الذي يمكنه أن يُخبرنا به عن العهد الجديد. فقررت أن أستهل هذا الموضوع بأبداء ملاحظة نتجت عن خبرتي كصحفي إستقصائي بخلفية قانونية.

التنقيب عن الحقيقة

في محاولة تحديد ما إذا كان الشاهد صادق، فإن الصحفيون والمحامون سيختبرون جميع عناصر شهادته أو شهادتها التي يمكن اختبارها. فإذا كشف هذا التحقيق أن الشخص خاطئ في هذه التفاصيل، فإن هذا يلقي ظلالاً كثيفة من الشك على كامل مصداقيته أو كامل روايته. على أية حال، فلو أن التفاصيل خرجت سليمة من هذه التحقيقات فإن هذا نوع من الإشارة، ولا يعتبر إثبات حاسم لكنه مجرد دليل، ان الشاهد ربما يمكن الوثوق بروايته أو روايتها بشكل عام.

على سبيل المثال، لو أن رجلاً كان يصف رحلة قام بها من سان لويس إلى شيكاغو، وذكر أنه قد توقف في مدينة سبرينجفيلد، بولاية إلينويز، لمشاهدة فيلم "تايتانك" في مسرح أوديون وأنه قد أكل قطعة شيكولاتة كلارك إشتراها من منضدة البيع، لاستطاع المحققون أن يقرروا إذا كان هذا المسرح موجود فعلاً في مدينة سبرينجفيلد وكذلك يحددون إن كان يُعرض بها هذا الفيلم

بالتحديد ويبيع هذه الماركة وهذا الحجم المحدد في الوقت الذي كان موجوداً فيه هناك. فإذا تناقضت النتائج مع ما إدعاه الشخص، فإن هذا يلوّث أمانته بجدية. وإذا خرجت التفاصيل سليمة، فإن هذا لا يثبت أن كامل قصته صادقة، ولكنه يُعزز سلامة سمعته بأنه كان دقيق.

وهذا، إلى حد ما، هو ما يحققه علم الآثار. والحقيقة المنطقية انه إذا كانت تفاصيل الأحداث التي ذكرها مؤرخ قديم ثبت صدقها مرة بعد أخرى، فإن هذا يعزز ثقتنا في مواد أخرى كتبها المؤرخ ولكن ذلك لا يمكن مراجعتها بسهولة.

لذا سألت ماكراي عن رأيه كمتخصص "هل علم الآثار يؤكد أو يُضعف العهد الجديد عندما تُفحص التفاصيل في تلك الروايات؟"

أجاب ماكراي بسرعة "نعم ليس هناك شك بأن مصداقية العهد الجديد معززة، فمثلما نقول أن مصداقية أي وثيقة قديمة معززة عندما تحفر وتنقب وتجد أن الكاتب كان دقيقاً في حديثه عن مكان أو حدث معين".

كمثال، أحضر لي نتائج حفره وتنقيبه في قيصريا على ساحل إسرائيل، حيث نقَّب هو وآخرون ميناء هيرودس الكبير. "لمدة طويلة من الزمن شكّ الناس في صحة عبارة ذكرها يوسيفوس، مؤرخ القرن الأول، بأن هذا الميناء كان كبيراً مثل الذي عند بيرايوس، الذي يعتبر ميناء ضخماً في أثينا. اعتقد الناس أن يوسيفوس كان مخطئاً، لأنك عندما ترى الأحجار طافية على سطح الماء في الميناء الحالي، ستدرك بأنه ليس بميناء كبير.

"لكن عندما بدأنا القيام بالتنقيب تحت الماء، وجدنا أن الميناء كان ممتداً إلى مسافة بعيدة في المياه تحت الأرض، وأنه قد إنهار، وبأن أبعاده الكليّة كانت فعلاً كبيرة لو قورنت بميناء بيرايوس. وهكذا اتضح أن يوسيفوس كان على حق في النهاية. وهذا يعتبر دليل آخر بأن يوسيفوس كان يعرف ما كان يتحدث عنه".

إذاً ماذا عن كُتَّاب العهد الجديد؟ هل عرفوا حقاً ما كانوا يتحدثون

عنه؟" أردت وضع هذه المسألة تحت الإختبار في سلسلة أسئلتي التالية.

دقة لوقا كمؤرخ

كتب لوقا الطبيب والمؤرخ كلّ من الإنجيل الذي يحمل اسمه وسفر الأعمال، اللذين يُشكلان معاً تقريباً ربع العهد الجديد كله. وبالتالي، فالمسألة الحاسمة هي هل كان لوقا جدير بالثقة في ذكر المعلومات الصحيحة؟ فعندما يفحص علماء الآثار تفاصيل ما كتبه، هل سيجدونه دقيقاً أم غير دقيق؟".

فقال "الإجماع العام لكلّ من العلماء التحرّريون والمحافظون بأن لوقا كان مؤرخاً دقيقاً جداً. وهو واسع الإطلاع، وبليغ، ولغته اليونانية تقترب من النوعية الكلاسيكية، فهو يكتب كرجل متعلم، وترينا الإكتشافات الآثارية المرة تلو الأخرى بأن لوقا دقيق وصادق فيما يريد أن يقوله"

ثم اضاف قائلاً "في الواقع، كانت هناك العديد من الحالات، الشبيهة بقضية الميناء، التي إعتقد العلماء، في أول الأمر، أن لوقا كان مخطئاً في إشارة معينة، إلا أنهم في اكتشافات تالية أكدت بأنه كان صحيحاً فيما كتبه.

على سبيل المثال، في لوقا ٣: ١ يذكر لوقا أن "لِيسَانِيُوسُ رَئِيسَ رُبْعِ عَلَى الأَبِلِيَّةِ" حوالي سنة ٢٧ م. وظل العلماء ولمدة ستين يشيّروا إلى هذه النقطة على أنها دليل أن لوقا لم يكن يعرف ما يتحدث عنه، لأن الجميع كان يعرف أن ليسانيوس لم يكن رَئِيسَ رُبْعِ بل على بالأحرى كان حاكماً على تشالسيس قبل ذلك بربع قرنٍ. فإذا لم يستطع لوقا أن تنظر لهذه الحقيقة الأساسية بالطريقة الصحيحة فلا شئ مما كتبه يمكن أن يكون جديراً بالثقة بحسب رأي العلماء.

لكن عندما تقدّم علم الآثار "وجد نقش، فيما بعد من زمن طيباريوس، من سنة ١٤ إلى ٣٧ م.، تذكر أن ليسانيوس كان رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الأَبِلِيَّةِ بالقرب من دمشق، وهو يُطابق بالضبط

ما كتبه لوقا" ثم شرح ماكراي الموضوع فقال: "إتضح أنه كان هناك مسؤولانِ حكوميان باسم ليسانيوس! ومرة أخرى تبين أن لوقا كان صادقاً تماماً".

وهناك مثال آخر لمرجعية لوقا في سفر أعمال الرسل ١٧: ٦ إلى "بوليتاركس" التي مترجمة بـ "حُكَّامَ الْمَدِينَةَ"، في مدينة تسالونيكي. " وظل الناس مدة طويلة يظنوا أن لوقا قد أخطأ لأنه لم يوجد أي دليل على أن إصطلاح "بوليتاركس وجد في أي وثيقة من الوثائق الرومانية القديمة".

ثم أضاف ماكراي قائلاً "ومع ذلك، فقد وجدت بعد ذلك كلمات منقوشة على قوس من القرن الأول تبدأ بكلمات "في عهد بوليتاركس ..." ويمكنك الذهاب إلى المتحف البريطاني لتراها بنفسك. وبعد ذلك، أنظر وتعجّب، فقد وجدعلماء آثار أكثر من خمسة وثلاثون نقشاً تذكر بوليتاركس، والعديد منها في تسالونيكي ويعود تاريخا لنفس الفترة التي أشار إليها لوقا.

مرة أخرى كان النقاد على خطأ واتضح أن لوقا هو الذي كان على صواب".

وهنا خطر ببالي إعتراض "لكن في إنجيله يقول لوقا أن يسوع كان يدخل إلى أريحا عندما شفى فاقد البصر بارتيماوس، بينما يقول مرقس بأنه أثناء خروجه من أريحا[٢]. أليس هذا تناقض واضح يثير الشك حول موثوقية العهد الجديد؟".

لكن ماكراي لم يُفاجأ بسؤالي المباشر فكان رده "لا، إطلاقاً، إن هذا يبدو أنه تناقض لأنك تفكر في الاصطلاحات الحديثة حيث تبنى المدن وتبقى في مكانها. لكن لم يكن هذا هو الحال بالضرورة في الأزمنة القديمة.

"كانت أريحا في أربع مواقع مختلفة على الأقل في الأزمنة القديمة، وكانت هذه المواقع تبعد عن بعضها بمسافة ربع ميل. ثم دمرت المدينة وأعيد بناؤها بالقرب من مصدر مائي آخر أو طريق جديد أو أقرب جبل أو ما شابه. فالمهم يمكنك أن تكون قد خرجت من موقع كانت أريحا موجودة فيه ثم تكون دخول في

موقع آخر، مثل إنتقالك من جزء بضواحي شيكاغو إلى جزء آخر من ضواحي شيكاغو".

فسألته: "إن ما تقوله يعني أن كلّ من لوقا ومرقس على صواب؟".

فأجاب قائلاً: "هذا صحيح. فمن الممكن أن يكون يسوع خارجاً من منطقة في أريحا وداخلاً في منطقة أخرى في نفس الوقت".

وهكذا فقد أجاب علم الآثار على تحدي آخر عن موقوية لوقا. ولمعرفتنا أن لوقا قد كتب جزء كبير من العهد الجديد، فإن هذا يدل دلالة قوية أن لوقا أثبت أنه مؤرخ دقيق للغاية حتى في أصغر التفاصيل. وهناك عالم آثار مشهور فحص بدقة إشارات لوقا إلى ٣٢ بلدة، و٥٤ مدينة، و٩ جُزر، دون أن يجد غلطة واحدة"[٣].

وهنا نقطة أخيرة: فهناك كتاب ذكر عن هذا الموضوع ما يلي "إذا كان لوقا دقيقاً باجتهاد كبير في بياناته التاريخية، فعلى أي أساس منطقي نفترض أنه كان سريع التصديق أو غير دقيق في ذكره لمسائل أكثر أهمية بكثير، ليس فقط بالنسبة له بل بالنسبة للآخرين أيضاً"[٤].

مثلاً، مسائل مثل قيامة يسوع من الموت، وهي أهم الدليل الأكثر تأثيراً للدلة على ألوهيته، التي يقول لوقا أنها ثبتت بشكل حاسم "ببراهين كثيرة مقنعة" (أعمال الرسل ١: ٣).

موثوقية يوحنا ومرقس

قد يدعم علم الآثار مصداقية لوقا، لكنه ليس الكاتب الوحيد للعهد الجديد. فتساءلت ما الذي يجب أن يقوله العلماء عن يوحنا، الذي نُظر إليه أحياناً كمشتبه به لأنه تحدث عن المواقع التي لا يمكن تُدقق. وقد إتهمه بعض العلماء بأنه قد أخفق في ترتيب هذه التفاصيل الأساسية، فلابد أن يوحنا لم يكن على مقربة من أحداث حياة يسوع.

ذلك الإستنتاج، على أية حال، قُلب رأساً على عقب في السنوات

الأخيرة. وأوضح ماكراي ذلك قائلاً: "كان هناك العديد من الإكتشافات التي جعلتنا ننظر إلى يوحنا كان دقيقاً جداً". فمثلاً في إنجيل يوحنا ٥: ١-١٥ يسجل كيف أن يسوع شفى مريضاً ببركة بيت حسدا. ويذكر يوحنا تفاصيل أن البركة كان لها خمسة أروقة. ولزمن طويل إستشهد الناس بهذا كمثال على أن يوحنا لم يكن دقيقاً، لأن هذا المكان لم يجده أحد.

"ولكن مؤخراً أمكن الحفر والتنقيب عن بركة بيت حسدا، ووجد وكما هو متوقع، على عمق أربعون قدم تحت الأرض، وكان هناك خمسة أروقة، الذي يعني خمسة مداخل أو ممرات على جوانبها أعمدة، وهذا بالضبط ما وصفه يوحنا. وهناك إكتشافات أخرى، بركة سلوام في يوحنا٩: ٧، وبئر يعقوب في يوحنا٤: ١٢، الموقع المحتمل للرصيف الحجري بالقرب من بوابة يافا حيث مَثَل يسوع أمام بيلاطس، وحتى هوية بيلاطس ذاتها، كل هذه الدلائل قد أكسبت إنجيل يوحنا مصداقية تاريخية".

فقلت "لذا فإن هذا يتحدى الزعم القائل بأن إنجيل يوحنا قد كُتِبَ بعد يسوع بفترة طويلة لدرجة أنه لا يمكن أن يكون دقيقاً".

فأجاب ماكراي: "بالتأكيد جداً"

وفي الواقع، كرّر ماكراي ما قاله دكتور بروس متزجير، عن أن علماء الآثار قد وجدوا جزءاً من نسخة من إنجيل يوحنا الأصحاح ١٨ الذي كان علماء البرديات البارزين قد أرجعوا تاريخها إلى حوالي سنة ١٢٥ م. وبإثبات أن نسخاً من إنجيل يوحنا كانت موجودة في هذا الموعد المبكر وفي مكان بعيد مثل مصر، فإن علم الآثار قد أفسد صحة التخمين بأن إنجيل يوحنا قد تمت كتابته في منتصف القرن الثاني، بعد فترة طويلة جداً من حياة يسوع مما يجعله غير موثوق به.

هناك علماء آخرون هاجموا إنجيل مرقس، الذي يعتبر عموماً أول رواية كُتِبَت عن حياة يسوع. فالملحد مايكل مارتن يتهم مرقس بأنه جاهل بجغرافية فلسطين، مما يثبت بأن لم يكن من الممكن أن يكون قد عاش في هذه المنطقة في زمان يسوع. ويستشهد

بشكل خاص بما جاء في إنجيل مرقس٧: ٣١". "ثُمَّ خَرَجَ أَيْضاً مِنْ تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ وَجَاءَ إِلَى بَحْرِ الْجَلِيلِ فِي وَسْطِ حُدُودِ الْمُدُنِ الْعَشْرِ".

قال مارتن: "لقد تبين من مُعطيات هذه الإتجاهات بأن يسوع كان مسافراً مباشرة بعيداً عن بحر الجليل"(٥).

فعندما عرضت نقد مارتن على ماكراي، قَطب حاجبيه وبدأ يتحرك بنشاط شديد، ثم سحب نسخة يونانية لإنجيل مرقس من على رف كتبه، ثم أمسك بعض المراجع، وفتح خرائط كبيرة لفلسطين القديمة.

ثم قال: "يبدو أن هؤلاء النقّاد يفترضون بأن يسوع يركب سيارته وينطلق حول مناطق بين الولايات، ولكن من الواضح أنه لم يفعل ذلك".

قراءة النص في اللغة الأصلية، واضعاً في الحسبان التضاريس الجبلية والطرق المحتملة من هذه المنطقة، ومراعياً الطريقة الغير ثابتة لإستخدام كلمة "ديكابوليس" للإشارة إلى إتحاد مكوّن من عشرة مُدن والتي تختلف من وقت لآخر، تتبع ماكراي مساراً منطقياً على الخريطة يتفق تماماً مع وصف مرقس.

ثم استنتج ماكراي قائلاً: "عندما يوضع كل شئ في السياق المناسب، فلن يكون هناك مشكلة في رواية مرقس للأحداث".

ومرة أخرى، نجد أن بصيرة علم الآثار ساعدت على توضيح ما ظهر في باديء الأمر بأنه نقطة خلاف في العهد الجديد. فسألت ماكراي سؤالاً واضحاً حول هذه النقطة: هل سبق وصادفت إكتشافاً أثرياً يتعارض بشكل صارخ مع ما ذُكر في العهد الجديد؟

فهز رأسه قائلاً: "إن علم الآثار لم يكتشف أي شئ يعتبر بوضوح تناقضاً مع الكتاب المقدس". وأضاف بثقة "بل على العكس، وكما رأينا، كانت هناك آراء كثيرة لعلماء متشككين صُنِّفت على أنها "حقيقة" على مر السنين ولكن علم الآثار أثبت أنها خاطئة".

ومع ذلك، فما زال هناك بعض المسائل التي تحتاج للحل..

فأخرجت مذكراتي واستعدّت لتحدى ماكراي بثلاث ألغاز مزمنة التي كنت أظن أن علم الآثار قد يجد بعض الصعوبة في تفسيرها.

اللغز الأول: إحصاء السكان

تدّعي روايات ميلاد يسوع بأن مريم ويوسف تطلّب منهما العودة لبلدة يوسف الأصلية وموطنه بيت لحم بسبب إحصاء السكان. فقلت له "دعني أكون صريحاً معك: إن هذا يبدو منافياً للعقل بوضوح. فكيف تُجبر الحكومة كل مواطنيها بالعودة إلى محل ميلادهم؟ هل هناك أي دليلٍ أثاري أياً كان بأن هذا النوع من الإحصاء السكاني قد حدث فعلاً؟".

بهدوء سحب ماكراي نسخة من كتابه "في الحقيقة، إن إكتشاف أشكال إحصاء السكان قديماً قد سلّط قليلاً من الضوء على هذه الممارسة". قال هذا بينما كان يتصفح صفحات الكتاب. فلما وجد المرجع الذي كان يبحث عنه، إقتبس من أمر حكومي رسمي يرجع تاريخه إلى سنة ١٠٤م.

> غايوس فيبيوس ماكسيموس، والي مصر [يقول]: بما أن الوقت قد حان لإحصاء السكان من بيت لبيت، فمن الضروري إجبار كل الذين لأي سبب مهما يكن- يقيمون بعيداً عن أقاليمهم الأصلية- أن "يعودوا على مواطنهم"، لكي ينفذوا أوامر التعداد المنظمة وكذلك يهتموا باجتهاد برعاية مصالحهم(٦).

ثم أغلق كتابه قائلاً "كما ترى، تلك الممارسة مؤكدة بهذه الوثيقة، بالرغم من أن هذا الإسلوب المُحدّد لتعداد الناس قد يبدو شاذاً بالنسبة لك. وهناك بردية أخرى، يرجع تاريخها لسنة ٤٨م، تُشير إلى إشتراك كامل العائلة في إحصاء السكان".

ومع ذلك، فإن هذا لم يحسم المسألة كلياً. إذ أن لوقا قال أن هذا التعداد الذي أحضر يوسف ومريم إلى بيت لحم قد أجرى حين كان كويرينيوس والياً على سوريا وأثناء حكم هيرودس الكبير.

فقلت له موضحاً "إن هذا يطرح أمامنا مشكلة هامة، لأن هيرودس مات سنة ٤ ق.م.، وكويرينيوس لم يبدأ واليته على سوريا حتى سنة ٦ م.، وأجرى التعداد بعد ذلك بقليل. هناك فجوة كبيرة؛ فكيف تعالج مثل هذا التناقض الكبير في التواريخ؟".

عرف ماكراي بأنني أثير قضية تصارع مها علماء الآثار لسنوات. ردَّ بالقول "هناك عالم آثار بارز يدعى جيري فاردامان قد قام بجهد كبير بهذا الخصوص. عثر على عملة باسم كويرينيوس عليها كتابة صغيرة جداً، أو ما نسميه بالحروف "المجهرية". وهذا يجعله والياً على سوريا وسيليثيا من سنة ١١ ق.م. وحتى بعد موت هيرودس".

عندئذ شعرت بالإرتباك وسألته "مامعنى ذلك؟".

فأجاب "هذا يعني بأنه، على ما يبدو، كان هناك إثنان بإسم كويرينيوس. وهذا ليس بالأمر النادر الغريب، فلدينا الكثير من الأشخاص يحملون نفس الأسماء الرومانية، لذا فليس هناك مُبرر للشك بأنه كان هناك شخصان باسم كويرينيوس. ويكون التعداد قد تم في عهد كوينتوس الأسبق. فلو علمنا أن دورة إحصاء السكان كانت كل أربع عشرة سنة، فإن هذه التواريخ تصبح معقولة تماماً".

بدا هذا لي بأنه تخميني نوعاً ما، ولكن بدلاً من تعطيل هذه المحادثة، قررت الإحتفاظ بهذه المسألة في ذهني لتحليلها مرة أخرى فيما بعد.

ولما قمت ببعض الأبحاث الإضافية، وجدت أن السير وليم رمزي، عالم الآثار والأستاذ السابق في كلّ من جامعتي أكسفورد وكامبردج بإنجلترا، قد أتى بنظرية مشابهة. فقد استنتج من نقوش متنوعة أنه بينما كان هناك كويرينيوس واحد فقط، كان والياً على سوريا في مناسبتين منفصلتين، وهذا يغطي فترة ميعاد التعداد الأول[٧].

وهناك علماء آخرون أشاروا إلى أن نص لوقا يمكن يُترجم هكذا "تم إجراء هذا التعداد قبل أن يتولى كويرينيوس ولاية سوريا"،

وهو الذي يحل المشكلة أيضاً [٨].

ولكن المسألة لم تُحسم تماماً كما كنت أتمنى. ومع ذلك، كان لابد من الإعتراف بأن ماكراي وآخرين قد قدموا بعض التفسيرات المعقولة. فاستطعت أن أستنتج بثقة أن إحصاءات السكان تلك قد أجريت أثناء الإطار الزمني لميلاد يسوع، وبأن هناك دليل أن الناس قد طلب منهم فعلاً العودة إلى محل ميلادهم، وهو الأمر الذي ما زلت أعتقد أنه شاذ.

اللغز الثاني: وجود الناصرة

كثير من المسيحيين يغفلون أن المتشككين ظلوا يؤكدون لمدة طويلة بأن الناصرة لم تكن موجودة في الوقت الذي يقول العهد الجديد ان يسوع قد قضى طفولته فيها.

ففي مقالة بعنوان "حيث لم يسر يسوع" لاحظ الملحد فرانك زيندلر بأن الناصرة لم تذكر في العهد القديم، أو من قبل بولس الرسول، أوفي التلمود (ولو أنه هناك إستشهاد بـ ٦٣ بلدة جليلية أخرى)، أو من قبل يوسيفوس (الذي أدرج إسم ٤٥ قرية و مدن أخرى في الجليل، من بينها يافا، التي كانت لا تبعد أكثر من ميل واحد عن الناصرة الحالية). ولم يذكر المؤرخين أو الجغرافيين القدماء اسم الناصرة قبل بداية القرن الرابع[٩]. يظهر الأسم الأول مرة في الأدب اليهودي في قصيدة كتبت في القرن السابع الميلادي تقريبا"[١٠].

يرسم هذا الغياب بوجود الدليل صورة مثيرة للشكك. لذا عرضت المسألة مباشرةً على ماكراي، فقلت له: "هل هناك أي تأكيد آثاري لوجود الناصرة أثناء القرن الأول؟".

لم تكن هذه المسألة بجديدة على ماكراي، فأجاب قائلاً: "إن الدكتور جيمس سترانج من جامعة فلوريدا الجنوبية خبير في هذا المجال، وهو يصف الناصرة بأنها مكان صغير جداً، حوالي ٦٠ هكتار، ويبلغ الحد الأقصى لسكانها حوالي ٤٨٠ في بداية القرن الأول".

ومع ذلك فإن هذا كان مجرد استنتاج، لكني أردت الدليل، فسألته: "من أين له أن يعرف ذلك؟".

فأجاب قائلاً: "حسناً، إن سترانج يلاحظ أنه عند سقوط القدس (أورشليم) في ٧٠ م. لم يكن هنا حاجة لوجود الكهنة في المعبد لأنه قد دُمِّر، لذا أرسلوا إلى مواقع أخرى مختلفة، حتى إلى أعلى الجليل. وقد وجد علماء الآثار قائمة باللغة الأرامية تصف "أربع وعشرون مجموعة" أو عائلة من الكهنة الذين نقلوا، وقد سجل واحد منهم بأنه نُقِلَ إلى الناصرة. وهذا يُرينا بأن هذه القرية الصغيرة جداً لابد وأن كانت موجودة في ذلك الوقت".

بالإضافة إلى ذلك، قال أنه كانت هناك عمليات حفر آثارية كشفت عن وجود مقابر من القرن الأول على مقربة من الناصرة، الذي يؤسس لحدود القرية، لأنه بحسب الشريعة اليهودية كان يجب دفن الموتى خارج المدينة تماماً. وقد حوى قبران على أشياء مثل: مصابيح فخارية، وأوعية زجاجية، وزهريات من القرن الأول أو الثالث أو الرابع.

إلتقط ماكراي نسخة من كتاب ألفه عالم الآثار المشهور جاك فينيجان، ونشرته مطبعة جامعة برينستون. وبعد أن تصفحه قرأ تحليل فينيجان "من القبور... يمكن استنتاج أن الناصرة كانت مستوطنة يهودية تماماً في العهد الروماني"[١١].

وهنا نظر ماكراي إليَّ وقال: "كان هناك جدال حول موقع بعض المواقع من القرن الأول، مثل: أين يقع بالضبط قبر يسوع، ولكن بين علماء الآثار لم يكن هناك أبداً شك كبير حول موقع الناصرة. وينبغي أن يكون عبء الدليل على أولئك الذين يُعارضون وجوده".

لقد بدا ذلك معقول. فحتى أيان ويلسون الذي كان عادة متشككاً، يذكر أن آثار فترة ما قبل المسيحية وجدت سنة ١٩٥٥م تحت كنيسة البشارة في الناصرة الحالية، قد أمكنه الإعتراف بأن "مثل هذه المكتشفات توحي بأن الناصرة لربما وجودت في زمن يسوع، ولكن ليس هناك من شك بأنها لابد أنها كانت مكان صغير وتافه

جداً" (١٢)

لدرجة أن نثنائيل يقول في يوحنا ١: ٤٦، وهو يفكر بعمق "أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟".

اللغز الثالث: المذبحة في بيت لحم

يرسم إنجيل متى مشهداً مُريعاً: إن هيرودس، الكبير، ملك اليهودية، شعر بالتهديد من مولد طفل رضيع فخاف من أن يستولي على عرشه في النهاية، فيُرسل جنوده لقتل كل أطفال بيت لحم الذين هم دون السنتين. إلا أنه، على أية حال، وبسبب تحذير ملاك، يهرب يوسف إلى مصر مع مريم ويسوع. وبعد موت هيرودس فقط يعودون للإستقرار في الناصرة، وهذه الحادثة المأساوية كلها حققت ثلاث نبوءات قديمة عن المسيا (راجع إنجيل متى٢: ١٣- ٢٣).

المشكلة: أنه ليس هناك أي تأكيد مستقل بأن هذا القتل الجماعي قد حدث أصلاً. فليس هناك من ذكر لأي شئ من هذا في كتابات يوسيفوس أو مؤرخين آخرين. وليس هناك أي تأييد آثاري. ليس هناك سجلات أو وثائق.

فقلت بإصرار "وبالتأكيد أن حدثا بهذه الضخامة لابد أنه قد لوحظ بواسطة آخرين غير متى. ومع الغياب التام لأي تعزيز تاريخي أو آثاري لهذا الحدث، أليس من المنطقي إستنتاج بأن هذه المذبحة لم تحدث أبداً؟".

فأجاب ماكراي: "إنني أرك لماذا تقول هذا، لأن مثل هذا لوحد حدث اليوم سنجده منشوراً في كافة أنحاء سي. إن. إن وباقي وسائل الإعلام الإخبارية".

فوافقت على هذا الرأي. ففي الواقع في سنة ١٩٩٧ و ١٩٩٨ كانت هناك سيول متواصلة من الأخبار عن متطرفين مسلمين يكررون شن غارات فدائية وذبح قرى بأكملها فعلاً بما فيها من نساء وأطفال في الجزائر. فتلك الأخبار كانت ملحوظة ومعروفة

للعالم كله.

أضاف ماكراي قائلاً "ولكن، لابد أن تُعيدبنفسك إلى القرن الأول وتضع في إعتبارك قليل من الأشياء.

أولاً، بيت لحم هل هي أكبر من الناصرة، لذا فكم كان عدد الأطفال الرضع في ذلك العمر يمكن أن يكونوا في قرية عدد سكانها ٥٠٠ أو ٦٠٠ نسمة؟ فليسوا آلاف، ليسوا مئات، مع أنهم عدد قليل بالتاكيد".

"ثانياً، أن هيرودس الكبير، كان ملكاً متعطشاً للدماء: فقد قتل أفراداً من أسرته؛ وأعدم كثيراً من الناس الذين إعتقد بأنهم يتحدونه. لذا فحقيقة أنه قتل بعض الأطفال الرضع في بيت لحم، لن تستأسر إنتباه الناس في العالم الروماني.

"وثالثاً، لم يكن هناك تلفزيون، ولا مذياع، ولا صحف. وكان ذيوع خبر يستغرق وقتاً طويلاً لإنتشاره، خاصةً من مثل هذه القرية البسيطة جداً الواقعة في التلال الخلفية في أماكن غير معروفة، فقد كان لدى المؤرخين قصصاً أكبر بكثير يكتبون عنها".

وأنا كصحفي، ما زال من الصعب عليّ أن أفهم ذلك فسألته وأنا غير مصدق "إن هذه لم تكن قصة كبيرة؟".

فقال " أنا لا أعتقد ذلك، على الأقل في تلك الأيام. فأي شخص مجنون قاتل سيظن بأن أي شيء هو تهديد محتمل له- فقد كان ذلك عمل معتاد بالنسبة لهيرودس. وفيما بعد، بالطبع، حين نمت المسيحية وتطورت، أصبحت هذه الحادثة أكثر أهمية، ولكني كنت سأدهش لو أن هذا الخبر قد أخذ مساحة كبيرة حينئذٍ.

لذا لربما، بيد أن ذلك كان صعب للتخيل بالنسبة لي كصحفي دُرِّب على شمّ الأخبار في عصر لديه تقنيات عالية من الإتصالات السريعة والعالمية. في نفس الوقت، كان لابد أن أعترف بأنه ومما عرفته من المشهد الطبيعي الدامي لفلسطين القديمة، فإن تفسير ماكراي يبدو معقولاً.

وبعد هذا بقيت مسألة أخرى أردت الإستفسار عنها. وبالنسبة لي يعتبر أشد المجالات كلها سحراً.

لغز لفائف البحر الميت

في الحقيقة، هناك إغراء لعلم الآثار. فالقبور القديمة، والنقوش الغامضة المحفورة في الأحجار أو المنقوشة على ورق البردي، أو قطع الفخاريات المكسورة، أو العملات المعدنية البالية، كلها تعتبر مفاتيح سرية مغرية للمحققِ المتمكن. ولكن ليس هناك من بين بعض آثار الماضي التي ولّدت إثارةً بقدر لفائف البحر الميت، مئات من المخطوطات يرجع تاريخها إلى الفترة منٍ ٢٥٠ ق.م. إلى ٦٨ م. وقد وجدت في كهوف تبعد عشرين ميلاً شرقي أورشليم (القدس) في سنة ١٩٤٧. ويبدو أنها كانت قد خبئت من قبل طائفة متطرّفة من اليهود تدعى الأسينيين قبل أن دمّر الرومان مستوطنتهم.

ظهرت بعض الإدعاءات الغريبة حول هذه اللفائف، بما في ذلك كتاب جون ماركو المُتسرّع والغير منطقي الذي فيه فسّر بأن المسيحية نشأت من طائفة الخصوبية التي كان أتباعها يتغذون على فطريات مُسببة للهلوسة![١٣]. وفي زعم آخر أكثر معقولية لكنه مع ذلك مشكوك به جداً قال خبير البرديات خوزيه أوكالاغان أن قطعة من برديات البحر الميت هي جزء من أقدم المخطوطات التي وجدت لإنجيل مرقس، يرجع تاريخها إلى سبعة عشر أو عشرون سنة بعد صلب يسوع. على أية حال، العديد من العلماء ما زالوا متشككين من تفسيره[١٤].

فيٍ أية حالة، لا يوجد أي تحقيق في آثار القرن الأول يعتبر كاملاً بدون السؤال عن هذه اللفائف، فسألت ماكراي "هل تخبرنا هذه اللفائف بأي شئ مباشرة عن يسوع؟".

فأجابني "كلا، لم يُذكر يسوع بشكل محدد في أي من هذه اللفائف. فأولاً: هذه الوثائق تعطينا رؤية جيدة عن الحياة والعادات اليهودية". ثم أخرج بعض الصُحف وأشار إلى مقالة نُشرت في

أواخر سنة ١٩٩٧، وأضاف. "ولو أن هناك تطور مثير جداً يتضمّن مخطوطاً يسمى 4Q 521 يمكن أن يخبرنا بشئ عما كان يدعيه يسوع".

لقد أشار هذا الموضوع شهيتي، فقلت ببعض العجالة في صوتي "حدثني عنه"

وهنا كشف لي ماكراي هذا اللغز الغامض فقال "يصف إنجيل متى كيف كان يوحنا المعمدان، سُجن وتصارع بتباطأ مع شكوكه حول هويةِ يسوع، أرسلِ أتباعه ليسألوا يسوع هذا السؤال التذكاري "أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟" (متي١١: ٣). لقد كان يبتغي جواب مباشر عما إذا كان يسوع هو فعلاً المسيا الذي طال إنتظاره.

وعبر القرون، تسائل المسيحيين عن جواب يسوع المبهم جداً. فبدلاً من أن يقول مباشرة نعم أو لا، أجاب قائلاً: "اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ (متى١١: ٤- ٥).

لقد كان رَدُّ يسوع تلميحاً إلى أشعياء ٣٥. ولكن لسبب ما أضاف يسوع عبارة "وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ"، الذي يغيب عن نص العهد القديم بوضوح.

وهنا يدخل إلينا المخطوط المُسمى 4Q 521. فهذا المخطوط الغير مُصنّف ضمن نصوص الكتاب المُقدّس من مجموعة البحر الميت، كُتب باللغة العبرية، يرجع تاريخه إلى ما قبل ميلاد المسيح بثلاثين سنة. ويحتوي على نسخة للأصحاح ٦١ من سفر أشعيا الذي يتضمّن هذه العبارة المفقودة "وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ".

"[عالم المخطوطات كريج] إيفانز قد أوضح أن هذه العبارة 4Q 521. قد أدخلت إليه بلا شك في سياق مسياني شديد الحماسية. وهي تُشير إلى العجائب التي سيعملها المسيا المنتظر عندما يجيء، حيث السماء والأرض ستطيعانه. لذا فعندما أعطى يسوع رده على يوحنا المعمدان، كان مُدركاً بأنه ليس بغامض على

الإطلاق. بل لقد كان يوحنا مسرفاً في كلماته التي بمثابة إعتراف متميز حيث يدعى بأن يسوع هو المسيا المنتظر".

وهنا ناولني ماكراي المقالة التي تذكر أن إيفانز قال أن 4Q 521 توضح أن إحتكام يسوع لأشعياء ٣٥ في الحقيقة مسياني. ففي جوهر الأمر، أن يسوع أبلغ يوحنا عبر رسله بأن الأشياء المسيانية تحدث. وبذا فإن الجواب على سؤال يوحنا "نعم هو الآتي"(١٥).

إسترحت في كرسيَّ. فبالنسبة لي، إكتشاف إيفانز كان تأكيد رائع لهوية يسوع الذاتية. ومما أذهلني كيف أن علم الآثار الحديث إستطاع أخيراً أن يكشف مؤخراً عن أهمية تصريح أكد فيه يسوع بوضوح قبل ألفي سنة تقريباً أنه حقاً الممسوح من الله.

"كتاب مصدري دقيق جداً"

يزيد تأكيد علم الآثار المتكرر من التعزيز المهم لموثوقية دقة العهد الجديد. وهذا بالمقارنة الشديدة مع كيف أثبت علم الآثار أنه مُدمر للعقيدة المورمونية.

ولو أن جوزيف سميث، مؤسس الكنيسة المورمونية، إدعى أن "كتاب المورون" هو "الكتاب الأكثر صحة على وجه الأرض"، إلا أن علم الآثار قد خيَّب هذا الإدعاء بشكل متكرر حول الأحداث التي يُفترض أنها حدثت منذ فترة طويلة في الأمريكتين.

وإني أتذكر أني كتبت رسالة إلى المعهد السمثسوني *Smithsonian* لأستعلم عما إذا كان هناك أي دليل يؤيد إدعاءات الطائفة المورمونية، فأخبروني بعبارات واضحة أن علماء الآثار لديهم يرون "أنه ليست هناك صلة مباشرة بين علم الآثار في العالم الجديد ومادة بحث الكتاب".

وكما استنتج المؤلفان جون أنكيربيرج و جون ويلدون في كتاب على الموضوع "بعبارة أخرى، لم يوجد أي مكان لمدن "كتاب المورمون"، ولم يوجد أي شخص، أو مكان، أو دولة، أو

إسم، ينتمي إلى "كتاب المورمون" ولا يوجد أي شئ مصنوع ينتمي إلى "كتاب المورمون" ولا يوجد كتاب مقدس يتعلق بكتاب المورمون" ولا توجد نقوش عن "كتاب المورمون"... لا شئ يعرض "كتاب المورمون" سوى أسطورة أو إختراع هو الذي وجد"[١٧].

على أية حال، القصة مختلفة كلياً بالنسبة للعهد الجديد. إن إستنتاجات ماكراي هي ترديد لما قاله العديد من العلماء الآخرين، بمن فيهم عالم الآثار الأسترالي المشهور كليفورد ويلسون، الذي كتب، "الذين يعرفون الحقائق يدركون الآن أن العهد الجديد يجب أن يُقبل ككتاب مصدري دقيق جداً"[١٨].

مع كريج بلومبيرج بعد أن أسس الموثوقية الضرورية لوثائق العهد الجديد، وبعد أن أكّد بروس متزجير نقلها الدقيق عبر التاريخ، وبعد أن عرض إدوين ياموكهي الأدلة الكثيرة المؤيدة من قبل المؤرخين القدماء وغيرهم، ثم الآن بعد أن أثبت جون ماكراي كيف أن علم الآثار يؤكد مصداقيتها، كان لابد أن أتفق وأوافق على رأي ويلسون. وإن قضية المسيح، بينما لا زالت بعيدة عن الكمال، لكنها بُنيت على أرض صخرية صلبة.

في نفس الوقت، عرفت بوجود بعض الأساتذة البارزين الذين يُعارضون منشقين عن هذا التقييم. ولقد رأيت أقوالهم منشورة في جريدة "النيوزويك"، كما أجريت معهم أحاديث في أخبار المساء، إذ يتحدثون عن إعادة جوهرية لتقييمهم ليسوع. وقد حان الوقت لمواجه مقالاتهم النقدية مباشرةً قبل أن أبعد من ذلك في تحقيقاتي. وهذا يعني رحلة إلى مينيسوتا لمُقابلة عالم مثقف جداً يدعى دكتور جويجوري بويد.

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. ما الذي تراه كبعض العيوب والمنافع من إستخدام علم الآثار لتأييد العهد الجديد؟

٢. لو ثبت أن لوقا وكتاب العهد الجديد الآخرين أنهم وصّلوا تفاصيل الأحداث بدقة، فهل هذا يزيد ثقتك أنهم سيراعوا نفس الدقة في تسجيل الأحداث الأكثر أهمية؟ لماذا أو لم لا؟

٣. لماذا تجد تحليل دكتور ماكراي للألغاز المتعلقة بإحصاء السكان، ووجود الناصرة، ومذبحة بيت لحم، أنها معقولة أم غير قابلة للتصديق عموماً؟

٤. بعد أن درست أدلة شهود العيان، والوثائق، والأدلة المؤيدة، والأدلة العلمية في القضية.. المسيح، هل يمكنك أن تتوقف قليلاً وتُقيِّم إستنتاجات حتى الآن. على مقياس من صفر إلى ١٠- على أساس أن الصفر يعني "لا ثقة" في الموثوقية الضرورية للأناجيل، و ١٠ تعني "ثقة كاملة"، أين تعتبر نفسك من هذه النقطة؟ وماهي بعض الأسباب لإختيارك لهذا الرقم؟

لمزيد من الأدلة

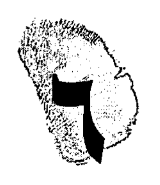
مصادر أخرى حول هذا الموضوع

• Finegan, Jack. The Archaeology of the New Testament. Princeton: Princeton Univ. Press, 1992.

• McRay, John. Archaeology and the New Testament. Grand Rapids: Baker, 1991.

• Thompson, J. A. The Bible and Archaeology. Grand Rapids: Eerdmans, 1975.

• Yamauchi, Edwin. The Stones and the Scriptures. New York: J. B. Lippencott, 1972.



أدلّةُ النقض

هل يسوع التاريخ هو نفس يسوع الإيمان؟

هذا ما يحدث طوال الوقت في إعادة "بيري ماسون" وفي الروايات ذات الأغلفة الورقية، لكنه نادر جداً في المسرحيات القانونية الواقعية. لذا عندما يرفض شاهد العيان في محاكمة لجريمة قتل الإشارة إلى المتهم كالقاتل، لكن بدلاً من ذلك يعترف بأنه هو القاتل، فإن كل الموجودين في قاعة المحكمة يُذهلون. لقد كان لديَّ قصة مُدهشة بجريدة شيكاغو تربيون.

إتّهم ريتشارد موس بإطلاق النار على مواطن من شيكاغو عمره تسعة عشر سنة، فأرداه قتيلاً خارج حانة في الشمال الغربي. واستدعى صديق عمر موس، إد باسيري، للشهادة، فوقف ليصف المشاجرة التي أدّت إلى القتل.

وصف باسيري المشهد الذي حدث خارج حانة "رستي نيل"، ثم سأله محامي الدفاع عما حدث للضحية.

فأجاب باسيري، دون أن تطرف عيناه، أنه بعد أن طعنه الضحية بالمقص "أطلقت [illegible] النار عليه"

إنذهل كاتب المحكمة فاتحاً فاه، وسقطت ايدي المدّعون، أما القاضي فقد أوقف إجراءات المُحاكمة في الحال لكي ينصح

باسيري بحقه الدستوري ضد تجريم نفسه أو إتهام نفسه بهذه الجريمة. وبعد ذلك تقدّم المتهم إلى المنصة للقول: نعم، ذلك صحيح، فقد كان باسيري من إرتكب الجريمة.

وهنا صاح محامي الدفاع قائلاً: "إن ما فعله باسيري [باعترافه] لهو عمل شجاعة خالصة".

لكن المدّعين كانوا غير مقتنعون. فسأل أحدهم "أية شجاعة؟ إن باسيري يعرف أنه لا يُخاطر بالإدعاء على نفسه، لأن الدليل الوحيد الرسمي يشير إلى ريتشارد موس!".

وحيث كانوا ما زالوا مقتنعين بأن موس هو المذنب، عرف المدّعون بأنه لابد أن يقدموا دليلاً قوياً ليفندوا إدّعاء باسيري. في الإصطلاح القانوني، أنهم يحتاجون لـ "دليل نقض"، ويُعرّف بأنه أي دليل يقدّم "ليوضّح، أو يبطل، أو يُفنّد" أقوال شاهد(١).

في اليوم التالي، إستجوب المدّعين ثلاثة شهود عيان آخرين الذين قالوا دونما شك بأن موس هو من إرتكب جريمة القتل. فبناء على هذه الشهادة، وشهادات أخرى قرر المحلفون أن موس مذنب(٢).

لقد قام المدّعون بالشيء الصائب. فعندما وجدوا أن قوة الشهادة الفائقة أشارت بوضوح إلى أن المدعى عليه مذنب، فقد كانوا من الحكمة أن يشكوا في تأكيد غير مُدعم أساساً من شخص له مصلحة أكيدة في مساعدة صديقه.

هل بالإمكان تفنيد مؤتمر يسوع؟

كيف يمكن لهذا المفهوم القانوني لدليل النقض أن يناسب تحقيقاتي عن يسوع؟

فبما أني قد سمعت شهادات مقنعة جداً ومقبولة بشكل جيد وبقوة من العلماء حول تشكيكي له في هذا الكتاب، فقد إحتجت لتحويل إنتباهي إلى الآراء المضادة بلا تردد من مجموعة صغيرة من الأكاديميين الذين كانوا معرضين لعاصفة من التغطية الإخبارية.

أنا متأكد أنكم رأيتم المقالات. ففي السنوات الأخيرة كانت وسائل الإعلام الإخبارية مشبعة بالتقارير نقد لا تتفق مع قواعد النقد النزيه عن مؤتمر يسوع، وهم مجموعة إختاروا أنفسهم ويمثلون نسبة ضئيلة جداً من علماء العهد الجديد ولكنها ولّدت تغطية واسعة وغير متناسبة نع تأثير هذه المجموعة.

جذب المؤتمر مشاركين أذكياء في الدعاية والإعلان و الصحافة بالإدلاء للتصويت باستخدام الخرز الملون عما إذا كانوا يظنون أن يسوع قد قال ما تقوله الأناجيل بأنه قاله. فالخرزة الحمراء معناها أن يسوع هذا ما قاله يسوع بلا شك أو ما يُشابهه؛ والخرزة الوردية معناها أنه ربما يكون قد قال ذلك؛ والخرزة الرمادية معناها أنه لم يقل هذا الكلام ولكن الأفكار تشبه أفكاره؛ والخرزة السوداء معناها أنه لم يقل هذه الكلمات إطلاقاً.

إستنتجوا في النهاية أن يسوع لم يقل ٨٢٪ مما تنسبه إليه الأناجيل. ومعظم الباقين ونسبتهم ١٨٪ إعتبروهم مرتابين جداً، مع بقاء ٢٪ فقط من أقوال يسوع تقرر بثقة أنها جديرة بالتصديق. ولرغبتهم الشديدة في الجدال والخلافات مع عدم وجود الخبرة للفحص بدقة التي تمكنهم أن يدققوا في نظام المؤتمر، فقد كرس الصحفيون نفورات من الحبر لهذه القصة.

ثم نشر المؤتمر "الأناجيل الخمسة"، وهو كتاب يحتوي على الأناجيل الأربعة التقليدية بالإضافة إلى إنجيل توما المشكوك فيه، مع تلوين كلمات يسوع بألوان مشفرة لتتوافق مع مكتشفات المجموعة. فلو تصفحتها فستجد كلمات كثيرة بالحبر الأسود ولكن قليلة جداً بالأحمر. فمثلاً، الكلمات الوحيدة من الصلاة الربانية التي اقتنع المؤتمر بأن يسوع قد قالها هي "أبانا".

لكني أردت تجاوز العناوين الرئيسية وأن أحفر الأرض لأكتشف، كما يحب المعلق بول هارفي القول، لأكتشف "باقي القصة". وكنت محتاجاً أن أعرف هل هناك أي دليل نقض موثوق به لدحض هذه الآراء المزعجة ذات الدعاية الواسعة. هل كانت مكتشفات مؤتمر يسوع مبنية بشكل صلب على بحث علمي غير

متحيز، أم كانت مثل شهادة باسيري سيئة المصير: حسنة النية لكنها في النهاية غير مدعمة؟

وللحصول على إجوبة، قمت برحلة بالسيارة إستغرقت ٦ ساعات إلى سانت بول، بولاية مينيسوتا، للتباحث مع الدكتور جريجوري بويد (بالنادي الجامعي)، أستاذ اللاهوت المثقف والذي كتبه ومقالاته قد تحدث مؤتمر يسوع رأساً.

المقابلة الخامسة: جريجوري إي. بويد، دكتوراه فلسفة

تصادم بويد مع مؤتمر يسوع لأول مرة سنة ١٩٩٦، حين كتب مقالة نقد مدمرة عن الآراء المتحررة عن يسوع بعنوان "حكيم متهكم أم إبن الله؟ *Cynic Sage or Son of God?*" "إستعادة يسوع الحقيقي في عصر الإجابات التي تنادي بتعديل المذهب "*Recovering the Real Jesus in an Age of Revisionist Replies* وهذا المجلد المكون من ٤١٦ صفحة والمملوء بملاحظات على الحواشي قوبل باحترام وتقدير من قراء "المسيحية اليوم *Christianity Today*"، واعتبروه واحداً من كتبهم المفضلة لهذا العام، وكتابه الشعبي المبسط "يسوع تحت الحصار *Jesus under Siege*" يستكمل نفس المواضيع على مستوى أكثر تمهيدية.

وكتب بويد الأخرى تشمل "خطابات من متشكك"، الحائز على جوائز، وفيه يتصارع مع والده المتشكك آنذاك في مسائل عويصة تتعلق بالمسيحية (والتي توجت بأن أصبح أبيه مسيحي واعد ملتزم)، وكتاب "الله في حالة حرب: الإنجيل والصراع الروحي *God at War: The Bible and Spiritual Conflict*. بالإضافة إلى ذلك، كان عالماً مساهماً في "دراسة بحث للإنجيل" التي كانت مخصصة للناس الذين يسألون أسئلة عقلانية عن الإيمان المسيحي.

وبعد حصوله على درجة البكالريوس في الفلسفة من جامعة مينيسوتا، حصل على درجة الماجستير في علم اللاهوت بامتياز من مدرسة اللاهوت بجامعة يايل والدكتوراه (بامتياز مع مرتبة

الشرف)، من معهد برينستون اللاهوتي.

ومع ذلك، فهو ليس بالمفكر العادي ذو البرج العاجي. وكان بويد بشعره الأسود المتموج، وجسمه النحيل لكن قوي، وإبتسامته الساخرة، يشبه نظيره الجامعي ذو الروح الفكاهية هاوي مانديل. ومثل ماندل، كان بويد شعلة من النشاط الصافي.

تتدفق الكلمات منه كما تتدفق المياه من إنبوب منفجر. وهو يشرح الأفكار المعقدة والمفاهيم اللاهوتية بسرعة فائقة مُسببة للدوار. يتململ، ويومئ، ويتلوى في كرسيه. وليس لديه وقت لكي يشمر قميصه، أو لتنظيم أوراقه المبعثرة في كل أنحاء مكتبه، أو لوضعها في ملفات، أو ينظم كتبه المكومة في أكوام مكدسة على الأرض ويرصها على الأرفف. فهو مشغول جداً، يفكر، ويجادل، ويستجوب، ويتساءل، ويحلم، ويتأمل، ويخترع ويناقش مشروعاً بعد آخر.

في الواقع، لا يمكن لمهنة واحدة أن تحتويه. فبالإضافة إلى مكانته كأستاذ علم اللاهوت في كلية بيثيل، هو أيضاً قسَ في كنيسة وودلاند هيلز، حيث ساعد وعظه الحماسي على زيادة حضور الشعب من إثنان وأربعون سنة ١٩٩٢ إلى خمسون وعشرون ألف اليوم. هذا الجو، جو العالم الواقعي يساعد على تثبيته في الحقائق الواقعية للحياة اليومية.

وبطريقة مرحة، يجري مناظرات مع الملحدين. وقد سبق له أن جادل مع الراحل جوردون شتاين حول موضوع "هل الله موجود؟". وتجادل مع القس الذي تحول إلى متشكك دان باركر حول موضوع "هل قام يسوع من الموت؟". وفي برنامج تحت رعاية المركز الإسلامي في مينيسوتا، تناظر مع رجل مسلم حول مسألة "هل الله ثالوث؟". وبويد بذكائه العقلي، وسرعة بديهته، وتعاطفه مع الناس، وذخيرته العميقة من المعلومات حول الكتاب المقدس والفلسفة تجعله خصماً مُرعباً.

وزيادة على ذلك، فهو يمزج الثقافة الشعبية والثقافة العلمية الجادة كأي رجل أعرفه. فهو يعرف كرة القدم مثلما يعرف

الملاحظات على هوامش الكتب. ويمكنه أن يبدأ جملة بملاحظة إرتجالية عن فيلم جديد وينهيها بإشارة مصدرية عالية المستوى إلى لغز من الألغاز الفلسفية العميقة. ويستريح لقراءة "دلبيرت" أو مشاهدة "سينفيلد" مثلما يستمتع بكتابة كتابه المؤثر "الثالوث والتقدم" وهو تقييم نقدي وإعادة تنظيم لفكرة هارتشورن عن التوحيد ثنائي القطب نحو ميتافيزيقيا الثالوث.

وأسلوبه العادي والعامي (الذي يعتبره علماء الإنجيل الآخرين "غريب" و"لا عقلاني") جعلني بسرعة أشعر بالألفة عندما إنحشرنا في مكتبه بالطابق الثاني. وسرعان ما إتضح أن بويد قد إنتهى من عمله وأستعد للذهاب.

كتابات من جماعة متطرفة

قررت البدء من منظور القارئ العادي للأخبار. فقلت "يلتقط الناس مجلة او صحيفة، ويقرأون إستنتاجات مؤتمر يسوع، ويفترضو، أن هذا يُمثّل الإتجاه العام في علم العهد الجديد. لكن هل هذه هي حقيقة الحالة؟

فأجاب قائلاً "كلا،" وكان يبدو كمن ذاق شيئاً مراً. "كلا، ليست هذه هي الحالة. لكنك على صواب، فلدى الناس هذا الإنطباع".

ثم تحرك مُتململاً في كرسيه حتى أصبح في وضع مريح يمكنه من حكاية قصة "عندما صدرت جريدة "تايم" ومقالتها الرئيسية عن "مؤتمر يسوع"، تصادف أن كنت مستمراً في حديث عن المسيحية مع شخص كنت مستمراً في بناء علاقة معه. وكان متشكك جداً بطبعه، ومُشبّع بأفكار الـ"عهد الجديد *New Age*".

"وكان لدينا صديق مشترك أُدخل إلى المستشفى، وعندما ذهبت لزيارته، وجدت هذا الشخص هناك قبلي، وكان يقرأ جريدة الـ "تايم". فلما دخلت الحجرة قال لي "حسناً يا جريج، يبدو أن العلماء يخالفونك الرأي "ثم ألقى بالجريدة إليَّ".

هز بويد رأسه من الحزن وعدم التصديق. "وكما ترى، أن هذه

المقالة أعطته المُبرر للتوقف عن الحديث معي بجدية. وبالرغم من أنه يعرف أنني عالم، إلا أنه فهم هذه المقالة كأنها تقول: أن معظم العلماء، على الأقل الذين ليسوا حمقى ولا مخبولين، يحملون وجهات النظر هذه".

بإمكاني التعاطف مع قصة بويد، بعد أن سمعت الكثير جداً من الناس يساوون بين مؤتمر يسوع وجميع العلماء. فسألته "هل تعتقد بأن هذا إنطباع عرضي؟".

فأجاب بويد "حسناً، إن مؤتمر يسوع يصوّر نفسه بهذه الطريقة. وفي الواقع، إن هذا احد أكثر المظاهر إزعاجاً، ليس فقط بالنسبة للإنجيليين بل للعلماء الآخرين أيضاً".

"فلو نظرت إلى كتابهم "الأناجيل الخمسة" تجدهم يحددون سبعة أعمدة للحكمة العلمية، كأنك يجب أن تتبع منهجهم لو كنت ستصبح عالماً حقيقياً. لكن الكثير من العلماء، من طيف عريض من الخلفيات، سيكون لديهم تحفظات جادة بخصوص واحد أو حتى معظم هذه الأعمدة. ومؤتمر يسوع يسمون ترجمتهم للكتاب المقدس "نسخة العلماء". حسناً، ما الذي يدل عليه هذا؟، أن الترجمات الأخرى ليست جديرة بالعلماء؟".

توقف للحظة، ثم دخل إلى صميم القضية وقال "هذه هي الحقيقة، إن مؤتمر يسوع يمثل فئة قليلة جداً من العلماء المتطرفين الهامشيين الذين يعتبرون جناح أقصى اليسار لفكر العهد الجديد. فهم لا يمثلون الثقافة السائدة.

"ومما يدعو للسخرية، أن لهم سمة أو علامة خاصة بمذهبهم المتشدد. فهم يقولون أن لديهم الطريقة الصحيحة لعمل الأشياء" ثم إبتسم وأضاف بضحكة مكتومة. "من ناحية التنويع، يمكنهم فعلاً أن يكونوا ضيقي الأفق".

إكتشاف يسوع "الحقيقي"

قلت "على الأقل أعتقد أن المشاركين في مؤتمر يسوع قد ظلوا

متمسكين جداً بأهدافهم. أليس كذلك؟".

فأجابني قائلاً "نعم، هذا صحيح. فهم صريحين وواضحين في قولهم أنهم يريدون إنقاذ الكتاب المقدس من الأصولية وتحرير الأمريكان من "الإعتقاد الساذج بأن يسوع الذي في الإنجيل" هو يسوع "الحقيقي". فهم يقولون أنهم يريدون يسوع المناسب للحاضر. وقد قال أحدهم أن يسوع التقليدي لم يهتم باحتياجات الأزمة البيئة، والأزمة النووية، وأزمة المساواة بين الجنسين، لذا فإننا نحتاج إلى صورة جديدة ليسوع. كما قال آخر "نريد خيالاً جديداً"

"أحد مظاهر الإنحراف أنهم يتجهون مباشرة إلى الجماهير بدلاً من الإتجاه إلى العلماء الآخرين. فهم يريدون إخراج مكتشفاتهم من البرج العاجي وينقلوها إلى الأسواق لكي يؤثروا على الرأي العام الشعبي. وما يدور في عقلهم هو شكل جديد تماماً للمسيحية".

فكرة يسوع جديد، وإيمان جديد، ومسيحية جديدة، إنها أفكار مخادعة. فقلت له "أخبرني عن يسوع هذا الذي اكتشفه المشاركون في مؤتمر يسوع. وكيف يكون شكله؟".

فقال "الأمر الأساسي، أنهم اكتشفوا ما كانوا يبحثون عنه. فالبعض يعتقد أنه كان ثوري سياسي، والبعض أنه متعصب ديني، والبعض صانع العجائب، والبعض أنه مؤمن بالمساواة بين الجنسين، والبعض بأنه مؤمن بالمساواة بين البشر، والبعض بأنه مؤمن بالتدمير. هناك تنوع كبير". وبعد ذلك ركز على المسألة الرئيسية "لكن هناك صورة واحدة كلهم متفقون عليها. يسوع يجب أن يكون يسوع منادياً ومناصراً للمذهب الطبيعي.

وبعبارة أخرى- فمهما قيل عنه- فإن يسوع كان إنساناً مثلي ومثلك. لربما كان رجلاً غير عادي، وربما أنه حرك فينا طاقتنا الكامنة كما لم يستطع أحد أن يحركها، لكنه لم يكن خارقاً للطبيعة.

"وهكذا يقولون أن يسوع وأتباعه الأوائل لم يعتبرونه إلهاً أو مسياً، ولم يروا في موته أي أهمية خاصة. وكان صلبه مؤسفاً

ومبكراً قبل آوانه، أما الروايات عن قيامته فقد جاءت فيما بعد كمحاولة للتعامل مع هذه الحقيقة المُحزنة".

إدلاء بشهادة محاكمة عادلةَ

وقفت وتمشيت إلى رف كتبه فيما كنت أصيغ سؤالي التالي "حسناً، ولكن لديك إيمانك الشخصي بأن يسوع قد قام، ولربما كان إيمانك قد صبغ وجهة نظرك غلى حد بعيد. فإن مؤتمر يسوع صبغ نفسه كمسعى غير متحيز للحقيقة، وهو ما يمكن مقارنته بالناس الملتزمين دينياً مثلك، والذين لديهم برنامج لاهوتي".

أعاد بويد مقعده لمواجهتي، ثم قال: "آه، لكن ذلك ليس هو الذي يحدث في الحقيقة، فالمشاركين في مؤتمر يسوع على الأقل هم متحيزين كالإنجيليين، وأقول ربما كانوا أكثر تحيزاً ويفترضون مجموعة كاملة من الفرضيات لثقافتهم، وهو كالذي نفعله كلنا إلى حد ما.

"فرضيتهم الرئيسي التي، على سبيل المصادفة، ليست نتاج بحث علمي غير متحيز، بأن الأناجيل لا يوثق بها عامة. وهم يستنتجون هذا منذ البداية، لأن الأناجيل تتضمن بعض الأشياء التي تبدو من الناحية التاريخية غير محتملة، مثل المعجزات، والمشي على الماء، وإقامة الموتى. ويقولوا أن هذه الأشياء لا تحدث وهذا هو المذهب الطبيعي، الذي يقول بأن كل نتيجة في العالم الطبيعي او المادي لها سبب طبيعي".

فسألته "نعم، ولكن أليست هذه هي الطريقة التي يعيش بها الناس حياتهم عادة؟ هل ترى أننا يجب أن نبحث عن التفسيرات الخارقة للطبيعة وراء كل ما يحدث من أحداث؟".

فقال بويد: "إن كل إنسان سيوافق على أنك يجب الا تنشد أسباب خارقة للطبيعة إذا لم تكن مضطراً لذلك. ولكن هؤلاء العلماء يتجاوزون ذلك ويقولون بأنه ليس هناك ضرورة لذلك مطلقاً. فهم يتصرفون وفق فرضية أن كل شئ في التاريخ قد حدث طبقاً لخبراتهم وتجاربهم، وبما أنهم لا يرون بأن هناك شيء في عالم

ما وراء الطبيعة، فهم يفترضون بأن المعجزات لم تحدث أبداً في التاريخ.

"وهذا هو ما يفعلونه: يستبعدون إمكانية وجود عالم ما وراء الطبيعة من البداية، وبعد ذلك يقولون: "اعطونا دليل الآن عن يسوع". ولا عجب أن يحصلوا على النتائج التي يريدونها".

أردت إدارة دفة الحديث قليلاً "حسناً، إذن كيف ستتصرف؟".

فقال "سأسلم بأنك يجب ألا تُنشد الأشياء الخارقة للطبيعة إلى أن تُضطر لفعل ذلك. نعم، ويجب البحث أولاً عن تفسير طبيعي. وأنا أفعل ذلك في حياتي الشخصية. فعندما أرى سقوط شجرة، فربما يرجع سبب ذلك لوجود نمل أبيض. هل من الممكن أن ملاكاً قد دفعها؟ حسناً، لن أذهب إلى هذا الإستنتاج طالما أنه هناك دليل مؤكد لذلك.

"وأنا أيضاً أُسلّم بذلك، لكن الذي لا أستطيع أن أُسلّم به هو الإفتراض المروع بأننا نعرف عن الكون بما يكفي لأن ذلك يجعلنا نقول أن الله- لو كان هناك إله- لا يستطيع أبداً أن يقتحم عالمنا بطريقة خارقة للطبيعة. فإن هذا إفتراض صلفة جداً، وهي ليست فرضية مستندة على التاريخ؛ إنك تفعل أشياء خارقة للطبيعة.

"أظن أنه يجب أن يكون هناك قدر معين من التواضع في التحقيق التاريخي للقول "أتعرف؟ من الممكن أن يسوع المسيح قام فعلاً من الموت. ومن الممكن أن يكون تلاميذه قد شاهدوا فعلا كما تقول الأناجيل بأنهم رأوه". وإذا لم تكن هناك طريقة أخرى لتفسير هذا الدليل بطريقة كافية ومناسبة، فدعنا نبحث في تلك الإمكانية".

"هذا ما أعتقد، بأنه الطريقة الوحيدة لإعطاء الدليل محاكمة عادلة.

نقد المعايير

لكي يتوصلوا إلى إستنتاجهم بأن يسوع لم يقل معظم ما

أتت على ذكره الأناجيل، فإن أعضاء مؤتمر يسوع إستخدموا المجموعة الخاصة بهم من الإفتراضات والمقاييس أو المعايير. ولكن هل هذه المعايير معقولة ومناسبة؟ أم أنها تجهز من البداية بطريقة يمكن التحكم فيها، مثل زهر النرد في الطاولة عندما يمسك بطريقة معينة بحيث يمكن التحكم فيها، وبهذا تحقق النتيجة المطلوبة من البداية؟.

وهنا بدأ بويد بتحليل الطريقة التي تتبعها المجموعة "هناك عدة مشاكل في إفتراضاتهم ومعاييرهم. فمثلاً، يفترضون أن الكنيسة التي قامت فيما بعد، هي التي وضعت هذه الأقوال على فم يسوع، ما لم يكن لديهم دليل كافي للإعتقاد بغير ذلك. وهذا الإفتراض مبني على شكهم في الأناجيل، وهذا الشك يأتي من إفتراضهم أن الأشياء الخارقة للطبيعة لا يمكن أن تحدث.

"إن المؤرخين يضعون عادة عبء الإثبات على المؤرخ لإثبات الزيف أو الا موثوقية، لأن الناس في العموم ليسوا بملزمين أن يكونوا كذابين. وبدون هذا الإفتراض لن يصبح بإمكاننا أن نعرف إلا القليل جداً عن التاريخ القديم.

وإن مؤتمر يسوع يقلب هذا الوضع رأس على عقب فيقول: يجب عليك أن تثبت بطريقة إيجابية أن القول جاء من فم يسوع. ثم يجيئون بالمعايير المشكوك فيها لإثبات ذلك. فالآن من الصواب للعلماء أن يستخدموا المعايير الملائمة للبحث عما إذا كان يسوع قد قال شيئاً معيناً، ولكني ضد فكرة أنه إذا ما لم تتوافق هذه المعايير مع يسوع، فلابد أنه لم يقل هذه الكلمات. فهذا النوع من الإستنتاج السلبي يمكن أن يكون مشكلة".

إن التعامل مع هذا العالم النظري بدأ يسبب لي من الغموض أكثر من الوضوح. فقد كنت محتاجاً لبعض الأمثلة المؤكدة حتى يمكنني تتبع النقطة التي شرحها بويد، فقلت له "حدثني عن بعض المعايير المحددة التي استخدموها".

فأجاب "أحد هذه المعايير هو التباين المزدوج، بمعنى أنه بإمكانهم تصديق أن يسوع قال شيئاً إذا لم يكن مشابهاً لما قاله

مُعلم يهودي أو الكنيسة التي جاءت فيما بعد. وإلا فإنهم يفترضوا أن هذا الكلام أدخل في الأناجيل من مصدر يهودي أو مسيحي.

"والمشكلة الواضحة هنا هي أن يسوع كان يهودياً وهو من أسس الكنيسة المسيحية، لذا يجب ألا يُهشنا بأن ما قاله له نفس النغمة اليهودية أو المسيحية! إلا أنهم برغم ذلك فقد طبّقوا هذا المعياس للتوصل إلى النتيجة السلبية التي مؤدّها أن يسوع لم يقل الكثير من الأقوال.

"ثم هناك أيضاً معيار "الدليل المتعدد" الذي يعنى أننا من الممكن فقط أن نتأكد أن يسوع قال شيئاً إذا وجد في أكثر من مصدر واحد. فالآن، يمكن أن يكون هذا إختبار مساعداً في تأكيدٍ مقولة. ومع ذلك، لماذا نجادل في الإتجاه الآخر إذا كان موجوداً فقط في مصدر واحد، ألا يكون صحيحاً؟ في الحقيقة، إن أغلب التاريخ القديم مبني على مصِادر واحدة فقط. وعلى العموم، فإذا اعتبر المصدر موثوق، وأجادل بأن هناك الكثير من الأسباب تجعلني أعتقد بأن الأناجيل موثوق بها فلابد الأخذ بالإعتبار بموثوقيتها، حتى لو لم يمكن تأكيده بمصادر أخرى.

"حتى لو كانت أقوال يسوع موجودة في إنجيلين أو ثلاثة، فإنهم لا يعتبرون أنها مرت سليمة بمعيار "الدليل المتعدد". فإذا وجدت مقولة في أناجيل متى، ومرقس، ولوقا، فإنهم يعتبرون ذلك مصدر واحد لأنهم يفترضون أن متى ولوقا نقلاً عن مرقسٍ في كتابة أناجيليهما. فقد يفشلون أن إدراك أن عدداً متزايداً من العلماء لديهم تحفظات خطيرة على نظرية أن متى ولوقا قد نقلا عن مرقسٍ. وبهذا الإتجاه في التفكير، تستطيع رؤية لماذا من الصعب جداً إثبات الدليل المتعدد".

وهنا بدأ بويد يستمر في الشرح، لكني قلت له قد شرح رأيه في أن المعايير مجهزة، مثل النرد الذي يمسك بطريقة معينة، فإنها بشكل محتم تحقق النتائج التي كانت مطلوبة من البداية.

يسوع، صانع العجائب

أحد المناهج التي يستخدمها العلماء المؤمنين بالمذهب الطبيعي كان البحث عن متوازيات بين يسوع والآخرين من التاريخ القديم كطريقة لإثبات أن إدعاءاته وأعماله لم تكن فريدة تماماً. وكان هدفهم أن يفسدوا الرأي القائل بأن يسوع كان من فريداً من نوعه.

فسألت بويد "كيف ترد على هذا الرأي؟ فمثلاً، كان هناك معلمون يهود قدماء يصنعون تعاويذ أو يصلون من أجل المطر فكان المطر يهطل، ولذلك فقد قال بعض العلماء أن يسوع كان مجرد مثال آخر من صانعي العجائب اليهود. فهل هذه الفكرة عن المتوازيات مستمرة ومدعمة؟".

كنت على وشك أن أرى بويد المجادل يجادلني بنشاط لأنه كان يجيب على أي مسألة معقدة نقطة بنقطة بدون الإستعانة بالمذكرات. وقد أسعدني كثيراً أني كُنت أسجّل محادثتنا؛ فلو كنت أدوّن ملاحظاتي لما أمكنني مُجاراة سرعته النارية في الرد.

"عملياً نجد أن فكرة التناظر والتماثل تتفكك بسرعة عندما تنظر إلى المسألة بمزيدمن الدقة " ثم بدأت تزداد سرعة الحوار "أولاً، المركزية المطلقة للأعمال الخارقة للطبيعة في حياة يسوع ليس لها نظير على الإطلاق في التاريخ اليهودي.

"ثانياً، الطبيعة الأساسية لمعجزاته تميزه. فهي ليست هطول أمطار متى صلي من أجله؛ فنحن نتحدث عن العمى، والصم، والبرص، واعوجاج العمود الفقري، كلها شفيت؛ وأوقف العواصف، وتضاعف الخبز والسمك، وأبناء وبنات أقيموا من الموت. إن هذا يفوق أي تناظر أو تماثل.

"ثالثاً، أهم شئ يميز يسوع هو كيف كان يصنع المعجزات بسلطته الخاصة. فهو الذي يقول "لو أني بأصبع الله أخرج الشياطين، فإن ملكوت الله موجود بينكم" وهو هنا يشير إلى نفسه. ويقول "إنني قد مُسحت لأطلق سراح الأسرى"، كما أنه يرجع

الفضل للآب في كل ما يفعله، ولكنك لا تجده أبداً يطلب من الله أن يفعله- بل يفعله بقوة الله الآب- وفي هذا ليس له نظير إطلاقاً.

"وهذا يتفق تماماً مع الطريقة المختلفة التي يتحدث بها عن نفسه "إن كل السلطة قد منحت لي"، "إحترموني بإجلال كما تحترموا الآب"، "السماء والأرض تزولان لكن كلامي لايزول". فإنك لن تجد المعلمين اليهود يتكلمون بهذه الطريقة في أي مكان".

فلما وصلنا إلى نهاية هذا الجدال السريع والعنيف، قلت له بضحكة مكتومة "إذن ما هو رأيك؟".

فضحك بويد ثم قال: "أي مقابلات من معلمين يهود يصنعون العجائب، سترتاح إلى المط والتوسيع".

يسوع و أبولونيوس المدهش

لم أكن أريد أن أسمح لمهارات بويد في المجادلة تخيفني أو ترعبني. فقررت أن أثير مسألة أصعب فقلت له: يبدو أن التناظر الأقوى كان بين يسوع والشخصية التاريخية الذي يدعي أبولونيوس من تيانا.

فقلت لبويد "إنك تعرف هذا الدليل مثلما أعرفه تماماً. فهنا نجد شخصاً من القرن الأول قيل أنه كان يشفي الناس، ويطرد الشياطين، وربما أنه أقام فتاة شابة من الموت؛ كما أنه ظهر لبعض أتباعه بعد موته. فإن الناس يشيرون إلى هذه المسألة ويقولون "آه، لو كنت ستعترف وتسلم بأن حكاية أبولونيوس أسطورة فلماذا لا تقول نفس الشئ عن حكاية يسوع؟".

فأومأ بويد برأسه ليبين أنه يتابعني ثم قال "سأعترف مبدئياً أن هذه المسألة مثيرة. عندما سمعت عن أبولونيوس لأول مرة كطالب في الكلية، ذُهلت فعلاً. لكنك لو درست التاريخ بهدوء وبطريقة موضوعية، فستجد أن النظراء المزعومين لن يصمدوا.

وحيث أنني أحتاج للتفصيلات، وليس للعموميات، قلت له "إستمر، إعمل مافي وسعك لإثبات هذه النقطة".

فقال لي "حسناً، أولاً إن فيلوستراتوس،كاتب سيرة حياة أبولونيوس، كان يكتب عنه بعد قرن ونصف من أيام كان أبولونيوس على قيد الحياة، بينما الأناجيل كتبت في خلال جيل واحد من حياة يسوع. فكلما كان الزمان أقرب من الحدث، كلما قلت فرصة لنمو الأساطير أو للخطأ أو تشويش الذكريات.

"وهناك نقطة أخرى وهي أن لدينا أربعة أناجيل، مؤيدة من بولس، من الممكن إعادة مراجعتها إلى درجة معينة بواسطة مؤلفين غير إنجيليين، مثل يوسيفوس وآخرين. لكن في حالة أبولونيوس نتعامل مع مصدر واحد. وبالإضافة إلى أن الأناجيل نجحت في إختيارات قياسية إستخدمت لتقييم مصداقيتها التاريخية، ولكننا لا نستطيع قول ذلك عن قصص أبولونيوس.

"وفوق كل هذا، فإن فيلوستراتوس كان مكلفاً من إمبراطورة بكتابة سيرة الحياة لكي تُكرّس لمعبد أبولونيوس. فقد كانت من أتباع أبولونيوس، لذلك فإن فيلوستراتوس من المفترض بأنه كان لديه حافز مالي للتزيين القصة وإعطاء الإمبراطورة ما تريد. من ناحية أخرى، فإن كُتّاب الأناجيل لم يكن لديهم شيء ليكسبوه أو كثير ليفدوه من كتابة حياة يسوع، وما كان عندهم دوافع خفية مثل الكسب المالي.

"أيضاً، طريقة كتابة فيلوستراتوس مختلفة تماماً عن طريقة كتابة الأناجيل. فالأناجيل لها رؤية واثقة جداً لشاهد عيان، وكأن لديهم كاميرا. أما كتابات فيلوستراتوس فتتضمن كثيراً من العبارات المترددة مثل "لقد بلغنا أن ..." أو "بعض الناس يقولون أن هذه البنت الصغيرة قد ماتت؛ وآخرون يقولون أنها كانت مريضة فقط". ثم أنه لمصلحته يتراجع ويعامل القصص على أنها قصص.

ثم أن هناك نقطة هامة: إن فليوستراتوس كان يكتب في أوائل القرن الثالث في كبودوكية، حيث كانت المسيحية موجودة بها منذ فترة طويلة. لذا فأي استعارة يكون هو الذي إستعارها، وليس المسيحيين. ويمكنك أن تتخيل أتباع أبولونيوس يرون المسيحية

كمنافس فيقولون "آه، حسناً؟ إن أبولونيوس فعل نفس الأشياء التي فعلها يسوع!" وتلك من نفس نوع القول "إن أبي يستطيع أن يغلب أبوك!".

"وهناك نقطة أخيرة، هي أنني مستعد أن أعترف بأن أبولونيوس ربما قد صنع بعض الأشياء المذهلة أو على الأقل خدع الناس فجعلهم يظنون أنه فعلها. ولكن هذا لن يشوه الأدلة المؤيدة ليسوع بأية حال من الأحوال. وحتى لو سلمت بأدلة أبولونيوس فما زال واجباً عليك أن تدرس الأدلة المؤيدة ليسوع".

يسوع و"الديانات السرية"

حسناً، فكرت في نفسي، أن نعطي لهذه المسألة محاولة واحدة أخرى. الكثير من طلبة الكليات يتعلمون مما يُدرس لهم أن العديدً من الموضوعات التي شوهدت في حياة يسوع ما هي إلا مجرد أصداء "الديانات السرية" القديمة، التي فيها حكايات عن آلهة تموت ثم تقوم من الموت، وطقوس العماد والتناول. فسألته: "ما رأيك في هذه التناظرات؟".

فأجاب "كانت هذه النقطة موضوع جدال شائع جداً في بداية القرن، ولكنها إضمحلّت عموماً لأنها كذبت ولم يصدقها أحد. أولاً لأن التوقيت الذي تضمنته، لو كنت ستجادل لموضوع الإستعارة، فلابد أن تكون في إتجاه من المسيحية إلى الديانات السرية، وليس العكس.

"كما أن الديانات السرية كانت ديانات مبدأها إعمل- كل شئ- يخصك بنفسك وكانت تستعير الأفكار بحرية من أماكن مختلفة. ومع ذلك، فإن اليهود كانوا يصونون معتقداتهم بعناية من المؤثرات الخارجية. إذا كانوا يعتبرون أنفسهم كشعب مميز ومختلف، وكانوا يقاومون الأفكار والشعائر أو الطقوس الوثنية بشدة".

ومن ناحيتي كانت أهم التناظرات المحتملة هي تلك الحكايات الأسطورية عن آلهة يموتون ثم يقومون من الموت، سألت "أليست

هذه القصص مُشابهة للمعتقدات المسيحية؟".

فقال بويد "بينما من الصواب أن نقول أن بعض الديانات السرية كان بها قصص عنٍ آلاهة تموت ثم تقوم من الموت، فإن هذه القصص كانت دائماً تدور حول دورة الحياة الطبيعية للموت ثم الولادة الثانية. فالمحاصيل تموت عند سقوطها ثم تعود إلى الحياة في الربيع. فالناس يُعبرون عن أعجوبة هذه الظاهرة المتكررة من خلال الحكايات الأسطورية عنٍ آلهة تموت ثم تقوم من الموت. وكانت هذه الحكايات تُقدم دائماً في شكل أسطوري. وكانت تصور الأحداث التي حدثت "في قديم الزمان وسالف العصر والأوان".

"لاحظ التناقض بين هذه وصورةٍ يسوع في الأناجيل. فالأناجيل تتحدث عن شخص عاش فعلاً قبل ذلك بعشرينات عديدة من السنين-وتذكر أسماء فتقول، أنه صلب تحت حكم بيلاطس البنطي، عندما كان قيافا هو رئيس الكهنة، وأبو الإسكندر ورفوس حمل صليبه، مثلاً. فهذه أشياء تاريخية واقعية ملموسة. وليس لها علاقة مشتركة مع قصص عن أحداث مفروض أنها حدثت "في قديم الزمان وسالف العصر والأوان".

والمسيحية ليس لها علاقةٍ بدورات الحياة أو المحاصيل. لكن لها علاقة بعقيدة يهودية جداً، التي ليست موجودة في الديانات السرية، عن قيامة الأموات، وعن الحياة الأبدية، والتصالح مع الله.

"أما فيما يتعلق بالإيحاء بأن معتقدات العهد الجديد عن العماد والتناول جاءت من أديان سرية، فهذا مجرد هراء وكلام فارغ. أولاً، لأن دليل هذه التناظرات المزعومة يأتي بعد القرن الثاني، وبذا فأي إستعارة لابد أنها جاءت من المسيحية، وليس العكس.

"وعندما تتمعن بعناية، تجد أن هذه التشابهات تختفي. فمثلاً، للوصول إلى مستوى أعلى في طائفة الميثرا (الفارسية)، كان على أتباعها الوقوف تحت ثور أثناء ذبحه، وبذا يمكنهم الإغتسال بدمه وأحشائه. وبعد ذلك ينضمون مع الآخرين في تناول الثور.

"والآن، لإقتراح أن اليهود كانوا سيجدون أي شئ جذاب في

هذه العملية ويريدون أن يشكلوا العماد والتناول على نمط هذه العملية البربرية فهذا شئ غير قابل للتصديق أبداً، لهذا السبب فإن معظم العلماء لايؤيدوه".

الأناجيل السرية والصلبان الناطقة

بالرغم من أن مكتب بويد كان مضطرباً وغير منظم، إلا أن عقله كان حاد الذكاء ومنظم جداً. فتحليله لهذه التناظرات والتشابهات المليئة بالأسرار لم يترك إلا مجال قليل للشك. لذا قررت الإنتقال إلى مجال آخر حيث كثيراً ما تكتب عنه وسائل الإعلام وهو: "الإكتشافات الجديدة" التي كثيراً ما تكون موضوع كتب المشاركين في مؤتمر يسوع.

فقلت له "هناك الكثير من الكتابات في الصحف الشعبية عن إنجيل توما، وإنجيل مرقس السري، وإنجيل الصليب، والـ Q، فهل هناك فعلاً أي اكتشافات جديدة تغير طريقة تفكيرنا عن يسوع؟".

فتنهد بويد بغضب "كلا، ليس هناك أكتشافات جديدة تخبرنا بأي شئ جديد عن يسوع. أما إنجيل توما فقد اكتشف منذ فترة طويلة، لكنه يستعمل الآن فقط لخلق وإيجاد يسوع آخر بديل. وبعض النظريات عن إنجيل توما قد تكون جديدة، ولكن الإنجيل نفسه ليس بجديد.

" أما بالنسبة لـ Q، فهو ليس إكتشاف بل نظرية كانت وظلت منتشرة لمدة قرن ونصف، وهذه النظرية تحاول أن تعلل المواد أو المعلومات المشتركة بين لوقا ومتى. والجديد فيها هو الطريقة المشكوك فيها للغاية التي يستخدمها العلماء اليساريين لإفتراضاتهم السابقة لكي يقسموا هذه الـ Q، الإفتراضي إلى مراحل مختلفة من التطور الأسطوري لدعم نظرياتهم التي سبق وضعها".

عرفت أن جون دومينيك كروزسان، ربما العالم الأكثر تأثيراً في مؤتمر يسوع، كان له إدعاءات قوية حول إنجيل يدعى مرقس السري. وفي الواقع إنه يؤكد أن إنجيل مرقس السري ربما يكون

فعلاً ترجمة لم تخضع للرقابة- لإنجيل مرقس- تحتوي على مسائل سرية للعارفين ببواطن الأمور الروحية(٤). وقد استخدم البعض هذا الإنجيل ليزعموا أو ليدعوا أن يسوع كان في الواقع ساحر أو أن عدداً من المسيحيين الأوائل كانوا يمارسون الشذوذ الجنسي. وهذا السيناريو التآمري إستحوذ على إنتباه وسائل الإعلام.

فسالت بويد: "ما الدليل على هذا؟". فأجاب بسرعة "لا شيء".

ومع أنه على ما يبدو لم يجد ضرورة للتوسع، إلا أنني طلبت منه توضيح ما يقصده.

فقال "كما ترى، ليس لدينا إنجيل مرقس سري، والذي عندنا هو عالم وجد معلومة مقتبسة من كليمنت الأسكندري، من أواخر القرن الثاني، والتي من المفروض أنها من هذا الإنجيل. والآن، حتى هذه المعلومة إختفت، بطريقة غامضة".

"فنحن لا نملكها، وليس لدينا جزء مقتبس منها، وحتى لو كان لدينا إقتباس منها، فليس لدينا أي مبرر يجعلنا نظن أنها أعطتنا أي معلومات صالحة عن يسوع التاريخي أو ماذا كانت فكرة المسيحيين الأوائل عنه. وفوق كل هذا أننا نعرف من قبل أن كليمنت كان له سجل سابق يدل على كونه ساذج في قبول الكتابات المزيفة.

"إذن مرقس السري، هو عمل غير موجود، ذكرفي كتاب غير موجود الآن من قبل كاتب ميت من القرن الثاني، معروف عنه أنه ساذج فيما يتعلق بهذه الأمور. والغالبية العظمى من العلماء لايعطون لهذا أي مصداقية. ولسوء الحظ فالذين يعطوه المصداقية لديهم صحف كثيرة، لأن وسائل الإعلام تحب الموضوعات الأكثر إثارة".

إن كروزسان يعطي مصداقية أيضاً لما يسمى "إنجيل الصليب" فسألت بويد: "هل هذا الإنجيل اكثر نجاحاً؟".

فأجاب بويد "كلا، معظم العلماء لا يعطونه مصداقية، لأنه

يحتوي على أساطير أجنبية. فمثلاً، يخرج يسوع من القبر ومنظره ضخم، ثم يصعد إلى ما وراء السماء، ثم يخرج صليب من القبر ويتكلم فعلاً! ومن الواضح أن الأناجيل الأكثر اعتدالاً يمكن الإعتماد عليها أكثر من أي شئ موجود في هذه الحكاية. فهو يتوافق مع الكتابات المشكوك في صحتها والتي ظهرت فيما بعد. وفي الواقع أنه يعتمد على معلومات من الإنجيل، لذلك كان يجب أن يكون تاريخه متأخراً عن تاريخ الأناجيل".

على خلاف الأغلبية الساحقة من الخبراء الكتابيين، قبل مؤتمر يسوع إنجيل توما ومنحه منزلة رفيعة جداً، ويرفعونه إلى مكان مساو للأناجيل الأربعة التقليدية. وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب إنتقد دكتور بروس متزجير هذا الوضع بشدة لكونه غير مرخص وغير مسموح به.

فسألت بويد عن رأيه "لماذا لا يُعطى لإنجيل توما هذا النوع من الشرف؟".

فقال "كل واحد يعرف أن هذا الإنجيل متأثر جداً بمذهب العرفان (الغنوسية)، التي كانت حركة دينية في القرون الثاني، والثالث، والرابع التي كان من المفترض أن لها بصيرة سرية، أو معرفة، أو رؤى أو إلهام، يمكن أن يسمح للناس أن يعرفوا مفتاح الكون. فالخلاص هو بما كنت تعرفه فكلمة "غنوس" في اللغة اليونانية معناها "يعرف".

"لذا، فمعظم العلماء يرجعون تاريخ توما إلى منتصف القرن الثاني، حيث يتوافق مع البيئة الثقافية. دعني أعطيك مثال: فهو ينسب إلى يسوع أنه قال "كل إمرأة تحول نفسها إلى رجل ستدخل ملكوت السموات"، وهذا يناقض موقف يسوع نحو المرأة كما تعرفه لكنه يتوافق جيداً مع عقلية وطريقة التفكير الغنوسي، الذين يؤمنون أن الخلاص يأتي عن طريق المعرفة الروحية.

"ومع ذلك، فإن مؤتمر يسوع تعلقوا بطريقة إعتباطية بفقرات معينة من إنجيل توما، وجادلوا أن هذه الفقرات تمثل مجموعة من التقاليد عن يسوع أقدم حتى من الأناجيل التي تعترف بها الكنيسة،

في الأناجيل القانونية.

"ولأن ولا واحد من هذه الفقرات تتضمن أي إدعاءات سامية ليسوع عن نفسه، أو أنه قام بأعمال خارقة للطبيعة، فإنهم يجادلون بأن المشهد الأقرب ليسوع أنه كان مجرد معلم عظيم. ولكن الجدال كله غير مباشر. فالمبرر الوحيد لإعتقادهم أن هذه الفقرات في إنجيل توما قديمة أولاً لأنها تحتوي على صورة ليسوع يعتقد هؤلاء العلماء أنه يسوع الأصلي. وفي الواقع ليس هناك سبب وجيه لتفضيل إنجيل توما الذي يرجع إلى القرن الثاني على أناجيل القرن الأول التي في العهد الجديد.

التاريخ مقابل الإيمان

يسوع التاريخ ويسوع الإيمان: يعتقد أعضاء مؤتمر يسوع بوجود فجوة كبيرة بين الإثنان. ففي رأيهم أن يسوع التاريخ كان رجلاً ذكياً سريع الخاطر مثقف ولم يدعي أبداً أنه إبن الله، بينما يسوع الإيمان هو عبارة عن مجموعة من المشاعر والأفكار الباعثة على الإرتياح التي تساعد الناس أن يعيشوا حياة مستقيمة ولكنها في النهاية مبنية على التفكير في أن يفعلوا ما يتمنون فعله.

فعندما أثرت هذا الموضوع قال بويد "ليس هناك فجوة بين يسوع التاريخ ويسوع الإيمان. فإنك إذا لم تصدق كل شئ يقول أن يسوع إله وأنه عمل على مصالحة الناس مع الله، فستجد بأن هناك تناقض واضح بين الإثنان.

"وهم على العموم، يُعرّفون يسوع الإيمان بهذه الطريقة: هناك رموز دينية لها مغزى واضح عند الناس، رمز كون يسوع إله، والصليب، والمحبة الفادية، والقيامة. ومع أن الناس لا يؤمنون فعلاً بأن هذه الأشياء حدثت فعلاً. فبالرغم من ذلك تُلهم الناس أن يعيشوا حياة صالحة، ويتغلبوا على الرعب الوجودي، وإدراك القوى الكامنة الجديدة، لبعث الأمل في وسط اليأس هراء، هراء، هراء".

ثم هز كتفيه مستهجناً، وقال "آسف، لقد سمعت هذه العبارة كثيراً، حتى أنها ما زالت تحتل أذني!

"لذا يقول هؤلاء التحرريين أن الأبحاث التاريخية لا يمكنها أن تكتشف يسوع الإيمان، لأن يسوع الإيمان ليس له جذور تاريخية. فهو مجرد رمز. لكن إسمع: إن يسوع ليس رمزاً لأي شئ ما لم يكن له جذر في التاريخ. وإن قانون الإيمان طبقاً للمجمع المسكوني لا يقول "نتمنى أن تكون هذه الأشياء صحيحة" بل يقول: "يسوع المسيح صلب تحت حكم بيلاطس البنطي، وفي اليوم الثالث قام من الموت" ثم يستمر من هذه النقطة.

"فالحقيقة اللاهوتية مستندة على الحقيقة التاريخية. وتلك هي الطريقة التي يتحدث بها العهد الجديد. أنظر إلى عظة بطرس في الأصحاح الثاني من أعمال الرسل. فهو يقف ويقول: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَاراً عَنْ رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هَذَا الْيَوْمِ. فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَاداً. فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللهُ وَنَحْنُ جَمِيعاً شُهُودٌ لِذَلِكَ. وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ سَكَبَ هَذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ. لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ. فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحاً".

"خُذ المعجزات وأنت تأخذ القيامة، وبعد ذلك لن يبقى لديك شيء للإعلان. قال بولس إن لم يقم يسوع من بين الأموات، فإيماننا باطل، وعديم الفائدة، وفارغ".

ثم توقف بويد لحظة. وانخفض صوته درجة من طريقة الوعظ إلى تعبير قوي عن الإقتناع الشخصي، ثم قال بعزم وتصميم: "إني لاأريد أن أبني حياتي على رمز، أريد الحقيقة، والإيمان

المسيحي مُتجذِّر دائماً في الواقع. أما الذي ليس له جذور في الحقيقة فهو إيمان العلماء التحرريين. أولئك الذين يتتبعون أملاً كاذباً أو وهماً، لكن المسيحية ليست أملاً كاذباً أو وهماً".

الجمع بين التاريخ والإيمان

لقد قضينا الكثير من الوقت في الحديث عن يسوع الذي يؤمن به أعضاء مؤتمر يسوع، يسوع رمزي، ولكنه لا يقدر أن يقدم للعالم أي شئ سوى وهم الأمل. ولكن قبل أن نفترق، أردت أن أسمع عن يسوع الذي يؤمن به جريجوري بويد. إنني محتاج أن أعرف إذا كان يسوع الذي يبحث أبحاث، ويكتب كتب علمية عنه كأستاذ علم اللاهوت، هو نفس يسوع الذي يلقى يعظ عنه في كنيسته صباح أيام الأحد.

فقلت له "دعني أفهم هذه النقطة بوضوح، يسوعك الذي تنتمي إليه، أهو كل من يسوع التاريخ ويسوع الإيمان؟".

وهنا أطبق بشدة على قبضة يده ليؤكد كلامه كأني قد قرأت أفكاره "نعم، إنه هو بالضبط ما أؤمن به!".

وبعد أن قال هذه الكلمات متعجباً، تحرك حتى أصبح على حافة الكرسي وقد أحس أنه قد عبّر تماماً عما جعلته ثقافته وقلبه يؤمن به.

ثم قال "إن هذه المسألة تشبه ما يأتي: لو أحببت شخصاً فإن حبك يتجاوز حقائق هذا الشخص، ولكن جذوره راسخة في حقائق هذا الشخص. فمثلاً، أنت تحب زوجتك لأنها رائعة الجمال، ولطيفة، وحلوة، وحنونة. فكل هذه الأشياء حقائق عن زوجتك، لذلك فأنت تحبها.

"ولكن حبك يتجاوز هذا الأمر. فقد تعرف كل هذه الأشياء عن زوجتك ولكنك لا تعشقها ولا تثق فيها، لكنك فعلاً تحبها. وهكذا فالقرار يتجاوز حدود الدليل، ومع ذلك فالحب موجود على أساس الدليل.

"وهذا هو نفس الوضع في حالة الوقوع في حب يسوع. فلكي تكون لك علاقة مع يسوع المسيح فهذه العلاقة تتجاوز مجرد معرفة الحقائق التاريخية عنه، رغم أنه مُتجذر في الحقائق التاريخية عنه. فإني أؤمن بيسوع على أساس الأدلة التاريخية، ولكن علاقتي بيسوع تتجاوز حدود هذه الأدلة. يجب أن أضع ثقتي فيه وأمشي معه على أساس علاقة يومية".

فقاطعته لأقول "نعم، ولكن هل تُسلّم بأن المسيحية تدعي بعض الإدعاءات عن يسوع من الصعب تصديقها".

فأجاب قائلاً "نعم، بالطبع أُسلّم بهذا. ولهذا السبب أشعر بسعادة لأن لدينا أدلة قوية لدرجة لا يمكن تصديقها، تبين لنا أن هذه الإدعاءات صادقة".

ثم أضاف: "بالنسبة لي، أعتقد أنه ليس هناك منافسة، فالدليل الذي يثبت أن يسوع كان كما قال عنه تلاميذه، وأنه صنع المعجزات التي قالوا أنه صنعها، وأنه قام من الأموات وأنه إدعى هذه الإدعاءات عن نفسه، كل هذه تبعد مسافة تبلغ سنين ضوئية عن مبرراتي لمجرد التفكير في العلماء اليساريين في نادي مؤتمر يسوع على أنهم على صواب.

"ما الذي لدى هؤلاء العلماء؟ حسناً، هناك تلميح قصير عن إنجيل "سري مفقود"، في رسالة يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثاني، ولسوء الحظ أن هذه الرسالة شوهدت من قبل شخص واحد وأنه الآن قد فقد. وهناك قصة يرجع تاريخها إلى القرن الثالث تحكي عن الصلب والقيامة وتحكي عن صليباً ناطقاً وأن أقل من حفنة من العلماء يعتقدون أن تاريخها يرجع إلى ما قبل الأناجيل. ثم هناك مستند غنوسي، يحاول بعض العلماء أن يرجعوا بعض أجزائه إلى تاريخ مبكر لكي يدعموا تصوراتهم سلفاً. وهناك وثيقة إفتراضية بنيت على فرضيات مهزوزة تقطع إلى أجزاء أصغر وأصغر باستخدام الجدال المتكرر".

وهنا تراجع بويد إلى الوراء على كرسيه، ثم قال وهو يهز رأسه "لا، أنا آسف، أنا لن أشتريه. إن الشئ الأكثر معقولية هو

أن أضع ثقتي في الأناجيل التي نجحت في إختبارات الفحص التاريخي نجاحاً باهراً افضل من أن أعلق آمالي على ما يقوله أعضاء مؤتمر يسوع".

عاصفة من النقد

عدت إلى فندقي، وأعدت في ذهني مقابلتي مع بويد. فشعرت بنفس ما كان يشعر به:. إذا لم يكن يسوع الإيمان هو أيضاً يسوع التاريخ، لأصبح ضعيفاً عاجزاً وبلا معنى. وإذا لم يكن له جذور في الواقع، وإذا لم يكن قد بُرهن على ألوهيته بقيامته من الموت حياً، لأصبح مجرد رمز باعث على الإرتياح لكنه عديم الأهمية مثل سانتا كلوز (بابا نويل).

ولكن هناك دليل قوي بأنه أكثر من ذلك. لقد سمعت حتى الآن شهود عيان مدعمين بشكل جيد، وأدلة مستندية، ومدعمة، وعلمية تؤيد إدعاء العهد الجديد أنه الله المتجسد، وكنت مستعداً لأن أقطع الطريق مرة أخرى لكي أحفر مستخرجاً أدلة تاريخية أخرى حول شخصيته و قيامته.

في نفس الوقت ليس جريج بويد هو الصوت الوحيد الذي يصرخ محتجاً ومعترضاً على نادي مؤتمر يسوع، فهو جزء من أصوات عالية متزايدة من النقد، ليس فقط من الإنجيليين المتحفظين المشهورين، بل أيضاً من علماء آخرين محترمين يمثلون تشكيلة واسعة من الخلفيات اللآهوتية.

وهناك مثال قريب مثل المكان الذي أقضي فيه ليلتي في الفندق، حيث إلتقت كتاباً بعنوان "يسوع الحقيقي"، الذي إشتريته مؤخراً. مؤلفه هو الدكتور لوك تيموثي جونسون، الأستاذ المُعتبر جداً للعهد الجديد والأصول المسيحية في مدرسة كاندلر للاهوت، بجامعة إموري. وجونسون كاثوليكي روماني، كان راهباً بنديكتي قبل أن يصبح عالماً متخصصاً في دراسة الالكتاب المقدس، ومؤلفاً عدداً من الكتب المؤثرة.

وإن جونسون يشوه نادي مؤتمر يسوع بطريقة منظمة،

فيقول: "إنه لا يمثل مطلقاً جوهر ثقافة العهد الجديد، بأي حال من الأحوال. إنه يتبع عمليةٍ متحيزة ضد أصالة تعاليم الإنجيلية، ونتائجه قد تقررت فعلاً قبل موعدها". ويستنتج أن "هذه ليست دراسة مسئولة، أو حتى ناقدة، إنها تمثيلية تطلق العنان للرغبات المنغمسة في الشهوات".

ثم يستمر في نقده ليقتبس ما قاله علماء آخرون مشهورون لهم آراء مشابهة، ومن بينهم الدكنور هَوارد كلارك كي، الذي دعى نادي مؤتمر يسوع "عار أكاديمي"، وريتشارد هايز من جامعة ديوك، الذي كتب مراجعة لكتاب "الأناجيل الخمسة" وفيها يؤكد "أن القضية التي يجادلها هذا الكتاب، لن تستطيع الدفاع عن نفسها في أي محكمة".

وهنا أغلقت الكتاب وأطفأت النور. وغداً سأستأنف البحث عن أدلة تستطيع أن تواجه أي هجوم.

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. هل قرأت قصص إخبارية عن آراء مؤتمر يسوع؟ ماذا كانت ردك على ما جاء فيها؟ هل أعطتك هذه المقالات الإنطباع أن مكتشفات نادي مؤتمر يسوع تمثل رأي معظم العلماء؟ ما الأخطار التي تراها في الإعتماد على وسائل الإعلام في تقارير عن مسائل من هذا النوع؟

٢. عندما تجري بحثك الخاص عن يسوع، يجب أن تستبعد أي إمكانية للأشياء الخارقة للطبيعة منذ البداية، أم تسمح لنفسك بدراسة جميع الأدلة التاريخية حتى لو كانت تشير إلى المعجزات بأنها قد حدثت؟ ولماذا؟

٣. قال بويد "لاأريد أن أبني حياتي على رمز، بل أريد الحقيقة الواقعة..." لماذا توافق أو تختلف؟ هل يكفي أن يكون يسوع رمز للأمل أم أنه يهمك أن تثق بأن حياته، وتعاليمه، وقيامته لها جذور في التاريخ؟ ولماذا؟

مزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Boyd, Gregory A. Cynic Sage or Son of God? Recovering the Real Jesus in an Age of Revisionist Replies. Wheaton, Ill.: BridgePoint, 1995.

—. Jesus under Siege. Wheaton, Ill.: Victor, 1995.

Johnson, Luke Timothy. The Real Jesus. San Francisco: HarperSanFrancisco, 1996.

Wilkins, Michael J., and J. P Moreland, eds. Jesus under Fire. Grand Rapids: Zondervan, 1995.

الجزء الثاني

تحليل يسوع





دليل الهوية
هل كان يسوع مقتنعاً حقاً بانه إبن الله؟

جون دوجلاس كان لديه قدرة غريبة للنظر في عقول الناس الذين لم يقابلهم أبداً.

ولكونه أصلاً "محل نفسيي" لمكتب التحقيقات الفيدرالي. كان دوجلاس يجمع المعلومات من مسرح الجريمة ثم يستخدم بصيرته للنظر داخل شخصية المجرم الذي ما زال حراً طليقاً.

مثال ينطبق على هذه الحالة: توقّع دوجلاس أن "قاتل تريلسيد" أن قاتل متسلسل يطوف بالمناطق المشجّرة قرب سان فرانسيسكو من سنة ١٩٧٩ إلى ١٩٨١. بانه سيكون شخص لديه صعوبة في التكلم بالإضافة إلى ميول نحو الوحشية الحيوانية، والتبول اللا إرادي، وإحراق المباني عمداً. وكما هو متوقع، ألقي القبض على هذا الشخص أخيراً وأدين في هذه القضية، وكان مطابقاً لهذه الأوصاف تماماً[١].

ومع حصوله على الدكتوراه في علم النفس، وما لديه من خبرة سنين كمخبر، وموهبة طبيعية لفهم السلوك البشري، أصبح دوجلاس مشهوراً ببراعته العالية في التشخيص. ولقد شارك في تأليف العديد من الكتب الأكثر رواجاً حول هذا الموضوع، وعندما فازت جودي فوستر بجائزة الأوسكار عن أدائها في فيلم "صمت الحملان" شكرت دوجلاس علناً لكونه الشخصية الواقعية من

واقع الحياة الذي كان وراء توجيهها كمستشارة بمكتب التحقيقات الفيدرالي.

كيف يقدر دوجلاس على فهم عملية التفكير لدى أشخاص لم يسبق له ان قابلهم؟ وقد شرح دوجلاس هذه البراعة لمجلة "سيرة حياة" بعبارة "السلوك والتصرفات تعكس الشخصية"(٢).

وبعبارة أخرى فإن دوجلاس يفحص بدقة الأدلة المتروكة في مسرح الجريمة وحيثما كان ذلك ممكناً، يجري مقابلات مع الضحايا ليكتشف بالضبط ما قاله وفعله المجرم. ومن هذه الأدلة، المتروكة والتي هناك نتاج لسلوك الشخص يستنتج التركيب النفسي للشخص.

والآن نعود إلى يسوع: بدون أن نجري حوار معه. كيف نستطيع أن ننقب في عقله لنحدد ما إذا كانت دوافعه، ونواياه، وفهمه لذاته؟ كيف نعرف ما إعتقده عن نفسه، وما الذي كان يفهمه عن ماهية مهمته؟

فبالنظر إلى تصرفاته، سيقول دوجلاس: إذا أردنا فهم إن كان يسوع يعتقد بأنه هو المسيا أو إبن الله — أو كان يعتبر نفسه كمجرد معلّم يهودي أو نبي — فإننا تحتاج لمعرفة ما فعله، وما قاله، وكيف كانت علاقته بالآخرين.

إن السؤال عما كان يسوع يعتقده عن نفسه يعتبر مسألة حساسة. فبعض الأساتذة يؤكدوا أن أسطورة ألوهية يسوع قد فرضت على التقليد المُتعلّق بيسوع من قبل مؤيدين مبالغين في حماسهم بعد موته بسنوات. ويعتقد هؤلاء الأساتذة، أن يسوع الحقيقي، سينقلب في قبره لو علم أن الناس تعبده. فإذا تخلصت من الأساطير وأعدت المادة إلى اقرب معلومات عنه، فسنجد أنه لن يكون أي شيء أكثر من مُعلّم يهودي متجول ومثيراً للرعاع من حين لآخر.

لكن هل شهادة التاريخ إلى جانبهم؟ لإكتشاف ذلك، سافرت جواً إلى ليكسنجتن، بولاية كنتاكي، وذهبت بالسيارة في طرق متعرجة ماراً بسلسلة من مزارع الخيل الرائعة لتعقب أثر العالم الذي يؤكد كتابه الرائع "كرستولوجي يسوع *The Christology*

of Jesus" لمواجه هذا الموضوع بالذات.

المقابلة السادسة: بن وذرنجتون الثالث، دكتوراه فلسفة

ليس هناك الكثير في مدينة ويلمور الصغيرة جداً، بولاية كنتاكي، فيما عدا معهد آزبيري اللاهوتي، حيث وجدت مكتب بن وذرنجتون في الطابق الرابع لبناية على طراز مباني المستعمرات بالقرب من الطريق الريفي الرئيسي. وطبقاً لكرم الضيافة لرجل جنوبي، قدم لي مواطن كارولينا الشمالية كرسي مريح وبعض القهوة حين جلسنا لمناقشة ما الذي اعتقده يسوع الناصري عن نفسه؟

كان هذا الموضوع أرضاً مألوفة لوذرنجتون، وهو الموضوع الذي تضمنته كتبه "يسوع الحكيم *Jesus the Sage*؛ وجوه كثيرة للمسيح *The Many Faces of the Christ*؛ البحث عن يسوع *The Jesus Quest*؛ ويسوع، وبولس ونهاية العالم *Jesus. Paul, and the End of the World*؛ والنساء في إرسالية يسوع *Women in the Ministry of Jesus*" والذي ظهرت مقالاته عن يسوع في قواميس متخصصة ومجلات أكاديمية.

وقد تعلم في معهد جوردون كونويل اللاهوتي (ماجستير في اللاهوت بامتياز مع مرتبة الشرف)، وجامعة دورهام في إنجلترا (دكتوراه في اللاهوت بتركيز على العهد الجديد). وقد درَّس ودرنجتون في معهد آزبيري، ومدرسة أشلاند اللاهوتية، كلية اللاهوت بجامعة ديوك، وجوردن كونويل. وعضويته تشمل جمعية دراسة العهدد الجديد، وجمعية الأدب الكتابي، ومعهد أبحاث الكتاب المقدس.

وكان وذرنجتون يتكلم بحرية ووضوح، يزن كلماته بعناية، وبذلك كان يبدو فعلاً كعالم فعلاً. ومع ذلك كان صوته يكشف عن روعة، أو حتى رهبة، خفية لكنها جلية واضحة. وقد ظهر هذا الإتجاه أكثر من ذلك عندما أخذني في جولة في الأستديو عالي التقنية حيث كان يمزج صور يسوع بالترانيم التي تلقى كلماتها

ضوءاً على الحنان، والتضحية، والإنسانية، والعظمة في حياته وإرساليته.

بالنسبة لعالم يُدوّن حواشي بغزارة، ملوّنه بشكل حذر. ونثر دقيق أكاديمياً على الموضوعات التقنية عن يسوع، وهذا التزاوج الفني للفيديو والموسيقى يعتبر منفذاً شاعرياً لإكتشاف أحد جوانب يسوع التي تستطيع الفنون الخلاقة وحدها الإقتراب من إدراكهه.

رجعنا إلى مكتب وذرنجتون. وقررت البدء بفحص مسألة غدراك يسوع لنفسه بسؤال كثيراً ما يقفز إلى أذهان القراء عندما يتعرفون على الأناجيل لأول مرة.

"الحقيقة بأن يسوع كان غامضاً نوعاً ما بخصوص هويته، أليس كذلك؟" سألت هذا السؤال فيما كان وذرنجتون يسحب كرسياً من الجانب المقابل لي. "وقد كان ميالا لتجنب الإعلان الصريح عن نفسه كالمسيا أو ابن الله. أليس هذا لأنه لم يكن يظن في نفسه أنه المسيا أو إبن الله أم كانت لديه أسباب أخرى؟"

أجاب وذرنجتون بعدما إستقرّ على كرسيه واضع ساقاً على ساق "كلا، لم يكن لأنه لم يعتقد في نفسه ذلك. فلو كان أعلن ببساطة "مرحباً، أيها الناس، أنا الله" وهو ما كان يمكن أن يُسمع كـ "أنا يهوه"، لأن اليهود وقتئذ لم يكن لديهم أي فكرة عن مفهوم الثالوث. فقد كانوا يعرفون فقط الله الآب، الذي إسمه يهوه، وليس الله الابن أو الله الروح القدس.

"إذن لو قال شخص ما أنه الله، وهذا ما ليس له أي معنى عندهم إلا أن يُرى ككُفر واضح. وهو ما كان يؤدي إلى نتيجة عكسية لجهود يسوع في الوصول إلى الناس ليستمعوا إلى رسالته.

"بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك فعلاً مجموعة كبيرة من التوقعات لما يمكن أن يكون عليه شكل المسيا، ولم يرد يسوع أن يُصنّف في فئة شخص آخر. بالتالي، كان حريصاً جداً في كل ما كان يقوله علناً. لكن حينما ينفرد بتلاميذه كان الموقف يختلف. لكن الأناجيل كانت في المقام الأول تخبرنا عما فعله يسوع علناً".

إستكشاف التقاليد المبكرة

في سنة ١٩٧٧ ظهر كتاب من تأليف عالم اللاهوت البريطاني جون هيك وستة من زملائه ذوي عقلية مماثلة أثاروا زوبعة نارية من الجدال، مفترضين أن يسوع لم يعتبر نفسه أبداً الله المتجسد أو المسيا. وقالوا فيما كتبوا، أن هذه المفاهيم نشأت فيما بعد وكتبت في الأناجيل ولذلك بدا أن المسيح إدعى لنفسه هذه الإدعاءات.

ولاستكشاف هذا الإدعاء، رجع وذرنجتون إلى أقدم التقاليد عن يسوع، المادة الأكثر بدائية، والأكثر أمناً من التطوير الأسطوري، واكتشف أدلة مقنعة تتعلق بمسألة كيف كان يري يسوع نفسه حقاً.

أردت التنقيب في هذا البحث، فبدأت بهذا السؤال: "ما هي الأدلة التي يمكن أن نجدها حول فهم يسوع لنفسه من خلال علاقاته بالآخرين؟"

وهنا فكر وذرنجتون لحظة ثم أجاب قائلاً "أنظر إلى علاقته مع تلاميذه، فقد كان لدى يسوع إثنا عشر تلميذاً، ومع ذلك لاحظ أنه لم يكن واحداً من الإثنا عشر".

وفيما يبدو ذلك كتفصيل بدون أي إختلاف، إلا أن وذرنجتون قال أنها مهمة جداً وذات مغزى.

"فإذا كان الإثنا عشر تلميذاً يمثلون إسرائيل الجديدة، فأين يكون موقف يسوع؟ فالرابطة لا تعني بإنه ليس مجرد جزء من إسرائيل، وليس جزءاً من المجموعة المُخلّصة، فهو الذي يشكل المجموعة تماماً مثلما شكّل الله شعبه في العهد القديم وهيأ أسباط إسرائيل الإثنا عشر. تلك إشارة عما إعتقده يسوع عن نفسه".

ثم استمر وذرنجتون في وصف مفتاح حل اللغز الذي يمكن وجوده في علاقة يسوع بيوحنا المعمدان. "يقول يسوع: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ". وبعد أن قال هذا، يذهب لما هو أكثر في إرساليته مما فعل يوحنا المعمدان بصنع

المعجزات مثلاً. فماذا يعني ذلك عن إعتقاد يسوع حول نفسه؟

"وعلاقته بالزعماء الدينيين ربما كانت الأكثر وضوحاً. فقد أعطى يسوع التصريح الجوهرية حقاً "لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هَذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ". بصراحة، هذا التصريح يُبطل أجزاء هائلة من سفر اللاويين في العهد القديم، بقواعده شديدة التدقيق فيما يتعلق بالطهارة.

"حينها، لم تعجب هذه الرسالة الفريسيون. وكانوا يريدون بقاء الأمور كما هي، ولكن يسوع يقول "كلا، فلدى الله خطط أخرى، فهو يفعل شيئاً جديداً". وهنا لابد أن نسأل "ما نوع هذا الشخص الذي يعتقد بأن لديه السلطة لإبطال جزء من كتاب اليهود المقدس والموحى به من الله ويستبدلها بتعاليمه الخاصة؟.

"وماذا كانت علاقته- لو أمكننا أن نسميها علاقة- مع السلطات الرومانية؟ لابد لنا أن نسأل لماذا صلبوه؟ فلو كان مجرد حكيم مسالم يحكي أمثال صغيرة، لطيفة، عاقلة، غير مؤذية، فكيف ينتهي به الحال على صليب، خصوصاً في موسم عيد الفصح، عندما لم يكن هناك يهودي يريد أن يعدم أي يهودي؟ لابد أن هناك مبرراً للافتة التي كانت فوق رأسه والتي كتب عليها "هذا هو ملك اليهود".

ترك وذرنجتون هذا التعليق الأخير معلقاً في الهواء، قبل أن يشرحه بنفسه "إمّا أن يسوع كان قد قال هذا الإدعاء عن نفسه، أو أن شخصاً آخر إعتقد وبشكل واضح أنه قاله".

بإصبع الله

بينما تفتح علاقات يسوع أمامنا نافذة توصلنا إلى طريقة معرفته لذاته، قال وذرنجتون بأن أعمال يسوع- وخصوصاً معجزاته- تعطينا بصيرة إضافية. ومع ذلك، رفعت يدي لكي أستوقفه.

"بالتأكيد لا يمكنك القول بأن معجزات يسوع تثبت أنه أعتقد أنه الله. لأن تلاميذه خرجوا، فيما بعد، وفعلوا نفس الأشياء، وبالتأكيد

أنهم لم يقدموا أي إدعاء بالآلوهية".

فأجاب وذرنجتون قائلاً "كلا، ليست حقيقة أن يسوع صنع معجزات هي التي تلقي ضوءاً على معرفته لذاته. لكن ما هو مُهم هو كيف تُفسّر معجزاته".

فسألته "ماذا تقصد؟"

فأجاب: "يسوع يقول: إِنْ كُنْتُ بِإِصْبَعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ". فلم يكن كصانعي المعجزات الآخرين الذين يصنعون أشياء مدهشة ثم تمضي الحياة كما كانت دائماً. كلا، فبالنسبة ليسوع، فإن معجزاته تُشير إلى مجيء ملكوت الله. فإن معجزاته عينة تعطينا فكرة عما سيكون عليه شكل ملكوت الله. وهذا يبين أن يسوع يختلف عن باقي صانعي المعجزات الآخرين..."

فقاطعته مرة أخرى قائلاً "توسع قليلاً في شرح هذه النقطة، كيف أن هذا يجعل هذا يسوع مختلفاً؟"

فأجاب وذرنجتون "يرى يسوع معجزاته كإحداث لمجيء شيئ غير مسبوق، وهو مجئ ملكوت الله. فهو لا يرى نفسه مجرد صانع معجزات؛ بل يرى نفسه الشخص الذي فيه ومن خلاله ستتحقق وعود الله. وهذا ليس بإدعاء خفي، بل واضح جداً بالتفوق والسمو".

أومأت برأسي موافقاً، الآن بدت هذه النقطة معقولة بالنسبة لي. مع أنني عدت إلى كلمات يسوع، بحثاً عن مزيد من المفاتيح لحل لغز معرفته لذاته.

فقلت لوذرنجتون "لقد دُعي من قبل أتباعه "رابوني" أو "رابي" (ومعناها الحاخام عند اليهود). أليس هذا يدل على أنه كان مجرد احد المعلمين اليهود كغيره من الحاخامات الآخرين في عصره؟"

فابتسم وذرنجتون إبتسامة عريضة ثم قال "في الواقع أن يسوع كان يعلم بطريقة جديدة راديكاليتية. فهو يبدأ تعاليمه بقوله: "الحق

أقول لكم" ومعناها "أنا أقسم مقدماً بصدق على ما أوشك قوله – وهذا كان ثورياً جداً".

فسألته "وكيف كان ذلك؟"

فأجاب "في الديانة اليهودية تحتاج لشهادة شاهدين ليشهدوا، فالأول يستطيع أن يشهد بصدق الشاهد الثاني، والعكس بالعكس. لكن يسوع يشهد لصدق أقواله هو. فبدلاً من أن يبني تعاليمه على شهادة الآخرين، فإنه يتكلم بسلطانه هو.

"من ثَمَّ، نجد هنا شخصاً إعتبر نفسه ذا سلطة تفوق سلطة أنبياء العهد القديم. إعتقد أنه ليس يمتلك فقط الإلهام الإلهي، كداود الملك، بل أيضاً السلطة الإلهية وقوة النطق بالكلام الإلهي مباشرةً".

بالإضافة إلى استخدام عبارة "الحق أقول لكم" في تعاليمه. إستخدم يسوع المصطلح "آباً" عندما كان يشير إلى الله. فسألت وذرنجتون "ما الذي يخبرنا به هذا المصطلح "آبا" عما إعتقده يسوع عن نفسه؟"

فأجاب وذرنجتون شارحاً المصطلح "إن "أبا" تعنى الألفة والمودة بين طفل وأبيه. ومن المشوق حقاً، أنه أيضاً المصطلح الذي كان يستخدمه التلاميذ لمعلم محبوب في أوائل اليهودية. ولكن يسوع كان يستعمله مع الله، وعلى قدر علمي، كان هو وأتباعه الوحيدون الذين كانوا يصلون لله بهذه الطريقة".

وعندما طلبت من وذرنجتون أن يحدثني بالتفصيل عن أهمية هذا. فقال لي "في المنطقة التي كان يسوع يعمل بها، كان اليهود معتادين أن يؤدوا عملهم مع الإلتزام بذكر اسم الله وكان اسم الله هو اللفظة الأكثر قداسة التي يمكن نطقها، حتى أنهم كانوا يخافون من الخطأ في تلفظها. وعندما كانوا يخاطبون الله، فقد يقولوا شيء مثل "القدوس، المُبارك". ولكنهم ما كانوا يستخدمون إسمه الشخصي. فقلت له "وأبا مُصطلح شخصي".

فأجاب قائلاً "شخصي جداً، وهو مصطلح مصطلح التحبب الذي يقول فيه الطفل لأبيه "يا أبي العزيز، ماذا تريدني أن أفعل؟".

ومع ذلك، فقد شعرت بتضارب واضح في هذا الكلام فقاطعته قائلاً "إنتظر لحظة"، إن إستعمال كلمة "أباً" عند الصلاة لا يتضمن معناها أن يسوع يعتبر نفسه الله لأنه علّم تلاميذه أن يستعملوا نفس الكلمة في صلاتهم، وهم ليسوا الله".

فأجاب وذرنجتون "في الواقع، أن أهمية "أباً" هي في أن يسوع هو الذي بدأ علاقة عميقة لم تكن متاحة من قبل. فالسؤال هو: ما نوع الشخص الذي يستطيع أن يغير مصطلح العلاقة مع الله؟ ما نوع الشخص الذي يستطيع أن يبدأ علاقة تعبر عن عهد جديد مع الله؟".

بدت هذه التفرقة معقولة لي، فسألته "إذن ما المعنى الذي تعتبره المقصود من إستعمال يسوع لكلمة "أبا"؟

فأجاب "معناها يشير ضمناً إلى أن يسوع لديه درجة من الألفة مع الله يختلف عن أي شئ في الديانة اليهودية في تلك الأيام. ثم أرجو أن تسمعني، إليك هذا المعنى الذي أصاب الهدف: إن يسوع يقول من خلال وجود علاقة معه فقط يصبح هذا النوع من لغة الصلاة- هذا النوع من علاقة الأبا مع الله- ممكناً. وحول هذه النقطة تقول مجلدات عن كيف إعتبرَ يسوع نفسه.

وهنا بدأ وذرنجتون يضيف مفتاحاً آخر لحل اللغز- وهو إشارة يسوع المتكررة إلى نفسه على أنه "إبن الإنسان"- لكني أخبرته أن خبيراً سابقاً وهو كريج بلومبيرج سبق أن شرحها لي أن هذه الكلمة كانت إشارة إلى ما جاء بسفر دانيال الأصحاح السابع فوافق وذرنجتون أن هذا الإصطلاح مهم للغاية في إظهار معرفة الذات الفائقة ليسوع كالمسيا.

وعند هذه النقطة توقفت عن الكلام لأدون مذكرات عما قاله وذرنجتون. فعندما قمت بتجميع مفاتيح اللغز عن علاقات يسوع، ومعجزاته، وكلماته، فإن فهمه لذاته أصبح في بؤرة واضحة.

يبدو أنه ليس هناك إلا قليل من الشك مبني على أقدم الأدلة، بأن يسوع كان يعتبر نفسه أكثر من صانع أعمال عظيمة، وأعظم من معلم، وأعظم من نبي آخر بين أنبياء كثيرين. وكان هناك أدلة

كثيرة تجعلنا نستنتج أنه كان يعرف نفسه بإصطلاحات فريدة ذات منزلة سامية. ولكن إلى أي حد بالضبط كانت معرفته لذاته شاملة؟

صورة يوحنا عن يسوع

في إفتتاحية إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول، يستخدم يوحنا لغة ملوكية مهيبة وواضحة لتأكيد ألوهية يسوع بجرأة

> فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ.
> هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ.
> كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ ...
> وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً. يوحنا ١: ١- ٣، ١٤

وإني أتذكر قراءة هذه المقدمة الملكية الفخمة عندما قرأت إنجيل يوحنا لأول مرة. وأتذكر أني سألت نفسي: أتساءل كيف كانت ستكون إستجابته يسوع إذا قرأ كلمات يوحنا عنه؟ فهل كان سيتراجع ويقول "ما هذا، لدى يوحنا فهم خاطئ كلياً! لقد زينني وحولني إلى أسطورة لدرجة أني لا استطيع حتى أن أتعرف على نفسي"؛ أم تُراه سيومئ بإستحسان ويقول "نعم، أنا كل الذي ذكرت وأكثر؟

فيما بعد صادفتني كلمات العالم ريموند براون، الذي كان له استنتاجه الخاص: "لا أجد أي صعوبة في إفتراض أنه إذا قرأ يسوع إنجيل يوحنا... كان سيجد هذا الإنجيل تعبير مناسب عن هويته".

فوجدت أن هذه كانت فرصتي لأسمع مباشرة من وذرنجتون، الذي قضى حياته كلها يحلل التفاصيل بطريقته العلمية فيما يتعلق بمعرفة يسوع لذاته، لأسأله إن كان يوافق على تقييم براون.

ولم يكن في رده أي تردد أو غموض حين قال "نعم، أوافق، وليس لديَّ أي مشكلة في ذلك. فعندما تدرس إنجيلٍ يوحنا، فإنك تدرس صورة مترجمة ليسوع، لكني أعتقد أيضاً أنها صورة

منطقية لما كان مفهوماً عن يسوع التاريخي.

"وسأضيف أنا هذا: حتى لو حذفت إنجيل يوحنا، فما زال لا يوجد يسوع لا يعتبر المسيا، يمكن استحضار صورته من محتويات الأناجيل الثلاثة الأخرى. فهي غير موجودة أصلاً".

وفي الحال فكرت في المقولة المشهورة، والتي سُجلت في إنجيل متى، حين إجتمع يسوع بتلاميذه قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ». وبدلاً من أن يتجنب الموضوع نجد أن يسوع أكد لبطرس وشهد له بقوة ملاحظته فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «طُوبَى لك يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ (أنظر، متى١٦: ١٥- ١٧).

ومع ذلك، فإن بعض الصور الشائعة عن يسوع مثل فيلم "الإغراء الأخير للمسيح" تظهره كمضطرب أساساً حول هويته ورسالته. فهو مُحمّل بالغموض والقلق المشوب بالذنب.

وهنا سألت وذرنجتون "هل هناك أي دليل أن يسوع كانت لديه أزمة هوية؟".

فأجاب الأستاذ "ليس هناك أزمة هوية، ولو أنني أصدّق بأنه لديه نقاط تأكيد الهوية، في مواضع معينة، عند معموديته، وعند تجربته (من الشيطان)، وعند التجلي، وفي بستان جثسيماني؛ هذه كلها لحظات حاسمة أكد الله له فيها من يكون وماهي رسالته.

"على سبيل المثال،أنا لا أعتقد أن واجباته لم تبدأ بصفة جدية حتى بعد تعميده، عندما سمع الصوت القائل "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!"

"ماذا كان يعتقده عن مهمته؟"

"أدرك أن رسالته، أنه جاء ليحرر شعب الله، لذ، فإن رسالته كانت موجهة لإسرائيل".

فقلت مُشدداً: "خصيصاً لإسرائيل".

فقال وذرنجتون "نعم، هذا صحيح. فقليلة هي الأدلة التي تدل على أنه كان يقصد الأمم (غير اليهود) أثناء إرساليته، فتلك كانت مهمة الكنيسة التي جاءت فيما بعد. فكما تعرف، إن وعود الأنبياء كانت موجهة لإسرائيل، وإلى إسرائيل كان يجب أن يذهب".

"أنا والآب واحد"

في كتابه "الإيمان المعقول *Reasonable Faith*" يشير وليم لين كريج إلى وجود كمية كبيرة من الأدلة تدل على أنه في خلال عشرين سنة من الصلب كانت هناك كريستولوجيا[1] تامة تُعلن يسوع كإله متجسد.

أشار المؤرخ الكنسي جاروسلاف بيليكان إلى أن أقدم عظة مسيحية، وأقدم تقرير عن شهيد مسيحي، وأول تقرير وثني عن الكنيسة، وأول صلاة طقوسية (١كورنثوس ١٦: ٢٢) كلها تشير إلى يسوع كرب وإله. وقال بليكان "من الواضح أنها الرسالة عما آمنت به الكنيسة وعلمت بأن "الله" هو الإسم المناسب ليسوع المسيح"[٤].

في ضوء هذا الكلام، سألت وذرنجتون "هل ترى أي طريقة ممكنة تمكن هذا من الظهور- خصوصا بهذه السرعة- لو لم يكن يسوع قد إدعى إدعاءات فائقة ومسيانية حول نفسه؟".

وهنا كان وذرنجتون مُصراً "لا، لم يكن ذلك ممكناً، ما لم تكن مستعداً أن تجادل بأن التلاميذ نسوا تماماً ما الذي كانه يسوع التاريخي، وأنه لم يكن لديهم علاقة بالتقاليد والتعاليم التي بدأت تظهر بعد موت يسوع بعشرين عاماً. وبصراحة كمؤرخ أقول أن هذا الكلام ليس له معنى إطلاقاً".

ثم أضاف قائلاً "عند التعامل مع التاريخ نجد أن كل أنواع الأشياء ممكنة ولكن ليس كل الأشياء الممكنة محتملة على حد سواء.

---

١ كرستولوجي= التعليل اللاهوتي لشخص المسيح

ثم سألني "هل من الممكن أن كل هذه الأشياء قد حدثت بفعل السحر مستمدة من الهواء الخالي في غضون عشرون عاماً من موت يسوع، عندما كان هناك على قيد الحياة شهود على شكل يسوع التاريخي وما زلوا أحياء؟".

وإذ أجد ذلك الإفتراض التاريخي غير محتمل مثل أي شئ آخر من الممكن أن يصادفك. القضية الحقيقية هي ماذا حدث بعد صلب يسوع مما جعل التلاميذ يغيرون رأيهم، أقصد التلاميذ الذين أنكروا وخالفوا تعاليم يسوع وتخلوا عنه؟ ببساطة حدث لهم شئ مشابه لما حدث ليسوع عند عماده، فقد تأكد لهم أن يسوع كان الشخص الذي كانوا يأملونه".

وماذا كان شكله بالضبط؟ وبينما كنت أختتم وقتي مع وذرنجتون، طلبت منه أن يلخص لي هذه النقطة. وبعد أن يأخذ كل أبحاثه بعين الإعتبار، ماذا كان استنتاجه الشخصي عن ماذا كان رأي يسوع في ذاته؟ فسألته هذا السؤال ثم جلست مرة أخرى وتركته يوضحه، وهذا هو ما فعله ببلاغته وفصاحته واقتناعه.

"إعتقد يسوع بأنه الشخص الذي عينه الله ليحقق ذروة عمل الخلاص الإلهي في التاريخ البشري. إعتقد بأنه أداة الله في تنفيذ هذا الأمر، وأن الله قد فوضه وأعطاه السلطة، وأنه يتكلّم بإسم الله، وأن الله يرشده لأداء هذه المهمة. لذلك فالذي قاله يسوع هو الذي قاله الله، والذي فعله يسوع هو عمل الله.

"وبحسب المفهوم اليهودي للوكالة هو أن "وكيل الإنسان هو مثل الإنسان نفسه". تذكر كيف أرسل يسوع رسله وقال لهم "أي شئ يفعلونه معكم كأنهم قد فعلوه معي". فقد كانت هناك رابطة قوية بين الإنسان وبين وكيله الذي يرسله في مهمة.

"حسنا، إعتقد يسوع بأنه مكلف بمهمة آلاهية، وهذه المهمة هو أن يخلص شعب الله. ومضمون هذا المعنى أن شعب الله قد ضلوا وأن الله لابد أن يفعل شيئاً- كما كان يفعل دائماً- لكي يتدخل ويعيدهم إلى المسار الصحيح. ولكن هناك فرق هذه المرة، وهو أن هذه كانت آخر مرة، فتلك كانت الفرصة الأخيرة.

"هل كان يعتقد يسوع بأنه إبن الله، والممسوح من الله؟ الإجابة نعم. هل كان يعتبر نفسه أنه المسيا النهائي؟ نعم، هذه هي الرؤية التي يرى نفسه بها. هل كان يعتقد بأن أي شخص أقل شأناً من الله يمكنه أن ينقذ العالم؟ كلا، أنا لا أعتقد أنه كان يعتقد ذلك.

"وهذه هي النقطة التي تجعل التناقض غريباً بقدر الإمكان، وهي الطريقة التي كان الله سينقذ بها العالم كانت بموت إبنه، فأكثر أعمال الإنسان إنسانية هي الموت.

فالآن إن الله بطبيعته الإلهية، لا يموت. لذا كيف كان الله سينفذ هذا العمل؟ كيف كان الله سيكون هو منقذ الجنس البشري؟ كان لابد أن يأتي في صورة إنسان لإنجاز هذه المهمة. وكان يسوع يعتقد أنه هو الذي سيؤدي هذه المهمة.

"وقد قال يسوع في إنجيل مرقس١٠: ٤٥ "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانَ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ". فهذا إما يكون أعلى شكل من أشكال جنون العظمة أو هو مثال لشخص يعتقد فعلاً، كما قال "أنا والآب واحد"، وبعبارة أخرى "إن لي السلطة لأن أتكلم نيابة عن الآب؛ ولي القدرة لأن أقوم بأي عمل نيابة عن الآب، وإذا رفضتموني فقد رفضتم الآب".

"وحتى لو حذفت الإنجيل الرابع وقرأت فقط الأناجيل الثلاثة، فستظل هذه هي النتيجة التي تصل إليها. وهي أيضاً النتيجة التي كان يسوع سيرشدنا إليها لو درسنا الكتاب المقدس وسألناه هذا السؤال.

"ولابد أن نسأل: لماذا لا يوجد يهودي آخر من القرن الأول لديه اليوم ملايين من الأتباع؟ ولماذا لا توجد حركة يوحنا المعمدان آخر؟ ولماذا من كل شخصيات القرن الأول، بمن فيهم الأباطرة الرومان، يسوع وحده هو الذي يعبده الناس اليوم. بينما الآخرون قد اندثروا وتفتتوا في تراب التاريخ؟

"السبب هو لأن هذا يسوع- يسوع التاريخي- هو أيضاً الرب الحي. ولماذا؟ لأنه ما زال موجوداً بيننا فيما هلك الآخرون.

في مكان الله ذاته

مثل وذرنجتون، هناك علماء آخرون كثيرون قد بذلوا غاية الجهد للتنقيب عن أقدم الأدلة عن يسوع فتوصلوا إلى نفس النتيجة.

كتب كريج "ها هو رجل الذي إعتبر نفسه إبن الله بمعنى فريد، الذي إدعي أنه يعمل ويتحدث بسلطة إلاهية، وهو الذي كان يعتبر نفسه صانع المعجزات، والذي إعتقد أن مصير الناس الأبدي يتوقف على ما إذا كانوا يؤمنون به أم لا".

ثم أضاف تعليقاً مروعاً بوجه خاص: "إن مفاتيح اللغز التي تكفي للتحليل اللاهوتي لإدراك يسوع لشخصه، موجودة حتى في العشرين في المائة الضعيفة من أقوال يسوع التي يعترف بها أعضاء نادي مؤتمر يسوع كأصيلة. والدليل الذي يجعلنا نستنتج أن يسوع كان قد أعد نفسه للوقوف في مكان الله نفسه، هو دليل "مقنع تماماً للغاية" قد وافق عليه العالم اللاهوتي رويس جوردن جروينلير.

وقال كريج "إن تأكيد يسوع غير عادي لدرجة أنه مما لا يمكن تجنبه أن تعرض سلامته العقلية على بساط البحث. ويلاحظ أن جيمس دون بعد أن أكمل دراسته التي تعتبر كملحمة عن هذه القضية. فقد أضطر بعد ذلك لتعليق سؤال واحد أخير لا يمكن تجاهله: هل كان يسوع مجنون؟"(8).

في مطار ليكسنجتون، بينما كنت أنتظر رحلة الطائرة للعودة إلى شيكاغو، وضعت عملات معدنية في تليفون عمومي وطلبت موعداً لمقابلة واحد من كبار خبراء البلاد البارزين في علم النفس.

فقد حان الوقت لأن أكتشف ذلك.

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. ماذا تظن أنها بعض المبررات التي جعلت يسوع يتجنب الكشف عن هويته للجماهير؟ وهل يمكنك أن تتخيل بعض الطرق التي كان أي إعلان مُبكّر عن ألوهيته سيحدث ضررا لمهمته؟

٢. ماهي بعض الصعوبات التي نواجهها في تحديد ماذا كانت الشخصيات التاريخية تعتقده في نفسها؟ وما مفاتيح حل اللغز التي تعتبرها مفيدة في محاولة تحديد هذا؟ ولماذا كانت مفاتيح اللغز التي قدمها وذرنجتون قد أقنعتك أو أخفقت في إقناعك أن يسوع إعتقد بأنه الله أو المسيا؟

٣. علّم يسوع تلاميذه إستعمال المصطلح "أباً" أو "أبانا المحبوب"، في مخاطبة الله، ماذا يعرفك هذا عن علاقة يسوع بالآب؟ وهل هذا النوع من العلاقة جذاب بالنسبة لك؟ لماذا ولماذا لا؟

مزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Craig, William Lane. «*The Self-Understanding of Jesus.*» In *Reasonable Faith*, by William Lane Craig, 233-54. Westchester, 111.: Crossway. 1994.

Marshall. I. Howard. *The Origins of New Testament Christology*. Downers Grove. 111.: InterVarsity Press, 1976.

Moule. C. F. D. *The Origins of Christology.* Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1977.

Witherington. Ben, III. *The Christology of Jesus.* Minneapolis: Fortress, 1990.



الدليل النفسي

هل كان يسوع مجنوناً عندما إدّعى بأنه ابن الله؟

عندما يقوم العالم النفساني أو الطبيب النفساني بإجراء إختباراته، فسوف يرتدي قبعة مخروطية الشكل لا يقل طولها عن قدمين. وسطحها الخارجي مطبوع عليه نجوم وصواعق البرق. وبالإضافة إلى ذلك، فلابد أن تكون له لحية بيضاء لا يقل طولها عن ١٨ بوصة، وسيؤكد نقاط حاسمة من شهادته بطعن الهواء بعصا تشبه الصولجان. وكلما قام العالم النفساني أو الطبيب النفساني بإعطاء شهادة فإن حاجب المحكمة سيقوم في نفس الوقت بإطفاء أنوار قاعة المحكمة وبقرع مرتين على جرس صيني.

باقتراح هذا التعديل في قوانين الأمة في سنة ١٩٩٧ كان عضوٍ مجلس الشيوخ عن ولاية نيو مكسيكو دنكان سكوت لم يترك مجالاً للشك عن موقفه من الخبراء الذين يشهدوا بأن المتهمين مجانين ولذا فهم غير مسئولون قانونياً عن جرائمهم. ويبدو أن أغلبية زملاء سكوت كانوا يشاركونه سخريته — وصوتوا بالموافقة على إقتراحه الساخر! إنتشرت النكتة حتى وصلت إلى مجلس النواب الذي في النهاية منعه من أن يصير قانوناً[١].

في الحقيقة، هناك شكوك خفية في قاعات المحاكم بخصوص

الأطباء والعلماء النفسانيين الذين يشهدون بما يتعلق بالحالة العقلية للمتهمين، وقدرتهم في التعاون مع محاميهم في تحضير دفاعهم، وبيان إن كانوا مجانين قانونياً وقت إرتكابهم للجريمة. ومع ذلك، يعترف معظم المحامين بأن خبراء الصحة النفسية يقدمون مساعدات هامة في تبصير نظام القضاء الجنائي.

وإني أتذكر قضية كانت فيها ربة منزل هادئة الطباع، أصبحت موضعاً للإتهام بقتل زوجها. ومن النظرة الأولى لم يبدو أنها مختلفة عن أي شخص، فهي حسنة المظهر، أم، لطيفة، وكانت تبدو وكأنها قد إنتهت تواً من خبز كمية جديدة من الكعك بالشيكولاتة لأطفال الجيران. لقد سخرت عندما شهد عالم نفساني بأنها غير مؤهلة عقلياً لمواجهة المحاكمة.

وحينما وضعها محاميها على منصة الشهود. كانت في أول الأمر شهادتها واضحة ومنطقية وصافية. ومع ذلك، فقد أصبحت ببطء أكثر فأكثر غرابة وشذوذاً حين وصفت، بهدوء وبجدية شديدة، كيف هوجمت بواسطة سلسلة متعاقبة من أشخاص مشهورين، من بينهم دوايت آيزنهاور وشبح نابليون. وعندما انتهت من شهادتها لم يعد هناك أحد في قاعة المحكمة يشك بأنها بعيدة الإتصال تماماً عن حياة الواقع. فحولها القاضي إلى مؤسسة نفسية حتى تصبح صحتها قادرة على مواجهة الإتهامات الموجهة إليها.

فالمظاهر قد تكون خادعة. ووظيفة العالم النفساني هي أن ينعم النظر فيما وراء المظهر المخادع للمتهم ويقدّم إستنتاجات فيما يتعلق بحالته أو حالتها النفسية. فهو علم غير دقيق، بمعنى أن الأخطاء وحتى إساءة الإستعمال يمكن حدوثها، لكن، عموماً، فإن شهادة العالم النفساني توفر الحماية الهامة للمتهمين.

ما علاقة كل هذا بيسوع؟ في الفصل السابق قدم الدكتور بن وذرنجتون الثالث أدلة كافية بأنه حتى أقدم المعلومات عن يسوع أثبتت أنه كان يدعي أنه الله المتجسد. ومن الطبيعي أن هذا يثير مسألة هل كان يسوع مجنوناً عندما إدعى هذه الإدعاءات.

وللبحث عن تقييم خبير في حالة يسوع العقلية، ذهبت بالسيارة إلى مبنى مكاتب في ضاحية مدينة شيكاغو لكي أحصل على شهادة من واحد من أعظم خبراء البلاد في القضايا النفسية.

المقابلة السابعة: جاري أر كولنز، دكتوراه في علم النفس

مع حصوله على درجة الماجستير في علم النفس من جامعة تورنتو، والدكتوراه في علم النفس السريري من جامعة پوردو، فقد كان كولنز يدرّس، وتدريس، وكتابة، عن السلوك البشري لمدة خمسة وثلاثون سنة. كان أستاذاً لعلم النفس في مدرسة الثالوث الإنجيلية اللاهوتية لمدة عشرين عاماً، ومعظم هذه المدة كان رئيساً لقسم علم النفس.

وكسلك الكهرباء الملئ بالطاقة والحماس الغير محدود، كان كولتنز مؤلفاً غزير الإنتاج. فقد كتب حوالي ١٥٠ مقالة للمجلات والنشرات الدورية الأخرى وهو حالياً رئيس تحرير "المشورة المسيحية اليوم *Christian Counseling Today*"، ومحرر مُساهم في مجلة "علم النفس واللاهوت *Psychology and Theology*".

كما ألف ٤٥ كتاباً مدهشاً عن موضوعات مرتبطة بعلم النفس، من بينها "العقل الرائع *The Magnificent Mind*"؛ و "الصدمة العائلية، هل بالإمكان الثقة بعلم النفس؟ *Family Shock; Can You Trust Psychology?*"؛ والكتاب الكلاسيكي الممتاز "المشورة المسيحية: مرشد شامل *Christian Counseling: A Comprehensive Guide*" وبالإضافة إلى ذلك كان مديراً للتحرير للثلاثين مجلد "مصادر للمشورة المسيحية *Resources for Christian Counseling*"، وهي سلسلة من الكتب لخبراء الصحة النفسية.

وجدت كولنز في مكتبه المُشرق ذو الهواء الطلق في الرابطة الأمريكية للمستشارين المسيحيين، وهي جمعية مكونة من خمسة عشر ألف عضو يرأسها كولنز. وبشعره الذي يشبه بلونه الملح والفلفل ونظارته ذات الإطار الفضي، كان أنيقاً في سترته الكستنائية

ذات الياقة المدوّرة، وجاكت سبور بلون الرنجة، وبنطلون رمادي (لكن للأسف، بدون قبعة أو لحية بيضاء مسترسلة).

بدأت مقابلتي بالإشارة إلى النافذة، حيث كان الجليد يتساقط بلطف على الأشجار الدائمة الخضرة. ثم قلت له: "على بعد بضعة أميال في هذا الإتجاه توجد مؤسسة عقلية حكومية، فلو ذهبنا إلى هناك، أنا متأكد أننا سنجد بعض الناس يدّعون بأنهم الله. فنقول أنهم مجانين. ويسوع قال بأنه الله، فهل كان مجنوناً، أيضاً؟".

فقال كولنز بضحكة خافتة "إذا كنت تريد الإجابة القصيرة، فهي لا".

ولكني ألححت، هذا موضوع منطقي يستحق مزيداً من التحليل. فالخبراء يقولون أن الأشخاص الذين يعانون من الإختلال العقلي التضليلي قد يبدون عقلاء معظم الوقت، ومع ذلك فمن الممكن أن يكون لديهم معتقدات تتسم بالمبالغة بأنهم أشخاص أفضل من كل الناس وقد يستطيع بعضهم إستقطاب أتباع يؤمنون بأنهم عباقرة. فلمحت، لربما يكون ذلك ما حصل مع يسوع.

فأجاب كولنز فيما شَبك يديه وراء رأسه "حسناً، صحيح أن الأشخاص ذوي المشاكل النفسية غالباً ما يدّعون بأنهم شخص ما نخالف للحقيقة. وأحياناً يزعمون بأنهم يسوع نفسه أو رئيس الولايات المتحدة أو شخصاً آخر مشهور مثل لي ستروبل (قالها مازحاً).

ثم أضاف قائلاً "على أية حال، فإن علماء النفس لا يكتفون بمجرد النظر إلى ما يقوله الشخص. فإنهم يتعموقون أكثر من ذلك بكثير. ويفحصون مشاعر الشخص، لأن الأشخاص المضطربين كثيراً ما يبدون إكتئاب غير ملائم، أو قد يكونون غاضبين بشدة، أو ربما يكونون مصابون بالقلق. لكن أنظر إلى يسوع: لم يُظهر أبداً أي مشاعر غير ملائمة. فمثلاً، بكى عند موت صديقه لعازر، وذلك طبيعي بالنسبة لشخص سليم من الناحية العاطفية.

فقلت مؤكداً "بالتأكيد أنه كان يغضب، أحياناً".

فأجاب كولنز "نعم، كان فعلاً يغضب، لكنه كان نوع من الغضب الصحي من الأشخاص الذين يستغلّون المظلومين بملء جيوبهم في الهيكل. ولم يكن يوبّخ بشكل لا عقلاني لأن شخصاً ما يُزعجه؛ هذا كان رد فعل له ما يبرره ضد الظلم وسوء المعاملة الصارخ للناس.

ثم أضاف "وهناك أشخاص آخرون مخدوعون يعانون من عدم القدرة على الفهم. فيظنون أن الناس يراقبونهم أو يحاولون إثارتهم ومضايقتهم، ويفقدون الصلة بالواقع. ويسيئون فهم تصرفات الآخرين ويتهمونهم بفعل أشياء لم يكن في نيتهم أبداً فعلها. وهنا، مرة أخرى، لا نرى هذا في تصرفات يسوع. فمن الواضح أنه كان على صلة بالواقع. ولم يكن مذعوراً، مع أنه كان يفهم ويدرك بحق أن هناك بعض الأخطار الحقيقية جداً حوله.

"أو أن اناس ذوي إضطرابات نفسية قد يعانوا من إضطرابات في التفكير، فلا يستطيعون القيام بمحادثه منطقية، ويقفزون إلى نتائج خاطئة، ففهم غير عقلانيون. ونحن لا نرى هذا في يسوع. فقد تكلّم بوضوح، وبقوة، وبشكل بليغ. وكان لامع الذكاء وكانت لديه بصيرة مذهلة جداً في الطبيعة البشرية.

"وهناك علامة أخرى على الإضطرابات النفسية في السلوك الغير ملائم، مثل إرتداء الملبس الشاذ، أو عدم القدرة على الإرتباط الإجتماعي بالآخرين. أما سلوك يسوع فكان متوافقاً تماماً لما كان متوقع، وكانت لديه علاقات عميقة ومتواصلة مع فئات متنوعة جداً من الناس في مختلف مجالات الحياة".

ثم توقّف، مع إني شعرت بأنه لم ينتهي من حديثه بعد. فدفعته للإستمرار بسؤال، "هل تُلاحظ أي شيء آخر عن يسوع؟"

حدّق كولنز إلى النافذة حيث المنظر الطبيعي الجميل الهادئ للأرض المغطاة بالجليد. وعندما إستأنف حديثه، كان وكأنه كان مستغرقاً في الذكريات عن صديق قديم.

"لقد كان يسوع مُحباً للناس لكنه لم يسمح لعاطفته أن تشل حركته؛ ولم يكن أنانياً مغروراً، مع أنه كان غالباً مُحاطاً بحشود

معجبة به؛ وقد كان محافظاً على توازنه رغم أسلوب الحياة الكثير المطالب؛ وكان يعرف دائماً ماكان يعمله وإلى أين ذاهب؛ وكان مهتماً بعمق بأمور الناس، بما فيهم النساء والأطفال، الذين لم يكن يعتبرهم الناس وقتئذ بذات أهمية. وكان قادراً على قبول الناس بينما لم تطرف عينه لحظة عن خطاياهم؛ وكان يستجيب للأفراد بناء على ما يرغبونه أو ما يحتاجونه بشكل فريد".

فسألته "إذن يا دكتور، ما هو تشخيصك؟".

فاستنتج قائلاً "كلّه تمام، فأنا لا أرى أي دلائل تُشير إلى أن يسوع كان يعاني من أي مرض عقلي معروف. ثم أضاف مبتسماً "لقد كانت صحته أحسن من أي شخص آخر، بمن فيهم أنا!".

"يهتاج مجنوناً"

من المُسلّم به، عندما نعيد النظر عبر التاريخ، فإننا لا نرى دلائل واضحة تدل على التوهم في يسوع. ولكن ماذا عن الأشخاص الذين كانوا يتفاعلون معه مباشرة؟ ماذا رأوا من موقعهم الأقرب والممتاز؟

فقلت لكولنز موضحاً "بعض الناس الذين كانوا موقع الأحداث في القرن الأول سيختلفون معك في الرأي بشدّة، فقد استنتجوا بأن يسوع كان مجنوناً. ويخبرنا إنجيل يوحنا ١٠: ٢٠ فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ [اليهود]: «بِهِ شَيْطَانٌ وَهُوَ يَهْذِي. لِمَاذَا تَسْتَمِعُونَ لَهُ؟»، فتلك كلمات شديدة وعنيفة!.

فاحتجَّ كولنز "نعم، لكن هذا لا يُعدّو تشخيصاً من قبل أخصائي محترف ومدرب في الصحة النفسية. أنظر إلى الدافع لتلك الكلمات، لقد كان تعليم يسوع المؤثر والعميق بكونه الراعي الصالح. فكان ردهم بأن مزاعمه حول نفسه كانت، وما زالت حتى الآن، فوق مستوى فهمهم لهذه الحكمة المأثورة، وليس لأن يسوع كان فعلا مضطرباً نفسياً.

"ولاحظ أن تعليقاتهم قد تُحديت من قبل الآخرين فوراً، إذ قالوا

في الآية (٢١) "لَيْسَ هَذَا كَلاَمَ مَنْ بَهِ شَيْطَانٌ. أَلَعَلَّ شَيْطَاناً يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَحَ أَعْيُنَ الْعُمْيَانِ؟".

فسألته "لماذا هذه النقطة مهمة؟"

فأجاب "لأن يسوع لم يكن مجرد شخص يدعي إدعاءات خيالية عن نفسه، بل كان يؤيدها بمعجزات رحمة، كشفاء العميان.

"فكما ترى، إذا إدعيت بأني رئيس الولايات المتحدة، لكان هذا جنون. فإنك ستنظر إليَّ فلا تجد أي بهارج تدل على مكتب الرئيس. ولا أبدو مثل الرئيس. ولن يقبل الناس سلطتي كرئيس. ولا يوجد وكلاء جهاز مخابرات سري سيحرسونني. لكن لو أن الرئيس الحقيقي إدعى أنه الرئيس، فلن يُعدُّ هذا جنوناً، لأنه فعلاً الرئيس وسيكون هناك الكثير من الأدلة لتأكيد ذلك.

"على نحو مماثل، فإن يسوع لم يدعي فقط بأنه الله، بل دعم هذا الإدعاء بحقائق مذهلة وبأعمال شفاء مذهلة، وبإظهار قوة سلطة مدهشة على الطبيعة، وبتعليمٍ فائق وغير مسبوق، وببصيرة إلهية بمعرفة قلوب الناس، وأخيراً بقيامته من الموت، التي لم يستطع أحد أنٍ يقلدها مطلقاً. ولذلك فحين إدعى يسوع أنه الله، لم يكن مجنوناً، فتلك كانت الحقيقة".

على أية حال، فلجوء كولنز لمعجزات يسوع فتح الباب أمام إعتراضات أخرى، "بعض الناس حاولوا أن يقللوا من أهمية هذه المعجزات التي من المفترض أنها تساعد على إثبات صحة إدعاء يسوع بأنه إبن الله. وبعد أن قلت له هذا أخرجت كتاباً من حقيبة أوراقي، ثم قرأت له كلمات المتشكك تشارلز تمبلتون.

> "العديد من الأمراض، كانت في ذلك الوقت مثلما هي الآن، تدل على التفاعل بين الظواهر الجسدية والظواهر النفسية، ويمكن أن "تُعالج" متى تغيرت قدرة المريض على الفهم. مثلما يحدث اليوم عندما يصف الطبيب دواء لمجرد إرضائه وكان المريض يؤمن بهذا الطبيب، أحدث هذا الدواء شفاءً واضحاً، وهكذا في الزمن القديم، كان الإيمان بالشخص المداوي يستطيع القضاء على الأعراض المرضية. ومع

كل نجاح، كانت سمعة المعالج تنمو وتزداد، ونتيجة لذلك فإن قدرته تصبح أكثر فعّالية[٢].

فسألته "هل هذا يستبعد المعجزات التي مفروض أنها تدعم إدعاء يسوع بأنه ابن الله؟".

وهنا أدهشني رد فعل كولنز حين أجاب قائلاً "لا أريد إبداء قدر كبير من عدم الموافقة على ما كتبه تمبلتون".

فقلت له "لا تريد؟".

فقال "فعلاً لا أريد. هل كان يسوع يمكنه أحياناً شفاء الناس بالإيحاء؟. ليس لديَّ مشكلة في ذلك. فأحياناً ما يكون مرض الناس أحدثته حالة نفسية، وإذا حصلوا على هدف جديد للحياة، أو إتجاه جديد، فلن يحتاجوا للمرض بعد ذلك".

فقلت له "تأثير الدواء الذي يرضي المريض؟ فإنك إذا اعتقدت أنك ستتحسن، فأنت في أغلب الأحيان ستتحسن. وهذه حقيقة طبية راسخة. وعندما أتى الناس إلى يسوع، كانوا يؤمنون أنه يستطيع أن يشفيهم، وفعلاً شفاهم. ولكن تبقى الحقيقة: بغض النظر عن كيف قام بذلك، فقد شفاهم يسوع.

ثم أضاف بسرعة "لكن طبعاً هذا لا يفسر كل شئ عن شفاءات يسوع. لأن شفاء الأمراض النفس/جسمية في أغلب الأحيان ما يستغرق بعض الوقت؛ أما شفاء يسوع للأمراض فكان بطريقة تلقائياً. ففي مرات كثيرة كان الناس الذين يتم شفاؤهم نفسياً ترجع نفس الأعراض إليهم بعد أيام قليلة، ولكننا لا نرى أي دليل على هذا في معجزات يسوع المتعلقة بالشفاء. كما أن يسوع قام بشفاء حالات مزمنة كالعمى والبرص، التي كانت تلازم المرضى المصابين بها طول حياتهم، وهذه الحالات لا تقبل تفسير نفسي/ جسماني بأي شكل من الأشكال.

"وفوق كل هذا، أقام أشخاص من الموت، والموت ليس حالة مستحثة نفسياً! هذا بالإضافة إلى كل معجزاته المرتبطة بالطبيعة، تهدئة البحر، وتحويل الماء إلى خمر. وهي تتحدى تفسيرات

الطبيعيين".

حسناً ... لربما. على أية حال، فإن ذكر كولنز لمعجزة تحويل الماء إلى خمر قدمت تفسيراً ممكناً آخر لأعمال يسوع المذهلة.

يسوع، المنوّم المغناطيسي

هل سبق أن رأيت منوم مغناطيسي على المسرح يعطى ماء لشخص في حالة غيبوبة ثم يوحى إليه بأنه كان يشرب خمر؟ إنه يمص شفاهه، ويشعر بالدوار، وتبدأ بالظهور عليه علامات السُكر، تماماً وكأنه قد شرب جرعة كبيرة من خمرة البوردو الرخيصة.

المؤلف البريطاني أيان ويلسون أثار سؤال عما إذا كان يسوع قد أقنع الناس في عُرس قانا، بنفس هذه الطريقة، بأنه حوّل أباريق الماء إلى أجود مشروب مُتَخَمّر.

في الحقيقة، أن ويلسون يناقش الإحتمال بأن يسوع لربما كان منوّم مغناطيسي بارع، الذي يُمكن أن يفسر السمات المفروض أنها خارقة للطبيعة في حياته. على سبيل المثال، التنويم المغناطيسي يمكن أن يعلل قدرته على طرد الأرواح الشريرة؛ وظاهرة تبدل هيئته، الذي أثناء حدوثه، رأي ثلاثة من أتباعه رأوا وجهه متوهجاً وملابسه تشرق بياضاً كالنور؛ وحتى عمليات شفائه للمرضى.

وكدليل، يستشهد ويلسون بالمثال الحديث لولد عمره ١٦ سنة كان مصاباً بمرض جلدي خطير ثم شفي بطريقة يتعذر تفسيرها عن طريق إيحاء التنويم المغناطيسي.

ربما لعازر لم يُقم فعلاً من الموت. ألم يكن من الممكن أنه كان في حالة غيبوبة كالموت، تمَّ إحداثها بالتنويم المغناطيسي؟ أما مسألة القيامة من الموت، "هل استطاع يسوع أن يشترط على (تلاميذه) أن يهذوا بحالات أو مرات ظهوره إستجابة لتلميحات معينة سبق إعدادها (كسر الخبز؟) لمدة سبق تحديدها قبل موته"، كان هذا من تخمين ويلسون[٣]

ثم قال ويلسون: وهذا سيفسر حتى الإشارة المبهمة التي وردت في الأناجيل إلى عدم استطاعة يسوع أن يصنع معجزات كثيرة في بلدته الأصلية الناصرة.

> لقد فشل يسوع، كمنوم مغناطيسي، حيث كنا نتوقع أنه سيفشل، بين أولئك الذين عرفوه بشكل أفضل، أولئك الذين رأوه ينمو ويكبر كطفل عادي. والمسئول بشكل كبير عن أي نسبة نجاح المنوم المغناطيسي هو الرهبة والغموض الذي يحيط بهما نفسه، وهذه العوامل الضرورية كان يمكن أن تغيب كلياً في بلدة يسوع الأصلية(٤).

فقلت لكولنز "يجب أن تعترف بأن هذه طريقة مثيرة جداً لمحاولة إستبعاد معجزات يسوع".

فظهرت نظرة شكوكية على وجهه، وقال "لدى هذا الرجل إيمان بالتنويم المغناطيسي أكثر مما أفعل! لكن بينما تعتبر هذه مجادلة ذكية، إلا أنها لا تحتمل التحليل. فهي مليئة بالثغرات".

وبدأ كولنز بتعديدهم، الواحد تلو الآخر "أولاً، هناك مشكلة تنويم مجموعة كاملة من الناس تنويماً مغناطيسياً، فليس كل الناس سريعي التأثر بالتنويم المغناطيسي بنفس الدرجة.

"وإن خبراء التنويم المغناطيسي على المسرح سيتحدثون إلى الجمهور في نغمة مهدئة ناعمة ويترقبون الأشخاص الذين يبدو عليهم أنهم يستجيبون، ثم سيختارون هؤلاء الناس كمتطوعين، لأنهم سريعي التأثر بالتنويم المغناطيسي. ففي حالة وجود مجموعة كبيرة سيكون هناك كثير من الناس لديهم القدرة على المقاومة.وعندما ضاعف يسوع كمية الخبز والسمك، كان هناك خمسة آلاف شاهد. فكيف يُنوّمهم جميعاً؟

"ثانياً، لا يفلح التنويم المغناطيسي، عموماً، على الناس المتشككين والمرتابين. إذن فكيف إستطاع يسوع أن يُنوّم أخاه يعقوب، من شك فيه لكنه بعد ذلك رأى يسوع الذي قام من الموت؟ وكيف نوّم شاول الطرسوسي، الذي كان معادياً للمسيحية والذي لم يقابل يسوع أبداً حتى رآه بعد القيامة؟ وكيف نوّم توما، الذي

كان متشككاً لا يؤمن بالقيامة إلى أن وضع أصابعه في الثقوب التي أحدثتها المسامير في يدي يسوع؟

"ثالثاً، بخصوص القيامة، فإن التنويم المغناطيسي لا يُفسّر القبر الفارغ".

وهنا قفزت قائلاً "أفترض أن شخص ما يمكن أن يدّعي أن التلاميذ قد نُوّموا مغناطيسياً لتخيل أن القبر كان فارغاً".

فأجاب كولنز "حتى لو كان هذا ممكناً، فإن يسوع بالتأكيد لم يكن بإمكانه أن يُنوّم الفريسيين والسلطات الرومانية مغناطيسياً، وكانوا سيخرجون جثته بسرور لو كانت ما زالت باقية في القبر. والحقيقة التي لم يخبر بها هي أن القبر كان فارغاً فعلاً.

"رابعاً، أنظر إلى معجزة تحويل الماء إلى خمر. لم يخاطب يسوع ضيوف العُرس أبداً. ولم يوحي حتى للخدم أن الماء قد تحول إلى خمر، إنه فقط أخبرهم أن يأخذوا بعض الماء إلى سيد الوليمة. وهو الذي ذاقه وقال بإنه خمر، دون أن يستحثه أحد على قول ذلك.

"خامساً، إن شفاء المرض الجلدي الذي ذكره ويلسون لم يكن عفوياً أو فورياً. أليس كذلك؟

فقلت "في الواقع، تقول المجلة الطبية البريطانية أنها إستغرقت خمسة أيام بعد التنويم المغناطيسي لمرض السماك الجلدي، الذي يسبب تقشر الجلد حتى زال عن ذراع المراهق الأيسر، ثم استغرق عدة أيام أخرى حتى أصبح الجلد سليماً طبيعياً. ونسبة نجاح التنويم المغناطيسي في علاج أجزاء أخرى من جسمه على فترات في عدة أسابيع كان من ٥٠ إلى ٩٥٪ (٥).

فقال كولنز "قارن هذه الحالة بشفاء يسوع لعشر رجال مُصابون بداء الجذام في إنجيل لوقا١٧. فقد تم شفاؤهم في الحال، وبنسبة ١٠٠٪. وهو ما لا يقبل التفسير على أنه تنويم مغناطيسي. ولا في حالة شفاء الرجل ذو اليد اليابسة في إنجيل مرقس٣. وحتى لو كان الناس في حالة غيبوبة وإعتقدوا أن يده المتيسة قد شفيت،

ففي النهاية كانوا سيكتشفون الحقيقة. فالتنويم المغناطيسي لا يدوم فعلاً مدة طويلة.

"وأخيراً، لقد سجلت الأناجيل كل أنواعِ التفاصيلِ عما قاله وما فعله يسوع، ولكنها لم تصوّره أبداً قائلاً أو فاعلاً أي شيئ قد يوحي بأنه كان يُنوّم الناس تنويماً مغناطيسياً. ويمكنني الإستمرار في هذه الأمثلة".

ضحكت قائلاً "لقد أخبرتك بأنهتفسير مثير؛ ولم أقل بأنه كان مقنعاً! ومع ذلك يجري تأليف الكتب لتقديم المزيد من الأفكار".

فأجاب كولنز قائلاً "إنه أمر يذهلني، كيف يتمسك الناس بأي شئ لكي يحاولوا أن يثبتوا عدم صحة معجزات يسوع".

يسوع، المشعوذ

قبل أن ننهي مقابلتنا، أردت الإستزادة من خبرة كولنز وسعة إطلاعه في علم النفس في مجال آخر يسبب القلق للمتشككين.

فقلت له ملاحظاً ومعلقاً "كان يسوع مشعوذ، يُكلّم الشياطين ويطردهم من الناس الذين يتلبسونهم ويسيطرون عليهم. لكن هل من المعقول فعلاً أن نعتقد أن تلك الأرواح الشريرة مسئولة عن بعض الأمراض والتصرفات الغريبة الشاذة؟"

لم ينزعج كولنزز مِن هذا السؤال، فأجاب قائلاً: "بحسب معتقداتي اللاهوتية، أسلم بوجود الشياطين، فنحن نعيش في مجتمع يؤمن فيه الكثير من الناس بالملائكة. فهم يعرفون أن هناك قوى روحية خارج مجتمعنا، وليس من الصعب أن نستنتج أنٍ بعضها قد تكون حقودة وشريرة. وحيثما تجد الله يعمل، غالباً ما تكون هذه الأرواح أكثر نشاطاً. وهذا هو ما كان من المحتمل حدوثه أيام يسوع".

وهنا لاحظت أن كولنز أشار إلى معتقداته اللاهوتية وليس خبرته العلاجية فسألته "هل سبق لك، كعالم نفساني، أن شاهدت أي دليل على وجود شخص به شيطان؟".

فقال "لم أشاهد بنفسي، فأنا لم أقضي كل حياتي المهنية في الأماكن العلاجية. لكن أصدقائي في العمل العلاجي أخبروني بأنهم قد رأوا ذلك أحياناً، وهم ليسوا من الناس الميالين لرؤية شيطان وراء كل مشكلة. فهم ميالون ليكونوا متشككين. والطبيب النفساني إم سكوته پك كتب كثيراً عن هذا الموضوع في كتابه "الناس الذين يحبون الكذب""(٦).

ثم لفت نظره إلى أن أيان ويلسون، في إيمانه أن يسوع ربما يكون قد إستخدم التنويم المغناطيسي لشفاء الناس الذين يعتقدوا فقط أن بهم أرواح شريرة، قال بطريقة حاسمة أنه "لايوجد" شخص في حياة الواقع "يفسر حالة الخضوع للأرواح الشريرة" بأنه من "عمل شياطين حقيقية""(٧).

فقال كولنز رداً على ذلك "إلى حد ما، ستجد ما قد أتيت للبحث عنه، فالناس الذين ينكرون وجود القوى الخارقة للطبيعة، سيجدون طريقة، مهما كانت مُكلّفة، لشرح موقف بعيداً عن مس الشيطان. وسيستمروا في إعطاء الأدوية، وتخدير الشخص، لكنه أو لكنها لن يتحسن حالتها. فهناك حالات لا تستجيب للعلاج العادي سواء العلاج الطبي أو العلاج النفسي".

فسألته "هل عملية طرد يسوع للأرواح الشريرة قد كانت شفاءاً نفس/جسمي؟".

فأجابني قائلاً "نعم، في بعض الحالات، ولكن مرة أخرى لابد أن تنظر للموضوع في سياقه الكامل. ففيما يتعلق بالرجل الذي كان به أرواح شريرة ثم أرسل يسوع الشياطين إلى الخنازير، والخنازير ذهبت تجري نحو الجرف؟ ما الذي يحدث لو كان هذا الموقف إن كان حالة نفس/ جسمية؟ أعتقد أن يسوع فعلاً طرد الشياطين، وأعتقد أن بعض الناس يفعلون ذلك اليوم.

"وفي نفس الوقت، يجب ألا نتسرع بالإستباق إلى نتائج شيطانية عندما نواجه بمشكلة عنيدة. وكما قال سي. إس. لويس، يوجد نوعان من الخطأ متساويان ومضادان في الإتجاه، يمكن أن نقع فيهما بخصوص الشياطين: "الخطأ الأول هو ألا نؤمن بوجودها،

والثاني أن نؤمن بها ونشعر باهتمام مُفرط وغير صحي بها. فالأرواح أو الشياطين هم أنفسهم مسرورون بكلا الخطأين"(٨)

سألت "أنت تعرف، جاري، أن هذه الفكرة قد تعجب الجمعية الأمريكية للإستشاريين المسيحيين، ولكن هل علماء النفس العلمانيين سيعتبروا الإيمان بالشياطين فكرة معقولة ومقبولة ومنطقية؟".

وهنا شعرت أن كولنز قد يعتبر هذا السؤال إهانة، لأن هذا السؤال كان يبدو أنني قلته بطريقة تظهر شعوري بالتفوق أكثر مما كنت أقصد، إلا أنه لم يشعر بالإهانة أو الإستياء.

فقال متأملاً "من المشوق أن نرى كيف تتغير الأمور. فإن مجتمعنا اليوم مُنغمس في "الروحانية" ذلك المصطلح الذي يمكن أن يعني أي شئ تقريبا، ولكنه يعترف بعالم ما وراء الطبيعة. وهو يُثير جداً إهتمام علماء النفس الذين يؤمنون به في هذه الأيام. فبعضهم يؤمنون بالأفكار الصوفية الشرقية الغامضة، والبعض الآخر يتحدثون عن قوة "الشامان"[١] للتأثير على حياة الناس.

"وبينما كانت فكرة النشاط الشيطاني، قبل خمسة وعشرون سنة، تُرفض فوراً، إلا أن العديد من علماء النفس بدأوا يعترفون بأنه لربما كان هناك في السماء والأرض أشياء أكثر من التي تستطيع فلسفتنا أو نظرياتنا الفلسفية أن تفسرها أو تعللها.

"خيال غير معقول!"

إنجرفت أنا وكولنز قليلاً عن النقطة الأصلية لمقابلتنا. فبينما كنت أفكّر في حديثنا فيما كنت عائداً بالسيارة إلى البيت، عُدت بأفكاري إلى المسألة الأساسية التي جعلتني آتي إليه: "زعم يسوع

١ الشامان إسم أُطلق على العديد من أصناف الكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين، لكنه فُضّل حصره في السيطرة على حالات الإنتشاء الديني. والشامان في معظم الثقافات شخص يجتاز خبرة روحية ونفسية معينة تؤهله من الإتصال بعالم الأسلاف، وكذا شفاء المرضى..[قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤]

بأنه الله. لم يقترح احد بأنه كان مخادع عن قصد. والآن نجد ان كولنز قد استنتج، إستناداً إلى خمس وثلاثون عاماً من الخبرة في المسائل النفسية، بأنه لم يكن مريضاً نفسياً.

على أية حال، فإن هذا أثار عندي سؤال جديد "هل حقق يسوع الخصائص المميزة لله؟ فبالرغم من كل شئ إن إدعاء الألوهية شئ وتجسيد الخصائص التي تجعل الله إلهاً، فهذا شئ آخر.

فيما أضاءت إشارة التوقف الضوئية، أخرجت دفتر ملاحظاتي من حقيبتي وكتبت ملاحظة لنفسي: "تتبع دي. أي. كارسون". فقد عرفت بأنني أريد الحديث مع أحد علماء اللاهوت البارزين في البلاد حول هذه المسألة التالية.

في هذه الأثناء دفعني حديثي مع جاري كولنز لقضاء بعض الوقت في تلك الليلة لأعيد قراءة أحاديث يسوع بعناية. ولم أكتشف أي علامة على الخَرَف، أو الأوهام، أو الذعر. بل على العكس، فقد تأثرت مرة أخرى بحكمته العميقة، وبصيرته الممتازة، وفصاحته الشاعرية، وحنانه العميق. وقد عبّر المؤرخ فيليب شاف عن هذه النقطة بطريقة أفضل من مما أستطيعه أنا.

> أمثل هذا الفكر الصافي كالسماء، المُنعش كهواء الجبل، والحاد والثاقب كالسيف، صحي ونشط بشكل كامل، واثق بنفسه مستعد دائماً لأخطر خداع متطرف فيما يتعلق بشخصيته ومهمته؟ خيال غير معقول! (١١)

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. ماهي بعض الفروق بين مريض في مستشفى الأمراض العقلية يدعي أنه الله وبين يسوع الذي يدعي نفس الإدعاء عن نفسه؟

٢. إقرأ تعاليم يسوع التي تسمي التطويبات في إنجيل متى٥: ١-١٢. ماهي ملاحظاتك عن عقليته، وفصاحته، وحنانه، ونفاذ بصيرته لأعماق الطبيعة الإنسانية، وقدرته على تعليم الحقائق العميقة، وصحته النفسية بشكل عام؟

٣. بعد قراءتك رد كولنز على نظرية على أن التنويم المغناطيسي قد يفسر معجزات يسوع، هل تعتقد أن هذا الإفتراض فرضية ناجحة؟ لماذا نعم ولماذا لا؟

مزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Collins, Gary R. *Can You Trust Psychology?* Downers Grove, 111.: Inter-Varsity Press, 1988.

____. *Christian Counseling: A Comprehensive Guide*. Waco, Tex.: Word, 1988.

____. *The Soul Search*. Nashville: Nelson, 1998.

Lewis, C. S. *The Screwtape Letters*. London: Collins-Fontana, 1942.



دليل الرسم التخطيطي

هل حقق يسوع صفات الله؟

بعد فترة قليلة من مصرع ثمانَ طالبات يدرسن التمريض في شقة سكنية في شيكاغو، إجتمعت الطالبة الوحيدة التي نجت من القتل وهي ترتجف مع رسام من الشرطة لرسم تفصيلي للقاتل الذي رأته من مخبئها السري الممتاز تحت أحد الأسرّة.

وبسرعة البرق أرسل الرسم إلى كافة أنحاء المدينة- إلى ضباط الشرطة، وإلى المستشفيات، وإلى محطات العبور، وإلى المطار. ووفور ذيوع الخبر إتصل طبيب بقسم الطوارئ مُستدعياً المخبرين للتبليغ عن أنه كان يعالج رجلاً بدا بصورة مريبة مثل الهارب ذو العيون القاسية المرسوم في الرسم التخطيطي.

بهذه الطريقة ألقت الشرطة القبض على القاتل الفار ويدعى ريتشارد سبك، الذي أدين على الفور بقضايا قتل شنيعة، وانتهى به الحال بالموت في السجن بعد ثلاثون عاماً[1].

ومنذ ذلك الحين الذي حوّلت فيه الشرطة البريطانية- لأول مرّة- ذكريات شاهدة إلى رسم تخطيطي للمشتبه بجريمة القتل في سنة ١٨٨٩، لعب الرسامين الشرعيين دوراً هاماً في تطبيق القانون. يعمل الآن أكثر من ثلاثمائة رسامين الرسوم التخطيطية مع وكالات الشرطة الأمريكية، وهناك عدد متزايد من إدارات الشرطة يعتمدون على نظام أليكتروني ويسمى EFIT (أسلوب

تعريف وجهي ألكتروني).

هذه التقنية المتطورة حديثاً استخدمت بنجاح لحل مشكلة حادث إختطاف سنة ١٩٧٧ الذي حدث في مركز تجاري يبعد بضعة أميال عن بيتي بضاحية شيكاغو. أعطت الضحية تفاصيل عن شكل المختطف لفني، الذي استخدم جهاز كومبيوتر لخلق تشابه إلكتروني للمجرم وذلك بإختيار من أشكال مختلفة للأنوف، والأفواه، وخطوط الشعر، وهلم جرا.

وفي لحظات من إرسال الصورة بالفاكس إلى وكالات الشرطة في كافة أنحاء المنطقة، تعرّف محقق في ضاحية أخرى على الصورة التي تُشبه تماماً مجرماً كان قد قابله قبل ذلك. ولحسن الحظ، أدى هذا إلى قبض سريع على المختطف المشتبه به (٢).

من الغريب، فكرة أن صورة يرسمها رسام يمكن أن تمدنا بصورة مشابهة يمكن أن تساعدنا في مسعانا للحقيقة حول يسوع. ولكن كيف يمكن فعل ذلك هنا: يمدنا العهد القديم بتفاصيل عديدة عن الله ترسم رسماً تخطيطياً بدقة كبيرة عما يمكن أن تكون عليه صورته. على سبيل المثال، هو وحده الذي يوصف كالله الكلي الوجود، أو حاضر في كل مكان في الكون؛ و كلي العلم، أو كلي المعرفة؛ و كلي القدرة، وأبدي، أو أزلي، والذي يُغيّر ولا يتغير. وهو محب، وقدوس، وبار، وحكيم، وعادل.

والآن، حينما يزعم يسوع بأنه الله. فهل تتوافق صفاته المميزة مع خصائص الله؟ وبقول آخر، إذا تفحصنا يسوع بعناية، فهل يماثل شكله الرسم التخطيطي لله، الذي نجده في أماكن أخرى من الكتاب المقدس؟ فإذا لم تشبهها نستطيع أن نستنتج أن إدعائه بأنه الله باطل.

تلك قضية معقدة جداً ومحيرة للعقل. على سبيل المثال، عندما كان يسوع يلقي العظة على الجبل- على سفح تل خارج كفرناحوم، لم يكن في نفس الوقت واقفاً على الشارع الرئيسي بأريحا، لذا في أي معنى يمكن أن يكون مُسمّى الكلي الوجود؟ وكيف يمكن أن يُسمى كلي المعرفة إذا كان يعترف وبسهوله في إنجيل مرقس١٣:

٣٢ بأنه لا يعرف كل شئ عن المستقبل؟ وإذا كان أبدي، فلماذا تدعوه الرسالة إلى كولوسي ١: ١٥ "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ"؟

بحسب النظرة السطحية فإن هذه المسائل توحي بأن يسوع لا يشبه الرسم التخطيط لله. وبالرغم من ذلك، فقد تعلمت على مر السنين بأن الإنطباعات الأولية يمكنها الخداع. لهذا السبب أسعدني جداً إمكان مناقشة هذه المسائل مع الدكتور دي. أي. كارسون، العالم اللاهوتي الذي ظهر في السنوات الأخيرة كأحد المفكرين الأبرز في المسيحية.

المقابلة الثامنة: دونالد أي. كارسون، دكتوراه فلسفة

دي. أي. كارسون، أستاذ أبحاث العهد الجديد في مدرسة الثالوث اللاهوتية الإنجيلية، ألّف أو حرر أكثر من أربعون كتاباب، من ضمنها "العظة على الجبل *The Sermon on the Mount*"؛ "المغالطات التفسيرية *Exegetical Fallacies*"؛ "الإنجيل بحسب يوحنا *The Gospel According to John*"؛ والحائز على جوائز "إسكات الله *The Gagging of God*".

وهو بستطيع القراءة بـ ١٢ لغة (تأتي على رأسها الفرنسية الناجمة عن طفولته التي قضاها في كويبك). وهو عضو في "زمالة تيندال في أبحاث الكتاب المقدس"، و "جمعية أدب الكتاب المقدس"، و "معهد أبحاث الكتاب المقدس". تتضمن مجالات خبرته لـ يسوع التاريخي، وما بعد العصرانية، وقواعد اللغة اليونانية، وعلم لاهوت الرسولين بولس ويوحنا.

بعدما بدأ بدراسة الكيمياء (حصل على بكالريوس العلوم من جامعة ماكجيل)، إستمر كارسون ليحصل على درجة الماجستير في علم اللاهوت قبل ذهابه إلى إنجلترا، حيث حصل على الدكتوراه في العهد الجديد من جامعة كامبردج الرفيعة المستوى. وقام بالتدريس في ثلاث كليات مدارس أخرى قبل إنضمامه لكلية الثالوث في سنة ١٩٧٨.

لم يسبق لي مقابلة كارسون قبل ذهابي بالسيارة إلى ديرفيلد

كلية اللاهوت، في ولاية إلينويز، وهي أرض الجامعة التي كانت مقراً لحديثنا وحواري معه. بصراحة، كنت أتوقع أستاذ جامعي مُنَشى. بيد أنني وجدت كارسون العالم غير الذي كنت أتوقعه، أذهلتني نبرة صوته الدافئة والمخلصة والرعوية، كما أجاب على ما ظهر، في بعض الحالات، أسئلة حارقة جداً.

أُجريت محادثتنا في غرفة جلوس عادة ما تكون مهجورة خلال أجازة أعياد الميلاد. كان كارسون مرتدياً سترة من الجلد الأبيض فوق قميص مزرّر، وبنطلون چينز أزرق، وحذاء أديداس. وبعد بداية مازحة حول تقديرنا المشترك لإنجلترا (وكان كارسون يعيش هناك على فترات متقطعة عبر السنين، وزوجته چوي كانت بريطانية الأصل)، ثم سحبت دفتر ملاحظاتي، وأدرت جهاز التسجيل، وسألته سؤالاً أساسياً للمساعدة على تقرير هل كان يسوع له "القدرة الصحيحة" ليكون مثل الله؟

يحيا ويغفر كالله

تمركز سؤالي الأولي على: لماذا يعتقد كارسون مبدئياً أن يسوع إله؟ وما الذي قاله أو فعله فأقنعك بأنه قدوس؟ ولم أكن متأكداً كيف سيرد على سؤالي هذا، مع أني توقعت أنه سيركز على أعمال يسوع الخارقة للطبيعة. لكني كنت مخطئاً.

فقال كارسون فيما إتكأ إلى الخلف على الكرسي المُنَجَّدَ بإرتياح "يمكن لأي واحد أن يشير إلى مثل هذه كمعجزاته، ولكن هناك أناس آخرون صنعوا معجزات، لذا فبينما يُعتبر هذا دليلاً يدل على ألوهيته، لكنه ليس دليلاً حاسماً. وطبعاً، القيامة هي الإثبات النهائي لهويته. ولكن من الأشياء الكثيرة التي فعلها، بحسب رأيي أن أحد كثر الأفعال هو غفرانه للخطايا".

"حقاً؟" قلت هذا وأنا أتحرك على كرسيَّ الذي كان وضعه عمودياً على كرسيه لكي أواجهه مباشرة "كيف تعتقد هذا؟".

فقال "النقطة الهامة هي أنك لو قمت بشيء ضدي، فلديَّ الحق لأن أغفر لك، ومع ذلك، فلو اخطأت في حقي، وجاء شخص

آخر ويقول "أني أغفر لك"، فما هذه الوقاحة؟" فالوحيد الذي يستطيع أن يقول هذا الكلام بكل ما فيه من معاني هو الله نفسه، لأن الخطية، حتى لو كانت ضد الآخرين، فهي أولاً وقبل كل شئ موجهى ضد لله وقوانينه.

"فعندما أخطأ داود بارتكابه الزنا وتدبير موت زوج المرأة، فإنه في النهاية يقول لله في المزمور ٥١ "إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ". فهو يعترف بأنه برغم أنه ظلم أناس، إلا أنه، في النهاية، إرتكب خطية ضد الله الذي صنعه على صورته، ويحتاج لغفران الله.

"لذلك فيسوع يقول للخطاة "إني أغفر لكم خطاياكم" فاليهود في الحال إعتبروا هذا تجديفاً. فكان رد فعلهم القال "مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟". في رأيي، أن هذا هو أكثر الأشياء المميزة التي فعلها يسوع؟"

فقلت له ملاحظاً "ليس فقط أن يسوع كان يغفر الخطايا، بل أيضاً صرّح بأنه نفسه كان بلا خطية. وبالتأكيد إن كونه بلا خطية، فتلك من صفات الألوهية".

أجاب قائلاً "نعم، تاريخياً في الغرب، نُظر إلى الأشخاص الأكثر قداسة هم كانوا أيضاً الأكثر إدراكا في ضمائرهم بنواحي إخفاقهم وخطاياهم. وهم الأشخاص المُدركون بضعفهم، ورغباتهم واستيائهم، ويجاهدون ضدها بكل أمانة بنعمة الله. وفي الحقيقة، لقد جاهدوا بشكل جيد جداً ضد هذه الأمور، لدرجة أن الآخرين يلاحظون ذلك فيقولوا "هذا رجل أو إمراة مقدسة".

"ولكن هنا يأتي يسوع، الذي يستطيع أن يقول بوجه صريح "من منكم يستطيع أن يوبخني على خطية؟"، فلو أنا قلت هذه العبارة لكانت زوجتي وأبنائي وكل من يعرفوني يسعدهم أن يقفوا ويشهدوا لذلك، بينما لم يستطع أحد أن يفعل ذلك فيما يتعلق بالمسيح".

ومع أن الكمال الأخلاقي ومغفرة الخطايا هما بلا شك من خصائص الله، لكن هناك صفات إضافية أخرى يجب أن يتحلى

بها يسوع إذا أراد أن يتوافق مع الرسم التخطيطي لله. وقد حان الوقت لننتقل إلى تلك الصفات الأخرى. فبعد أن قذفت كرات لينة بضربات منحنية على كارسون، إستعددت لرمي بعض الضربات المنحنية.

سر التجسد

باستخدام بعض الملاحظات التي أحضرتها معي، صدمت كارسون بسلسلة نارية من بعض أكبر العقبات لإدعاء يسوع بالألوهية.

فقلت له "دكتور كارسون، كيف يكون يسوع كلي الوجود في العالم إذا لم يستطع أن يتواجد في مكانين في نفس الوقت؟ وكيف يكون كلي المعرفة والعلم فيما يقول "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الاِبْنُ إِلاَّ الآبُ"؟ وكيف يكون كلي القدرة مع أن جميع الأناجيل تخبرنا صراحة أنه لم يستطع أن يصنع معجزات كثيرة في بلدته الأصلية؟"

ثم أشرت بقلمي نحوه مؤكداً ومختتماً حديثي، بقولي "دعنا نعترف أن: الكتاب المقدس نفسه يجادل ضد كون يسوع إله".

وفي حين أن كارسون لم يجفل ولم ينزعج، لكنه إعترف بأن هذه الأسئلة ليس لها اجوبة بسيطة. ومهما يكن، فإن هذه الأسئلة تنفذ إلى قلب قضية التجسد- أن يصير الله إنساناً- الروح يتخذ جسداً، والازلي يصير محدوداً، والأبدي يصبح محصوراً في الزمن. لقد شغلت هذه العقيدة اللاهوت لعدة قرون. ومن هنا إختار كارسون أن يبدأ إجابته: بالرجوع إلى الطريقة التي حاول العلماء بها الإجابة على هذه الأسئلة عبر السنين.

"من الناحية التاريخية، كانت هناك طريقتان أو ثلاثة لفهم هذا الموضوع" هكذا أبدأ الإجابة وكأنه يلقي محاضرة للطلبة.

"فمثلاً، في نهاية القرن الماضي، قام العالم اللاهوتي العظيم بنيامين وارفيلد بدراسة الأناجيل ونسب بعض الفقرات إما إلى

طبيعة المسيح البشرية أو إلى ألوهيته. فعندما يفعل يسوع شيئاً يعكس صورة له كإله، فإن هذا يُنسب إلى ألوهية المسيح. ولكن عندما نجد شيئاً يعكس محدوديته أو بشريته، مثلاً، دموعه؛ هل الله يبكي؟ فإن هذا يُنسب إلى إنسانيته".

لقد بدا لي أن ذلك التفسير مشحون بالمشاكل، فسألته "إذا قلت بهذا، ألن ينتهي بك الأمر إلى يسوع المريض بالفصام؟".

فأجاب "من السهل الإنزلاق إلى هذا الرأي بلا تعمد، فجميع العقائد والإعترافات أصرّت على أن كلٌ من طبيعة يسوع البشرية وألوهيته ظلتا متميزتان، ورغم ذلك جمعتا في شخص واحد. وهكذا إنك تريد أن تتجنب حلاً يحتوي أساساً على عقلين: عقل يسوع كإنسان وعقل المسيح كإله. على أية حال، هذا نوع واحد من الحلول، وربما نجد شيئاً يقال عنه.

"أما النوع الآخر من فهو نوع من kenosis، الذي يعني "إفراغ". وهذا يظهر بوضوح في الرسالة إلى أهل فيليبي الأصحاح الثاني، حيث يخبرنا بولس أن يسوع "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ"، بوحسب هذه الطريقة التي ترى "لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ" يجب أن تُترجم " لَكِنَّهُ أفرغ نَفْسَهُ"، أي أصبح كأنه لا أحد".

ولما كان هذا يبدو غامضاً لذلك سألته "هل يمكنك أن تكون أكثر وضوحاً؟ من أي شئ أخلى نفسه بالضبط؟".

يبدو أني قد وضعت إصبعي على القضية، فأجاب بإيمائة "آه، هذا هو السؤال، فعلى مر القرون، اعطى الناس أجوبة مختلفة على هذا السؤال. على سبيل المثال، هل أخلى نفسه من ألوهيته؟ حسناً، إذن فلن يكون إله.

"هل أفرغ نفسه من صفات الألوهية؟ لديَّ أيضاً مشكلة في هذه النقطة، لأنه من الصعب فصل الصفات عن الحقيقة. فلو كان عندك حيوان يبدو مثل الحصان، ورائحته مثل رائحة الحصان، ويمشي مثل الحصان، وله جميع صفات الحصان، فإنك عندك

حصان. لذا أنا لا أعرف ما معنى أن الله يخلي نفسه من صفاته ومع ذلك يظل إله.

"يقول البعض، أنه لم يُخلي نفسه من صفاته، بل أخلى نفسه من استخدام هذه الصفات، كنوع من التحديد الذاتي. وهذا يقربنا من المعنى اكثر، مع أنه، في بعض الأحيان، لم يكن هذا هو ما كان يفعله، إذ كان يغفر الخطايا بنفس الطريقة التي يستطيع الله وحده أن يغفرها، والتي هي صفة لإله.

"ويذهب آخرون لأبعد بالقول "إنه أخلى نفسه من الاستعمال المنفرد لصفاته" بمعنى أنه كان يتصرف كإله عندما يعطيه أبيه السماوي موافقة صريحة لعمل ذلك. والآن، هذا المعنى أقرب بكثير. والمشكلة أن هناك إحساس بأن الابن الأبدي كان دائماً يتصرف حسب وصايا أبيه السماوي. وأنت لا تريد أن تفقد هذا الإحساس حتى في مسألة الأبدية. لكن المعنى أصبح أقرب إلى الفهم".

وهنا شعرت بأننا اقتربنا من جوهر المسألة، ولكني لم أكن متأكداً أننا سنقترب أكثر من ذلك. ويبدو أن هذا كان شعور كارسون، أيضاً.

ثم قال "لو تكلمنا بدقة، فإن الرسالة إلى أهل فيلبي، الإصحاح الثاني لا تخبرنا على وجه التحديد مما أخلى نفسه منه الابن الأبدي؟ لقد أخلى نفسه؛ وأصبح لا أحد. نوع من الإفراغ موضع بحث، لكن دعنا نتكلم بصراحة، فأنت تتحدث عن التجسد، احد الأسرار الجوهرية للإيمان المسيحي.

"إنك تتعامل مع روح ذات صلاحيات مطلقة، لا شكل لها، ولا جسمٍ، وكلية المعرفة، وكلية الحضور، وكلية القدرة، كما تتحدث أيضاً عن مخلوقات محدودة ملموسة ومحدودة بالزمن. فلو تحول أحدهما إلى الآخر فلا يمكن أن تتجنب الدخول في دائرة الأسرار الغامضة.

"لذا فإن جزءاً من علم اللاهوت المسيحي المتعلّق به ليس معنياً "بشرح هذه المسألة كلها" بل بمحاولة أخذ الأدلة الموجودة في

الكتاب المقدس، ويحتفظ بها كلها بإنصاف، وإيجاد طرق تركيبات مترابطة بشكل منطقي، حتى لو كانت غير قابلة للتفسير بشكل كامل"

لقد كانت هذه طريقة معقدة للتعبير عن أن علماء اللاهوت يمكنهم التوصل إلى التفسيرات التي تبدو معقولة، مع أنهم قد لا يكونون قادرون على توضيح كل فرق دقيق حول التجسد. وهذا يبدو منطقياً، إلى حد ما. فلو كان التجسد حقيقي، فليس من المفاجئ أن تلك العقول المحدودة لا تستطيع أن تفهمها كلياً.

بدا لي أن نوع من "الإفراغ" الطوعي من إستعمال يسوع المستقل للصفات المميزة ليسوع كان تفسيراً معقولاً لتوضيح لما لم يظهر يسوع الصفات الكلية: كلية المعرفة، وكلية القدرة، وكلية الحضور، في وجوده الأرضي، مع أن العهد الجديد يذكر بوضوح أن كل هذه الصفات المميزة في النهاية حقيقية عنده. ومع ذلك فإن هذا هو جزء من المشكلة فقط.

إنتقلت إلى الصفحة التالية من ملاحظاتي وبدأت سلسلة أخرى من الأسئلة عن بعض الفقرات المعينة من الإنجيل التي كانت تبدو أنها تتناقض مباشرة مع إدعاء يسوع بأنه الله.

خالق أم مخلوق؟

جزء من الرسم التخطيطي الذي يجب على يسوع أن يماثلها هي أن الله غير مخلوق، أبدي. ويصف أشعياء ٥٧: ١٥ الله بأنه "الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ سَاكِنُ الأَبَدِ". لكن، قلت لكارسون، هناك بعض الآيات التي توحي بشدة إلى أن يسوع كان كائناً مخلوقاً.

فقلت له "فمثلاً، يوحنا ٣: ١٦ يدعو يسوع إبن الله "الْوَحِيدَ"، وفي الرسالة إلى أهل كولوسي أنه "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ"، ألا يُشيرا ضمناً إلى أن يسوع وبشكل واضح قد خُلق، وهو ما يتعارض مع كونه خالق؟".

من بين مجالات خبرة كارسون كانت قواعد اللغة اليونانية،

التي لجأ إليها لتفسير كلا الآيتين.

قال "دعنا نتناول الآية التي في إنجيل يوحنا ٣: ١٦ تقول ترجمة الملك جيمس التي تُترجم الكلمات اليونانية بـ "إبنه الوحيد المولود له". فالذين يعتبرون أن هذه هي الترجمة الصحيحة يربطون هذا بالتجسد نفسه- أي بولادته من مريم العذراء- لكن في الواقع ليس هذا هو معنى الكلمة في اللغة اليونانية.

"إنها في الواقع تعني "الواحد الفريد". والطريقة التي كانت تستخدم عادة في القرن الأول هي "الفريد والمحبوب"، لذا فيوحنا ٣: ١٦ تقول ببساطة أن يسوع هو "الإبن الفريد والمحبوب" أو كما تذكرها الترجمة الدولية الجديدة "الابن الوحيد الفريد" بدلاً من أن نقول أنه وجودياً قد ولد في حينه".

فقلت له "إن هذا يفسر فقط تلك الفقرة وحدها".

فقل "حسناً، دعنا ننظر إلى الآية في الرسالة إلى أهل كولوسي التي تستخدم التعبير "بكر" فإن الغالبية العظمى من المفسرين سواء المتحفظين أو التحررين، يدركون أنه في العهد القديم كان الإبن البكر، بسبب قوانين الميراث، كان عادة يحصل على نصيب الأسد من الممتلكات، أو أن يصبح الإبن البكر الملك في حالة العائلة المالكة. إذن فـ "البكر" هو الوحيد الذي له كل حقوق الآب في النهاية.

"وفي القرن الثاني قبل المسيح، وجدت هناك أماكن حيث لم يعد للكلمة أي فكرة للولادة الفعلية أو للوليد الأول، لكنها تحمل فكرة السلطة التي تصاحب فكرة أن تكون الوريث الشرعي. وهذه هي الفكرة التي تنطبق على يسوع كما يعترف بها كل العلماء فعلاً. وفي ضوء هذا المعنى فإن التعبير ذاته "بكر" يُضلل بعض الشيء".

فسألته "ماذا ستكون الترجمة الأحسن؟

فأجاب: "أعتقد "الوريث الأعلى" ستكون أكثر ملائمة".

وبينما كان يُوضِّح آية كولوسي، فإن كارسون ذهب لأبعد من

ذلك، إلى نقطة واحدة أخيرة.

"إذا كنت ستقتبس آية كولوسي ١: ١٥ فيجب أن تحافظ على سياق المعنى بالإستمرار إلي كولوسي ٢: ٩ حيث يؤكد نفس الكاتب "فَإِنَّهُ فِيهِ [المسيح] يَحِلُ كُلُ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا". فالكاتب لا يُناقض نفسه. من ثمَّ فالتعبير "بكر" لا يستبعد أبدية يسوع، لأن هذه الأبدية جزء مما يعنيه إمتلاكه كل ملء اللاهوت".

جعل هذا التوضيح المسألة ثابتة، بالنسبة لي. إلا أنه كان هناك فقرات أخرى مثيرة للقلق أيضاً، فمثلاً في إنجيل مرقسٍ، الإصحاح العاشر، نجد شخصٍ ما يُخاطب يسوع بصفة "الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ"، مما دفعه للإجابة "لِمَاذَا تَدْعُونَنِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ".

فسألت "أما كان يُنكر لاهوته بهذا القول؟".

أوضح كارسون قائلاً "كلا، أظن أنه كان يحاول جعل هذا الشخص يتوقف ويفكر فيما كان يقوله، والفقرة الموازية لها في إنجيلٍ متى تتوسّع أكثر قليلاً ولا نجد يسوع يُقلل من ألوهيته مطلقاً.

"أعتقد أن كل ماكان يقوله هو "إنتظر دقيقة؛ لماذا تدعوني صالحاً؟ إنها فقط طريقة مؤدبة، مثلما تقول "يوم صالح" ماذا تعني بصالح؟ ماذا تعني بكلمة صالح؟ تدعوني معلم صالح، هل هذا لأنك تحاول أن تتملقني؟".

ففي المعنى الأساسي لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. لكن لا يقصد يسوع "لذلك لا تدعوني صالحاً" إنما يقول "هل تُدرك فعلاً ما تقوله عندما تقول ذلك؟ هل تنسب لي فعلاً ما يجب أن ينسب إلى الله وحده؟"

وهذا يمكن تفسيره ليعني "أنا فعلاً صالح كما تقول؛ فأنت تتكلم أحسن مما تعرف" أو "إياك أن تتجرأ على دعوتي بذلك؛ في المرة القادمة إدعوني "يسوع الخاطئ" مثلما يفعل الآخرون". فمن معنى ما يقوله ويفعله يسوع في أماكن أخرى، بأي طريقة

ذات معنى تفهمها؟"

في العديد من الآيات التي تدعو يسوع "بار"، "قدوس"، "صالح"، "بلا خطية"، "بلا دنس" و"مختلفاً عن الخطاة"، كان الجواب واضح جداً.

هل كان يسوع أقل ألوهية من الله؟

إذا كان يسوع إله، فأي نوع كان هذا الإله؟ أكان مساوياً للآب، أم كان نوع أصغر من الله، يحوز صفات الألوهية ومع هذا يُخفق في مُضاهاة الرسم التخطيطي الكلي، بطريقة ما، التي يقررها العهد القديم للألوهية.

هذا السؤال مأخوذ من آية أخرى لفت نظر كارسون إليها "يقول يسوع في إنجيل يوحنا ١٤: ٢٨ "لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي" بعض الناس ينظرون إليها ويستنتجون بأن يسوع لابد وأن يكون أقل ألوهية، فهل هم على صواب؟

فتنهد كارسون ثم قال "لقد كان أبي واعظاً، وكان له قول مأثور في منزلنا عندما كنت شاباً: نص بدون سياق يصبح ذريعة لنص تصحيحي". من المهم جداً النظر لهذه العبارة في سياقها.

"فالتلاميذ يشتكون لأن يسوع قال لهم أنه سيمضي. فقال لهم "سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي". بمعنى آخر، أن يسوع سيعود إلى المجد الذي يليق به، فلذلك لو كانوا فعلاً يعرفون من هو ويحبونه فعلاً كما ينبغي فسيفرحون بأنه سيعود إلى المملكة حيث سيكون فعلاً أعظم. ويقول يسوع في إنجيل يوحنا ١٧: ٥ "مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ"، بمعنى "أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي".

"فعندما تستخدم مقولة مثل "أَعْظَمُ"، فليس من الضرورة أن تعني أعظم وجودياً. فلو قلت مثلاً، أن رئيس الولايات المتحدة أعظم مني، فلا أقصد أن أقول أنه وجودياً يعتبر كائناً أعلى مقاماً

ومنزلة وتفوقاً، بل أنه أعظم مني في القدرة العسكرية، وبراعته السياسية، وفي تهليل الناس له، ولكنه ليس أكثر مني كإنسان. فهو إنسان وأنا أيضاً إنسان.

"لذا عندما يقول يسوع "أَبَي أَعْظَمُ مَنِّي" يجب أن ننظر إلى السياق ونسأل هل قصد يسوع قول "أَبَي أَعْظَمُ مَنِّي لأنه إله وأنا لست إله". بصراحة، أن هذه المقولة ستكون مضحكة وسخيفة. إفترض أني صعدت إلى منصة لألقي عظة وقلت "أنا أعلن بجدية أن الله أعظم مني" فإن هذه الملحوظة ستكون عديمة الفائدة.

"وهذه المقارنة ذات مغزى فقط إذا كانوا على نفس المستوى وأن هناك قدر من التحديد. فيسوع كان في حدود التجسد، وكان ذاهباً إلى الصليب؛ وسوف يموت، ولكنه على وشك العودة إلى الآب وإلى المجد الذي كان له عند الآب قبل تأسيس العالم.

"فهو يقول: "أيها الرجال إنكم تحزنون من أجلي، لكن ينبغي أن تفرحوا لأني عائد إلى موطني الأصلي"، وبهذا المعنى إن "أَبَي أَعْظَمُ مَنِّي".

فقلت له "إذن ليس هذا إنكار ضمني لألوهيته".

فاختتم حديثه قائلاً "كلا، ليست فعلاً كذلك. والسياق يجعل هذا واضحاً".

فيما كنت مستعداً لقبول حقيقة أن يسوع ليس أقل ألوهية، فقد كان لديَّ مسألة أكثر حساسية مختلفة وأكثر إثارة: كيف يمكن ليسوع أن يكون رحيماً ومع ذلك يوافق على فكرة العذاب الأبدي للذين يرفضونه؟

مسألة جهنم المزعجة[1]

يقول الكتاب المقدّس بأن الآب مُحب للبشر. ويؤكد العهد الجديد نفس الشيء عن يسوع. ولكن هل من الممكن أن يكونا فعلاً محبين للبشرية وفي نفس الوقت يرسلون الناس إلى جهنم؟ والمهم أن يسوع يعلمنا عن جهنم أكثر من أي شخص آخر في كل الكتاب المقدس. ألا يتناقض هذا مع شخصيته التي من المفترض أنها لطيفة، ورحيمة؟

عندما طرحت هذه المسألة على كارسون؛ إقتبست الكلمات الحادة القاسية التي قالها تشارلز تمبلتون "اللا أدري": كيف يمكن لأب سماوي محب للبشر أن يخلق جهنماً لا نهائية، ويرسل ملايين من البشر إليها، عبر القرون، لأنهم لا يقبلون، أو لا يستطيعون أن يقبلوا، أو لن يقبلوا بعض المعتقدات الدينية؟"[٣]

ذلك السؤال، مع أنه قيل بصيغة تحدث أقصى تأثير ممكن، فلم يثير غضب كارسون، فبدأ بالتوضيح "أولاً، إني لست متأكداً أن الله يلقي الناس ببساطة في جهنم لأنهم لا يقبلون معتقدات معينة".

ثم فكر لحظة، ثم إستعد لإعطائي إجابة أكثر شمولاً بمناقشة موضوع يعتبره كثير من المحدثين مفارقة تاريخية جذابة: الخطية.

فقال كارسون: "رُسنت صورة الله في بدء الخليقة مع رجل وإمراءة خُلقا على صورته. يستيقظون في الصباح ويُفكرون في الله. إنهم يحبونه حقاً، ويُسرّون بعمل ما يريده؛ فتلك كانت مُتعتهم الأكمل. فهم بحق مرتبطون به كما أنهما بحق مرتبطين ببعضهما.

---

١ يتناول الكاتب "لي ستروبل" هذا الموضوع بشكل مُفصّل في كتابه "القضية.. الإيمان"، حيث اجرى مُقابلة مع "تشارلز تمبلتون" نفسه، وكذا مقابلات مع آخرين حول هذا الموضوع، وموضعات أخرى ذات صلة. مكتبة دار الكلمة، مصر، القاهرة، ٢٠٠٧، ط١.

"ثم، بدخول الخطية والعصيان إلى العالم، بدأ أولئك الذين يحملون صورته بالإعتقاد بأنهم مركز الكون. وهذا ليس حرفياً، لكنهم هكذا كانوا يظنون. وتلك هي الطريقة التي نفكر بها، كل الأشياء التي نسميها "أمراض إجتماعية"، الحرب، والإغتصاب، والعنف، والمرارة، والغيرة الخفية، والكبرياء، ومركبات النقص كلها تتجمع في أول مرحلة وترتبط بحقيقة أننا لسنا بحق مرتبطين بالله. والنتيجة أن الناس يتأذّون.

"ومن منظور الله، هذه التصرفات تثير الإشمئزاز بفظاظة. إذن ماذا ينبغي على الله أن يفعله إزاء هذه التصرفات؟ فلو أنه قال: "حسناً، لن أعطي هذا الأمر أي إهتمام" فكأنه يقول أن الشر لا يهمه. وكأنه يقول: "نعم، إنها المحرقة، لا يهمني". ألن نشعر بصدمة لو إعتقدنا أن الله لا يحكم أحكاماً أخلاقية على هذه الأمور.

"لكن من حيث المبدأ، إذا كان لدى الله هذا النوع من الأحكام الأخلاقية على تلك الأمور، فلا بد أن يكون لديه أحكام أخلاقية على هذه المسألة الفظيعة الخاصة بكل حاملي صورته الإلهية، وهم يهزون قبضة أيديهم التافهة في وجهه ويغنون مع فرانك سيناترا "لقد فعلتها بطريقتي الخاصة" تلك هي طبيعة الخطية الحقيقية.

"وبعد قول ذلك، فإن جهنم ليست مكاناً يُودع فيه الناس لأنهم أشخاص طيبين ولكنهم لم يؤمنوا الإيمان الصحيح. يُدعون هناك، أولاً وقبل كل شئ، لأنهم يتحدون خالقهم ويريدون أن يكونوا في مركز الكون. ولن تُملأ جهنم بالناس الذين ندموا فعلاً، لكن الله ليس رحيماً لدرجة أنه يسمح لهم بالفرار. ولكنها مملوءة بالناس الذين يريدون، دائماً وأبداً، أن يكونوا في مركز الكون والذين يصرون في العصيان وتحدي إلههم.

"ما المفروض أن يفعله الله؟ إذا قال أن هذا الأمر لا يهمه، فإنه لن يُعدّ إلهاً جديراً بالإحترام. وهو إما أن يكون إلهاً لا أخلاقي أو إلهاً مخيفاً مروعاً. فإنه إذا تصرف بأي طريقة أخرى لمواجهة

هذا التحدي الصارخ، فإن هذا سيقلل من ألوهيته".

فقاطعته قائلاً "نعم لكن أكثر ما يزعج الناس ويقلقهم هو أن الله سيعذب الناس إلى الأبد. فإن هذا يبدو تصرفاً شريراً. أليس كذلك؟"

فأجاب كارسون "أولاً، يقول الكتاب المقدس بأن هناك درجات مختلفة من العقاب، لذا فلست متأكداً بأنه سيكون بنفس مستوى الشدة لكل الناس.

"ثانياً، لو أن الله رفع غضبه عن هذا العالم المنحل الأخلاق فلن تكون هناك أي ضوابط تكبح شرور البشر، وسنصنع جهنماً بأنفسنا. وهكذا لو سمحت لمجموعة كاملة من الخطاة أن يعيشوا في مكان ما في مكان محصور حيث لا يُلحقون أضرار بأي شخص إلا أنفسهم، فأي مكان تجده صالحاً لذلك غير جهنم؟ فهناك إحساس بأنهم من يُسبب ذلك لأنفسهم، وهو الشيء الذي يعوزهم لأنهم ما زالوا غير نادمين".

إعتقدت أن كارسون قد إنتهى من جوابه، لأنه تردد للحظة. على أية حال، فما زالت لديه نقطة واحدة أكثر حسماً "أحد الأشياء التي يصر عليها الكتاب المقدس هي أنه في النهاية ستتحقق العدالة وليس هذا فقط، ولكن لابد من التأكد أن العدالة قد تحققت لكي تسكت جميع الأفواه".

وهنا تشبثت بهذه الجملة الأخيرة وقلت "بعبارة أخرى، في وقت الدينونة لن يوجد إنسان في العالم سيُخلى من هذه التجربة ويقول أن الله قد عاملهم معاملة ظالمة. وكل واحد سيعترف بالعدالة الأساسية التي يحكم بها الله عليهم وعلى العالم كله".

فقال كارسون بحزم "هذا صحيح، فإن العدالة لا تتحقق دائماً في هذا العالم؛ وهذا ما نراه في كل يوم. لكن في اليوم الأخير ستتحقق العدالة ليراها الجميع. ولن يكون هناك من أحد قادر على الشكوى بقول "هذا ليس العدل".

يسوع و العبودية

كانت هناك قضية واحدة أخرى التي أردت إثارتها مع كارسون. فنظرت إلى ساعتي وقلت له "هل لديك بضعة دقائق أخرى؟ فلما أشار لى بالموافقة، بدأت أقدم له موضوعاً مثير للجدل والخلافات.

"لكي يكون يسوع إله، يجب أن يكون كاملاً من الناحية الأخلاقية. لكن بعض نقاد المسيحية إتهموه بالتقصير لأنه- بحسب قولهم- صدّق ضمنياً على الممارسة المُقززة أخلاقياً للعبودية. وكما كتب مورتن سميث

> كان هناك عبيد يفوق حصرهم العد في الإمبراطور والحكومة الرومانية؛ وقد إمتلك هيكل أورشليم (القدس) العبيد؛ وكذا لرئيس الكهنة (واحد منهم فقد إحدى أذنيه عند القبض على يسوع)؛ وكان لدى كل الأغنياء ومعظم الطبقة المتوسطة، عبيد. وبحسب ما قيل لنا، لم يهاجم يسوع هذه الممارسة... ويبدو أنه كانت هناك حركات تمرد من العبيد في فلسطين والأردن في أيام شباب يسوع؛ والقائد صانع المعجزات لمثل هذه الثورة كان سيجتذب أتباعاً كثيرين. فلو شجب يسوع العبودية أو وعد بتحرير العبيد، لكنا بالتأكيد قد سمعنا بأنه قام به. فنحن لم نسمع شيئاً، لذا فعلى الأرجح بأنه لم يقل عنه شيئاً.[٤]

كيف فشل يسوع في الحث على إلغاء العبودية يتفق مع حب الله لجميع الناس؟ لماذا لم يقف يسوع ويصرخ قائلاً "العبودية نظام ظالم؟ هل كان ينقصه الحافز الأخلاقي لدرجة أنه لم يعمل على إلغاء قانون يحط من قدر الناس الذين خلقهم الله على صورته؟"

فاعتدل كارسون في جلسته على الكرسي ثم قال "أعتقد حقاً بأن الناس الذين يثيرون هذا الإعتراض يُخطئون في فهم الغاية، فلو سمحت لي، فسأمهد الطريق بالحديث عن العبودية، قديماً وحديثاً، لأنه في ثقافتنا، نجد أن هذه القضية مشحونة ومحملة بمعاني

إضافية لم تكن موجودة في العالم القديم".

أومأت له للإستمرار، وقلت له "من فضلك إستمر".

الإطاحة بالإضطهاد

"في كتابه "الأجناس والحضارة *Race and Culture*"[٥] أشار العالم الأفرو- أمريكي توماس سوديل بأن كل ثقافة كبرى في العالم حتى العصر الحديث- بلا استثناء- كان فيها عبودية"، وبدأ كارسون يشرح الموضوع "بينما كان من الممكن ربط نظام العبيد بالفتوحات العسكرية، إلا أن العبودية كانت تؤدي وظيفة إقتصادية. فلم يكن هناك قانون إشهار الإفلاس. ولذلك فإنك إذا وقعت في مشكلة رهن أو دين فظيعة، كنت تبيع نفسك و / أو عائلتك للعبودية. وبينما كانت العبودية تسدد الدين، فإنها كانت أيضاً توفر للعبد عمل. فلم تكن كلها سيئة بالضرورة؛ وعلى الأقل إنها كانت خيار للبقاء.

"من فضلك حاول أن تفهمني: فأنا لا أحاول مُغازلة العبودية بأية حال. ومع ذلك، ففي الأوقات الرومانية كان هناك عمال يدويين وكانوا عبيد، وكان هناك آخرين أيضاً ممن كانوا يضارعون العلماء المشهورين من حملة دكتوراه الفلسفة، وكانوا يقومون بالتدريس للعائلات. ولم يكن هناك أي إرتباط لعرق معيّن بالعبودية.

"وفي نظام العبودية الأمريكي، ولو أن، جميع الزنوج السود والسود وحدهم من كانوا عبيد. وكان هذا أحد مظاهر الرعب العجيب من العبودية، ونتج عنه شعور ظالم بالنقص لدى الزنوج وما زال الكثيرون منا يواصلون المحاربة حتى اليوم.

"والآن دعنا ننظر إلى الكتاب المقدس. ففي المجتمع اليهودي كان كل واحد يمكنه أن يحصل على حريته عند كل يوبيل، بحسب الشريعة. وبعبارة أخرى، كان هناك تحرير للعبيد كل سنة سابعة. وسواء أكانت الأمور تتم فعلاً بهذه الطريقة أم لا، وبالرغم من ذلك، كان هذا هو ما قاله الله، وكان هذا هو النظام الذي تربى فيه يسوع.

"لكنٍ يجب أن تضع رسالة يسوع نصب عينيك. فهو لم يأتي ـأساسا، لقلب النظام الإقتصادي الروماني، الذي تضمّن نظام العبودية. لكنه جاء ليحرر الرجال والنساء من خطاياهم. وهنا نقطتي: إن رسالته تعمل على تحويل الناس ليبدأوا بمحبة الله بكل قلوبهم، وأرواحهم، وعقولهم، وقدرتهم، ولمحبة جيرانهم كأنفسهم. وبالطبع، كان لهذا أثره على فكرة العبودية.

"انظر إلى ما يقوله بولس الرسول في رسالته إلى فليمون فيما يتعلق بعبد هارب يُدعي أونسيموس. فإن بولس لم يطلب الإطاحة بنظامٍ العبودية، لأن كل ما كان سينتج عن ذلك هو حكم بالإعدام. وبدلاً من ذلك يُخبر فليمون أنه يستحسن أن يعامل أونسيموس كأخٍ في المسيحِ، تماماً كما سيعامل بولس نفسه. ثم أن بولس يؤكد ومذكرا له "إِنَّكَ مَدْيُونٌ لَي بَنَفْسَكَ أَيْضاً".

"فالإطاحة بنظام العبودية، إذن، كان عن طريق تحويل الرجال والنساء بالإنجيل، أفضل من خلال تغيير النظام الإقتصادي. وقد رأينا جميعاً ما الذي يمكن أن يحدث عندما تُسقط نظام إقتصادي وفرض نظام جديد. كان الحلم الشيوعي الكامل هو إيجاد "إنسان ثوري" يتبعه "الإنسان الجديد". والمشكلة أنهم لم يجدوا "الإنسان الجديد" أبداً، ومع أنهم تخلصوا من مُضطهدي الفلاحين، إلا أن هذا لم يكن معناه أن الفلاحين أصبحوا أحرار فجأة، لكنهم كانوا فقط تحت نظام جديد من الظلام. وفي التحليل النهائي، إذا أردت تغييراً دائماً، فعليك أن تحوّل قلوب البشر. وتلك كانت مهمّة يسوع.

"وتستحق هذه النقطة أيضاً أن نسأل السؤال الذي سأله سويل: "كيف أوقفت العبودية؟ يُشار إلى أن الحافز الذي أدى لإلغاء العبودية كان النهضة الإنجيلية في إنجلترا. فرض المسيحيون إلغاء العبودية في البرلمان في بداية القرن التاسع عشر وبعد ذلك إستخدموا القوارب المسلحة البريطانية، في النهاية، لإيقاف تجارة العبيد عبر المحيط الأطلنطي.

"وبينما كان هناك حوالي أحد عشر مليون أفريقي نُقلوا بالسفن

إلى أمريكا، وكثيرون منهم لم يفعلوا ذلك، كان هناك حوالي ثلاثة عشر مليون أفريقي نقلوا بالسفن ليصيروا عبيداً في العالم العربي. ومرة أخرى كان البريطانيون- بتشجيع الناس الذين تغيرت قلوبهم من قبل المسيح- هم الذين أرسلوا سفنهم المسلحة إلى الخليج الفارسي لإعتراضها".

بدا رد كارسون معقولاً ليس فقط من الناحية التاريخية، بل أيضاً من خلال تجربتي الشخصية. فمثلاً، منذ عدة سنوات، كنت أعرف رجل أعمال عنصري متطرف وكان له موقف متعالي شاعر بالتفوق على أي شخص من لون آخر. ولربما لم يكن يبذل أي مجهود لإخفاء إحتقاره للأمريكيين الأفريقيين، وكان كثيراً ما يسمح لطبعه المتعصب أن يتدفق على شكل نكات غير مهذبة وتعليقات ساخرة. ولم تستطع أي كمية من المجادلات أن تثنيه عن آرائه المثيرة للإشمئزاز.

ثم أصبح من أتباع يسوع. ولما راقبت مواقفه، ووجهة نظره، وقِيَمَه، التي تغيرت بمرور الزمن، حينما جدد الله قلبه. أدرك أنه لم يستطيع إضمار الحقد نحو أي شخص، منذ أن تعلّم من الكتاب المقدس بأن كل الناس صُوروا على صورة الله. أستطيع اليوم القول بكل أمانه بأنه شفوق حقاً ويَقبل الآخرين، ومن ضمن ذلك أولئك الذين هم مختلفون عنه.

لم تغيره القوانين المُشرّعة. ولا المجادلات المناشدة للمشاعر أن تبدله. وسيخبرنا بأن الله غيّره من الداخل للخارج بشكل حاسم، بالكامل، وبشكل دائم. ذلك أحد الأمثلة العديدة التي رأيت لقوة الإنجيل التي كان كارسون يتحدث عنها، قوة تحويل الحاقدين إلى مُحسنين، ومُحبي الإنتقام إلى محبين للخير، والبخلاء قساة القلوب إلى مانحين رقيقي القلوب، وتحويل المفتخرين بقوتهم إلى خدام ناكرين للذات، والمُستغلون للآخرين- عن طريق العبودية أو أي شكل آخر من أشكال الظلم- إلى أناس يحبون الجميع.

يتطابق هذا مع ما قاله بولس في رسالته إلى أهل غلاطية ٣: ٢٨ "لَلَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى،

لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ".

يضاهي الرسم التخطيطي لله

تحدثنا أنا وكارسون، بنشاط، لساعتين، وملأنا أشرطة أكثر مما وُضع في هذا الفصل. وقد وجدت إجابته معقولة وسليمة وصحيحة من الناحية اللاهوتية. ومع ذلك، ففي النهاية، ظلت مسألة كيف يحدث التجسد، وكيف تتلاحم الروح مع الجسد، بقيت هذه المسائل مفاهيم مُحيرة للعقل.

ومع ذلك، وبحسب الكتاب المقدس، فإن حقيقة أنه حدث لا شك فيها. ويقول العهد الجديد أن كل صفة من صفات الله المميزة موجودة في يسوع المسيح.

* **كلي المعرفة:** في إنجيل يوحنا ١٦: ٣٠ يؤكد الرسول بأن يسوع "الآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. لِهَذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ".

* **كلي الواجد:** يقول يسوع في إنجيل متى ٢٨: ٢٠ "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ". وفي إنجيل متى١٨: ٢٠، "حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسَطِهِمْ".

* **كلي القدرة:** قال يسوع في إنجيل متى ٢٨: ١٨ "دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ".

* **أبدي، أزلي:** في إنجيل يوحنا ١: ١، يعلن عن يسوع "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ".

* **ثابت، غير قابل للتغيير:** تقول الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٨، "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ".

والعهد القديم أيضاً يرسم صورة لله باستخدام مثل هذه الألقاب والأوصاف كـ البداية والنهاية، والرب، والمخلص، والملك، والديان، والنور، والصخرة، ومانح الحياة، والراعي، والخالق، وغافر الذنب، والمتكلم بسلطة مقدسة. ومن الرائع أن تلاحظ أنه في العهد الجديد كل صفة من هذه الصفات المميزة تُطبّق على

يسوع [٦].

وقد قال يسوع كل هذا في إنجيل يوحنا ١٤: ٧ "لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ" والترجمة الحرّة: عندما تنظرون إلى الرسم التخطيطي لله في العهد القديم، فسترون صورة مشابهة لي".

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. إقرأ الرسالة إلى أهل فيليبي٢: ٥- ٨ التي تتحدث عن أن إخلاء يسوع لنفسه وأنه ولد في ظروف متواضعة، وكان الصليب هو مصيره. ما هي الدوافع المحتملة لأن يفعل يسوع ذلك؟ ثم إقرأ الآيات ٩- ١١. ماذا يحدث كنتيجة لمهمة يسوع؟ ما الذي يمكن أن يحثّ كل إنسان لإستنتاج، يوماً ما، أن يسوع هو الله؟

٢. هل سبق وأن كانت فكرة جهنم عائقاً في رحلتك الروحية؟ كيف ترد على تفسير كارسون عن هذه المسألة؟

٣. وجه كارسون بعض الآيات التي تبدو في ظاهرها أنها توحي أن يسوع كان كائناً مخلوقاً أو إله أقل من الله. هل وجدت إستنتاجاته مقنعة؟ لماذا نعم ولمَ لا؟ وماذا تعلمت من تحليله لهذه المسائل من حيث إحتياجك لمعلومات مساعدة مناسبة في تفسيرك للكتاب المقدس؟

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Harris, Murray J. *Jesus As God*. Grand Rapids: Baker, 1993.

Martin, W. J. *The Deity of Christ*. Chicago: Moody Press, 1964.

McDowell, Josh, and Bart Larson. *Jesus: A Biblical Defense of His Deity*. San Bernardino, Calif.: Here's Life, 1983.

Stott, John. *Basic Christianity*. Grand Rapids: Eerdmans, 1986.

Zodhiates, Spiros. *Was Christ God?* Grand Rapids: Eerdmans, 1966.



دليل بصمة الاصبع

هل ضاهى يسوع- ويسوع وحده- هوية المسيا؟

كان ذلك في أحد أيام السبت الهادئة الخالية من الأحداث في بيت هيلر في شيكاغو. وكان كلارنس هيلر قد قضى فترة ما بعد الظهر في طلاء الزخارف الخشبية خارج منزله ذو الطابقين والواقع غرب شارع ١٠٤. وفي أوائل المساء آوى هو وعائلته إلى الفراش. على اية حال، ما حدث لاحقاً سيغير القانون الجنائي في أمريكا إلى الأبد.

إستيقظت عائلة هيلر في ساعات الصباح الباكر من يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩١٠ وساورهم الشك بأن مصباح الغاز القريب من حجرة نوم إبنتهم قد إنطفأ. فذهب كارنس ليتحقق الأمر. وسمعت زوجته سلسلة متتالية من الأصوات: شجار، سقوط رجلين على السلم، طلقتين ناريتين، إغلاق الباب الأمامي بعنف. وحينما ذهبت، حيث مصدر الصوت، وجدت كلارنس ميتاً عند أسفل السلالم.

ألقت الشرطة القبض على توماس چننجز، وهو لص منازل سبق إدانته، على بُعد أقل من ميل. وكان هناك دم على ملابسه وذراعه الأيسر المُصاب، وقال، أن كلّ من الدم والإصابة حدثتا من جراء سقوطه على سيارة في الشارع. ووجدوا في جيبه نفس

نوع المسدس المُستخدم في قتل كلارنس هيلر، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحددوا إن كان هل هو ذات السلاح المستخدم في القتل.

ولما كانوا يعرفون بأنهم محتاجين لمزيد من الأدلة لإدانة چننجز، قام المخبرون بمسح بيت القاتل بحثاً عن أدلة إضافية. أصبحت هناك حقيقة واحدة واضحة سريعاً: إن القاتل دخل المنزل من خلال نافذة مطبخ خلفية. فخرج المخبرون إلى خارج المنزل، وهناك بجوار تلك النافذة، وجدوا آثار مطبوعة، أربع بصمات أصابع من اليد اليسرى لشخص، ولن تزول هذه الآثار، حيث طبعت على الطلاء التي قام به القتيل للنافذة قبيل موته بساعات قليلة.

لقد كان دليل بصمات الأصابع فكرة جديدة في ذلك الوقت، بعد أن عُرض حديثاً في معرض شرطة دولي في مدينة سان لويس. وحتى ذلك الوقت لم تكن بصمات الأصابع قد استخدمت كدليل لإدانه أي شخص بجريمة قتل في الولايات المتحدة.

وبالرغم من الإعتراضات القوية من محامي الدفاع الذين إعتبروا مثل هذا الدليل غير علمي وغير مقبول، فإن أربعة من الضباط أثبتوا أن بصمات الأصابع الموجودة على الطلاء مطابقة تماماً لبصمات توماس چننجز- وهو وحده. وبعدها وجدت هيئة المحلفين أن چننجز مذنب، وأيدت محكمة إلينوي العليا إدانته في حكم تاريخي، وشُنق فيما بعد[1].

إن الفرضية وراء دليل بصمة الإصبع بسيطة: فكل فرد لديه على أصابعه أو أصابعها خطوط متقاطعة فريدة من نوعها. فعندما تُطبع بصمة على شئ ما فهي تتطابق مع نفس نمط الخطوط المتقاطعة على إصبع الشخص، وبذا يستطيع المحققين الإنتهاء بيقين علمي بأن هذا الفرد بالذات قد لمس هذا الشيء.

في كثير من القضايا الجنائية، يعتبر تطابق بصمات الأصابع دليل محوري. أتذكر تغطيتي الصحفية لمحاكمة كانت بصمة واحدة لإصبع إبهام وجدت على غلاف سيلوفان لعلبة سجائر كانت العامل الحاسم في إدانة لص منازل عمره عشرون عاماً،

بقتل طالبة في إحدى الكليات[٢]. وهذا يُبيّن كيف يمكن لدليل بصمات الأصابع أن يكون حاسماً وقاطعاً.

حسناً، لكن ما علاقة هذا الأمر بيسوع المسيح؟

هو ببساطة ما يلي: هناك نوع آخر من الأدلة مماثل لبصمات الأصابع ويثبت بدرجة مذهلة من التأكيد أن يسوع هو حقاً المسيا المنتظر لإسرائيل والعالم كله.

في الكتب المقدسة اليهودية، التي يدعوها المسيحيين "العهد القديم"، هناك عشرات من النبوءات الكبرى حول مجئ المسيا، الذي سيرسله الله لخلاص شعبه. في الواقع، تُشكّل هذه النبوءات بصمة الإصبع الرمزية التي يمكن للممسوح من الله وحده أن يتطابق معها. فبهذه الطريقة، يمكن للإسرائيليين أن يستبعدوا أي منتحاون ويُصدّقون أوراق إعتماد المسيا الحقيقي.

والكلمة اليونانية للمسيا معناها المسيح. لكن هل كان يسوع حقاً هو المسيح؟ هل حقق هذه النبوءات التي كُتبت قبل مولده بمئات السنين بشكل إعجوبي؟ وكيف نعرف بأنه الشخص الوحيد على مدى التاريخ الذي تطابق مع بصمة الإصبع النبوية؟

هناك كثير من العلماء الذين نجد صفاً طويلاً من الأحرف الأولى بعد أسمائهم، والذين كان بإمكاني أن أسألهم عن هذا الموضوع. ومع ذلك فكنت أريد إجراء مُقابلة مع شخص كان هذا الموضوع بالنسبة له أكثر من مجرد تدريب أكاديمي نظري، وهذا ما قادني إلى مكان غير متوقع جداً في جنوب كاليفورنيا.

المقابلة التاسعة: لويس إس. لابيدس، ماجستير في عِلم لاهوت العهد القديم والساميات؛ ماجستير في اللاهوت

عادة ما تكون الكنيسة الموقع الطبيعي لإستجواب شخص ما حول مسألة تتعلق بالكتاب المقدس. لكن كان هناك شئ مختلف في الجلوس مع القس لويس لابيدس في قاعة المصلين في الصباح بعد إجتماع العبادة ليوم الأحد. فهذا الوضع من المقاعد والزجاج

الملون ما يمكن توقع أن يوجد فيه ولد يهودي لطيف من نيويورك، نيو چيرسي.

ومع ذلك فهذه هي خلفية لابيدس. وبالنسبة لشخص له ميراثه، فإن السؤال عما إذا كان يسوع هو المسيا الذي طال توقعه، يعتبر أبعد من أي نظرية أو رأي. فهو سؤال شخصي جداً، وقد بحثت عن لابيدس لكي أستطيع أن أسمع قصة بحثه الخاصة لهذه المسألة الخطيرة والحساسة.

نال لابيدس شهادة البكاريوس في علم اللاهوت من جامعة دالاس المعمدانية، بالإضافة إلى ماجستير في اللاهوت، وماجستير في علم لاهوت العهد القديم واللغات السامية من معهد تالبوت اللاهوتي. وعمل لمدة عشر سنوات مع كهنة الشعب المختار، حيث كان تحدث عن يسوع لطلبة الكليات اليهود. وقام بالتدريس في قسم الكتاب المقدس بجامعة بيولا، وعمل لمدة سبع سنوات كمعلم للحلقات الدراسية "السير على هدي الكتاب المقدس". كما كان أيضاً الرئيس السابق لشبكة وطنية مكونة من خمس عشرة طوائف مسيانية (نسبة إلى المسيا).

كان لابيدس نحيفاً، يرتدي نظارة، وله صوت ناعم رقيق، وإبتسامة سريعة وضحكة حاضرة. وكان متفائلاً ومؤدباً عندما أرشدني إلى كرسي بالقرب من واجهة مؤسسة بيث إربيل في مدينة شيرمان أوكس، بولاية كاليفورنيا. لم أرد البدء بمناقشة الفروق الكتابية الدقيقة؛ وبدلاً من ذلك بدأت بدعوة لابيدس بمشاركتي بقصة رحلته الروحية.

طوى يديه في حضنه، ونظر إلى الحوائط الخشبية الداكنة للحظة عندما قرر من أين يبدأ، ثم بدأ يحكي بوضوح حكاية غير عادية أخذتنا من نيويورك إلى قرية جرينتش إلى فيتنام إلى لوس أنجيلوس، من الشك إلى الإيمان، ومن اليهودية إلى المسيحية، ومن يسوع كعديم الأهمية إلى يسوع كالمسيا.

ثم بدأ حديثه قائلاً "كما تعرف، جئت من عائلة يهودية، وحضرت في معهد يهودي محافظ لمدة سبع سنوات إستعداداً لعيد البلوغ.

ومع إننا كنا نعتبر هذه الدراسات مهمة جداً، فإن إيمان عائلتي لم يؤثر كثيراً على حياتنا اليومية. فلم نكن نتوقف عن العمل في يوم السبت؛ ولم بيتنا يهتم بالكوشر[1] "kosher".

ثم إبتسم "على أية حال، في الأيام المقدسة الكُبرى كنا نذهب إلى المعبد اليهودي الأرثوذكسي الأكثر صرامةً، لأن والدي كان يشعر أن هذا هو المكان الذي تذهب إليه إذا أردت أن تكون تقياً وجاداً مع الله!".

وعندما قاطعته لكي أسأله عما علمه أبويه عن المسيا، كانت إجابة لابيدس واضحة "لم يحدث هذا أبداً؛ لقد كنت ميالاً إلى الشك. وفي الواقع ظننت أني أسأت فهمه فسألته "هل تقول أن موضوع المسيا لم يكن حتى يناقش مع عائلتك؟"

فكرر إجابته قائلاً "أبداً، أنا حتى لا أتذكر بأن هذا الموضوع قد سمعت عنه في المدرسة العبرية".

لقد كان هذا مدهشاً لي، فسألته "وماذا عن يسوع؟ هل كان في أي وقت موضوعاً لحديثكم؟ هل استخدم إسمه؟"

فقال مازحاً "الطريقة الوحيدة التي ذكر بها إسم يسوع كانت بشكل إنتقاصي! أساساً، لم نناقشه أبداً. أما إنطباعاتي عن يسوع فقد نشأت من رؤية الكنائس الكاثوليكية: كان هناك الصليب، وإكليل الشوك، والجنب المطعون، والدم النازل من رأسه. ولم يكن لهذا أي معنى عندي. لماذا تعبدون رجلاً مصلوباًعلى صليب والمسامير في يديه وفي قدميه؟ لم أفكر أبداً، ولو لمرة واحدة، بأن يسوع كان له اي صلة بالشعب اليهودي. لكنني اعتقدت فقط أنه كان إلهاً للأمم (غير اليهود).

وهنا شككت في أن مواقف لابيدس تجاه المسيحيين قد تجاوزت مجرد التشوش على معتقداتهم. فسألته "هل إعتقدت أن المسيحيين كانوا سبباً في معاداة السامية؟"

---

[1] قد يكون اللحم المذبوح بحسب القواعد الصارمة بالشريعة اليهودية، حيث تنزع منه كل الأشياء غير النظيفة، وحين يذبح يجب أن يُصفّى دمه كلياً، قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مكتبة دار الكلمة، مصر القاهرة، ٢٠٠٤

"إن الشعوب التي لم تكن يهودية (الأمم)، كان يُنظر إليهم كمرادفين للمسيحيين، وعلمونا أن نحترز لأنه من الممكن أن هناك معاداه للسامية بين الأممين" قال ذلك بطريقة دبلوماسية نوعاً ما.

واصلت تتبع الموضوع "هل تقول أنك كونت مواقف سلبية نحو المسيحيين؟"

في هذه المرة لم يفتت الكلمات، فقال "نعم، في الحقيقة فعلت ذلك. فيما بعد، عندما قُدِّم لى العهد الجديد لأول مرة، بصدق إعتقدت بأنه سيكون أساساً كتيباً عن معاداة السامية: كيفية كراهية اليهود، كيفية قتل اليهود، وكيفية ذبحهم. واعتقدت أن الحزب النازي الأمريكي سيستريح لإستخدامه كمرشد".

هززت رأسي، وحزنت وشعرت بالأسى حين فكرّت في كم عدد الأطفال اليهود الآخرين الذين نشأوا وهم يعتقدون أن المسيحيين أعدائهم.

مسعى روحي يبدأ

لابيدس ذكر عدة أحداث أضعفت ولائه لليهودية فيما كان يكبر. ولما كنت متشوقاً لمعرفة التفاصيل، طلبت منه التوسع، فاتجه مباشرة وبشكل واضح إلى الحادثة الأكثر فاجعة في حياته.

فقال: "إنفصل والدي عن والدتي حين كان عمري سبعة عشر عاماً" ولدهشتي أنه بعد كل هذه السنين ما زلت أستطيع تبين جرح في صوته. "في الواقع أن هذا الحدث أحدث طعنة في أي قلب متديّن التي لربما كانت لديّ. وتساءلت: من أين يأتي الله؟ لمَ لم يذهبا إلى الحاخام للإستشارة؟ أي صلاح للدين إذا لم يستطع مساعدة الناس على نحو عملي؟ لقد كان من المؤكد بأن أبواي لن يستطيعا الإستمرار معاً. وعندما إنفصلا، إنفصل جزء مني أيضاً.

"وفوق كل ذلك، في اليهودية لم أشعر كأن كان لديَّ علاقة

شخصية مع الله. كانت لديَّ شعائر وتقاليد جميلة، ولكنه كان إله جبل سيناء البعيد والمُنفصل الذي قال "ها هي القوانين (الوصايا العشر)، ستعيشون بها وستكونون على ما يُرام، وسأراكم فيما بعد". وهناك كنت أنا، مُراهق بهرمونات مهتاجة، يتساءل: هل الله على علم بكفاحي وصراعاتي؟ هل يهتم بي كفرد؟ حسناً، لم أرى شيئاً مُطلقاً من هذا".

دفع الطلاق ببدأ مرحلة من التمرد. أُولع بالموسيقى وتأثر بكتابات چاك كيروواك وتيموثي ليري، وقضيى وقتاً أكثر من اللازم في مقاهي قرية جرينتش فلم يستطع الإلتحاق بالكلية، مما جعله عُرضة للخدمة العسكرية. وفي سنة ١٩٦٧ وجد نفسه في الجانب الآخر من العالم في سفينة شحن عليه حمولة متفجرة، ذخيرة، وقنابل، وصواريخ، ومتفجرات قوية أخرى- مما جعلها هدفاً مغرياً للمحاربين الفيتناميين.

"أتذكر ما قيل لنا من توجيهات في فيتنام، عشرون بالمئة منكم يحتمل أن يقتلوا، والثمانون بالمئة سيُصابون بأمراض تناسلية أو مدمني خمور أو مدمنين للمخدرات. اعتقدت، أنه ليس لي فرصة حتى واحد بالمئة من العودة بحالة طبيعية!

"لقد كانت فترة مظلمة جداً. شاهدت فيها صنوف العذاب، ورأيت جثثاً في أكياس، وشاهدت دمار الحرب. وصادفت معاداة السامية بين بعض الناس. قليل منهم من الجنوب حرقوا صليباً في إحدى الليالي. لربما رغبت في إبعاد نفسي عن هويتي اليهودية لربما، لهذا بدات بالتنقيب في الديانات الشرقية".

قرأ لابيدس كتباً عن الفلسفات الشرقية وزار المعابد البوذية حينما كان في اليابان. "لقد تضايقت جداً للشرور التي رأيتها وكنت أحاول أن أكتشف كيف يستطيع الإيمان أن يتعامل معها. لقد اعتدت القول: لو كان هناك إله فلا يهمني إن كنت سأجده على جبل سيناء أو جبل فيوجي. فسأقبله بأي طريقة".

خرج حياً من فيتنام، وعاد إلى الوطن مولعاً بطعم جديد اكتشفه في المارجوانا وخططا ليصبح كاهناً بوذياً. حاول أن يعيش حياة

الزهد وإنكار الذات في محاولة جاهدة للتخلص من الكارما[٢] السيئة لآثام ماضيه، ولكن سرعان ما أدرك بأنه لن يستطيع أبداً التعويض عن كل أخطائه.

سكت لابيدس لحظة ثم قال "اصبحت مُكتئباً، وأتذكر أني ركبت مترو الأنفاق وبدأت بالتفكير، لربما كان الحل هو القفز فوق الأحداث. يمكنني أن أتحرر من هذا الجسد وأتحد بالله. ولقد كنت مرتبكاً جداً. ومما زاد الأمور سوءاً أني بدأت أجري تجارب بتعاطي مخدر إسمه LSD."

وبحثاً عن بداية جديدة، قرر الإنتقال إلى كاليفورنيا، حيث استمر في مسعاه الروحي "ذهبت إلى الإجتماعات البوذية، ولكنها كانت فارغة. فالبوذية الصينية كانت إلحادية، والبوذية اليابانية تتعبّد لتماثيل بوذا، وبوذية الزن مراوغة جداً. وذهبت إلى إجتماعات العلموية (حركة دينية علمية)، ولكنهم كانوا متلاعبين ومسيطرين. وكان الهندوس يؤمنون بكل هذه الطقوس العربيدة التي كانت لدى الآلهة وفي الآلهة التي كانت عبارة عن أفيال زرقاء. لا شيء من كل هذا بدا معقولاً؛ لا شيء يمكنه أن يُرضي، ويُشبع النفس".

وزادت أحواله سوءاً حتى كان يصطحب أصدقاء إلى إجتماعات لها إتجاهات شيطانية خفية. "كنت أراقب وأشاهد وأفكر. إن شيئاً ما يحدث هنا، لكنه ليس جيداً، وفي وسط عالمي المجنون بالمخدرات، أخبرت أصدقائي أن هناك قوة شريرة تفوق طاقتي، وتستطيع أن تعمل في داخلي، وهي موجودة ومتواجدة في كياني. لقد رأيت في حياتي شروراً كافية لأعتقد ذلك". وبإبتسامة ساخرة قال "أظن أني قبلت وجود الشيطان، قبل قبلت الله".

---

٢ هي كلمة سنسكريتية تعني "الفعل" و "المصير"، وتعد مصطلحاً هاماً في التراث الديني الهندي حيث تُشير إلى مُجمل افعال الشخص في واحد من حالات الوجود المتعاقبة، وهي تقرر ما سيكون عليه وضعه في الحالة التي تعقب وجوده الحالي، وهي التي تحددت بالحالة السابقة. [قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مكتبة دار الكلمة، مصر القاهرة، ٢٠٠٤]

"لا يمكني" الإيمان بيسوع

في سنة ١٩٦٩ دفع فضول لابيدس لزيارة قطاع "سنست ستريب" للتحديق في داعية إنجيلي كان قد قيَّد نفسه بسلسلة في صليب طوله ٨ أقدام للإحتجاج، على الطريقة التي تمكن بها أصحاب حانة محلية التي تسببت في طرده من الدير. وكان هناك على الرصيف صادف لابيدس بعض المسيحيين الذين شاغلوه في نقاش روحي مرتجل.

ولكونه كان مغروراً. بدأ يقذفهم بأفكار الفلسفة الشرقية، وقال لهم وهو يشير إلى السماء "ليس هناك إله. نحن الله. أنا الله. وأنتم الله. فقط عليكم أن تدركوا ذلك".

فأجابه أحد الأشخاص "حسناً، إذا كنت أنت الله، فلماذا لا تخلق صخرة؟ فقط إظهر أي شيئ. أي شيء مما يفعله الله".

وبعقله المشوش بسبب المخدرات، تخيل أنه ماسكاً بيده صخرة فقد مد يده الفارغة قائلاً "حسناً، ها هي الصخرة".

فضحك المسيحي ساخراً "هذا هو الفرق بينك وبين الله الحقيقي. عندما يخلق الله شيئاً، يستطيع كل فرد أن يراه. فهو شئ ملموس وليس شئ وهمي".

وهنا تسجلت هذه الفكرة مع لابيدس. وبعدما فكّر فيها قليلاً، قال لنفسه، لو وجدت الله فلابد أن يكون ملموساً. لقد انتهيت من هذه الفلسفة الشرقية ومللتها وهي التي تقول أن كل شئ موجود في عقلي وأنني أستطيع خلق حقيقتي. إن الله لابد أن يكون حقيقة ملموسة إذا كانت سيكون له معنى يفوق مستوى خيالي.

وعندما ذكر أحد المسيحيين إسم يسوع، حاول لابيدس التخلص منه بالجواب الذي طال إختزانه "أنا يهودي، لا أؤمن بيسوع".

وهنا تكلم القس وسأله "هل تعرف بالنبوءات حول المسيا؟

لكن لابيدس فوجئ بهذا السؤال فقال له "نبوءات؟ أنا لم أسمع عنها أبداً".

وفاجأ الداعية لابيدس بالإشارة إلى بعضٍ نبوءات العهد القديم. تفكّر لابيدس ثم قال له "إنتظر دقيقة! تلك كُتبي اليهودية المقدسة التي يقتبس منها! كيف يمكن ليسوع أن يكون هناك".

فلما قدَّم له الداعية الكتاب المقدس، كان لابيدس مرتاباً، فسأله "هل به العهد الجديد؟ فأومأ الداعية برأسه موافقاً فقال لابيدس "حسناً، سأقرأ العهد القديم، لكن لن أفتح الآخر".

وإندهش من رد الداعية الذي قال له "حسناً، اقرأ العهد القديم فقط وإسأل إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، إله إسرائيل ليريك إن كان يسوعٍ هو المسيا. لأنه مسيحك المنتظر. جاء إلى الشعب اليهودي أولاً ثم كان أيضاً مخلص العالم".

بالنسبة للابيدس، كانت هذه معلومات جديدة. معلومات مثيرة، معلومات مدهشة. لذا عاد إلى شقته، وفتح العهد القديم من أول سفر، سفر التكوين، وراح يبحث عن يسوع بين الكلمات التي كانت قد كتبت من مئات السنين قبل أن يولد نجار الناصرة.

"مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا"

ثم قال لابيدس "سرعان ما بدأت بقراءة العهد القديم كل يوم وأرى نبوة بعد أخرى.فمثلاً، تحدث سفر التثنية عن نبي أعظم من موسى سوف يأتي ويجب أن نستمع إليه. ففكرت، من ذا الذي يمكنه أن يكون أعظم من موسى؟ يبدو أنه المسيا، شخص عظيم ومحترم مثل موسى، ولكنه معلم أعظم وذو سلطان أعظم. فأمسكت بهذه النبوة ورحت أبحث عنه".

وكلما تقدّم لابيدس في قراءة الكتاب المقدس. توقف مذهولاً عند سفر أشعياء الأصحاح٥٣. بوضوح ودقة، وفي نبوة متكررة ومغلفة بشعر متقن، كانت هذه صورة المسيا الذي سيتألم ويموت من أجل خطايا إسرائيل والعالم، كلها كتبت قبل أن حضور يسوع إلى الأرض بأكثر من سبعمائة عام.

مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ
رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبَرُ الْحُزْنِ

وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا
مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ.
لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا
وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا.
وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً.
وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا
مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا.
تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا.
كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا.
مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ
وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.
ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ
كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ
وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا
فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.
مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ.
وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ
أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟
وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ
وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ.
عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً
وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ....
لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ
وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً
مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ
وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ
وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ
وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ. اشعياء٥٣: ٣- ٩، ١٢

وفي الحال تعرّف لابيدس على الصورة: هذا هو يسوع الناصري!. الآن بدأ يفهم الصور التي رآها في الكنائس الكاثوليكية التي مر بها وهو طفل: يسوع المتألم، يسوع المصلوب، يسوع

الذي أدرك الآن أنه "مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا" كما أنه" "حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ".

ومثلما سعى اليهود في العهد القديم للتكفير عن خطاياهم من خلال نظام الذبائح الحيوانية، فهنا يسوع، الحمل الذبيحة النهائية من الله، الذي دفع ثمن خطايانا مرة وإلى الأبد. وهنا كان تجسيد خطة الله للخلاص.

لقد كان هذا الإكتشاف مدهشاً جداً لدرجة أن لابيدس إستطاع أن يتوصل إلى إستنتاج واحد فقط: إنها كانت خدعة!. فقد إعتقد بأن المسيحيين أعادوا كتابة العهد القديم وحرفوا كلمات أشعياء ليجعلوها تبدو كأن النبي كان يتنبأ عن يسوع.

وشرع لابيدس ليكشف عن هذه الخدعة "سألت زوجة أبي أن ترسل إليَّ نسخة من الكتاب المقدس اليهودي وبذا يمكنني أن أتأكد بنفسي. وفعلاً أرسلت الكتاب المقدس، فهل يمكنك أن تخمن؟ وجدته يقول نفس الشيء! الآن أنا مضطر أن أتعامل معه".

يهودية يسوع

مرة بعد أخرى يصادف نبوءات في العهد القديم، أكثر من أربع دزينات (٤٨) من النبوءات الكبرى إجمالاً. وقد كشف أشعياء طريقة ميلاد المسيا (من عذراء)؛ وحدد ميخا مكان ميلاده (بيت لحم)؛ وحدد سفري التكوين وأرميا سلسلة النسب (من نسل إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، من سبط يهوذا، من بيت داود)؛ وتنبأت المزامير بمن سيخونه، وإتهامه من قبل شهود زور، وطريقة موته (مثقوب في يديه وقدميه، مع أن الصلب لم يكن قد إخترع وقتئذ)، وقيامته (لن يفسد جسده بل سيصعد إلى السموات) وهكذا وبدون توقف [٣] كانت كل نبوة تُكسّر شكوكية لابيدس حتى أصبح أخيراً مستعداً لأن يتخذ الخطوة الحاسمة.

"قررت فتح العهد الجديد وأقرأ الصفحة الأولى فقط".

وبارتغاش إنتقلت ببطئ إلى إنجيل متى وأنا ناظر إلى السماء

منتظراً صاعقة البرق أن تهبط عليَّ!".

وقفزت كلمات متي الأولى من صفحة الإنجيل حيث يقول "كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ...". فاتسعت عينا لابيدس حين تذكر لحظة قراءته لهذه الجملة لأول مرةٍ "فكرت- واو! إبن إبراهيم وإبن داود، كل الأشياء متوافقة معاً! وعدت إلى قصص الميلاد وفكرت. أنظر إلى هذه الجملة. إن متى يقتبس من النبي أشعياء ٧: ١٤ "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»" وبعد ذلك يقتبس من النبي أرميا، وجلست هناك أفكر. أنت تعرف أن هذه عن الشعب اليهودي. فأين يبدأ الكلام عن الأمم (غير اليهود)؟ ماذا يحدث هنا؟

"وهنا لم أستطع أن أترك الكتاب. بل قرأت باقي الأناجيل كلها، وأدركت بأنها ليست كتيب للحزب النازي الأمريكي، بل كانت تفاعلاً بين يسوع والمجتمع اليهودي. ثم وصلت إلى سفر الأعمال، وهذا شئ لا يمكن تصديقه! لقد حاولوا أن يبينوا بوضوح كيف إستطاع اليهود أن يوصلوا قصة يسوع إلى الأمم (غير اليهود). حديث عن تبادل الأدوار!

لقد كانت النبوءات التي تحققت مقنعة لدرجة أن لابيدس بدأ يخبر الناس أنه آمن بأن يسوع هو المسيا. وفي ذلك الوقت، كان هذا مجرد إحتمال عقلاني بالنسبة إليه، ومع ذلك فما تضمنه من معاني كانت مقلقة للغاية.

"أدركت أنني لو قبلت يسوع في حياتي، فلابدٍ أن تحدث بعض التغيرات في طريقة معيشتي". ثم أوضح قائلاً "لابد أن أعالج مشاكل المخدرات، والجنس، وغيرها. ولم أفهم أن الله سيساعدني في إتمام هذه التغيرات؛ واعتقدت بأني يجب أن أنظف حياتي بنفسي، بمفردي".

الغطاس في الصحراء

توجّه لابيدسٍ وبعض أصدقاؤه إلى صحراء موجاف للنزهة.. وقد كان روحياً يشعر بصراع نفسي. فقد إنتابته كوابيس التي رأى

فيها الكلاب تمزقه وتنهشه من إتجاهات متقابلة. وبينما كان جالساً بين الأشجار الصحراوية، تذكر كلمات قالها له شخص يوم ذهب إلى سنسنت ستريب "إما أن تكون مع الله أو مع الشيطان"

لقد آمن بالشر ومتضمناته، ولم يكن هذا هو الجانب الذي أراد أن يكون معه. لذا صلى لابيدس "يارب، يجب أن أضع حداً لهذا الصراع. يجب أن أعرف دون أي ظل من الشك أن يسوع هو المسيا. أحتاج أن أعرف، أنك، كإله إسرائيل، تريدني أن أؤمن بهذا".

وبينما حكى لي هذه القصة، تردد لابيدس حيث كان غير متأكد كيف يعبر بالكلمات عما حدث بعد ذلك. ومرت لحظات قليلة. ثم قال لي "أفضل ما إستجمعته من تلك التجربة هو أن الله تكلم إلى قلبي، بطريقة ملموسة. وأقنعني، بشكل إختباري أنه موجود. وعند تلك النقطة، وأنا في الصحراء، قلت في قلبي "يارب، أنا أقبل يسوع في حياتي. لكني لا أفهم ما هو مفروضاً أن أفعله معه، ومع ذلك فإني أريده. لقد أفسدت حياتي كثيراً جداً، وأحتاجك يارب لأن تغيرني".

وفعلاً بدأ الله بالقيام بتلك العملية التي ما زالت مستمرة حتى اليوم. "عرف أصدقائي أن حياتي قد تغيرت، ولم يستطيعوا أن يفهموا ذلك. فهم يقولون لي أن شيئاً ما قد حدث لك في الصحراء. فأنت لا تعد راغباً في تعاطى المخدرات. هناك شئ مختلف فيك؟"

"فأقول لهم، حسناً، أنا لا أستطيع تفسير ما حدث. فكل ما أعرفه أن هناك شخص في حياتي، وهذا الشخص قدوس، وبار، وهو مصدر الأفكار الإيجابية عن الحياة، وأنا أشعر فقط بكل هذا".

هذه الكلمة الأخيرة، بدا وكأنه قال كل شيء. "بكل هذا" أما هو فأكد لي "كل هذا بطريقة لم أشعر بها أبداً من قبل".

وبالرغم من التغيرات الإيجابية، فقد كان مهتماً بتبليغ هذا الخبر لوالديه. وعندما أبلغهما أخيراً، كان رد فعلهما متفاوتاً. "في بادئ الأمر كانا فرحين لأنهما عرف أنني لم أعد معتمداً على

المخدرات، وأنني بدوت افضل بكثير نفسياً" وبعد ذلك تذكر ما حدث "لكن هذا الإبتهاج بدأ بالتحلل عندما فهما مصدر كل هذه التغييرات. فجفلوا، كما لو كانوا يقولون: ولماذا يجب أن يكون يسوع؟ ولماذا لا يمكن أن يكون أي شئ آخر؟ ولم يعرفوا ماذا يمكنهم أن يفعلوا".

ثم أضاف بصوت فيه نبرة من الحزن "ما زلت غير متأكد بأنهم يفعلون شيئاً".

ومن خلال سلسلة من الظروف الغير عادية، حصل لابيدس على استجابة للصلاة من أجل الحصول على زوجة حين قابل ديبورا، التي كانت يهودية أيضاً ومن أتباع يسوع. فأخذته إلى كنيستها، التي إتضح إنها نفس الكنيسة التي يرعاها الداعية الذي كان قد قابله قبل ذلك بشهور كثيرة في سنست ستريب الذي حفز لابيدس لقراءة العهد القديم. وهنا ضحك لابيدس "يمكنني أخبارك، لأنه شُدهَ عندما رآني أدخل الكنيسة!"

وكان جماهير المصلين كثيرين وكان من بينهم راكبوا الدراجات البخارية فيما قبل، ومن مجموعات الهيبز السابقين، ومدمنين سابقين للمخدرات من هذا القطاع، وكان بينهم عدد من أهالي الجنوب سيئ السمعة جاءوا واستقروا. وبالنسبة للشاب اليهودي من نيو أرك الذي كان منطقياً خجولاً جداً من الذين مختلفون عنه، بسبب معاداة السامية التي كان يخشى أن يصادف، قد إستراح عندما تعلم أن يسمي مثل هذه المجموعة المتباينة "إخوة وأخوات".

تزوج لابيدس من ديبورا بعد عام من لقائهما. ومنذ ذلك الحين أنجبا ولدين. ثم أنجبا معاً مؤسسة بيث أريل، وهي عبارة عن مأوى لليهود وغير اليهود (الأمم) الذين أيضاً وجدوا الكمال في المسيح.

الرد على الإعتراضات

أنهى لابيدس قصته واسترخى في كرسيه. أما أنا فتركت الزمن

يتباطأ. وكانت قاعة الكنيسة هادئة تبث السلام في النفس؛ وكان الزجاج الملون يتوهج باللون الأحمر والأصفر والأزرق بشمس كاليفورنيا. جلست أتأمل في قوة قصة شخص واحد عن إيمان وجده. وعجبت لهذه القصة المليئة بالصراع والمخدرات، وقرية جرينتش وقطاع سنست ستريب والصحراء القاحلة، التي لا يمكنني ربطها بالقس اللطيف المنضبط الجالس أمامي.

ولكني لم أرد تجاهل الأسئلة الواضحة التي أثارتها قصته. وبعد إستئذان لابيدس بدأت أسأله السؤال الرئيسي الذي خطر ببالي "إذا كانت النبوءات واضحة جداً أمامك وأشارت بطريقة لم تدع مجالاً للشك- إلى يسوع- فلما لا نجد مزيداً من اليهود يقبلون يسوع كالمسيا لهم؟".

لقد سأل لابيدس نفس هذا السؤال طوال الثلاثين عاماً منذ أن تحداه رجل مسيحي للتحقق في الكتب اليهودية المقدس. فقال لي "في حالتي، فقد تأنيت في قراءتهم. ومن الغريب، أنه مع أن اليهودي معروف عنهم الذكاء الفائق، إلا أنهم في هذه المسألة لديهم الكثير من الجهل.

"علاوة على ذلك، هناك مؤسسات للتبشير المضاد والتي تعقد حلقات دراسية في المجامع والمعابد اليهودية لمحاولة تفنيد النبوءات المسيانية. فاليهود يسمعوها ويتخذوها حجة لعدم استكشاف النبوءات بأنفسهم. ويقولون "إن الحاخام قال لي ليس هناك شئ من هذا القبيل" وحين أسألهم "هل تظنون أن الحاخام قدم إعتراضاً لم تسمع به المسيحية من قبل؟ أعني أن العلماء قد ظلوا يبحثون في هذا الموضوع لمدة مئات السنين! هناك أدب كثير وكتب عظيمة وإجابات مسيحية قوية على هذه التحديات، فلو كانوا مهتمين بهذا الموضوع فسأساعدهم على مزيد من البحث".

ولقد تعجبت من نبذ المجتمع الذي يواجهه شخص يهودي إذا أصبح هو أو هي مسيحياً. فقال لابيدس "إن هذا بالتأكيد أحد العوامل، فإن بعض الناس لا يسمحون للنبوءات المسيانية أن

تلفت نظرهم لأنهم خائفون من الإرتداد الذي يؤدي إلى النبذ عن عائلاتهم والمجتمع اليهودي. وهذا ليس من السهل مواجهته صدقني، أنا أعرف ذلك".

ورغم ذلك، فإن بعض التحديات للنبوءات تبدو مقنعة جداً عندما يسمعها شخص لأول مرة. ولذلك فقد وجهت أكثر التحديات شيوعاً إلى لابيدس واحدة بعد الأخرى لأرى كيف سيرد عليها.

١. مجادلة الصدفة

أولاً، سألت لابيدس إن كان من الممكن أن تحقيق يسوع للنبوءات قد يكون مجرد صدفة. لربما يكون أحد الكثيرين على مدى التاريخ الذين توافقوا بالصدفة مع بصمة إصبع النبوءات.

جاء رَدَّه "إنها ليست صدفة، فإن الإحتمالات كثيرة العدد لدرجة أنها تحسم هذه النقطة. وقد حسبها شخص فوجد أن إحتمال مجرد تحقق ثمانية نبوءات هي صدفة أو فرصة واحدة في مائة مليون بليون. وهذا العدد أكبر بملايين المرات من عدد جميع الناس الذين عاشوا على هذا الكوكب حتى الآن!.

"وحسب هذا العدد أنك إذا أخذت هذا العدد بالدولارات الفضية، فستغطي ولاية تكساس إلى عمق قدمين. فلو وضعت علامة على واحد من هذه الدولارات الفضية ثم أحضرت شخصياً مُغمض العينين وطلبت منه التجول في كل أنحاء الولاية ويلتقط هذه العملة المحددة، ماذا تكون الإحتمالات لوصوله للعملة التي وضعت عليها العلامة؟".

وبهذا فإنه يعتبر أجاب على سؤاله بنفسه: "إنه نفس عدد الإحتمالات التي يمكن لأي شخص في التاريخ لأن يحقق ثمانية فقط من هذه النبوءات".

لقد درست هذا التحليل الإحصائي نفسه من قبل عالم الرياضيات بيتر دبليو ستونر عندما كنت أبحث في النبوءات المسيانية لنفسي. وإن ستونر قد حسب أيضاً أن احتمال تحقق ثمان وأربعون نبوءة

كان فرصة واحدة في ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، ترليون!(٤)

إن عقولنا لا تستطيع أن تستوعب عدداً بهذا الحجم. وهذه إحصائية مذهلة لدرجة أنها مساوية لعدد الذرات الدقيقة جداً في ترليون، ترليون، ترليون، ترليون، بليون من الأكوان ضعف حجم الكون الذي نعيش فيه!

واختتم لابيدس الكلام قائلاً "إن الإحتمالات وحدها تقول أنه من المستحيل لأي شخص أن يحقق نبوءات العهد القديم. ومع ذلك فإن يسوع، و يسوع وحده، عبر كل قرون التاريخ، إستطاع أن يحققها".

وهنا قفزت إلى رأسي كلمات بطرس الرسول "وَأَمَّا اللهُ فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ قَدْ تَمَّمَهُ هَكَذَا" (أعمال ٣: ١٨).

٢. مناقشة مسألة الإنجيل المحرف

رسمت سيناريو آخر للابيدس، فسألته "أليس من الممكن أن كُتّاب الأناجيل إختلقوا تفاصيل ليُظهروا أن يسوع حقق النبوءات؟"

"فمثلاً تقول النبوءات أن عظام المسيا ستبقى سليمة ولن تُكسر، لذلك فربما يوحنا إخترع قصة أن الرومان كسروا سيقان اللصين اللذين صلبا مع يسوع ولم يكسروا سيقانه. والنبوءة التي تتحدث عن الخيانة مقابل ثلاثين قطعة من الفضة، لربما تلاعب متى بالحقائق بطريقة ماكرة وقال: نعم، باع يهوذا يسوع بهذا المبلغ نفسه".

لكن هذا الإعتراض لم ينجح أكثر من الإعتراض السابق. فأوضح لابيدس "الله بحكمته قد خلق وسائل المراجعة والرقابة من داخل المجتمع المسيحي وخارجه. فعندما إنتشرت الأناجيل وأصبحت متداولة، كان هناك أناس يعيشون في ذلك الوقت وفي

تلك المناطق عندما حدثت هذه الأمور. وكان من الممكن أن يأتي شخص ويقول لمتى "إنك تعلم أن هذه الأحداث لم تحدث بهذه الطريقة. إننا نحاول أن نحيا حياة التقوى والصدق فلا تشوهها بكذبة".

علاوة على ذلك، لماذا يختلق متى نبوءات تحققت ثم يسمح لنفسه، وبرغبته أن يحكم عليه بالإعدام لكونه تابع لشخص يعرف سراً أنه لم يكن فعلاً المسيا؟ هذا شيء لا معنى له؟

وما هو أكثر من ذلك، أن المجتمع اليهودي كان سينتهز أي فرصة ليكذبوا الأناجيل بلفت الأنظار إلى هذه الأكاذيب. وكانوا سيقولون "لقد كنت هناك، وقد كسر الرومان عظام يسوع أثناء عملية الصلب. ولكن مع أن التلمود اليهودي يشير إلى يسوع بطريقة تحط من قدره، فإنه لم يدعي أبداً، ولا مرة واحدة، أن تحقيق هذه النبوءات قد تم تزييفه".

٣. مناقشة تدبير عملية تحقيق النبوءات عمداً

صرّح بعض المتشككين بأن يسوع خطط حياته بطريقة تحقق النبوءات. "ألم يكن يستطيع أن يقرأ في سفر زكريا أن المسيا سيدخل أورشليم راكباً على حمار، ثم يتخذ الترتيبات اللازمة لتمكنه فعل ذلك بالضبط؟"

وهنا تنازل لابيدس تنازلاً صغيراً فقال رداً على سؤالي "نعم، بالنسبة لنبوءات قليلة، فإن هذا الأمر يمكن تخيله بالتأكيد. ولكن هناك نبوءات أخرى كثيرة لم يكن من الممكن أن يحدث فيها هذا.

"فمثلاً، كيف سيتحكم في حقيقة أن مجلس السنهدرين اليهودي أعطوا ليهوذا ثلاثين من الفضة لكي يخونه؟ وكيف كان سيتمكن من ترتيب سلسلة النسب، والمكان الذي ولد فيه، وطريقة إعدامه، أو مُراهنة الجنود على ثيابه، أو بقاء رجليه سليمة ودون أن تُكسر على الصليب؟ وكيف كان سيرتب عملية قيامته من الأموات؟ وكيف كان سيرتب أن يولد في الموعد الذي ولد فيه؟"

هذه الجملة الأخيرة أثارت فضولي فسألته "ماذا تقصد بعبارة في الموعد الذي ولد فيه؟"

عندما تفسر دانيال ٩: ٢٤- ٢٦، الذي يتنبأ بأن المسيا سيظهر بعد فترةٍ زمنية محددة بعد أن ملك أَرْتَحْشَشْتَا الأول أصدر مرسوماً للشعب اليهودي بالذهاب من فارس إلى أورشليم ليعيدوا بناء أسوار أورشليم.

ثم مال للأمام لقول الجملة الحاسمة "إن هذا يجعل الظهور المتوقع للمسيا في اللحظة المحددة من التاريخ التي ظهرٍ فيها يسوع. وبالتأكيد لم يكن بإمكانه أن يرتب هذه المسألة مقدماً"(٥)

٤. مجادلة السياق

هناك إعتراض واحد آخر لابد من مناقشته: هل كانت الفقرات التي عينها المسيحيون كنبوءات عن المسيا مقصودة فعلاً لتشير إلى مجئ المسيا الوحيد الممسوح بالزيت، أم أن المسيحيين إنتزعوها وفصلوها عن سياق الجملة وأساءوا تفسيرها؟

تنهد لابيدس قائلاً "أنت تعرف، أنني أفحص الكتب التي يؤلفها الناس ليحاولوا تشويه ما نؤمن به. وإن هذا ليس من السهل عمله ولكنني أقضي الوقت الكافي لفحص كل إعتراض على حدة، أبحث في سياق الجملة وإستخدام الكلمات في اللغة الأصلية. وفي كل مرة ثبتت النبوءات وأثبتت صدقها.

"لذا فإني هنا أوجه تحدياً إلى المتشككين: لا تقبلوا كلامي كما هو، ولكن لا تقبلوا كلام الحاخام أيضاً. بل خصصوا الوقت الكافي لبحثها بأنفسكم. لا يستطيع أحد اليوم أن يقول "ليس عندي معلومات "فهناك كتب كثيرة يمكنها مساعدتكم.

"وهناك شئ آخر: إطلبوا من الله بإخلاص أن يعلن لكم هل يسوع هو المسيا أم لا. وهذا هو ما فعلته بنفسي، وبدون أي تعليم أصبح من الواضح أمامي من الذي تنطبق عليه بصمة المسيا.

"لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي..."

لقد أعجبت بالطريقة التي أجاب بها لابيدس على الإعتراضات، ولكن في النهاية لقد كانت قصة رحلته الروحية هي التي ظلت تتكرر في تلك الليلة. وتأملت في عدد المرات التي صادفت فيها قصصاً مماثلة، خصوصاً بين الناس اليهود الناجحين والذين يفكرون بعمق، والذين شرعوا بدقة من خلال قراءته لما كتبه من قبل الذين يحاولون أن يحطوا من قدر إدعاءات يسوع المسيانية.

فكّرت في "ستان تيلتشين"، رجل الأعمال بالساحل الشرقي الذي بدأ مسعاه للكشف عن "العبادة" المسيحية بعد سفر إبنته إلى الكليَّة، حيث قبلت يسوع كالمسيا. لقد إندهش من أن تحقيقة قاده هو وزوجته وإبنته الثانية إلى نفس المسيا. لقد أصبح فيما بعد خادما للمسيح، وكتابه الذي يُعيد رواية قصته "المغدور به *Betrayed*"، والذي تُرجم إلى أكثر من عشرون لغة.[٦]

وهناك أيضاً جاك سترنبيرج، طبيب السرطان البارز في لتل روك، آركانساس، الذي قاده قلقه مما وجده في العهد القديم عن المسيا، وتحدى ثلاثة حاخامات لتفنيد تحقق هذه النبوءات في يسوع، المسيا. ولم يستطيعوا، وهو يدعي بأنه وجد تحقيقها كلها في المسيح [٧].

وهناك أيضاً، بيتر جرينسبان، أخصائي الولادة، وطبيب أمراض النساء الممارس في مدينة كانساس وأستاذ مساعد سريري في كلية طب مدينة ميسوري كانساس. ومثل لابيدس، كان قد تحديّ للبحث عن يسوع في اليهودية. وهو ما إضطره للبحث في التوراة والتلمود، ساعياً إلى إثبات عدم أحقية يسوع كالمسيا. وبدلاً من ذلك وصل إلى النتيجة بأن يسوع قد حقق في شخصه، وبشكل أعجوبي، كل النبوءات.

بالنسبة له، قرأ الكتب التي حاول مؤلفوها تقويض الدليل القائل بأن يسوع هو المسيا. إلا أنه وصل إلى نتيجة فحواها " لقد قادتني هذه الكتب الهجومية على يسوع للإيمان به" [٨]

وقد وجد- مثل لابيدس وآخرين- أن كلمات يسوع في إنجيل لوقا قد ثبت صدقها "أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ" (لوقا٢٤: ٤٤). لقد تحققت في يسوع وحده، الشخص الوحيد في التاريخ الذي ضاهى بصمة الإصبع النبوية لمسيح الله الواحد.

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. حتى لو تكن يهودياً، هل هناك أي سمة لرحلة لابيدس الروحية مشابهة لرحلتك الخاصة؟ هل كان هناك أي دروس تعلمتها من لابيدس عن كيف يجب أن تبدأ؟

٢. درس لابيدس تراثه اليهودي وأسلوب حياته المخالف للكتاب المقدس، التي شكّلت عوائق تمنعه أن يصبح من أتباع يسوع؟ هل هناك شئ في حياتك يجعل من الصعب عليك أن تُصبح مسيحي؟ وهل ترى أي تكاليف قد تتكبدها لو أصبحت مسيحياً؟ وما قيمتها لو قورنت بالفوائد؟

٣. كان لابيدس يعتقد أن المسيحيين معادين للسامية. في تدريب حديث على ترابط الكلمات في جامعة الساحل الشرقي، كانت الكلمة الأكثر ترابطاً مع كلمة "مسيحي" هي كلمة "عديم التسامح"، هل لديك تصورات سلبية عن المسيحيين؟ من أي مصدر نشأت؟ وكيف يمكن لذلك أن يؤثر على تقبلك للأدلة الخاصة بيسوع؟

لمزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Fruchtenbaum, Arnold. *Jesus Was a Jew*. Tustin, Calif.: Ariel Ministries, 1981.

Frydland, Rachmiel. *What the Rabbis Know about the Messiah*. Cincinnati: Messianic, 1993.

Kaiser, Walter C., Jr. *The Messiah in the Old Testament*. Grand Rapids: Zondervan, 1995.

Rosen, Moishe. *Y'shua, the Jewish Way to Say Jesus*. Chicago: Moody Press, 1982.

Rosen, Ruth, ed. *Jewish Doctors Meet the Great Physician*. San Francisco: Purple Pomegranate, 1997.

Telchin, Stan. *Betrayed!* Grand Rapids: Chosen, 1982.

الجزء الثالث

البحث في موضوع القيامة





الدليل الطبي

هل كان موت يسوع إفتعال و قيامته خدعة؟

توقفت قليلاً لكي أقرأ اللوحة المعلقة في غرفة الإنتظار في عيادة أحد الأطباء: "لتتوقف المحادثات، ولتهرب الضحكات، في هذا المكان يبتهج الموت لمساعدة الأحياء".

من الواضح، بأن هذا لم يكن طبيباً عادياً. كنت أقوم بزيارة أخرى للدكتور روبرت چي. شتاين، أحد أكبر الأطباء الشرعيين في العالم. هو مخبر طبي ملابسه مزركشة وصوته أجش، شديد التباهي، وقد إعتاد أن يمتعني بحكايات عن الأدلة غير المتوقعة التي كشفت أثناء فحص الجثث. ففي رأيه، أن الموتى اخبروا القصص الحقيقية، القصص التي كثيراً ما تحقق العدالة للأحياء.

أثناء فترة خدمته الطويلة كطبيب شرعي في مقاطعة كوك، بولاية إللينوي، شرَّح شتاين أكثر من عشرون ألف جثة، وفي كل مرة يبحث عن بدقة شديدة عن بصيرة لمعرفة الظروف التي أحاطت بموت الضحية. وبشكل متكرر كان نظره الثاقب الباحث عن التفاصيل، ومعرفته الموسوعية لعلم التشريح الإنساني، كما ساعد حدسه الإستقصائي الغريب الشرطة السرية في إعادة فحص أسباب وفاة الضحية العنيفة.

أحياناً يُبرأ أناس أبرياء كنتيجة لأستنتاجاته. ولكن في أحيان أخرى كثيرة كان عمل شتاين بمثابة المسمار الأخير في تابوت المتهم. وكانت هذه هي الحالة مع چون واين جاسي، الذي واجه الجلاد بعدما ساعد شتاين على إدانته بارتكاب ثلاث وثلاثون جريمة قتل مريعة.

وبذا، كيف يمكن أن يكون الدليل الطبي حاسماً. فبإمكانه تقرير إن كان أحد الأطفال قد مات بسبب سوء المعاملة أم بسبب سقوط عرضي. وبإمكانه إثبات إذا كان أحد الأشخاص قد توفى لأسباب طبيعية أم قتله شخص سمم قهوته بإضافة الزرنيخ إليها. وبإمكانه تأييد أو تكذيب وجود متهم في مكان الجريمة وقت إرتكابها، وذلك بالتحديد الدقيق جداً لموعد وفاة الضحية باستخدام إجراءات بارعة تقيس كمية البوتاسيوم في عيني الميت.

وكذلك، حتى في حالة شخص أعدم بوحشية على صليب روماني منذ ألفين سنة، فإن الدليل الطبي ما زال بإمكانه أن تقديم مساهمة حاسمة: فبإمكانه أن يُفسد أحد أكثر الحجج المستديمة- والتي استخدمها من يدعون قيامة يسوع- وهي من أهم البراهين لإدعائه الألوهية، لم تكن أكثر من خدعة متقنة.

قيامة أم إنتعاش من إغماء ؟

فكرة أن يسوع لم يمت حقاً على الصليب يمكن وجودها في القرآن، الذي دوّن في القرن السابع الميلادي، وفي الواقع أن المسلمين من طائفة الأحمدية يؤكدون بأن يسوع هرب فعلاً إلى الهند. وإلى يومنا هذا هناك ضريح الذي يفترض أنه مدفنه الحقيقي في مدينة سريناجار، في إقليم كشمير[٢].

وفي مطلع القرن التاسع عشر، حاول كارل باهردت، وكارل فينتوريني، وآخرون أن يثبتوا بطلان القيامة بالقول أن يسوع غاب عن الوعي فقط من الإعياء على خشبة الصليب، أو أنه أعطى مادة مخدرة جعلته يبدو كأنه ميت، وبأنه بعد ذلك تم إنعاشه بتأثير هواء القبر البارد الرطب[٣].

وقد عزز المؤمنون بنظرية المؤامرة هذه الفرضية بالتلميح إلى أن يسوع قد أعطي سائل على إسفنجة فيما كان معلقاً على الصليب (مرقس١٥: ٣٦)، وكذا دهشة بيلاطس بسرعة وفاة يسوع (مرقس١٥: ٤٤). ونتيجة لذلك قالوا أن عودة يسوع إلى الظهور لم تكن قيامة أعجوبية لكنها كانت مجرد إنتعاش عرضي، وقبره كان فارغاً لأنه واصل العيش.

وبينما أنكر علماء مشهورين نظرية الإغماء المزعوم، إلا أنها بقيت متكررة في كتابات الأدب الشعبية. وفي سنة ١٩٢٩ نسج دي. إتش. لورانس هذه الفكرة في قصة قصيرة ذكر فيها أن يسوع هرب إلى مصر، حيث وقع في حب الكاهنة إيزيس [٤].

وفي سنة ١٩٦٥ ألّف هيو شونفيلد كتابه الرائج "مؤامرة الفصح *The Passover Plot*" الذي إدعى أن طعنة الجندي الروماني الغير متوقعة ليسوع هي فقط التي أحبطت خطة نجاته من الصلب حياً، مع أن شونفيلد إعترف قائلاً "إننا لا ندعي في أي مكان... أن ذلك [الكتاب] يمثل ما حدث فعلاً" [٥].

عادت فرضية الإغماء ثانية في كتاب دونوفان چويس "وثيقة يسوع" سنة ١٩٧٢، وهو يحتوي على سلسلة لا يمكن تصديقها من الأحداث الغير محتمل حدوثها والأكثر غرابة من كتاب شونفيلد، طبقاً لخبير القيامة جاري هابيرماس [٦]. وفي سنة ١٩٨٢ ظهر كتاب "الدم المقدس" و "الكأس المقدسة"، فأضاب تحريفاً بأن بيلاطس البنطي أعطيت له رشوة ليسمح ليسوع أن ينزل من على الصليب قبل موته. ومع ذلك إعترف المؤلفون "إننا لا نستطيع، وما زلنا لا نستطيع، أن نثبت دقة إستنتاجنا" [٧].

ومؤخراً في سنة ١٩٩٢، نجد أكاديمية غير مشهورة من استراليا، تدعى باربارا ذييرنج، أحدثت ضجة بإحياء نظرية الإغماء في كتابها "يسوع ولغز وثائق البحر الميت" الذي كتبت مقدمته مصحوبة بضجة هائلة من قبل ناشر أمريكي محترم وبعد ذلك تم رفضه بسخرية بواسطة عالم من جامعة إموري يدعى لوك تيموثي جونسون فقال إنه "هراء خالص، ونتاج خيال محموم

ومريض بدلاً من أن يكون تحليلاً دقيقاً"[٨].

وكأسطورة حضرية، تواصل نظرية الإغماء الإزدهار. وإني أسمعها طول الوقت في مناقشة القيامة مع الباحثين الروحيين. ولكن ما الذي يثبته هذا الدليل؟ ما الذي حدث فعلاً عند الصلب؟ ما الذي سبّب موت يسوع؟ هل كانت لديه أي إمكانية لكي ينجو حياً من هذه المحنة؟ تلك هي أنواع الأسئلة التي تمنيت أن تساعد الأدلة الطبية على حلها.

لذا سافرت بالطائرة إلى جنوب كاليفورنيا وقرعت باب طبيب بارز ومشهور، والذي درس بتوسع المعلومات التاريخية والآثارية والطبية المتعلقة بموت يسوع الناصري – مع أنه يبدو أن تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة لم يتم أبداً بسبب إختفاء الجثة بطريقة غامضة.

المقابلة العاشرة: ألكسندر ميثيريل، ماجستير في الطب، ودكتوراه في الفلسفة

لقد كان هذا المكان الفاخر شاذ على نحو كبير بالموضوع الذي كنا نناقشه. هناك كنا، جالسين في غرفة المعيشة في منزل ميثيريل المريح في كاليفورنيا، في مساء ربيعي معتدل، تهب نسمات المحيط الدافئة، تهمس خلال النوافذ، بينما كنا نتحدث عن موضوع الوحشية التي لا يمكن تصوّرها: الضرب الهمجي والذي يصدم الضمير، ونوعية عقوبة الإعدام المنحرفة والتي تُعدّ دليلاً رهيباً على وحشية ظلم الإنسان للإنسان.

لقد سعيت للقاء ميثيريل لأني سمعت أن لديه المعلومات الطبية والعلمية لتفسير حادثة الصلب. لكن كان لديَّ حافز آخر أيضاً: فقد بلغني أنه يستطيع أن يناقش الموضوع بشكل محايد إضافة للدقة. وذلك كان مهم لي، لأني أردت أن تتكلم الحقاق بنفسها، بدون المبالغة أو اللغة المشحونة بالعواطف والتي تثير المشاعر.

وكما تتوقع من شخص يحمل شهادة طبية (جامعة ميامي بفلوريدا) ودكتوراه في الهندسة (جامعة بريستول بإنجلترا)،

يتحدّث ميثيريل بدقة علمية. ومشهود له في التشخيص بواسطة مجلس الأمريكي للمعالجة الأشعاعية، وكان مستشاراً للمعهد القومي، للقلب، والرئة، والدم التابعين للمعاهد القومية للصحة في بيثيسدا، بولاية ماريلاند.

وكان ميثيريل عالم الأبحاث السابق والذي قام بالتدريس في جامعة كاليفورنيا. وميثيريل رئيس تحرير لخمس كتب علمية وألف للنشر كتباً تتروح من "الطب الفضائي" إلى "الأمريكي العلمي". وتحليله البارع لتقلص العضلات ثم نشره في مجلة "علم وظائف الأعضاء والفيزياء الحيوية". كما أن له دور كمرجع طبي متميز، كما أنه شخصية مهيبة ذات شعر فضي، وسلوك مؤدب لكن رسمي.

وسأكون أميناً: ففي بعض الأحيان كنت أتساءل ما الذي يجري داخل ميثيريل. وبتحفظ علمي، كان يتحدث ببطء وبشكل منهجي، فلم يبدي أي تلميح يدل على أي إضطراب داخلي فيما وصف بهدوء التفاصيل الرهيبة لوفاة يسوع. وأيا كان شعوره الداخلي، ومهما كان الألم الذي أحس به كمسيحي بسبب حديثه عن المصير القاسي الذي أصاب يسوع، فقد كان قادراً على إخفائه بمهارة تولّدت لديه عبر عقود من البحث المعملي.

فقد أعطاني فقط الحقائق ومهما كان الأمر، فإن هذا هو ما جعلني أسافر عبر الولايات المتحدة لأحصل عليه.

التعذيب قبل الصليب

مبدئياً- أردت أستنباط الوصف الأساس للأحداث التي إنتهت بوفاة يسوع من ميثيريل. لذا بعد فترة من الدردشة الإجتماعية، وضعت جانباً كوب الشاي المُثلّج وتحركت في كرسيَّ لمواجهته مباشرة، ثم سألته: "هل يمكنك رسم صورة لما حدث ليسوع؟

تنحنح ثم أجاب قائلاً "بدأت الأحداث بعد العشاء الأخير، ذهب يسوع مع تلاميذه إلى جبل الزيتون، تحديداً إلى بستان جيثسيماني. وهناك، إذا تتذكر، صلي طوال الليل. وفي أثناء هذه العملية كان

يتوقع الأحداث الآتية والتي ستحدث في اليوم التالي. ولأنه كان يعرف مقدار الآلام التي سيضطر أن يتحملها، فقد كان من الطبيعي أن يشعر بضغوط نفسية هائلة".

وهنا رفعت يدي لأستوقفه. ثم قلت له "هذه هي النقطة التي يجد فيها المتشككون مجالاً للجدال. فالأناجيل تخبرنا أنه بدأ يعرق دماً في هذه النقطة. أليس هذا مجرد نتاج بعض التخيلات النشطة أكثر من اللازم؟ أليس هذا يدعوا إلى الشك في دقة الكُتَّاب الإنجيليين؟"

بدون أن ينزعج، هزَّ ميثيريل رأسه وأجاب "أبداً مطلقاً. هذه حالة طبية معروفة تسمى العرق الدموي hematidrosis وهي حالة ليست شائعة جداً، لكنها مصحوبة بدرجة عالية من الضغط النفسي.

"ما يحدث هو أن القلق الشديد يُسبب إفراز مواد كيميائية تفتت الأوعية الشعرية في الغدد العرقية. ونتيجة لذلك، تحدث كمية صغيرة من النزيف في هذه الغدد، فيخرج العرق به قليل من الدم. فنحن لا نتحدث عن الكثير من الدم؛ لكن كمية صغيرة جداً".

ومع أن الأسلوب كان مُبسطاً إلا أنني واصلت الإلحاح قائلاً "هل كان لهذا أي تأثير آخر على الجسم؟"

فأجاب "كل ما فعله أنه جعل الجلد هشاً جداً لدرجة أنه عندما جُلد من قبل الجندي الروماني في اليوم التالي، كان جلده حساس جداً".

حسناً، ها نحن نتفهم الظروف. وأعددت نفسي للصور المروعة التي عرفت أنها على وشك أن تغمر أفكاري. لقد رأيت الكثير من الجثث بحكم عملي كصحفي، كوارث بسبب حوادث السيارات، والحرائق، أو عقوبة نقابات المجرمين (إنتقام العصابات)، ولكن كان هناك شئ يثير الأعصاب بصفة خاصة عندما أسمع عن شخص يُعامل بوحشية متعمدة من قبل جلادين مصممين أن يسببوا له أقصى أنواع العذاب.

فسألته "ماذا كان نوع هذا الجَلد؟"

فأجاب وعيناه لم تُفاقاني "طريقة الجلد الرومانية عُروفت بأنها وحشية جداً. وكانت عادة تتكون من تسع وثلاثون جلدة ولكن كثيراً ما كانت أكثر من ذلك بكثير، وهذا يتوقف على مزاج الجندي الذي ينفذ عملية الجلد.

"وكان الجندي يستخدم سوطاً مكون من سير جلدي مُضفّر ومثبت به كرات معدنية. وعندما كان السوط يضرب اللحم كانت هذه الكرات المعدنية تُسبب كدمات عميقة، والتي كانت تتقيّح مع إستمرار الجلدات. وكان بالسوط قطع من عظام حادة أيضاً تجرح الجسد بشدة.

"وكان الظهر يتقطع لدرجة أن أجزاء من العمود الفقري يصبح أحياناً مكشوفاً بسبب الجروح العميقة جداً. وكان يستمر الجلد من الأكتاف إلى أسفل الظهر، والأرداف، وخلف الساقين. لقد كان فظيعاً".

وهنا سكت ميثيريل، لكني طلبت منه أن يستمر.

"أحد الأطباء الذي درس أسلوب الجَلد الروماني قال: "كلما إستمرَّت عملية الجلد كانت تتمزق العضلات الهيكلية الدفينة وتسبب تمزق شرائط مرتعشة من اللحم النازف بالدم". وهناك أيضاً مؤرخ من القرن الثالث يدعى يوسابيوس وصف عملية الجلد فقال "إن تُعرّى عروق الجلد، وكذا العضلات ذاتها، وأمعاء الضحية كانت مفتوحة وبادية للعيان".

"ونعلم بأن كثيراً من الناس يموتون من جراء هذا النوع من الجلد حتى قبل أن يُصلبوا. وعلى الأقل، كان الضحية يقاس من آلام فظيعة قد تحدث صدمة بسبب فقده كمية كبيرة من الدم: صدمة نتيجة إنخفاض حجم الدم وقد استخدم ميثيريل إصطلاح طبي لم أكن أعرف فسألته: " مامعنى هذه الكلمة فأخبرني بأن معناها أن الشخص كان يعاني من آثار فقده كمية كبيرة من الدم. وهذا يسبب أربع أشياء:

أولاً: تتسارع دقات القلب لكي يضخ دم غير موجود.

ثانياً: ينخفض ضغط الدم فيسبب الإغماء أو الإنهيار.

ثالثا: تتوقف الكلى عن إفراز البول لكي تحافظ على الكمية الباقية.

رابعاً: يصبح الشخص عطشان جداً، لأن الجسم يحتاج بشدة إلى سوائل لتحل محل كمية الدم التي فُقدت".

فسألته "هل ترى دليلاً على ذلك في وصف الإنجيل لهذه الأحداث؟"

فأجاب "نعم بالتأكيد. لقد كان يسوع يعاني من آثار فقده كمية كبيرة من الدم حين كان يمشي متمايلاً في الطريق إلى مكان الإعدام، عند الجلجثة أو الجمجمة، وهو الموضع الذي صلب فيه، وكان يمشي حاملاً الصليب.

وأخيراً إنهار يسوع وأمر الجندي الروماني، سمعان ليحمل الصليب بدلاً منه. وبعد ذلك نقرأ أن يسوع قال: "أنا عطشان" فقدمت له رشفة من الخل.

"وبسبب التأثيرات الفظيعة لتلك الجلدات، ليس هناك من شك بأن يسوع كان في حالة حرجة وخطيرة حتى قبل أن تدق المسامير في يديه وقدميه".

آلام وعذاب الصليب

وبالرغم من أن وصف عملية الجلد كان بغيضاً، إلا أنني كنت أعرف بأن هناك أدلة أشد بغضاً ما زالت آتية. ذلك لأن المؤرخين أجمعوا على أن يسوع كان ما زال حياً بعد الجلد في ذلك اليوم حتى ذهب إلى الصليب، حيث تكمن المحنة الحقيقية.

في هذه الأيام عندما يُدان المجرمين يُقيدون ويُحنقون بالسموم، أو يثبتون إلى كرسي خشبي ويُصعقون بموجة كهربائية، فالظروف تكون تحت السيطرة التامة وتحدث الوفاة بسرعة

وبطريقة مؤكدة. وبعد الكشف الطبي الدقيق، يؤكد الأطباء موت الضحية. ومن مكان قريب جداً يدقق الشهود في رؤية كل شئ بدقة من البداية وحتى النهاية.

لكن كيف كان يمكن التأكد من مثل هكذا موت الذي يتم بعملية إعدام غير دقيقة وغير متقنة والبطيئة، والذي يُدعى الصلب؟ في الواقع، أن معظم الناس ليسوا متأكدين من كيف كان الصليب يقتل ضحاياه. وبدون طبيب شرعي متدرب رسمياً ليشهد بأن يسوع قد مات، فهل من المحتمل أن يكون قد نجا من هذه التجربة الوحشية والنزيف ورغم كل ذلك ما زال حياً؟ بدأت بفتح هذه القضايا، وسألت "ماذا حدث عندما وصل يسوع إلى موقع الصلب؟"

فأجابني قائلاً "كانوا قد وضعوه على الأرض، ثم سُمِّرت يداه الممدودتان في العارضة الخشبية الأفقية من الصليب والتي كانت على الدوام مغروسة في الأرض".

وهنا كنت ألاقي صعوبة في تصور هذا المنظر، لذلك إحتجت لمزيد من التفاصيل. فسألته: "بماذا سُمِّرت يداه؟ وفي أي موضع من اليدين دُقّت المسامير؟"

فأجابني قائلاً "إستخدم الرومان مسامير يبلغ طولها من خمسة إلى سبعة بوصات وكانت مدببة الطرف. وكانت هذه المسامير تدق من خلال الرسغ" وأشار ميثيريل إلى مكان تحت كف يده اليسرى بحوالي بوصة".

فقاطعته قائلاً "كنت أظن أن المسامير كانت تخترق الكفين، هذا ما تصوّره كل الصور. وفي الواقع، أصبح هذا رمز قياسي لتمثيل عملية الصلب".

فكرر ميثيريل "خلال الرسغ، فقد كان هذا موضع صلب يقفل اليد. فلو كانت المسامير قد دقت خلال الكفين لكان ثقل جسمه يجعل الجلد يتمزق، ولكان سقط عن الصليب. وهكذا دخلت المسامير من خلال الرسغ مع أن الرسغ كان يعتبر جزءاً من اليد في لغتهم في تلك الأيام.

"ومن المهم أن نفهم أن المسمار كان يخترق مكان العصب الأوسط، وهو العصب الأكبر متجه إلى اليد، وكان هذا العصب يسحق عند دق المسمار فيه".

وحيث أنه لم يكن لديَّ سوى معرفة بدائية عن علم التشريح الإنساني، فلم أكن متأكداً من معنى هذا الكلام. فسألته "ما نوع الألم الناتج عن دق المسامير بهذه الطريقة؟"

فأجابني قائلاً "دعني أشرح لك هذه النقطة، عل تعرف نوع الألم الذي تشعر به عندما تضرب كوعك في موضع عظمة الكوع حيث يوجد عصب آخر يسمى عصب الزند. وهو مؤلم للغاية لو ضربته عرضياً.

"حسناً، تصور أنك إستخدمت كماشة وعصرت وسحقت بها هذا العصب" قال هذا مع تأكيد كلمة "عصرت" فيما كان يُحرّك يده وكأنه يلوي كماشة تخيلية. "إن تأثيرها سيكون مشابهاً لما شعر به يسوع"

جفلت عندما تخيلت هذه الصورة وتلويت في كرسيَّ.

إسترسل في كلامه "لقد كان الألم لا يُطاق إطلاقاً. في الحقيقة، كان الألم أصعب أن يوصف بكلمات؛ حتى أنهم إضطروا لإختراع كلمة جديدة: وهي "التعذيب النفس/ جسمي. ومعناها "خارج الصليب". فكر في هذه النقطة، لقد احتاجوا لخلق كلمة جديدة، لأنهم لم يجدوا كلمة أخرى في اللغة تستطيع أن تصف الآلام الفظيعة التي تسببها عملية الصلب.

"عند هذه النقطة رُفع يسوع إلى العارضة الأفقية حيث تُثبّت في العارضة الرأسية، وبعد ذلك تُدقّ المسامير على قدمي يسوع. ومرة أخرى، سحقت المسامير أعصاب القدمين، وسببت نوعاً مماثلاً من الألم".

لقد كان سحق الأعصاب وتمزقها سيئاً جداً بالتأكيد، ولكني إحتجت لمعرفة مدى تأثير تعليق يسوع على خشبة الصليب. "وماهي الضغوط التي سببها هذا التعليق على جسمه؟"

فأجاب ميثيريل "أولاً، ذراعيه تمددت في الحال، بطول ست بوصات تقريباً، وكلا الكتفين خُلعتا من موضعهما، ويمكنك أن تحدد ذلك بمعادلات رياضية بسيطة.

"هذا يحقق نبوة العهد القديم في المزامير وبالتحديد في المزمور٢٢، وهي النبوة التي تنبأت بالصلب قبل حدوثه بمئات السنين إذ يقول "انْفَصَلَتْ كُلُّ عَظَامِي".

سبب الموت

أثار ميثيريل نقطته بشكل تفصيلي بوصف حي نابض بالحياة- وهي نقطة الآلام التي تحملها يسوع عندما بدأت عملية الصلب. ولكني إحتجت لفهم ما الذي يسبب موت ضحية صلب في النهاية، لأن تلك هي المسألة المحورية لتحديد إن كان من الممكن للموت أن يزيف أو بالإمكان التملص منه. لذا وجهت سؤالي عن سبب الموت مباشرة إلى ميثيريل.

فأجابني قائلاً "بمجرد أن يُعلّق الشخص في وضع رأسي، فإن الصلب يسبب، وبشكل اساسي، موت بطئ جداً بالإختناق.

"السبب هو ذلك الضغط على العضلات والحجاب الحاجز اللتين تضعان الصدر في موضع الشهيق. وأساساً، لكي يخرج هواء الزفير، لابد أن يضغط على قدميه لكي يخف الضغط على العضلات للحظة. وبالقيام بذلك، فإن المسامير تُمزّق القدمين، وتظل المسامير تمزق القدمين من الداخل حتى تتوقف في النهاية عند عظم الكعب.

"وبعد أن يتمكن من إخراج هواء الزفير، يكون الشخص قادر على الإسترخاء إلى أسفل ليأخذ نفساً آخر. وبعد ذلك، يضطر أن يدفع نفسه للأعلى ليخرج هواء الزفير، فيسبب إحتكاك ظهره النازف مع خشب الصليب الخشن. وتستمر هذه العملية حتى يحل عليه الإنهاك التام والتعب الشديد ويصبح الشخص غير قادر على دفع نفسه لأعلى ليتنفس مرة أخرى.

"وعندما يبطئ الشخص من تنفسه- يصاب بحالة تسمى "أسيدوسز" ومعناها نقل قلوية الدم والأنسجة بسبب بطئ عملية التنفس، فيذوب ثاني أكسيد الكربون في الدم مكوناً حامض الكربونيك مما يسبب إزدياد حموضة الدم. وهذا يؤدي في النهاية إلى عدم إنتظام ضربات القلب. وفي الواقع، عندما أصبحت ضربات قلبه مضطربة، كان يسوع مُدركاً أنه قد أصبح عند لحظة الموت، وهي اللحظة التي استطاع فيها أن يقول "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي" وبعد ذلك مات من السكتة القلبية".

لقد كان هذا أوضح شرح سمعته حتى الآن عن الموت بسبب الصلب، ولكن ميثيريل لم ينهي حديثه بعد.

فقال "حتى قبل أن يموت- وهذا مهم أيضاً- فإن الصدمة الناتجة عن تأثير فقد الجسم لكمية كبيرة من الدم مما نتج عنه زيادة في سرعة ضربات القلب، مما يؤدي إلى توقف القلب، ونتيجة لذلك يتجمع السائل في الغشاء المبطن للقلب، وهي حالة تسمى تدفق الدم حول القلب، وكذلك تدفق الدم حول الرئتين.

فسألته "لماذا يكون هذا مهماً؟"

فأجاب قائلاً "بسبب ما حدث عندما أتى الجندي الروماني، وحيث كان متأكداً أن يسوع قد مات، أراد أن يؤكد موته بان غرز الحربة في جانبه الأيمن. ويحتمل أن يكون جنبه الأيمن وإن كان هذا غير مؤكد، لكن من الوصف أنه كان جنبه الأيمن، بين الأضلاع.

"ويبدو أن الحربة إخترقت الرئة اليمنى ثم إلى القلب، فلما أخرجت الحربة خرج معها سائل، وهو الدم المتجمع حول القلب وحول الرئتين. وكان مظهره كسائل صافي مثل الماء، ثم تبعه كمية كبيرة من الدم، كما وصفها شاهد العيان يوحنا في إنجيله".

ومن المحتمل أن يوحنا لم تكن لديه فكرة، لماذا رأي كلاً من الدم والسائل الصافي يخرجان من جنب يسوع، وبالتأكيد لم يكن هذا ماكان يتوقعه شخص غير مُدرّب مثل يوحنا. ومع ذلك، فإن وصف يوحنا متسق مع ما يتوقعه الطب الحديث لأن يحدث. أولاً

يبدو أن هذا يعطي مصداقية لكون يوحنا شاهد عيان؛ ومع ذلك، فيبدو أنه كان هناك خطأ كبير في كل هذا.

أخرجت كتابي المقدس وفتحته على إنجيل يوحنا ١٩: ٣٤ ثم قلت محتجاً: "إنتظر يا دكتور دقيقة، لما قرأت بعناية ما كتبه يوحنا حيث قال إنه رأى "دماً وماء" يخرجان، وهو وضع الكلمتين بهذا الترتيب عن عمد. ولكن حسب رأيك أن السائل الصافي خرج أولاً. إذن هناك تناقض هام هنا".

فابتسم ميثيريل قليلاً ثم قال "لست عالماً في اليونانية، ولكن وفقاً للناس الذين المتمكنين في اللغة اليونانية، قرروا بان ترتيب الكلمات في اللغة اليونانية القديمة لم بالضرورة بتسلسل الأحداث بل حسب أهميتها. وهذا يعني أنه طالما كانت كمية الدم أكثر من الماء كان من المنطقي أن يوحنا يذكر الدم أولاً".

سلمت بهذه النقطة لكني سجلته ملحوظة في عقلي لكي أؤكدها بنفسي فيما بعد. ثم قلت له "في هذه المرحلة الحاسمة ماذا كانت حالة يسوع؟"

فحملق ميثيريل والتقت عيناه مع عيني ثم أجاب مؤكداً "لم يكن هناك شك إطلاقاً أن يسوع كان ميتاً".

الرد على المتشككين

يبدو أن تأكيد الدكتور ميثيريل كان مدعماً بالأدلة. لكن ما زال هناك بعض التفاصيل التي أردت أن أحدثه عنها، بالإضافة إلى على الأقل نقطة واحدة غير مؤكدة في وصفه، التي من الممكن أن تقوّض من مصداقية الوصف الإنجيلي.

فقلت له "تقول الأناجيل أن الجنود كسروا أرجل المجرمين المصلوبين مع يسوع، فلماذا فعلوا ذلك؟"

"لو أرادوا التعجيل بوفاتهما قبل حلول السبت وعيد الفصح، فإن القادة اليهود أرادوا بالتأكيد أن ينتهون من ذلك قبل غروب الشمس، وكان الرومان يستخدمون قصبة الرمح المصنوعة من

الصُلب من رمح روماني قصير ليكسروا العظام السفلى لأرجل الضحية. وكان هذا سيمنعه من دفع رجليه إلى أعلى لكي يستطيع التنفس، وهذا يؤدي للموت خنقاً خلال دقائق.

"وطبعاً، ذكر لنا العهد الجديد أن رجلي يسوع لم تُكسر، لأن الجنود قرروا بأنه كان ميتاً، واستخدموا الحربة فقط لتأكيده. وكان هذا تحقيقاً لنبوءة أخرى عن المسيا، بأن عظم من عظامه لن تُكسر".

وهنا قفزت مرة أخرى وقلت له "بعض الناس حاولوا إثارة الشك حول الروايات الإنجيلية بمهاجمة قصة الصلب. فمثلاً، هناك مقالة في جريدة "مراجعة هارفارد اللاهوتية" إستنتجت قبل عدة سنوات بأنه كان هناك "أدلة قليلة بشكل مدهش أن أقدام الشخص المصلوب كانت تُدق بالمسامير" وبدلاً من ذلك - حسب ما جاء في المقالة - كانت أيدي الضحية وأقدامه تربط في الصليب بالحبال[٩] ألن تسلم بأن هذا يثير مشاكل المصداقية بالنسبة للوصف الذي ذُكر في العهد الجديد؟"

وهنا تحرك ميثيريل للأمام حتى أصبح جالساً على طرف الكرسي ثم قال "كلا، لأن علم الآثار قد أثبت الآن أن إستخدام المسامير كان تاريخياً، مع أني سأسلم بالتأكيد أن الحبال كانت فعلاً تستخدم أحياناً"

فسألته "ما الدليل على ذلك؟"

فأجابني "في سنة ١٩٦٨ وجد علماء الآثار في أوشليم بقايا حوالي ثلاث دزينات من اليهود الذين ماتوا أثناء الثورة ضد روما حوالي سنة ٧٠م. وأحد الضحايا الذي يبدو أن اسمه كان يوحنان، كان قد صلب. وكما هو متوقع، وجدوا مسمار طوله سبع بوصات ما زال مغروزاً في قدميه، وقطع صغيرة من خشب الزيتون من الصليب ما زالت عالقة بهما. وكان هذا تأكيد آثاري ممتاز لتفاصيل جوهرية في وصف الإنجيل لعملية الصلب".

إقتنعت، ثم فكرت "ولكن هناك نقطة واحدة أخرى مثيرة للجدال تتعلق بخبرة الرومان لأن يحددوا إن كان يسوع قد مات". فأشرت

"هؤلاء الناس كانوا بدائيين جداً من ناحية فهمهم للطب وعلم التشريح وغيرها- فكيف نعرف بأنهم لم يخطئوا حين أعلنوا أن يسوع لم يعد حياً؟"

فأجابني قائلاً "سأسلم لك بأن هؤلاء الجنود لم يذهبوا إلى كلية الطب. لكن تذكر أنهم كانوا خبراء في قتل الناس، فهذه كانت وظيفتهم، وكانوا يؤدونها بإتقان. وكانوا يعرفون بلا شك متى يكون الشخص ميتاً. وفي الواقع إن هذا ليس من الصعب جداً إكتشافه.

"وبالإضافة إلى ذلك، إذا هرب سجين بطريقة ما، فإن الجنود المسؤولينأنفسهم سيموتون، ولذلك كان لديهم حافز ضخم لأن يتأكدوا تماماً بأن كل ضحية كان ميتاً عند إنزاله عن الصليب".

المجادلة الأخيرة

بالإحتكام إلى التاريخ والطب، وإلى علم الآثار وحتى القوانين العسكرية الرومانية، استطاع ميثيريل أن يسد كل منفذ للغموض: يسوع لم يكن ممكناً أن ينزل حياً عن الصليب. ولكن مع ذلك ضغطت عليه بتوجيه هذا السؤال "هل هناك أي طريقة ممكنة- أي طريقة ممكنة- يمكن من خلالها أن ينجو من الموت؟"

هز ميثيريل رأسه وأشار إليّ بأصبعه مؤكداً "كلا، إطلاقاً، تذكر أنه كان قبل الصلب متأثراً بفقد كمية كبيرة من الدم حتى قبل أن تبدأ عملية الصلب. لم يكن بإمكانه أن يزيف موته لأنه لا يمكنك أن تزيف عدم قدرتك على التنفس لمدة طويلة. بالإضافة إلى ذلك فإن الحربة التي غُرزت في قلبه لابد أنها حسمت المسألة نهائياً وبشكل حاسم. ولم يكن الرومان مستعدين أن يخاطروا بموتهم بالسماح له بالهروب حياً".

فقلت له "إذن فعندما يأتي إليك شخص ويزعم أن يسوع أغمىَ عليه فقط على الصليب ...".

"سأقول لهم إن هذا مستحيل. فتلك نظرية خيالية ليس لها أي

أساس ممكن في الواقع".

ومع ذلك فإني لم أكن مستعداً تماماً للتخلي عن هذه المسألة. وقد خاطرت بأني سأثبط عزم الطبيب فقلت له "دعنا نفترض بأن المستحيل قد حدث وأن يسوع بطريقة ما تمكن من البقاء حياً بعد الصلب. دعنا نقول أنه استطاع أن يهرب من أربطته الكتانية، ويدحرج الصخرة الضخمة بعيداً عن باب القبر، ويجتاز الجنود الرومان الواقفين للحراسة. فمن الناحية الطبية، في أي حالة صحية كان بعد أن تعقب تلاميذه؟"

ميثيريل لم يكن راغباً أو مستعداً للإشتراك في هذه اللعبة فقال مؤكداً وقد أصبح أكثر نشاطاً وحيوية. "مرة أخرى، أؤكد لك أنه لم تكن هناك أي طريقة تمكنه من البقاء حياً بعد الصلب.

ثم أضاف قائلاً "ولكن إذا كان قد نجا، كيف كان سيمشي بعدما غُرزت المسامير في رجليه؟ كيف كان سيستطيع أن يظهر في الطريق إلى عمواس بعد فترة قصيرة؛ ثم يمشي مسافات طويلة؟ وكيف كان سيستطيع أن يستخدم ذراعيه بعدما شدت وخلعت من مفاصلها؟ تذكر أنه كان مصاباً بجروح ضخمة في ظهره، وجرح من الحربة في صدره".

وهنا سكت قليلاً . فهناك شئ يشغل باله، والآن كان مستعداً لإثارة نقطة أخيرة ستوجه طعنة أخيرة إلى قلب نظرية الإغماء بشكل نهائي. إنها مجادلة لم يستطع أحد أن يفندها منذ أن قدمت لأول مرة من قبل عالم اللاهوت الألماني دافيد شتراوس سنة ١٨٣٥.

وقال لي ميثيريل "إسمع، إن شخصاً في هذه الحالة المحزنة لم يكن أبداً سيحث تلاميذه لأن يخرجوا ويعلنوا بأنه هو رب الحياة الذي إنتصر على القبر.

"هل فهمت ما أقوله. بعدما تكبّد تلك الإساءة المروعة، مع كل فقدان الدم الكارثي والجراح المفجعة، كان سيبدو وفي حالة يرثى لها لدرجة أن أتباعه وتلاميذه لم يكونوا سيرحبون به أبداً كقاهر الموت المنتصر؛ بل كانوا سيشعرون بالأسى عليه ويحاولون

رعايته حتى تعود إليه صحته.

"لذا من غير المعقول أن نظن أنه لو كان قد ظهر لهم في هذه الحالة الفظيعة، كان يمكن أن يحث أتباعه لبدء حركة عالمية مبنية على أمل أنهم في يوم من الأيام سيكون لهم جسد قيامة مثل جسده. إن الحقيقة أنه فقط لا توجد طريقة".

سؤال للقلب

بإقناع، وبمهارة، أسس ميثيريل قضيته بدون مجال لأي شك. وقد فعل هذا بالتركيز وبشكل خاصٍ على سؤال "كيف": كيف أعدم يسوع بطريقة تضمن موته تماماً؟ ولكن عندما إنتهى حديثنا، أحسست بأن هناك شئ مفقود. لقد وصلت إلى معلوماته، ولكني لم ألمس قلبه. لذلك لما وقفنا لنتصافح، شعرت أني مضطر أن أسأله سؤال الـ "لماذا" الذي كان يلح عليَّ ويتوسل إليَّ أن أوجهه فقل له.

"أليكس، قبل أن أذهب، دعني أسألك عن رأيك عن شئ، ليس رأيك الطبي ولا تقييمك العلمي لكن مجرد شئ من قلبك".

وهنا أحسست أنه قد تخلى قليلاً عن يقظته وقال لي "سأحاول"

فسألته "إن يسوع إحتضن الشخص الذي خانه عمداً، ولم يقاوم عملية القبض عليه، ولم يدافع عن نفسه عند محاكمته، فقد كان من الواضح أنه كان مستعداً لأن يخضع برغبته لما وصفته- بالعذاب المحزن المذل- فإني أريد أن أعرف لماذا. ما الذي كان من الممكن أن يُحفّز شخصاً أن يوافق على تحمل هذا النوع من العقاب؟"

الكسندر ميثيريل- الإنسان هذه المرة وليس الطبيب- بحث عن الكلمات المناسبة.

ثم قال "بصراحة إني لا أظن أن شخصاً عادياً كان بإمكانه أن يفعل ذلك. ولكن يسوع كان يعرف ما سوف يحدث وكان مستعداً لتحمله، لأن هذه كانت الطريقة الوحيدة لكي يخلصنا، بأن يكون بديلاً عنا، ويتحمل عقوبة الموت الذي نستحقه بسبب تمردنا على

الله. فهذه كانت رسالته كلها التي من أجلها أتى إلى الأرض".

وبعد أن قال هذا، كنت ما أزل أشعر أن عقل ميثيريل العقلاني والمنطقي والمنظم بإستمرار كان يواصل سحق سؤالي إلى إجابة لا يمكن إختصارها.

ثم إختتم كلامه قائلاً "لذلك عندما تسأل ما الحافز الذي حثه لأن يتحمل هذا العذاب، أفترض أن الإجابة يمكن أن تُختصر في كلمة واحدة ألا وهي "المحبة".

عندما سافرت بسيارتي في تلك الليلة، كانت هذه الإجابة تتردد مراراً وتكراراً في ذهني.

ومن كل النواحي، كانت رحلتي إلى كاليفورنيا مفيدة للغاية. فإن ميثيريل قد أثبت بطريقة مقنعة أن يسوع لم يكن بإمكانه أن يبقى حياً بعد تحمله عذاب الصليب. وهو نوع من القسوة التي كانت فظيعة لدرجة أن الرومان إستثنوا مواطنيهم منها، فيما عدا حالات الخيانة العظمى.

وكانت إستنتاجات ميثيريل متسقة مع نتائج الأطباء الآخرين الذين درسوا القضية بعناية. ومن بينهم دكتور وليم دي. إدواردز الذي كتب مقالة سنة ١٩٨٦ في مجلة "الرابطة الطبية الأمريكية" والتي أستنتج فيها "بشكلٍ واضح، يُشير ثقل الدليل التاريخي والطبي بأن يسوع كان ميتاً وقبل يُجرح في جنبه... وتبعاً لذلك، فإن التفسيرات المبنية على أن يسوع لم يمت على الصليب تبدو متناقضة مع العلوم الطبية الحديثة"[١٠].

فأولئك الذين يحاولون أن يكذبوا قيامة يسوع بإدعائهم أنه نجا بطريقة ما من قبضة الموت في الجلجثة، يحتاجون أن يقدموا نظرية أكثر معقولية تتوافق مع الحقائق.

وعندئذ فإنهم يجب أن ينتهوا بتأمل السؤال المحزن الذينحتاج كلنا لدراسته: ما الذي قد يكون دافعاً لأن يسمح يسوع بنفسه وبرغبته أن يُهان، ويُعامل بوحشية بالطريقة التي حدثت له؟.

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. بعد دراسة وصف ميثيريل، هل ترى أي صلاحية لنظرية الإغماء؟ لماذا نعم ولماذا لا؟

٢. لمدة ألفين عام تقريباً ظل الصليب رمزاً للمسيحية. فالآن وبعد أن قرأت أدلة ميثيريل، كيف ستكون نظرتك إلى هذا الرمز في المستقبل مختلفة؟

٣. هل أنت مستعد أن تتألم من أجل شخص آخر؟ من أجل من ولماذا؟ ما الذي يمكن أن يدفعك لتتحمل التعذيب من أجل شخص آخر؟

٤. كيف كان سيكون رد فعلك على الجنود لو كانوا يسيئون معاملتك ويذلوك ويعذبونك كما فعلوا مع يسوع؟ ما الذي من الممكن أن يعلل رد فعل يسوع الذي جعله ينطق في وسط محنته ويقول "يا أبتاه إغفر لهم"؟

مزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Edwards, William D., et al. «On the Physical Death of Jesus Christ.» *Journal of the American Medical Association* (March 21, 1986),
1455-63.
Foreman, Dale. *Crucify Him*. Grand Rapids: Zondervan, 1990. Hengel, M. Crucifixion in the Ancient World. Philadelphia: Fortress,
1977. McDowell, Josh. *The Resurrection Factor*. San Bernardino, Calif.: Here's Life, 1981.



دليل الجسد المفقود

هل اختفى حقاً جسد يسوع من قبره؟

الوريثة الحلوة هيلين فورهيز براتش طارت في أشد مطارات العالم إزدحاماً بعد ظهر يوم منعش من أيام الخريف، واندمجت في الزحام، ثم اختفت على الفور بدون أثر. ولأكثر من عشرون سنة ظل سر ما حدث لهذه المرأة المحبة للخير، والمحبة للحيوانات، ذات الشعر الأحمر، يُحيّر رجال الشرطة والصحفيين على حد سواء.

وفيما إقتنع المحققين بأنها قُتلت، إلا أنهم ما كانوا قادرين على تحديد الظروف الخاصة بهذه الجريمة، والسبب الرئيسي في ذلك أنهم لم يعثروا على جثتها. وإن رجال الشرطة قد روجوا بعض التخمينات وسربوا إحتمالات مترددة إلى الصحافة وحتى أنهم أقنعوا قاضيا أن يعلن أن محتالاً هو المسئول عن إختفائها. ولكن نظراً لعدم وجود جثة فسيظل مصرعها رسمياً بلا حل. ولم يتهم أحداً أبداً بقتلها.

إن قضية براتش هي إحدى الألغاز المثيرة للإحباط التي تجعلني أظل مستيقظاً من وقت لآخر للتدقيق في الأدلة المتناثرة ولمحاولة تجميع الأحداث مع بعضها. وأخيراً فإنها تعتبر تمرين غير مرضي؛ أريد معرفة ما قد حدث، ولكن لا توجد حقائق كافية لكي أتخلى عن عملية التخمين.

ومن حين لآخر يتضح أن الجثث مفقودة في الأدب القصصي المثير وفي الحياة العملية، لكن نادراً ما تُصادف قبراً فارغاً. فعلى خلاف قضية هيلين براتش، فإن قضية يسوع ليست أنه لم يراه أحد في أي مكان. بل شوهَد حياً؛ وشوهَد ميتاً، ثم شوهد حياً مرة أخرى. فلو صدقنا الروايات الإنجيلية، لو وجدنا أنها ليست مسألة جثة مفقودة. كلا، إنها مسألة أن يسوع ما زال حياً حتى يومنا هذا، حتى بعد أن أسلَم علناً لأهوال الصلب، التي صورت بشكل مُفصّل في الفصل السابق.

القبر الفارغ، كرمز ثابت للقيامة، هو التمثيل الجوهري لإدعاء يسوع بأنه إله. وقد قال بولس الرسول في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس١٥: ١٧ بأن القيامة هي الجوهر الأساسي للإيمان المسيحي "وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!".

والعالم اللاهوتي چيرالد أوكولينز عبر عنها بهذه العبارة "بالمعنى الأساسي العميق، المسيحية بدون قيامة ليست ببساطة مسيحية بدون فصلها الأخير. إنها ليست مسيحية إطلاقاً"(١).

فالقيامة هي أهم إثبات لهوية يسوع الإلهية وتعاليمه الملهمة. وهي برهان إنتصاره على الخطية والموت. وهي تؤذن بقيامة أتباعه. وهي أساس الأمل المسيحي. وهي معجزات المعجزات.

كلها إذا كانت حقيقة، فالمتشككين يدعون أن ما حدث لجثة يسوع ما زال لغزاً مُحيراً وقريب الشبه لإختفاء هيلين براتش، فهم يقولون: لا توجد أدلة كافية للوصول إلى نتيجة حاسمة.

لكن يُصرح آخرون بأن القضية قد أغلقت فعلاً، لأن هناك برهان قاطع الذي هو أن القبر كان خالياً في أول صباح عيد الفصح. فإذا أردت مناقشة هذه القضية، فأفضل طريقة هي أن تزور وليم لين كريج، الذي يعتبره الجميع من بين أهم خبراء العالم في القيامة.

المقابلة الحادية عشر: وليم لين كريج، دكتوراة في الفلسفة؛

دكتوراة في اللاهوت

كان لديَّ إنطباع غير عادي عندما رأيت بيل كريج لأول مرة وهو يمارس عمله. فقد كنت جالساً خلفه فيما يدافع هو عن المسيحية أما حشد يربو عدده إلى حوالي ثمانية آلاف شخص، بالإضافة إلى آخرين غير معدودين يستمعون إليه عبر أكثر من مائة محطة إذاعية في كافة أنحاء البلاد.

وكرنيس لمناظرة بين كريج وشخص ملحد ينكر وجود الله تم إختيارهما من قبل الناطق الرسمي لجمعية الملحدين الأمريكية المحدودة. ولقد تعجبت عندما رأيت كريج يبني قضية المسيحية بأدب لكن بقوة بينما في نفسٍ الوقت يفند ويكشف حُجج الإلحاد. ومن المكان الذي كنت جالساً فيه، إستطعت مراقبة وجوه الناس فيما يكتشفون الكثير- بعضهم لأول مرة- أن المسيحية يمكنها الصمود أمام التحليل المنطقي والتدقيق الصارم القاسي.

في النهاية لم يكن هناك خلاف، فمن بين أولئك الذين دخلوا القاعة في ذلك المساء كما أقرّ المُلحدين، أو لا أدريين، أو متشككين، فإن عدد ضخم يناهز الـ ٨٢٪ قد خرجوا من القاعة بأن قضية تأييد المسيحية هي الأكثر إقناعاً، وسبع وأربعون شخص دخلوا غير مؤمنين وخرجوا كمسيحيين. فإن حجج كريج من أجل الإيمان كانت مقنعة، خاصة لو قورنت بندرةِ الأدلة المؤيدة للإلحاد. وبالمصادفة، لم يصبح ولا واحد ملحداً(٢).

وهكذا عندما سافرت بالطائرة إلى أتلانتا لمقابلته من اجل هذا الكتاب، كنت متلهفاً بشدة لرؤية كيف سيرد على التحديات المتعلقة بقبر يسوع الفارغ.

لم يتغير منذ رأيته قبل سنوات قليلة. بلحيته السوداء القصيرة، وملامحه الحادة، ونظراته الثابتة والمُحملقة، فما زال كريج يبدو قائماً بدور العالم الجاد. يتكلم بجمل مقنعة ولا يتخلى أبداً عن تسلسلِ أفكاره، دائماً يرتب الإجابة بطريقة منظمة، نقطة بعد نقطة، وحقيقة بعد حقيقة.

ومع ذلك فهو ليس عالم لاهوتي جاف. فلدى كريج حماس مُتقد في عمله. فعيناه الزرقاين الشاحبة تتراقص عندما ينسج إفتراضاته ونظرياته المتقنة؛ ويؤيد جُمَله بإشارات من يده تغريك بالفهم والموافقة؛ وصوته يتغير من الدوران السريع حول نقطة لاهوتية غامضة يعتبرها رائعة إلى الإخلاص الهادئ. عندما يتأمل ويتساءل لماذا بعض العلماء يقاومون الأدلة التي يعتبرها دامغة جداً.

باختصار، فإن عقله مشغول تماماً، وكذلك قلبه. وعندما يتحدث عن متشككين جادلهم وتناظر معهم، لايتحدث بنغمة متعجرفة أو معادية. ويخرج عن الموضوع ليذكر صفاتهم المحببة، كلما أمكنه ذلك، فقد كان متحدثاً رائعاً وذاك كان ساحراً عند العشاء.

وفي محادثتنا المهذبة، شعرت بأنه لم يكن راغباً في صد المناوئين له بحججه؛ بل يسعى بإخلاص لكي يكسب الناس الذين يعتقد أنهم يهمون الله. ويبدو متحيراً بصدق لماذا بعض الناس لا يستطيعون، أو لا يرغبون أن يدركون، حقيقة القبر الفارغ.

دفاع القبر الفارغ

كان كريج مرتدياً بنطلون چينز أزرق كالح، وجورب أبيض، وسويتر أزرق قاتم بياقة مدوّرة حمراء، يجلس على أريكة مطرّزة بالورود في حجرة المعيشة. وعلى الحائط خلفه منظر مدينة ميونخ في صورة ذات إطار كبير.

في ذلك المكان كان كريج الحاصل حديثاً على درجة الماجستير في الفنون من كلية الثالوث اللاهوتية الإنجيلية، ودكتوراه في الفلسفة من جامعة برمنجهام، بإنجلترا، حيث درس القيامة لأول مرة، بينما حصل على دكتوراه أخرى في اللاهوت من جامعة ميونخ. وفيما بعد قام بالتدريس في كلية الثالوث اللاهوتية الإنجيلية، ثم كأستاذ زائر في المعهد الأعلى للفلسفة في جامعة لوفين بالقرب من بروكسل.

من بين كتبه "الإيمان المعقول *Reasonable Faith*"؛ "إجابات

ليست سهلة *No Easy Answers*"؛ "معرفة الحقيقة عن القيامة *Knowing the Truth about the Resurrection*"؛ الإله الحكيم الوحيد *The Only Wise God*"؛ "وجود الله وبداية الكون *The Existence of God and the Beginning of the Universe*"؛ و(بالإشتراك مع كوينتن سميث) "الإيمان والإلحاد وعلم الكونيات المدوي *Theism, Atheism, and Big Bang Cosmology*"، الذي نشرته مطبعة جامعة أكسفورد.

كما ساهم في كتاب "المفكرون يتحدثون عن الله *The Intellectuals Speak Out about God*"؛ "يسوع تحت النار *Jesus under Fire*"؛ "دفاعاً عن المعجزات *Defense of Miracles*"؛ و "هل الله موجود؟ *Does God Exist?*". وعلاوة على ذلك، ظهرت مقالاته العلمية في مجلات مثل "دراسات في العهد الجديد"؛ "مجلة دراسة العهد الجديد"؛ "وجهات النظر الإنجيلية"؛ "مجلة المؤسسة العلمية الأمريكية" و "الفلسفة". كما أنه عضو في تسعة جمعيات متخصصة، من بينها "الأكاديمية الأمريكية للدين" و"الرابطة الفلسفية الأمريكية".

بينما يعتبر مشهوراً عالمية لكتاباته حول تقاطع العلم، والفلسفة، واللاهوت، لم يكن محتاجاً لمن يحثه على مناقشة الموضوع الذي ما زال يجعل نبض قلبه يتسارع: "قيامة يسوع".

هل دفن يسوع فعلاً في القبر؟

قبل النظر في موضوع إن كان قبر يسوع كان فارغاً، أردت أن أثبت هل كانت جثته موجودة هناك أولاً. فالتاريخ يخبرنا أنه كقاعدة متبعة، كان المجرمون المصلوبون يتركون على الصليب لكي تلتهمهم الطيور أو يُلقون في قبر جماعي. وهذه الحقيقة دفعت جون دومينيك كروزسان من نادي يسوع لإستنتاج أن جثة يسوع قد أخرجت بعد نبش القبر وإلتهمتها الكلاب البرية.

فقلت لكريج "بناء على هذه الممارسات، الا تعترف بأن هذا هو أحسن إحتمال لما حدث فعلاً؟"

فأجابني قائلاً "إذا كان كل ما رأيته كان مبنياً على ممارسة مألوفة، نعم، أوافق، لكن ذلك يتجاهل الأدلة المحددة في هذه الحالة".

فقلت له "حسناً، إذن دعنا نفحص تلك الأدلة المحددة. وفي هذا أشرت إلى مشكلة فورية: تقول الأناجيل بأن جثة يسوع سُلمت ليوسف الرامي، الذي كان عضواً في مجلس السنهدرين، والذي أعطى صوته لإدانة يسوع. وإن هذا يعتبر غير قابل للتصديق. أليس كذلك؟" قلت ذلك بنغمة تبدو أكثر حدّة مما قصدت.

فتحرك كريج على الأريكية كما لو كان يستعد للإنقضاض على سؤالي. ثم قال "كلا، ليس كذلك عندنا تنظر إلى كل أدلة الدفن، لذلك دعني أراجعها معك. أولاً، الدفن مذكور في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس١٥: ٣-٧، حيث يوصل عقيدة مبكّرة جداً للكنيسة".

فسلمت بهذا بإيماءة من رأسي لأن كريج بلومبيرج كان قد وصف هذه العقيدة من قبل بشيء من التفصيل في مقابلتنا السابقة. وإتفق كريج على رأي بلومبيرج بأن هذه العقيدة يرجع تاريخها إلى ما بعد الصلب بسنوات قليلة، بعد أن أعطى لبولس بعد إهتدائه إلى المسيحية في دمشق أو في زيارته اللاحقة لأورشليم عندما إلتقى الرسولين يعقوب وبطرس.

وبما أن كريج كان ينوي الإشارة إلى هذه العقيدة، فتحت الكتاب المقدس في حجري وراجعت الفقرة بسرعة "فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ ..." ثم يستمر بعد ذلك ليدرج قائمة بمرات ظهور يسوع العديدة بعد القيامة.

ثم قال كريج "هذه العقيدة هي بلا شك قديمة، ولذلك فهي جديرة بالثقة. وهي أساساً، عبارة عن صيغة مكونة من أربع سطور. يُشير السطر الأول إلى الصلب، والثاني إلى الدفن، و الثالث إلى القيامة، والرابع إلى ظهورات يسوع بعد القيامة. وكما ترى، يؤكد

السطر الثاني بأن يسوع قد دفن".

لقد كان هذا مبهماً جداً لي فقاطعته قائلاً "إنتظر دقيقة. لربما يكون قد دفن، لكن هل دفن في قبر؟ وهل تم دفنه من قبل يوسف الرامي، هذه الشخصية الغامضة الذي أتي فجأة ليطالب بالجثة؟"

ظل كريج صبوراً ثم شرح قائلاً "إن هذه العقيدة تُعتبر فعلاً ملخص متطابق سطر بسطر مع ما تعلم به الأناجيل. وعندما نرجع للأناجيل نجد أدلة كثيرة مستقلّة لقصة الدفن هذه، ويوسف الرامي ذكر إسمه تحديداً في الأناجيل الأربعة. وفوق كل هذا، فقصة الدفن في إنجيل مرقس مبكرة جداً لدرجة أنه ببساطة لم يكن من الممكن أن تتعرض للتشويه الأسطوري".

فسألته "كيف يمكنك القول بأنه مبكر جداً؟"

قال "لديَّ سببان، أولاً، إنجيل مرقس عامة يعتبرأقدم إنجيل. ثانياً، إن إنجيله يتكون أساساً من حكايات قصيرة عن يسوع، تشبه اللآلئ في خيط أو عقد أكثر من أن تشبه رواية هادئة مستمرة.

"ولكن عندما تصل إلى الأسبوع الأخير من حياة يسوع- الذي يدعي قصة الآلام – ستجد قصة مستفيضة لأحداث متتابعة. وقصة الآلام هذه يبدو أن مرقس نقلها من مصدر أقدم، وهذا المصدر يشمل قصة دفن يسوع في قبره".

هل يوسف الرامي شخصية تاريخية؟

بينما كانت تلك حجج مُقنعة، لكني إكتشفت مشكلة برواية مرقس عما حدث. فقلت "يقول مرقس بأن مجلس السنهدرين كله صوّت بإدانة يسوع. فإذا كان هذا صحيح، فإنه يعني أن يوسف الرامي أدلى بصوته لقتل يسوع. أليس مُستبعداً جداً بأنه سيجيء بعد ذلك بطلب دفن يسوع دفناً جديراً بالإحترام".

يبدو أن ملاحظتى تلك وضعتني في موقف جيد. وهنا قال كريج "لربما أحسَّ لوقا بنفس عدم الإرتياح هذا، الذي يُفسّر لماذا أضاف تفصيلة هامة، بإن يوسف الرامي لم يكن موجوداً عندما تمَّ

التصويت رسمياً، من ثمَّ فهذا يفسر الموقف. ولكن النقطة الهامة عن يوسف الرامي هي أنه لم يكن شخصاً من النوع الذي قد إخترعته الأساطير المسيحية أو الكُتّاب المسيحيين".

إحتجت لما هو أكثر من مجرد إستنتاج عن تلك المسألة؛ أردت سبباً وجيهاً فسألته "لما لا؟"

فقال كريج "بناء على معرفتنا بغضب المسيحيين الأوائل وكراهيتهم للقادة والزعماء اليهود الذين حرّضوا على صلب يسوع، فمن غيرِ المحتمل ابداً أنهم (أي المسيحيون الأوائل) قد إخترعوا شخصاً يقوم بدفن يسوع دفناً جديراً بالإحترام، خاصةً وأن جميع تلاميذه هجروه وتخلوا عنه في محنته! بالإضافة إلى ذلك لم تكن لديهم الرغبة في إختراع عضو معين من مجموعة معينة، الذي سيستطيع الناس أن يكتشفوه بأنفسهم ويسألون عن هذا الموضوع. لذلك فيوسف الرامي هو بلا شك شخصية تاريخية.

وقبل أن أتمكن من توجيه سؤال للمتابعة، استرسل كريج قائلاً "سأضيف إلى كلامي أنه لو كان هذا الدفن بواسطة يوسف أسطورة ظهرت فيما بعد، فقد تتوقع أن تجد قصص دفن أخرى منافسة لما حدث لجثة يسوع. ومع ذلك فلن تجد هذه القصص مُطلقاً.

"ونتيجة لذلك، فمعظم علماء العهد الجديد اليوم متفقون على أن قصة دفن يسوع أساساً جديرة بالثقة. وقال چون إي. تي. روبنسون، عالم العهد الجديد، بجامعة كامبردج (الراحل)، إن دفن يسوع المشرف لهو أقدم وأصدق الحقائق التي نملكها عن يسوع التاريخي".

لقد أقنعتني تفسيرات كريج بأن جثة يسوع دفنت فعلاً في قبر يوسف الرامي. لكن هذا الإعتقاد ترك نقطة غامضة: لربما، وحتى بعد القيامة، ظلّت جثته مدفونة.

فقلت "بينما العقيدة التي تقول بأن يسوع صُلب، ودفن، وبعد ذلك قام، إلا أنها لا تقول بالقبر الفارغ. أليس هذا يترك مجالاً لإحتمال أن القيامة كانت مجرد قيامة روحية في طبيعتها، وأن

جثة يسوع كانت ما زالت في القبر؟"

وهنا رد على كريج قائلاً "إن تضمنت هذ العقيدة القبر الفارغ. فلدى اليهود مفهوم مادي للقيامة. فجسد القيامة أساساً كان عظام الميت وليس اللحم، الذي يُعتقد بأنه كان عُرضة للتلف. فبعدما يتعفن اللحم، كان اليهود يجمعون عظام الميت ويضعونها في صناديق لكي تُحفظ للقيامة في نهاية العالم، عندما يقيم الله الموتى الأتقياء من بني إسرائيل، ثم يتجمعوا معاً في ملكوت الله الأخير.

"في ضوء هذا، كان يمكن أن يكون هذا الأمر ببساطة تعارضاً مع الشروط اليهودية للقيامة، أن يأتي أحد اليهود الأوائل ويقول أن شخصاً قام من الأموات ولكن جثته ما زالت موجودة في القبر. لذا فعندما يقول هذا المذهب المسيحي القديم بأن يسوع قد دُفن، ثم قام في اليوم الثالث، فإنه يقول ضمناً لكن بوضوح تام: أنه ترك وراءه قبراً خالياً".

إلى أي حد كان القبر مأموناً؟

بعد أن سمعت أدلة مقنعة بأن يسوع كان في القبر، فإنه يبدو من المهم معرفة إلى أي حد كان قبره مأموناً من أي مؤثرات خارجية. فكلما كان الأمان محكماً، كلما قل إحتمال إمكان العبث به. فسألته "إلى أي حد تم حماية قبر يسوع؟".

شرع كريج في وصف كيف كان نوع هذا القبر، وبحسب ما قرره أفضل علماء الآثار من حفريات مواقع من القرن الأول.

"كان هناك أخدود مائل يؤدي إلى مدخل منخفض بأسفله، وكان هناك حجر كبير على شكل قرص يدحرج إلى أسفل هذا الأخدود ويثبت في مكانه على الباب".

وكان كريجِ يستخدم يديه لتصوير ما يقوله. "ثم توضع حجارة اصغر حجماً لضمان عدم تدحرج القرص. ومع أنه كان من السهل دحرجة هذا الحجر القرص الضخم إلى أسفل الأخدود، إلا أن هذا الأمر يحتاج لعدة رجال ليدحرجوا الحجر ثانياً إلى أعلى

لكي يعيدوا فتح القبر. وبهذه الطريقة كان القبر مأموناً جداً".

ومع ذلك، هل حُرس قبر يسوع أيضاً؟ فقد عرفت بأن بعض المتشككين حاولوا إثارة الشك حول الإعتقاد السائد بأن قبر يسوع رُقب بعناية على مدار الساعة من قبل الجنود الرومانيين المنضبطين جداً، والذين كانوا سيواجهون الموت لو فشلوا في أداء واجبهم.

فسألته "هل أنت مقتنع بأنه كان هناك حرّاس رومان؟"

فأجاب "يذكر متى وحده بأن الحراس وضعوا حول القبر، ولكنٍ على أي حال، فإنيٍ لا أظن أنٍ حكاية الحراس تعتبر جزءاً هاماً من أدلة القيامة. أولاً، إنه أيضاً موضع نقاش من المؤسسات العلمية المعاصرة. لذلك أجد من الحكمة أن أبني مناقشاتي على أدلة مقبولة على نحوٍ واسع بأغلبية العلماء، لذلك فحكاية الحراس يستحسن تركها جانبا".

وهنا إندهشت من موقفه فسألته "ألا يُضعف هذا من قضيتك؟"

فهز كريج رأسه ثم قال "بصراحة إن حكاية الحراس لربما كانت مهمة في القرن الثامن عشر، حين كان النقاد يلوحون بسرقة تلاميذ المسيح لجثته، لكن لا يتبنى أحد اليوم هذه القضية".

ثم استمر يقول "عندما تقرأ العهد الجديد لا شك أن التلاميذ آمنوا بإخلاص وبصدق حكاية القيامة التي ظلوا يعلنوها حتى موتهم. ففكرة القبر الفارغ كان نتيجة خدعة، أو مؤامرة، أو سرقة، تعتبر مرفوضة ببساطة في يومنا هذا. ولذلك فإن قصة الحراس أصبحت ثانوية".

هل كان هناك أي حراس موجودين؟

مع ذلك، فقد كنت مهتماً بما إذا كان هناك أي دليل يؤيد تأكيد متى بخصوص الحراس. فمع أني فهمت مبررات كريج لإهمال هذه المسألة، لكني داومت الإلحاح بسؤاله إن كان هناك أي دليل جيد لحكاية الحراس تاريخياً.

فأجاب قائلاً "نعم، هناك أدلة على ذلك. فكر في الإدعاءات والإدعاءات المضادة بخصوص القيامة التي كانت متداولة بين اليهود والمسيحيين في القرن الأول.

"فالإعلان المسيحي الأول هو "المسيح قام". ورداً على إدعاء المسيحيين بأن يسوع قد قام فرد عليهم اليهود "التلاميذ سرقوا جثته"، فرد المسيحيون على هذا الإدعاء قائلين: "آه، لكن الحراس عند القبر كانوا سيمنعون مثل هذه السرقة" فرد عليهم اليهود "لكن الحراس عند القبر ناموا" فأجاب المسيحيون "كلا، إن اليهود دفعوا رشوة للحراس ليقولوا إنهم ناموا".

"فالآن لو لم يكن هناك أي حراس لكان تبادل الإدعاءات كالآتي: رداً على إدعاء المسيحيون بأن يسوع قام كان اليهود سيقولون "كلا، إن التلاميذ سرقوا جثته". وكان المسيحيون سيردون "لكن الحراس كانوا سيمنعون السرقة" ثم كان رد اليهود سيكون كالآتي: "أي حراس؟ إنكم مجانين! لم يكن هناك أي حراس". ومع ذلك فالتاريخ يخبرنا بأن اليهود لم يقولوا ذلك.

"وهذا يوحي بأن الحراس فعلاً كانوا تاريخيين، وأن اليهود كانوا يعرفون ذلك، ولهذا السبب إضطروا لأن يخترعوا القصة الغير معقولة بأن الحراس كانوا نائمين عندما سرق التلاميذ الجثة."

مرة أخرى كان هناك سؤال مُلحّ دفعني للقفز وأقوله "يبدو أن هناك مشكلة أخرى هنا". ثم سكت لأحاول صياغة إعتراضي بأحسن براعة وإيجاز ممكن.

"لماذا ارادت السلطات اليهودية وضع حراس عند القبر، أولاً؟ لو كانوا قد توقعوا قيامة يسوع، وأن التلاميذ سيزيفون خبر القيامة، فإن معنى هذا أنه كان لديهم إدراك وفهم للنبوءات التي قالها يسوع عن قيامته أحسن من التلاميذ. ورغم كل هذا فإن التلاميذ كانوا مندهشين من المسألة كلها".

فقال كريج مسلماً "لقد إكتشفت شيئاً هناك. ومع ذلك، فلربما كانوا قد وضعوا الحراس هناك ليمنعوا أي نوع من سرقة القبور، أو أي إضطرابات بسبب حدوثه أثناء عيد الفصح. إننا لا نعرف.

هذا برهان جيد. أنا أسلم بقوته تماماً ولكني لا أظن أنه لا يمكن أن نتخطاه".

نعم ولكنه يثير سؤالاً بخصوص حكاية الحراس. علاوة على إعتراض آخر خطر ببالي فقلت له "يقول متى أن الحراس الرومان بلغوا السلطات اليهودية. ولكن ألا يبدو هذا غير محتمل لأنهم كانوا مسئولين أمام بيلاطس؟"

وهنا ظهرت إبتسامة خفيفة على وجه كريج ثم قال "لو نظرت بعناية لوجدت أن "متى لم يقل أن الحراس كانوا رومانيين. فعندما يذهب اليهود إلى بيلاطس ويطلبوا حارس فيقول بيلاطس "لديكم حراس". فهل يقصد أن يقول: حسناً، إليكم كتيبة من الجنود الرومانيين أم أنه يقصد أن يقول: "عندكم حراس الهيكل، فاستخدموهم".

"ولقد تناظر العلماء فيما إذا كان الحارس يهودي أم لا. أما أنا فكنت في أول الأمر ميالاً- للسبب الذي ذكرته أنت- أن أعتقد أن الحارس كان يهودياً. ولكني مع ذلك أعدت التفكير في هذا الأمر لأن الكلمة التي إستخدمها متى للإشارة إلى الحراس عادة تستعمل فيما يتعلق بالحراس الرومان وليس لمجرد حراس الهيكل.

"وتذكر، أن يوحنا يخبرنا أن قائد مائة هو الذي قاد الجنود الرومان للقبض على يسوع تحت إشراف قادة اليهود. إذن هناك موقف سابق مماثل بأن الحراس الرومان يبلغون قادة اليهود الدينيين". ويبدو من المقبول أنهم أيضاً من الممكن إستخدامهم في حراسة القبر.

فلما فكرت ملياً في هذا الدليل، شعرت وعن إقتناع بأن الحراس كانوا موجدين، وقررت إسقاط هذه السلسلة من الأسئلة لأن كريج لا يعتمد على حكاية الحراس، على أي حال، ولا يهتم بها. وفي هذه الأثناء كنت متلهفاً لأواجه كريج بما كان يبدو أنه أكثر الأدلة إقناعاً ضد فكرة أن قبر يسوع كان خالياً صباح يوم عيد الفصح.

ماذا عن التناقضات؟

على مر السنين، هاجم نقاد المسيحية قصة القبر الفارغ بالإشارة إلى تناقضات الظاهرة بين الروايات الأناجيلية. فمثلاً، المتشكك تشارلس تمبلتون قال مؤخراً "إن الأربعة طرق لوصف الأحداث ... تختلف بدرجة كبيرة جداً في العديد من النقاط... بالرغم من توافر النية الحسنة في العالم، فلا يمكن التوفيق بينها"[٣].

فلو تأملنا في المعنى الظاهري، لوجدنا أن هذا الإعتراض يتغلغل إلى قلب مصداقية روايات القبر الفارغ. إدرس هذا الملخص الذي أعده الدكتور مايكل مارتن من جامعة بوسطن، والذي قرأته لكريج في ذلك الصباح:

> في إنجيل متى، عندما وصلت مريم المجدلية ومريم الأخرى قبيل الفجر إلى القبر حيث كانت هناك صخرة أمامه، ثم حدثت زلزلزلة عنيفة، فينزل ملاك ويدحرج الحجر. وفي إنجيل مرقس، تصل النساء إلى القبر عند شروق الشمس فيجدن الحجر قد دُحرج. وفي إنجيل لوقا، عندما تصل النساء في أول الفجر تجدن الحجر قد دُحرج.
>
> في إنجيل متى، يذكر أن الملاك يجلس على الصخرة خارج القبر. وفي إنجيل مرقس، نجد شاباً جالساً داخل القبر، لكن في إنجيل لوقا، يوجد رجلان داخل القبر.
>
> في إنجيل متى، كانت المرأتان الموجودتان عند القبر هن مريم المجدلية، ومريم الأخرى. أما في إنجيل مرقس، نجد النسوة الحاضرات عند القبر هن المريمتان وسالومي. وفي إنجيل لوقا، نجد مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ويوحنا، ونسوة أخريات حضرن عند القبر.
>
> وفي إنجيل متى، تندفع المريمات خارجتين من القبر في خوف وفرح عظيم، ثم يركضن لإخبار التلاميذ، ويقابلن يسوع في الطريق. وفي مرقس، يخرجن جرياً من القبر في خوف ولا يقلن شيئاً لأي شخص. وفي إنجيل لوقا، نجد النسوة يبلغن القصة للتلاميذ الذين لا يصدقوهن ولا يوجد أي إيحاء بأنهن قابلن يسوع[٤].

وقلت لكريج "يشير مارتن إلى أن إنجيل يوحنا يتناقض مع الثلاثة أناجيل الأخرى. ثم يستنتج قائلاً "باختصار إن الروايات لما حدث عند القبر إما أنها متضاربة أو من الممكن جعلها متوافقة بمساعدة تفسيرات لا يمكن تصديقها""(٥).

وهنا توقفت عن القراءة وتركت مذكراتي ثم نظرت إلى أعلى فالتقت عيناي مع عيني كريج وسألته مباشرة وبصراحة "في ضوء كل هذا، كيف باي حال تستطيع أن تعتبر حكاية القبر الفارغ قابلة للتصديق؟"

وفي الحال لاحظت شيئاً في تصرفات كريج. في المحادثة العادية أو عند مناقشة إعتراضات فاترة عن القبر الفارغ، يكون لطيفاً وليناً. لكن كلما كان السؤال قوياً وعسيراً وكلما كان التحدي أشد عنفاً، كلما أصبح نشطاً ومركزاً. وفي تلك الحالة حركات جسمه تدل على أنه لا يستطيع الإنتظار حتى يغوص في تلك المياه التي قد تبدو خطرة.

وبعد أن تنحنح بدأ كريج يقول "مع كل إحترامي، مايكل مارتن فيلسوف، وليس مؤرخ، وأنا لا أعتقد بأنه يفهم حرفة المؤرخ. فعند الفليسوف لو كان هناك شئ متضارب فإن قانون التناقض يقول: "لا يمكن أن يكون هذا صحيح، فيرفضه!" ومع ذلك فالمؤرخ ينظر إلى هذه الروايات ويقول "أرى بعض التضارب، لكني ألاحظ شيئاً فيها: إنها جميعاً في التفاصيل الثانوية".

"إن جوهر القصة هو هو نفسه: "يوسف الرامي يأخذ جثة يسوع، يضعها في قبر، تأتي مجموعة صغيرة من النسوة تابعات ليسوع إلى القبر في الصباح الباكر من يوم الأحد التالي لصلب يسوع، فيجدن القبر خالياً. يرون ملائكة التي تقول لهن بأن يسوع قد قام.

"فالمؤرخ المُدقق- على خلاف الفليسوف- لا يرمي الطفل الرضيع مع ماء الحمام. فانه يقول: "هذا يوحي بأن هناك جوهر تاريخي في هذه القصة يمكن الإعتماد عليه وتصديقه، مهما كانت التفاصيل الثانوية متناقضة".

"لذا يمكننا أن نثق ثقة عظيمة في الجوهر المشترك لهذه الروايات والذي يتفق عليه أغلب علماء العهد الجديد اليوم، حتى لو كانت هناك بعض الفروق فيما يتعلق بأسماء النسوة، أو الوقت المحدد في الصباح، أو عدد الملائكة وهلم جرا. فهذه الأنواع من التناقضات لا تشغل بال المؤرخ".

وحتى المؤرخ الذي عادة ما يكون متشكك (مايكل جرانت، وهو زميل كلية الثالوث، في كامبردج، وأستاذ في جامعة أدنبره، يسلم في كتابه "يسوع: مراجعة مؤرخ للأناجيل *Jesus: An Historian's Review of the Gospels*" فيقول: "صحيح أن إكتشاف القبر الفارغ يوصف بطرق مختلفة في الأناجيل المختلفة، لكن لو طبقنا نفس نوع المعايير التي نُطبقها على أي مصادر أدبية قديمة أخرى، فسنجد الأدلة حاسمة ومقبولة لدرجة أنها تستلزم الإستنتاج بأن القبر في الحقيقة وجد فارغاً"[٦].

هل بالإمكان للناقضات أن تصبح متوافقة؟

أحياناً عند تغطية المحاكمات الجنائية، أجد شاهدين يدليان بنفس الشهادة بالضبط، حتى في أدق التفاصيل، فقط ليجدا أن شهادتهما قد ألغيت وفندت من قبلٍ محامي الدفاع لأنهما تآمرا قبل المحاكمة. لذا قلت لكريج معلقاً "أفترض بأنه لو تطابقت الأناجيل الأربعة كلها وتماثلت في كل التفاصيل الدقيقة، لأثارت الشك أن كلا منهم إنتحل قصة الآخرين".

"نعم، تلك نقطة جيدة جداً، إن الإختلافات بين روايات القبر الفارغِ توحي بأن لدينا شهادات متعددة مستقلة لخبر القبر الفارغ. فأحيانا يقول الناس "أن متى ولوقا إنتحلا من مرقس". لكن عندما ننظر للروايات بعناية، فسترى إختلافات توحي بأنه حتى إذا كان كل من متى ولوقا يعرفان رواية مرقس، إلا أنهما بالرغم من ذلك، كانت لديهما مصادر مستقلة منفصلة لقصة القبر الفارغ.

"لذا مع وجود هذه الروايات المتعددة والمستقلة، فلا يوجد أي مؤرخ يتجاهل هذه الأدلة بسبب وجود تناقضات ثانوية. دعني

أعطيك مثالاً علماني (غير ديني)

"لدينا قصتان عن هانيبال يعبر جبال الألب لمهاجمة روما، وهما غير متوافقتين ومتناقضتين. وبالرغم من ذلك فلا يوجد لدى أي مؤرخ كلاسيكي ادنى شك في حقيقة أن هانيبال شنّ مثل هذه الحملة. هذا مجرد مثال توضيحي غير متعلق بالكتاب المقدس عن التناقضات في التفاصيل الثانوية والتي تُخفق في تقويض الجوهر التاريخي لقصة تاريخية".

وهنا سلمت بقوة هذا البرهان. وعندما تأملت في مقالة مارتن النقدية، بدا لي بأنٍ تناقضاته المزعومة يمكن أن تتوافق مع بعضها بسهولة جداً. فذكرت ذلك لكريج بقول "أليس هناك طرق أو وسائل للتوفيق بين بعض هذه الإختلافات في هذه الروايات؟"

فأجاب كريج "نعم، هذا صحيح، هناك طرق للتوفيق بينها. مثلاً موعد الزيارة للقبر أحد الكُتَّاب يصفه بأن الظلام ما زال باقياً، والآخر يقول أن نور النهار كان على وشك الظهور، لكن هذا يشبه مثل المتفائل والمتشائم اللذين يتجادلان عما إذا كان نصف الكوب فارغة أم النصف المملوء. فإن الوقت كان حوالي الفجر، وأنهما يصفان نفس الشئ بكلمات مختلفة.

"أما بالنسبة لعدد وأسماء النسوة، فلا يوجد أي واحد من الأناجيل الأربعة يتظاهر بانه يُقدّم قائمة كاملة بالأسماء أو الأعداد. ففي كلها تضمنت مريم المجدلية والنساء الأخريات، لذا فمن المحتمل وجود مجموعة من هؤلاء التلاميذ الأولين كانت منٍ ضمن أولئك الذين ذكرت أسماؤهم ومن المحتمل آخرين أيضاً. وأعتقد بأنه سيكون متحذلقاً لقول أن هذا يُعتبر تناقض".

فسألت كريج "ماذا عن الروايات المختلفة لما حدث بعدئذ؟ فمرقس يقول بأن النسوة لم يخبرن أي شخص، وتقول الأناجيل الأخرى بأنهن فعلن"

فشرح كريج هذه النقطة قائلاً "عندما تنظر إلى نظام مرقس اللاهوتي، فستجد أنه يجب التأكيد على الخوف والرعب والرهبة في حضور اللاهوت. لذا فإن رد فعل النسوة هو هروبهن خائفات

ومرتعدات، وأنهن لم يقلن شيئاً لأي إنسان لأنهن كن خائفات، فهذا جزء من أسلوب مرقس الأدبي واللاهوتي.

"فمن الممكن أن ذلك الصمت كان وقتياً، ثم عادت النسوة وأخبرن الآخرين بما حدث". ثم إختتم حديثه بابتسامة عريضة وقال "كان لزاماً أن يكون صمتاً مؤقتاً؛ وإلا ما كان بإمكان مرقس أن يُخبر عن تلك القصة!".

وهنا أردت أن أسأله عن نقطة تناقض أخرى شاع ذكرها. "إن يسوع قال في إنجيل متى١٢: ٤٠ "لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ" ومع ذلك، تذكر الأناجيل أن يسوع كان فعلاً في القبر يوماً واحداً كاملاً، وليلتين كاملتين وجزءاً من يومين. ألا يُعدُّ هذا كمثال على أن يسوع قد أخطأ في عدم تحقيق نبوءته؟"

فقال كريج "إستخدم بعض المسيحيين الحسني النيّة هذه الآية لإقتراح أن يسوع قد صُلب يوم الأربعاء وليس يوم الجمعة، لكي يحصلوا على الوقت الكامل هناك! ولكن معظم العلماء يقرون أنه طبقاً لطريقة حساب الزمن عند اليهود الأوائل، فإن أي جزء من اليوم يُحسب كيوم كامل. وقد كان يسوع في القبر بعد ظهر يوم الجمعة، وطوال يوم السبت، وصباح يوم الأحد، فحسب مفهوم حساب الزمن عند اليهود الأوائل فإن هذه المدة تحتسب كثلاثة أيام.

ثم اختتم كلامه قائلاً "مرة أخرى، ذلك فقط مجرد مثال آخر عن كم كان عدد التناقضات التي يمكن تفسيرها، أو التقليل من أهميتها بمعرفة خلفية عن بعض المعلومات العامة أو بمجرد التفكير والتأمل فيها بعقلية متفتحة".

هل يمكننا أن نثق في شهادة الشهود ؟

إن جميع الأناجيل متفقة على أن القبر الفارغ تم إكتشافه من قبل النساء اللواتي كن من بين أصدقاء وأتباع يسوع. ولكن هذا، في تقدير مارتن، يجعل شهادتهن مشكوك فيها، لأنهن "قد يكن غير دقيقات وغير موضوعيات".

لذا طرحت السؤال على كريج "هل علاقة تلك النسوة بيسوع تجعل مصداقية شهادتهن مشكوك فيها؟"

بشكل غير متعمّد فإني بهذا السؤال تصرفت بطريقة تثير كريج. وهنا قال كريج رداً على هذا السؤال "في الواقع، هذه المجادلة تؤثر عكسياً على الناس الين يستخدمونها، فبالتأكيد هؤلاء النسوة كُنَّ صديقات يسوع. ولكن عندما تفهم دور النساء في المجتمع اليهودي في القرن الأول، فالشئ الغير عادي هو أن هذه القصة عن القبر الفارغ تصور النسوة كأنهن أول مكتشفات للقبر الفارغ.

"فقد كانت النساء يعتبرن في درجة منخفضة جداً في السلم الإجتماعي في فلسطين في القرن الأول. وهناك أقوال ربانية قديمة تقول "دع كلمات القانون تُحرق أفضل من أن تُسلّم للنساء" "مبارك كل من كانت أطفاله من الذكور والويل لكل من كان أبناؤه من الإناث"، ولذلك فإن شهادة النساء كانت تعتبر عديمة القيمة لدرجة أنه لم يسمح لهن بالإدلاء بشهادة قانونية في أي محكمة يهودية.

"في ضوء هذا، فمن الرائع جداً أن يكون الشهود الرئيسيون على القبر الفارغ هؤلاء النساء اللاتي كُنَّ من أصدقاء يسوع. فأي رواية أسطورية بعد ذلك كانت بالتأكيد ستصوّر أن الذين إكتشفوا القبر الفارغ من التلاميذ الذكور، كان يكونوا بطرس أو يوحنا، على سبيل المثال. الحقيقة أن النسوة كن أول من أكتشف، وأول شهود للقبر الفارغ تشرح وتفسر بطريقة مقبولة جداً بحقيقة أنهن- مهما يكن- كن أول مكتشفات للقبر الفارغ وهذا يثبت أن كُتّاب الأناجيل سجلوا بأمانة ما حدث حتى لو كان ذلك محرجا. وهذا يدل على أن هذه التقاليد كانت تاريخية وليست أسطورية".

لماذا زارت النساء القبر؟

على أية حال، فإن تفسير كريج، ما زال يترك أمامي سؤال آخر: "لماذا كانت النسوة قد ذهبن ليمسحن جسد يسوع بالزيت مع أنهن سبق أن عرفن أن قبره كان مغلقاً بإحكام؟ فهل تصرفاتهن كانت معقولة حقاً؟"

أما كريج فقد فكر لحظة قبل أن يجيب على هذا السؤال- هذه المرة ليس بصوت المناظرات بل بصوت أكثر رقة. "إن لدي إحساس قوي أن العلماء الذين لم يعرفوا مدى المحبة والإخلاص الذي كانت هؤلاء النسوة يشعرن به تجاه يسوع- ليس من حقهم أن يصدروا أحكاماً باردة على معقولية ما كن يريدن فعلهز

"فبالنسبة للحزانى الذين فقدوا شخصاً يحبونه بشدة، والذين كانوا من أتباعه، أن يريدوا الذهاب إلى القبر على أمل ضعيف أن يمسحوه بالزيت، إنني لا أظن أن ناقداً يأتي بعد ذلك يستطيع أن يعاملهم كأنهم إنسان آلي ويقول: "كان من المفروض ألا يذهبن"

ثم هز كتفيه وقال "لربما إعتقدوا بأنهن قد يجدن بعض الرجال هناك يمكنهم تحريك الحجر. ولو كان هناك حراس، لربما ظنوا أنهم سيحركون لهم الحجر. أنا لا أعرف.

"وبالتأكيد أن فكرة زيارة قبر لسكب الزيوت على الجثة ممارسة يهودية تاريخية؛ فالسؤال الوحيد هو إحتمال من الذي سيحرك لهم الحجر. ولا أظن أننا في الموقف المناسب لكي نصدر الحكم على ما إذا كان من المفروض بقاؤهن في المنزل ببساطة أم لا".

لِمَ لَمْ يستشهد المسيحيون بالقبر الفارغ؟

حين كنت أستعد لمقابلتي مع كريج، زرت العديد من المواقع على الإنترنت الخاصة بمنظمات إلحادية للتعرّف على نوع الحجج التي يثيرونها ضد معجزة القيامة. ولسبب من الأسباب قليل من الملحدين يتناولون هذا الموضوع. ومع ذلك فإن أحد الملحدين أثار إعتراضاً أردت أن أوجهه لكريج.

فإنه أساساً أثار جدالاً شديداً ضد حكاية القبر الفارغ وهو أن ولا واحد من التلاميذ أو الوعاظ المسيحيين الذين جاءوا فيما بعد، إهتموا بالإشارة إليه. كتب يقول: "كنا نتوقع من الوعاظ المسيحيين الأوائل أن يقولوا: "أنتم لا تصدقونا؟ إذهبوا وأنظروا في القبر من الداخل بأنفسكم، إنه في الركن الخامس والرئيسي، القبر الثالث من الناحية اليمنى".

وقال: ومع ذلك، فإن بطرس لم يذكر القبر الفارغ في عظته في سفر الأعمال٢. واختتم هذا الناقد كلامه قائلاً: "إذاً فحتى التلاميذ لم يظنوا أن قصة القبر الفارغ بأن لها أي أهمية، فلماذا يجب علينا أن نظن ذلك؟"

اتسعت عينا كريج فيما كنت اطرح هذا السؤال، ثم أجاب بدهشة: "انا لا أعتقد بأن ذلك صحيح". ثم أمسك كتابه المقدس، وانتقل إلى الأصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل الذي يسجل عظة بطرس، في عيد الخمسين.

هنا أصرّ كريج قائلاً "القبر الفارغ مذكور في عظة بطرس فإنه يعلن في الآية٢٤ "اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ"

"ثم يقتبس من مزمور عن كيف أن الله لن يسمح للقدوس أن يرى فساداً. وهذا هو ما كتبه داود، ويقول بطرس: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَاراً عَنْ رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هَذَا الْيَوْمِ. فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَاداً. فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللهُ وَنَحْنُ جَمِيعاً شُهُودٌ لِذَلِكَ".

ثم رفع كريج عينيه عن الإنجيل ثم قال "إن هذا الخطاب يقابل بين قبر داود الذي ظل باقياً فيه حتى ذلك اليوم وبين النبوة التي يقول داود فيها أن المسيح سيُقام من الموت، وأن جسده لن يعاني من الفساد. ومن المفهوم ضمناً بوضوح أن القبر قد تُرك

فارغاً".

ثم إنتقل إلى فصل التالي في سفر أعمال الرسل. ففي سِفر الأعمال١٣: ٢٩- ٣١ يقول بولس الرسول: "وَلَمَّا تَمَّمُوا كُلَّ مَا كُتِبَ عَنْهُ أَنْزَلُوهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَوَضَعُوهُ فِي قَبْرٍ. وَلَكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَظَهَرَ أَيَّاماً كَثِيرَةً لِلَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ هُمْ شُهُودُهُ عِنْدَ الشَّعْبِ".

"فبالتأكيد أن القبر الفارغ مفهوم ضمناً هناك".

ثم أغلق إنجيله، وأضاف "أظن أنه من الغباء، ومن غير المعقول أن نجادل أن هؤلاء الوعاظ الأوائل لم يشيروا إلى القبر الفارغ، لمجرد أنهم لم يستخدموا الكلمات المعينة "القبر الفارغ". وليس هناك شك بأنهم كانوا يعرفون- وأن المستمعين إليهم فهموا من عظاتهم- أن قبر يسوع كان فارغاً".

ما هو الدليل التوكيدي؟

صرفت الجزء الأول من مقابلتنا في أمطار كريج بالإعتراضات والحجج التي تتحدى فكرة القبر الفارغ. لكني أدركت فجأة أني لم أتيح له الفرصة ليوضح حجته التوكيدية. فبينما نجد أنه أشار من قبل إلى أسباب عديدة تجعله يثبت لماذا يعتقد أن قبر يسوع كان خالياً فسألته "لماذا لا تعطيني أحسن آراءك؟ اقنعني بأسبابك الأربعة أو الخمسة الكبيرة بأن القبر الفارغ حقيقة تاريخية؟"

قبل كريج التحدي. وبدأ يوضح حججه واحدة تلو الأخرى باختصار وبقوة.

ثم قال "أولاً، إن القبر الفارغ هو ضمني بالتأكيد في التقليد المُبكّر الذي نُقل عبر بولسٍ في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس١٥، التي تعتبر مصدراً قديماً جداً، ومصدر موثوق للمعلومات التاريخية عن يسوع.

"ثانياً، إن موقع قبر يسوعٍ معروف للمسيحي واليهودي على حدّ سواء. فإذا لم يكن فارغاً، لأصبح من المستحيل على حركة

مبنية على الإيمان بالقيامة أن تظهر إلى حيز الوجود في نفس المدينة التي أعدم فيها هذا الرجل علناً ودفن.

"ثالثاً، يمكننا أن نفهم من اللغة، وقواعدها النحوية، وأسلوبها أن مرقس نقل قصته عن القبر الفارغ وفي الواقع قصته عن آلام المسيح، من مصدر أقدم. وفي الحقيقة، هناك أدلة بأنه كُتِبَ قبل سنة ٣٧ م، وهذا تاريخ مُبكّر جداً لا يمكن معه للأساطير أن تشوهها.

"إي. إن. شيروين هوايت، المؤرخ اليوناني الروماني المحترم والمشهور من جامعة أكسفورد، قال أنه لم يكن هناك أي سابقة في التاريخ أن تظهر الأساطير بهذه السرعة والأهمية لتحريف الأناجيل.

"رابعاً، هناك بساطة قصة القبر الفارغ في إنجيل مرقس. والحكايات الخيالية المشكوك في صحتها من القرن الثاني والتي تحتوي على كل أنواع الحكايات المزخرفة، التي تذكر أن يسوع يخرج من القبر بالمجد والقوة، ويراه الجميع بمن فيهم الكهنة، والسلطات اليهودية، والحراس الرومان. هذه كانت طريقة وأسلوب الأساطير، ولكن هذه الأساطير لم تظهر إلا بعد هذه الأحداث بأجيال، أي بعد موت شهود العيان. وفي المقابل نجد أن حكاية مرقس عن القبر الفارغ شديدة الوضوح في بساطتها وليست مزينة بالأفكار اللاهوتية.

"خامساً، الشهادة الجماعية أن القبر الفارغ اكتشف من قبل النساء يدافع عن أصالة القصة، لأن وجود هذه الشهادة كانت من الممكن أن تسبب الإحراج للتلاميذ، والتي - وبكل تأكيد- كان يمكن تغطيتها إذا ما كان هناك تحريف أو أن هذه الحكاية مجرد أسطورة.

"سادساً، أقدم مجادل يهودي عنيف يفترض مقدماً الصفة التاريخية للقبر الفارغ. وبقول آخر، لم يكن هناك أي شخص يدعي أن مقولة القبر الفارغ غير صحيحة، أو قال أي يهودي بأن جثة يسوع ما زالت بالقبر. وكان هناك سؤال يسأل دائماً وهو

"ماذا حدث للجثة؟"

"إقترح اليهود القصة المضحكة بأنّ الحراس قد ناموا. ومن الواضح، أنهم كانوا يمسكون بالقش. بدأوا بافتراض أن القبر كان خالياً! لماذا؟ لأنهم كانوا يعرفون أنه فارغ!".

ماذا عن النظريات البديلة؟

إستمعت بإهتمام شديد فيما كان كريج يبين كل نقطة بوضوح، وهذه الحجج الستة صعدت من إثارتي. ومع ذلك فما زلت أريد أن أعرف هل كان هناك أي فجوات قبل أن أستنتج أنها كانت محكمة وخالية من نقاط الضعف.

"إقترح كيرسوپ ليك في سنة ١٩٠٧ أن النسوة ذهبن فقط إلى القبر الخطأ. ويقول بأنهن ضللن الطريق، وأن وكيلاً مسئولاً عن قبر خالي قال لهم "أنتم تبحثون عن يسوع الناصري، إنه ليس هنا، فهربن خائفات. أليس ذلك تفسير معقول؟"[٧]

تنهد كريج ثم قال "لم يصل ليك إلى أيٍ نتيجة بهذا الكلام. والسبب هو أن موقع قبر يسوع كان معروفاً للسلطات اليهودية. وحتى لو كانت النسوة قد وقعن في هذا الخطأ، لكان من دواعي سرور هذه السلطات أن يشيروا إلى القبر، ويصححوا غلطة التلاميذ عندما بدأوا بإعلان قيامة يسوع حياً. وإني لا أجد أحداً يؤمن بنظرية ليك في يومنا هذا".

بصراحة، الخيارات الأخرى لم تبد محتملة أبداً. ومن الواضح، ان التلاميذ لم يكن لديهم حافز يحثهم على سرقة الجثة، ثم يموتون بسبب هذه الكذبة، وبالتاكيد أن السلطات اليهودية لا يمكن أن يكونوا قد أخذوا الجثة. وتبقى أمامنا نظرية أن حكاية القبر الفارغ كانت أسطورة ظهرت بعد ذلك وتطورت بمرور الزمن. ولم يستطع الناس أن يثبتوا بطلانها لأن موقع القبر كان قد نُسى".

فأجاب كريج قائلاً "كانت هذه هي نقطة الخلاف منذ سنة ١٨٣٥ عندما إدعى ديفيد شتراوس أن هذه الحكايات أسطورية، ولهذا

في محادثتنا اليوم ركزنا كثيراً على هذا الإفتراض الأسطوري بأن أثبتنا أن حكاية القبر الفارغ يرجع تاريخها إلى سنوات القليلة من الأحداث نفسها. وهذا يجعل النظرية الأسطورية في التفاصيل الثانوية للقصة. فإن الجوهر التاريخي للقصة يبقى ثابتاً في أمان".

ومع ذلك، هناك إجابات لهذه التفسيرات البديلة. وعند التحليل، بدت بالإنهيار كل نظرية تحت قوة الدليل والمنطق. ولكن الإختيار الوحيد الباقي هو أن تؤمن أن يسوع المصلوب عاد إلى الحياة، وهو إستنتاج يجده بعض الناس غير عادي لدرجة أنهم لا يستطيعون تصديقه.

فكرت لحظة في الطريقة التي تمكنني من صياغة هذه الفكرة على شكل سؤال أوجهه لكريج. وأخيراً قلت له "مع أن هذه النظريات البديلة بها ثغرات لكن أليست تعتبر أكثر قبولاً من الفكرة التي لا يمكن تصديقها إطلاقاً بأن يسوع هو الله المتجسد والذي أقيم من الموت".

فقال وهو ينحني إلى الأمام "أظن أن هذه هي المشكلة. أظن أن الناس الذين يقدمون هذه النظريات البديلة سيعترفون ويسلمون قائلين "نعم: إن نظرياتنا ليست مقبولة. لكنها ليست محتملة مثل فكرة أن هذه المعجزة المذهلة قد حدثت. على أية حال، فعند هذه النقطة، لم يعد الموضوع مسالة تاريخية؛ وبدلاً من ذلك فإنها تعتبر سؤال فلسفي عن هل المعجزات مُمكنة".

فسألته: "ماذا تقول في ذلك؟"

"سأجادل بأن إفتراض أن الله أقام يسوع من بين الأموات ليست غير محتملة إطلاقاً. وفي الحقيقة بناء على الأدلة فهي تُعتبر أحسن تفسير لما حدث. أما الشئ الغير محتمل حدوثه هو إفتراض أن يسوع قام من الأموات بطريقة طبيعية. وإني أوافق على أن هذا يعتبر غير مألوف. أي إفتراض سيكون أكثر إحتمالاً من أن القول بأن جثة يسوع عادت إلى الحياة تلقائياً.

"أما إفتراض أن الله أقام يسوع من الأموات فهو لا يتناقض مع

العلم أو أي حقائق معروفة بالتجربة. وكل ما تتطلبه هو إفتراض أن الله موجود، وأعتقد أن هناك أسباب وجيهة ومستقلة تجعلنا نؤمن بأن الله موجود".

وهنا أضاف كريج هذه الملحوظة الحاسمة "طالما أن وجود الله ممكن، فمن الممكن أنه غيّر التاريخ بإقامة يسوع من الموت".

الخلاصة: القبر كان فارغاً

لقد كانن كريج مقنعاً: فالقبر الفارغ بلا نكران، المعجزة ذات الأبعاد المُذهلة بدت معقولة في ضوء الأدلة. وتعتبر مجرد جزء من قضية القيامة. ومن منزل كريج في أتلانتا بدأت أستعد للذهاب إلى فرجينيا لأجري حديثاً مع خبير مشهور في الأدلة الخاصة بحالات ظهور يسوع المُقام، وبعد ذلك إلى كاليفورنيا للكلام مع عالم آخر عن الأدلة الضخمة المتعلقة بالظروف.

وعندما شكرت كريج وزوجته چان، على لكرمهم، فكرت في نفسي أن كريج ببنطلونه الجينز الأزرق وجواربه البيضاء، لم يبدو مثل ذلك النوع للخصم المرعب الذي يدمر أحسن نقاد العالم في قضية القيامة. ولكني سمعت شرائط المناظرات بنفسي.

وأمام الحقائق، نجد أنهم قد كانوا عاجزين عن إعادة جسد يسوع مرة أخرى إلى القبر. فإنهم يتخبطون، ويناضلون، ويتشبثون بالنظريات الفاشلة، ويناقضون أنفسهم، ويسعون وراء النظريات اليائسة الغير عادية ليحاولوا إثبات أدلتهم. ولكن كل مرة في النهاية يظل القبر فارغاً.

وقد ذكرني التقييم بواحد من أعظم وأذكى خبراء القانون في كل زمان، والمتعلم في جامعة كامبردج السير نورمان أندرسون، الذي حاضر في جامعة برينستون، منح درجة الأستاذية مدى الحياة في جامعة هارفارد، وعمل كعميد لكلية الحقوق بجامعة لندن.

وكان استنتاجه بعد عمر قضاه في تحليل هذه القضية من منظور

قانوني، لَخّص في جملة واحدة: "إن القبر الفارغ، يُشكّل صخرة حقيقية تتحطم عليها جميع النظريات العقلانية عن القيامة بعد مهاجمتها بلا جدوى"(٨).

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. ما هو إستنتاجك الشخصي عما إذا كان قبر يسوع فارغاً صباح عيد الفصح؟ ما الدليل الذي إعتبرته أكثر إقناعاً في توصلك إلى هذا الحكم؟

٢. كما أشار كريج، فإن كل واحد في العالم القديم سلّم بأن القبر كان فارغاً؛ وكانت المشكلة هي كيف وصلت إلى هذه النتيجة هل يمكنك أن تفكر في أي تفسير منطقي لمسألة القبر الفارغ بخلاف قيامة يسوع؟ ولو كان هذا ممكناً، فكيف تتصور أن شخصاً مثل بيل كريج سيتجاوب مع نظريتك؟

٣. إقرأ إنجيل مرقس١٥: ٤٢- ١٦: ٨، وهي الرواية الأقرب لدفن يسوع والقبر الفارغ. هل تتفق مع كريج بأنها قوية في بساطتها وغير مُزينة بالتفكير اللاهوتي؟ لماذا نعم ولم لا؟

مزيد من الأدلة

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Craig, William Lane. «Did Jesus Rise from the Dead?» In *Jesus under Fire*, edited by Michael J. Wilkins and J. P. Moreland, 147-82. Grand Rapids: Zondervan, 1995.

____. «The Empty Tomb of Jesus.» In *In Defense of Miracles*, edited by R. Douglas Geivett and Gary R. Habermas, 247-61. Downers Grove, 111.: Inter Varsity Press, 1997.

____. Knowing the Truth about the Resurrection. Ann Arbor, Mich.:Servant, 1988.

____. *Reasonable Faith*. Westchester, 111.: Crossway, 1994.

Craig, William Lane, and Frank Zindler. *Atheism vs. Christianity: Where Does the Evidence Point?* Grand Rapids: Zondervan, 1993. Videocassette.

Harris, Murray J. *Three Crucial Questions about Jesus*. Grand Rapids: Baker, 1994.



دليل الظهورات

هل شوهد يسوع حياً بعد موته على الصليب؟

في سنة ١٩٦٣ جثة فتاة عمرها ١٤ سنة وتدعى آدي ماي كولنز، وهي واحدة من اربع فتيات أفريقيات- أمريكيات اللاتي قتلن في حادث سئ السمعة تم فيه إلقاء القنابل على كنيسة بواسطة عنصرين بيض، دفنت جثتها في برمنجهام بولاية ألاباما. ولمدة سنين ظل أفراد أسرتها يعودون إلى قبرها للصلاة ووضع الزهور. وفي سنة ١٩٩٨ قرروا أن يخرجوا الجثة لإعادة الدفن في مقبرة أخرى.

وعندما بدأ العمال في الحفر، على أية حال، عادوا ليعلنوا إكتشاف فظيع: القبر كان فارغاً.

بشكل مفهوم، كان أفراد الأسرة مذهلون جداً. وبسبب السجلات التي لم تحفظ جيداً، إندفع موظفو المقبرة ليكشفوا ما قد حدث، وأثيرت إحتمالات عديدة، كان أولها أن شاهد قبرها قد نُصب في المكان الخطأ[١].

رغم ذلك وفي أثناء عملية تحديد ما قد حدث، كان هناك تفسير واحد لم يفكر فيه أحد فيه: فلم يقترح أحد أن الشابة آدي ماي قد أقيمت من الموت لتعيش وتمشي على الأرض مرة أخرى. لماذا؟

لأن القبر الخالي وحده لا يصنع القيامة.

إن محادثتي مع الدكتور وليم لين كريج قد سبق أن استنبطت أدلة قوية على أن قبر يسوع كان فارغاً يوم الأحد التالي للصلب. وبينما عرفت بأن هذا الدليل كان مهماً وضرورياً لقيامته، لكنني كنت مُدركاً أيضاً أن الجسد المفقود ليست برهاناً قاطعاً وحده. فالحاجة ماسة لحقائق أكثر لإثبات أن يسوع قد قام من الموت فعلاً.

هذا هو الذي دفعني للقيام بالسفر بالطائرة إلى فرجينيا. وفيما كانت طائرتي تحلق فوق التلال المُشجّرة تحتنا، كنت أقوم بقراءة الدقيقة الأخيرة في كتاب مايكل مارتن، الأستاذ بجامعة بوسطن الذي كان يسعى للتشكيك في المسيحية. وإبتسمت لما قرأت كلماته:

"ربما كان الدفاع الأكثر تطوراً للقيامة قد قام به جاري هابيرماس"(٢)

نظرت إلى ساعتي، فوجدت أني بعد هبوط الطائرة سيكون لديَّ وقت كافي لإستئجار سيارة، والذهاب إلى لنتشبيرغ، لألحق بموعدي الساعة الثانية للقاء هابيرماس نفسه.

المقابلة الثانية عشرة: جاري هابيرماس، دكتوراه فلسفة؛ دكتوراه في اللاهوت

على الحائط في مكتب هابيرماس الصارم، مُعلّق صورتان عليهما توقيع لإثنين من لاعبي الهوكي، يتصارعان على الجليد. وكانت الصورة الأولى اللاعب الخالد بوبي هال من فاديي الصقور السوداء بشيكاغو؛ والثانية تصور ديف "المطرقة" شولتز، لاعب الهجوم القوي في نادي فيلادلفيا فلايرز.

وأوضح لي هابيرماس "هال لاعب الهوكي الذي أفضله، وشولتز هو المقاتل الذي أفضله" ثم أضاف بابتسامة عريضة "هناك فرق".

كان هابيرماس ملتحي، يتحدث بصراحة، وهو أيضاً ملاكم ضخم الجسم كالثور، وهو يشبه حارس ملهيٍ ليلي أكثر من أن يشبه المفكر ذو البرج العاجي. وكان مسلحاً بوسائل الجدال الحامية يؤيدها بأدلة تاريخية، لذا فهو لا يخشى الخروج متمايلاً.

أنتوني فلو، أحد الملاحدة الفلاسفة البارزين في العالم، إكتشف ذلك عندما إشتبك مع هابيرماس في مناظرة كبرى حول موضوع "هل قام يسوع قام من الموت؟" والنتيجة أنها كانت أحادية الجانب بالتأكيد. فمن خمس فلاسفة مستقلين من كليات وجامعات مختلفة الذين كانوا حكام المناظرة، قرر أربعة منهم فوز هابيرماس والخامس إعتبر النتيجة "التعادلية"، ولم يعطي أحد صوته لفلو وقد علّق أحد الحكام قائلاً "لقد كنت مندهشاً (صدمت هي اللفظ الأدق) عندما رأيت كم كانت وجهة نظر فلو ضعيفة وقد... خلصت لهذه النتيجة: لو كانت الآراء المعارضة للقيامة ليست أقوى من التي ذكرها فلو فأظن أنه حان الوقت للبدء بأخذ القيامة على محمل الجد"[٣].

كما أن واحداً من خمس حكام المناظرات المحترفين، الذي قيّموا أساليب جدال المتناظرين (مرة أخرى كان هابيرماس هو الفائز) إضطر أن يكتب هذا التعليق، "إني أقرر أن الأدلة التاريخية، رغم ما بها من أخطاء، قوية قويةٍ بما فيه الكفاية لقيادة عقول معتدلة للإستنتاج بأن المسيح قام فعلاً من بينِ الأموات". ولقد إختم هابيرماس مناظرته بتقديم أدلة محتملة جداً للمصداقية التاريخية للقيامة بدون أن يكون هناك أدلة طبيعية مقبولة ضدها، لذلك ففي رأيي أن هابيرماس هو الفائز في هذه المناظرة"[٤].

بعد حصوله على الدكتوراه من جامعة ولاية متشجان، حيث كتب إطروحته عن القيامة، حصل هابيرماس على درجة الدكتوراه في اللاهوت من كلية عمانوئيل في أكسفورد، بإنجلترا. وقد ألف سبعة كتب تبحث في قيامة يسوع من الأموات، من ضمنها "قيامة يسوع: سؤال منطقي The Resurrection of Jesus: A Rational Inquiry"؛ "قيامة: إعتذار The Resurrection of Jesus: An Apologetic"؛ "يسوع التاريخي The Historical Jesus"؛ "هل

قام يسوع من الأموات؟ مناظرة القيامة Did Jesus Rise from the Dead? The Resurrection Debate"؛ التي بنيت على مناظرته مع فلو. ومن بين كتبه الأخرى التي تتعامل مع الشك وبالإشتراك مع (جي بي مورلاند) "مابعد الموت: إكتشاف دليل الخلود Beyond Death: Exploring the Evidence for Immortality".

وبالإضافة إلى ذلك إشتراكه في تحرير "دفاعاً عن المعجزات" وساهم في "يسوع تحت النار" و"كيف تحيا بإيمانك: سد الفجوة بين العقل والقلب". ومقالاته المائة ظهرت في المنشورات الشعبية (مثل "بريد مساء السبت")، والمجلات العملية(بما فيها "الإيمان والفلسفة والدراسات الدينية") ومراجع مثل "قاموس بيكر اللاهوتي". كما أنه أيضاً الرئيس السابق للجمعية الفلسفية الإنجيلية.

أنا لا أقصد، بوصفي السابق، الإيحاء بأن هابيرماس مولع بالقتال؛ فهو ودود ومتواضع في المحادثات العادية. ولا أريد أن أكون خصماً له في لعبة هوكي الجليد، أو في مناظرة. فلديه رادار فطري يساعده على التركيز على نقاط معارضه الضعيفة. كما أن لديه جانب رقيق أيضاً، الذي أكتشفته- دون توقع- قبل نهاية مقابلتي معه.

وجدت هابيرماس في مكتبه الرسمي في جامعة ليبرتي، حيث يعمل حالياً كأستاذ ورئيس قسم الفلسفة واللاهوت ومدير برنامج الماجستير في الإعتذاريات. والحجرة بها دواليب سوداء للملفات، ومكتب معدني له قرص خشبي، وسجادة قديمة بالية، وكراسي للضيوف قابلة للطي، فهي بالتأكيد ليست مكاناً يقصده السياح. فالحجرة، مثل صاحبها، خالية من الغرور.

"الموتى لا يفعلون ذلك"

كان هابيرماس، جالساً خلف مكتبه، وقد شمر أكمام قميصه الأزرق فيما أدرت جهاز التسجيل وبدأت مقابلتنا.

بطريقة محامي الدفاع الفظة قلت "هل صحيح أنه لا يوجد

شهود عيان لقيامة يسوع؟"

"هذا صحيح تماماً، فلا توجد أي رواية وصفية للقيامة"، هكذا أجاب هابيرماس باعتراف وقبول الذي قد يفاجئ الناس الذين لديهم معلومات سطحية فقط عن الموضوع. ثم أضاف "عندما كنت شاباً، قرأت كتاباً من تأليف سي. إس. لويس، الذي ذكر أن العهد الجديد لا يذكر شيئاً عن القيامة. فكتبت في الهامش "لا!" بخط كبير، ثم أدركت معنى كلامه أنه لا أحد كان داخل القبر ورأى الجسد يهتز، ثم يقف وينزع اللفافات الكتانية، ويطويها، ثم يدحرج الحجر، ثم يفاجئ الحراس، ويرحل".

بدا لي، أن ذلك قد يثير بعض المشاكل "ألا يضر هذا مجهوداتك لإثبات أن القيامة حدث تاريخي؟"

وهنا تراجع هابيرماس في كرسيه ليصبح أكثر راحة، ثم قال "كلا، إن هذا لن يضر قضيتنا ولا ذرّة واحدة، لأن العلم كله مبني على الأسباب والنتائج. فنحن لا نرى الديناصورات؛ لكننا ندرس الحفريات المتحجرة. وقد لا نعرف كيف ينشأ المرض، لكننا ندرس أعراضه. ربما توجد جريمة لم يشاهدها أحد، لكن رجال الشرطة يجمعون الأدلة للتوصل إلى الحقيقة.

ثم استمر قائلاً "لذا، إليك طريقتي في دراسة أدلة القيامة:

أولاً، هل مات يسوع على الصليب؟

ثانياً، هل ظهر بعد ذلك للناس؟ لو استطعت إثبات هذين الشيئين فقد حققت هدفك لأن الموتى لا يفعلون ذلك عادة".

يتفق المؤرخون على أن هناك أدلة كثيرة على أن يسوع قد صُلب. والدكتور ألكسندر ميثيريل أثبت بالأدلة في فصل سابق أن يسوع لم يكن من الممكن أن يظل حياً بعد وحشية هذا الإعدام. وهنا يبقى الجزء الثاني من القضية: هل ظهر يسوع فعلاً بعد ذلك؟

فسألت هابيرماس "ما الدليل الذي يثبت أن الناس شاهدوه؟"

فأجاب هابيرماس بعد أن فتح الإنجيل أمامه "سأبدأ بالدليل الذي

يعترف به جميع العلماء. لا أحد يشك أن بولس هو الذي كتب الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، ونجده يؤكد في موضعين أنه شخصياً قابل يسوع بعد القيامة، ويقول في رسالته الأولى إلى كورنثوس٩: ١ "أَلَسْتُ أَنَا رَسُولاً؟ أَلَسْتُ أَنَا حُرًّا؟ أَمَا رَأَيْتُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ رَبَّنَا؟" ويقول في نفس الرسالة١٥: ٨ "وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا".

إعترفت بأن الإقتباس الأخير كما هي مربوطة بعقيدة الكنيسة المبكرة، الذي سبق أن ناقشته مع كريج بلومبيرج. وكما اشار وليم لين كريج أن الجزء الأول لهذه العقيدة (الآيات ٣-٤) تشير إلى صلب يسوع، ودفنه، وقيامته.

والجزء الأخير للعقيدة (الآيات ٥- ٨) يتحدث عن مرات ظهوره بعد القيامة: "وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ" وفي الآية التالية يضيف بولس "وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا".

ومن الواضح، أن هذه الشهادة المؤثرة جداً بظهورات يسوع حياً بعد موته. وقد أدرجت هنا أسماء الأشخاص والمجموعات المعينة من الناس الذين راوه، مكتوبة في وقت كان الناس لا زالوا بإمكانهم مراجعتها إذا أرادوا تأكيدها. ولأني كنت أعرف أن هذه العقيدة، والتي بمثابة قانون إيمان، ذات أهمية حيوية في إثبات القيامة، قررت إخضاعه لتدقيق أشد: لماذا المؤرخون مقتنعون بأنه قانون؟ وإلى حد يعتبر جديراً بالثقة؟ وإلى أي عهد يرجع تاريخه؟

فسألت هابيرماس "هل لديك مانع أن أستجوبك عن هذا القانون؟"

فمد هابيرماس يده كأنه يدعوني أن أسأله ثم قال "تفضل إسألني"

"إقنعني أنه قانون"

مبدئياً، أردت تحديد لماذا هابيرماس، وكريج، وبلومبيرج، وآخرون إقتنعوا بأن هذا المقطع هو عقيدة الكنيسة الأولى وليست مجرد كلمات بولس الرسول، الذي كتب رسالته إلى كنيسة أهل كورنثوس التي تحتوي على هذا المقطع.

وكان التحدي الذي وجهته إلى هابيرماس بسيط ومباشر حيث قلت له "إقنعني إنه قانون".

فأجاب "حسناً، بإمكاني أن أعطيك عدة أسباب قوية

"أولاً، إن بولس يبدأ بكلمتين "سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فَي الأَوَّلَ" و"مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً" وهي مصطلح رباني فني يدل على أن تمرير تقليد مقدس.

قال هابيرماس وهو يمسك إصبعاً كل مرة ليؤكد كل نقطة يذكرها "ثانياً، أن تطابق النص ومحتوياته المكتوبة بأسلوب معين تدل على أنه عقيدة.

"ثالثاً، النص الأصلي يستخدم سمعان لبطرس، وهو إسمه باللغة الأرامية. وفي الواقع أن اللغة الأرامية نفسها تدل على أنه من أصل قديم جداً.

"رابعاً، يستخدم القانون عبارات بدائية عديدة أخرى، التي لم يتعود بولس أن يستعملها مثل "الإثنا عشر"، "اليوم الثالث"، "رفع"، وغيرها.

"خامساً، استخدام كلمات معينة مشابه للغة الأرامية والمشنا (وهي الكلمات المستخدمة في التلمود) ومشنا باللغة العبرية معناها "رواية". وبعد أن إستنفذ الأصابع، سألني "هل استمر؟"

فقلت له "حسناً، حسناً، إنك تقول أن هذه الحقائق تقنعك، كمسيحي إنجيلي محافظ، أن هذا مذهب مُبكّر".

وكان يبدو أن هابيرماس قد أغضبه هذا التعليق الشائك فقال "ليس المسيحيون المحافظون المقتنعين وحدهم".

ثم أضاف بغضب وإصرار "إن هذا تقييم يشارك فيه مجموعة واسعة من العلماء من فئات لاهوتية متعددة. فالعالم البارز يواكيم إرميا يشير إلى هذا القانون كـ "أقدم تقليد على الإطلاق" و أولريك ويلكينس يقول "لا شك أنه يعود إلى المرحلة الأقدم في تاريخ المسيحية الأولى"

وهذا يثير السؤال إلى أي حد يعتبر هذا القانون قديم جداً فسألته "إلى أي تاريخ قديم يمكنك إرجاعه؟"

فأجاب "نعرف بأن بولس الرسول كتب الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس مابين سنة ٥٥ و ٥٧م. وهو يشير في كورنثوس الأولى١٥: ١- ٤ بأنه أرسل هذا القانون إلى الكنيسة في كورنثوس، مما يعني أنها تسبق زيارته إلى كورنثوس سنة ٥١م. لذا فهذه العقيدة كانت مستعملة في غضون عشرون عاماً من القيامة، الذي يُعدّ مبكراً جداً.

"ومع ذلك، أتفق مع مختلف العلماء الذين يرجعون تاريخه إلى أبعد من ذلك، إلى ما بعد القيامة بسنتين إلى ثمان سنوات، أو من حوالي سنة ٣٢ إلى ٣٨ م. عندما تسلمه بولس إما في دمشق أو في أورشليم. ولذلك فهذا قانون قديم جداً بدرجة كبيرة، فهو أصلي وقديم جداً، ويعتبر دليلاً صافياً واضحاً على أن يسوع ظهر حيا لمتشككين مثل بولس ويعقوب، وكذلك بطرس وباقي التلاميذ".

فقلت له معترضاً "لكنه، في الواقع، ليس نصاً مأخوذاً من المصدر الأصلي. ألن يقلل هذا من قيمته كدليل؟"

فقال هابيرماس "تذكر أن بولس شخصياً يؤكد أن يسوع ظهر له أيضاً، وهذا يعتبر دليلاً من المصدر الأصلي. وبولس لم يأخذ هذه القائمة من غرباء في الشارع، فالرأي الأساسي أنه حصل عليها من شهود عيان مباشرة، من بطرس ويعقوب أنفسهم، وعمل جاهداً ليؤكد أنها قائمة صحيحة ودقيقة".

لكن هذا كان إدعاء قوي فسألته "كيف تعرف ذلك؟"

فأجابني "أنا متفق مع العلماء الذين يؤمنون بأن بولس إستلم هذا

النص بعد اهتدائه للمسيحية بثلاث سنوات عندما قام برحلة إلى أورشليم وقابل بطرس ويعقوب. وبولس يصف هذه الرحلة في رسالته إلى أهل غلاطية ١: ١٨- ١٩ حيث يستعمل كلمة يونانية مهمة جداً وهي "هستوريو historeo".

ولما لم يكن معنى هذه الكلمة مألوفاً عندي فسألته "لماذا هذه الكلمة مهمة جداً؟"

فأجاب "لأن هذه الكلمة تُشير بأنه لم يكن يوجه الأسئلة مصادفة عندما قابلهما. وتدل على أنها كانت أسئلة إستفسارية كأنها تحقيق. وكان بولس يقوم بدور المحقق الذي يفحص الإجابة بدقة وبعناية. لذلك فحقيقة أن بولس أكد الأمور بنفسه مع إثنين من شهود العيان مذكورين بالتحديد في القانون- وهما بطرس ويعقوب- يعطيها أهمية إضافية. ويقول أحد علماء العهد الجديد القلائل بنكاس لابيد، يقول أن الأدلة التي تعزز القانون قوية لدرجة أنها تعتبر كأنها تصريح من شهود عيان"

وقبل أن أقفز لأعترض أضاف هابيرماس. "وبعد ذلك في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس١١:١٥ يؤكد بولس أن الرسل الأخرين إتفقوا على التبشير بنفس الإنحيل بهذه الرسالة نفسها عن القيامة. وهذا يعني أن ما يقوله شاهدا العيان، بطرس ويعقوب".

سأسلم بأن هذا كله يبدو مقنعاً. ومع ذلك فما زال لديَّ تحفظات على هذا القانون ولا أريد أن أسمح لتأكيدات هابيرماس أن تثنيني عن الاستمرار في التحقيق.

سر الخمسمائة

القانون المذكور في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس١٥ هي المكان الوحيد في الكتب القديمة الذي يذكر فيه أن يسوع ظهر لخمسمائة شخص في نفس الوقت. فالأناجيل لا تذكر دليلاً يؤيد ذلك ولم يذكرها أي مؤرخ دنيوي. وهي عندي ترفع الراية الصفراء بمعنى أني لست متأكداً من هذا العدد لذلك سألت

هابيرماس "لو كان هذا قد حدث فعلاً، لماذا لا يذكره أي شخص آخر". وسيكون بإمكانك أن تظن أن الرسل سيذكرون هذا كدليل حيثما ذهبوا. وكما يقول الملحد مايكل مارتن "إنني يجب أن أستنتج أنه ليس من المحتمل جداً أن هذا الحدث قد تم حدوثه فعلاً" ولذلك "فهذا بطريق غير مباشر يشكك في بولس الرسول كمصدر يعتمد عليه"(٥).

ضايق هذا التعليق هابيرماس فقال "إنها مجرد سخافة صرف لقولٍ بأن هذا يثير الشك حول بولس، ومع ذلك دعنى أتوقف هنا قليلاً! أولاً، على الرغم من أنه مذكور في مصدر واحد فقط، إلا أنه تصادف أن يكون أفضل وأسبق مقطع مؤصّل للكل! وذلك يُحسب للموضوع.

"ثانياً، كان لدى بولس علاقة بها بعض القُرب من هؤلاء الأشخاص " ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مَنْ خَمْسَمِئَةِ أخ أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا" فأما عرف بولس بعض هؤلاء الأشخاص أو أخبر من قبل شخص ما عرفهم وبأنهم ما زالوا أحياء حوله وراغبين في مقابلته.

"الآن، توقف وفكّر في الموضوع: إن هذه العبارة لم تُتضمّن ما لم يكن واثقاً جداً بأن الأشخاص يؤكدون بأنهم حقاً قد رأوا يسوع حي. أعني، كان بولس يدعو الناس عملياً ليتأكدوا مما يقوله لهم! وما كان سيقول ذلك إن لم يكن يعرف بأنهم يؤيدونه.

"ثالثاً، عندما يكون لديك مصدر واحد فقط، يمكنك السؤال: "لمَ ليس هناك أكثر؟" لكنك لا تستطيع القول "هذا المصدرتافه على أساس أن شخص آخر لم يصل إليه" لا يمكنك التقليل من قيمة هذا المصدر بتلك الطريقة. لذا هذا لا يقود لأي شك حول مصداقية بولس، ويجب أن يكون مارتن قادراً على فعل ذلك، لكنه لا يستطيع عمل ذلك بشكل مشروع.

"هذا مثال لما يريده بعض النقاد. بشكل عام، يُشوّهون سمعة روايات القيامة الإنجيلية لمصلحة بولس، لتخذونه ليكون السلطة الرئيسية. لكن عند هذه القضية، يستجوبون بولس من أجل

النصوص التي يثقون بها وبنفس القدر! ما الذي يمكننا قوله حول منهجيتهم؟"

ما زالت لديَّ مشكلة حول ظهور يسوع لمثل هذا الحشد الكبير. فسألت هابيرماس "أين تمَّ هذا اللقاء مع خمسمائة شخص؟".

وهنا خَمّن هابيرماس قائلاً "في أرياف الجليل، لو كان يسوع قد استطاع أن يطعم خمسة آلاف، فبإمكانه أن يعظ خمسمائة. ومتى يقول أن يسوع ظهر على جانب التل؛ لربما كان هناك أكثر من مجرد الأحد عشر تلميذاً".

فلما تخيلت هذا المشهد في ذهني، ما زلت لا أستطيع منع نفسي من التسائل لماذا لم يذكر أي شخص آخر هذا الحدث. "ألم يكن من المحتمل أن المؤرخ يوسيفوس يكون سيذكر شيئاً بهذا الحجم؟"

فأجاب هابيرماس "كلا، لا أعتقد بضرورة ذلك. فإن يوسيفوس كان يكتب بعد ذلك بستين عاماً. ماهي المدة التي تظل الحكايات المحلية متداولة قبل أن تطويها ستائر النسيان؟ لذ؛ إمّا أن يوسيفوس لم يعرف بهذا الخبر- وهذا ممكن- أو أنه إختار ألا يذكرها، وهذا معقول لأننا نعلم أن يوسيفوس لم يكن من أتباع يسوع. فلا يمكنك أن تتوقع من يوسيفوس تأييده".

فلما لم أرد عليه للحظة، إستمر هابيرماس "أنظر، كنت أود أن أجد خمسة مصادر لهذا الخبر لكني لم أجد. لكن عندي فعلاً مصدر واحد ممتاز، إنه خبر جيد لدرجة أن المؤرخ الألماني هانز فون كامبنهاوزن يقول: "هذه الرواية تُلبي كل مطالب الموثوقية التاريخية اللازمة لمثل هذا النص". بالإضافة إلى ذلك، فإنك لست محتاجاً أن تعتمد على الإشارة إلى ظهور يسوع للخمسمائة لتؤيد قضية القيامة وإني عادة لا أستعملها".

حمل جواب هابيرماس بعض المنطق. ومع ذلك ما زال هناك شئ واحد في هذا القانون يقلقني. فإنه يقول أن يسوع ظهر أولاً لبطرس، بينما يوحنا يقول أنه ظهر أولاً لمريم المجدلية. وفي الحقيقة أن القانون لم يذكر أي أمرأة، مع أن النسوة مذكورين بوضوح في الروايات الإنجيلية.

وهنا سألت هابيرماس "ألن تؤدي هذه التناقضات إلى التأثير على مصداقيته؟"

فأجاب هابيرماس "كلا. أولاً، أنظر إلى الحكاية بدقة. إنها لا تقول أن يسوع ظهر لبطرس أولاً. كل ما تفعله هو أن تضع بطرس في أول القائمة. وحيث أن النساء لم يكن معترف بهن كشهود في الثقافة اليهودية في القرن الأول، فليس من المفاجئ أنهن لم يذكرن هنا. ففي نظام العمل في القرن الأول، لم يكن لشهادتهم أي وزن. لذا فوضع بطرس في أول القائمة يمكن أن يدل على الأولوية المنطقية وليست الأولوية الزمنية.

ثم إختتم كلامه قائلاً "مرة أخرى، إن مصداقية العقيدة تبقى سليمة. فلقد أثرت بعض الأسئلة، إلا أنها لم تقوّض الدليل المقنع بأن هذه العقيدة تأتي من زمن مبكر. أي إنها خالية من اي تشويه أسطوري، وأنها واضحة ومحددة، وإنها في النهاية تأصيل لروايات شهود العيان".

على كل حال، إضطررت للموافقة بأنه كان على حق. فإن أهمية الدليل يؤيد هذه العقيدة بوضوح وبطريقة مقنعة كدليل قوي على ظهورات يسوع بعد القيامة.

دليل قوي جداً لدرجة أن وليم لين كريج، الخبير في مسألة القيامة، والذي قابلته في الفصل السابق، قال أن ولفهارت پانينبرج، ربما يعتبر أعظم عالم لاهوت ما زال على قيد الحياة في العالم كله، "أزعج علم اللاهوت الألماني المتشكك بتأسيس نظامه اللاهوتي كله بدقة على الأدلة التاريخية على قيامة يسوع كما في قائمة بولس للظهورات"(٦).

وبعدما إقتنعت بالمصداقية الأساسية للعقيدة التي في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس١٥، حان الوقت للبدء بالنظر إلى الأناجيل الأربعة، التي تُعيد رواية الظهورات العديدة ليسوع بعد قيامته بمزيد من التفاصيل.

شهادة الأناجيل

لقد بدأت هذه السلسلة من الأسئلة بسؤال هابيرماس لوصف ظهورات يسوع بعد القيامة كما ذكرت في أناجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا.

فبدأ هابيرماس يقول "هناك العديد من ظهورات المختلفة لكثير من الأشخاص المختلفين في الأناجيل وفي أعمال الرسل، بعضها لأفراد معينين، وبعضها لمجموعات، أحياناً داخل المنازل، وأحياناً في العراء، وأحياناً للرحماء مثل يوحنا، وأحياناً للمتشككين مثل توما".

"أحياناً لمسوا يسوع أو أكلوا معه، حيث تُشير النصوص إلى حضوره جسدياً. وحدثت الظهورات على مدى عدة أسابيع. وهناك أسباب وجيهة تجعلنا نثق في هذه الروايات، فمثلاً، نجدها خالية من الميول الأسطورية المعروفة".

فسألته "هل يمكنك أن تُعدّد هذه الظهورات لي؟"

من الذاكرة، وصفهم هابيرماس كل على حدة قائلاً "لقد ظهر يسوع لـ

- مريم المجدلية، في إنجيل يوحنا ٢٠: ١٠- ١٨.
- النسوة الأخريات، في إنجيل متى ٢٨: ٨- ١٠.
- كليوباس وتلميذ آخر في الطريق إلى عمواس، في لوقا ٢٤: ١٣- ٣٢.
- الأحد عشر تلميذاً وآخرين، في إنجيل لوقا ٢٤: ٣٣- ٤٩.
- عشر رسل وآخرين، في إنجيل يوحنا ٢٠: ١٩- ٢٣، في غياب توما.
- توما والتلاميذ الآخرين، في إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٦- ٣٠.
- سبعة تلاميذ، في إنجيل يوحنا ٢١: ١- ١٤.
- التلاميذ في إنجيل متى ٢٨: ١٦-٢٠.
- وكان مع الرسل عند جبل الزيتون قبل صعوده، إنجيل

لوقا ٢٤: ٥٠- ٥٢ و أعمال الرسل ١: ٤- ٩.

ثم أضاف هابيرماس "من المهم بنوع خاص، أن سي. إتش. دود، العالم بجامعة كامبردج، حلل هذه الظهورات بعناية واستنتج بأن العديد منها مستند على مصادر مبكّرة جداً، ومن بينها لقاء يسوع مع النسوة في إنجيل متى ٢٨: ٨- ١٠؛ ولقاؤه مع الأحد عشر تلميذاً، الذي أعطاهم فيه الإرسالية العظمى، في إنجيل متى ٢٨: ١٦- ٢٠؛ ولقاؤه مع التلاميذ، في يوحنا ٢٠: ١٩- ٢٣، الذي فيه أراهم يديه وجنبه".

ومرة أخرى، نجد ثروة لمشاهدة يسوع. فلم تكن مجرد ملاحظة عابرة لطيف أو خيال من قبل شخص أو شخصين. فقد كانت هناك ظهورات متعددة لأشخاص عديدين، والعديد من الظهور تم تأكيدها في أكثر من إنجيل واحد، أو برسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس١٥".

فسألته "هل هناك أي عزيز آخر؟"

"فقط إقرأ أعمال الرسل"، هكذا أجاب هابيرماس، مشيراً إلى كتاب العهد الجديد الذي يُسجّل إنطلاق الكنيسة. وليس فقط ظهورات يسوع المذكورة بانتظام، لكن التفاصيل أيضاً مذكورة، وموضوع وجود التلاميذ كشهود لهذه الأمور موجود في كل كل سياق تقريباً.

ثم قال هابيرماس "الفكرة الأساسية، هي أن عدداً من الروايات في سفر الأعمال ١- ٥، ١٠، ١٣تتضمن أيضاً بعض العقائد مثل تلك التي في كورنثوس الأولى ١٥، تذكر بعض المعلومات المبكرة جداً عن موت وقيامة يسوع". وهنا أمسك هابيرماس كتاباً وقرأ إستنتاج العالم جون دران:

> إن أقدم دليل عندنا عن القيامة يرجع تاريخه بالتأكيد تقريباً إلى موعد عقب القيامة مباشرة التي قيل أنها حدثت. وهذا الدليل موجود في محتوى العظات المبكرة في سفر أعمال الرسل ... ولا يمكن أن يكون هناك مجالاً للشك أنه في الإصحاحات القليلة الأولى من سفر الأعمال إستمد كاتبه

معلوماته من مصادر أقدم جداً"[٧].

في الواقع، أن سفر أعمال الرسل ملئ بالإشارات لظهورات يسوع بعد القيامة. وكان بطرس الرسول مؤكداً بنوع خاص لها. فيقول في سفر الأعمال ٢: ٣٢ "فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللهُ وَنَحْنُ جَمِيعاً شُهُودٌ لِذَلِكَ". وفي سفر الأعمال ٣: ١٥ يكرر "وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذَلِكَ" ويؤكد لكلورنيوس في سفر الأعمال١٠: ٤١ أنه هو وآخرون "لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ".

لكنه لم يتوقف عند هذا، فبولس أيضاً قال في خطاب مُسجّل في سفر الأعمال ١٣: ٣١ "وَظَهَرَ أَيَّاماً كَثِيرَةً لِلَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ هُمْ شُهُودُهُ عِنْدَ الشَّعْبِ".

ثم أكد هابيرماس "القيامة كانت بلا شك الإعلان الرئيسي للكنيسة الأولى منذ البداية. وكان المسيحيون الأوائل لا يُصادقون على تعاليم يسوع فقط، بل كانوا أيضاً مقتنعين أنهم رأوه حياً بعد صلبه. وهذا هو الذي غير حياتهم وبدأ الكنيسة. وبالتأكيد، لأن هذا كان هذا إعتقادهم الأكثر مركزية، فقد تأكدوا تماماً من أن كان حقيقي".

تُثبت كل الأناجيل وسفر الأعمال، حدثاً بعد الآخر، وشاهد بعد شاهد، وتفصيل بعد تفصيل، وتدعيم بعد تدعيم، كلها كانت مؤثرة للغاية. ومع أني حاولت، فلم أستطع أن أفكر في أي حدث في التاريخ القديم له أدلة تؤكده تأكيداً شاملاً أكثر من ظهورات يسوع بعد القيامة.

ومع ذلك، كان هناك سؤال آخر يحتاج أن أسأله، وهو يتعلق بالإنجيل الذي يعتقد معظم العلماء أنه الرواية الأولى التي كُتبت عن يسوع.

خاتمة مرقس المفقودة

عندما بدأت لأول مرة البحث في مسألة القيامة، صادفني تعليق مزعج في هامش الكتاب المقدس: "معظم المخطوطات المبكرة والشواهد القديمة الجديرة بالثقة ليس بها إنجيل مرقس١٦: ٩-٢٠". وبعبارة أخرى، يعتقد معظم العلماء بأن إنجيل مرقس ينتهي عند ١٦: ٨، عندما تكتشف النسوة القبر الفارغ دون ذكر ظهور يسوع حياً لأي شخص على الإطلاق. وهو ما بدا مُحيراً.

فسألت هابيرماس "ألا يقلقك أن أقدم إنجيل لا يذكر أي من ظهورات يسوع بعد القيامة؟"

وعلى عكس ما توقعت، لم يبدُ منزعجاً مُطلقاً "ليس لديَّ أي مشكلة مع هذا، بالتأكيد، سيكون لطيفاً لو كان إنجيل مرقس قد تضمن قائمة بظهورات يسوع، ولكن هناك بعض الأشياء أرجو أن تفكر فيها:

"حتى لو كان إنجيل مرقس ينتهي هناك، وهذا ما لا يعتقد به كل شخص، فما زلت تجده يذكر القبر الفارغ، وهناك شاب يعلن "أنه قام!"، ويُخبر النسوة أنه ستكون هناك ظهورات. لذا عندك أولاً، إعلان بأن القيامة قد حدثت. وثانياً، تنبؤ بأن الظهورات آتية.

"تستطيع أن تغلق روايتك المفضلة وتقول "أنا لا أصدق أن الكاتب لم يحكي لي الأحداث التالية"، ولكنك لا تستطيع غلق الكتاب وتقول "إن الكاتب لا يؤمن بالأحداث التالية". أما مرقس فبالتأكيد يؤمن. فمن الواضح أنه يؤمن أن القيامة قد حدثت. وينتهي بأن يقال للنسوة أن يسوع سيظهر في الجليل، وبعد ذلك يؤكد آخرون فيما بعد بأنه فعل".

طبقاً لتقليد الكنيسة، مرقس كان مرافقاً لشاهد العيان بطرس. فسألت هابيرماس "اليس من الغريب أن مرقس لم يذكر أن يسوع ظهر لبطرس، لو كان ظهر له فعلاً؟"

فقال "لم يذكر مرقس أي من الظهورات، لذا فليس غريباً ألا يُذكر ظهور يسوع لبطرس. ومع ذلك لاحظ أن مرقس يذكر

بطرس بصفة خاصة. فمرقس١٦: ٧ يقول "لَكِنِ اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ وَلِبُطْرُسَ إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ كَمَا قَالَ لَكُمْ".

وهذا يتفق مع كورنثوس الأولى ١٥: ٥ الذي يؤكد أن يسوع ظهر فعلاً لبطرس، ولوقا ٢٤: ٣٤ عقيدة أخرى تقول "وَهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ!»" أو بطرس.

"وهكذا فما تنبأ به مرقس عن بطرس ذُكر بأنه تحقق، في إثنين من تسجيلات الكنيسة الأولى التي يعتمد عليه، ولكن على لسان بطرس نفسه في سفر أعمال الرسل".

هل هناك أي بدائل؟

لا جدال أن كمية الأدلة والتدعيمات التي تؤكد ظهورات يسوع بعد القيامة كمية مذهلة. ولكي ندرك أهميتها بوضوح دعنا نتأمل في هذا المثال: لو كان عليك أن تدعو كل شاهد من الشهود إلى قاعة المحكمة لتستجوبه لمدة خمس عشرة دقيقة لكل منهم، واستمرت الإستجوابات على مدار الساعة بلا توقف، فستستغرق هذه العملية من فطور يوم الإثنين حتى عشاء يوم الجمعة لكي تسمعهم جميعاً. وبعد الإستماع لـ ١٢٩ ساعة متواصلة من شهادات شهود العيان، من الذي من الممكن أن يخرج من المحكمة وهو غير مقتنع؟

وبما أني كنت صحفي في الشئون القانونية وغطيت عشرات من المحاكمات، سواء كانت جنائية أو مدنية، فقد إضطررت أن أوافق على تقييم السير إدوارد كلارك، قاضي المحكمة العليا البريطاني الذي أجرى تحليلاً قانونياً شاملاً لأول يوم قيامة فقال: "في رأيي أن الأدلة مذهلة، فإني مرة تلو أخرى في المحكمة العليا أصدرت الحكم بناء على أدلة ليست مقنعة إلى هذا الحد. وبصفتي محامي فإني أقبل أدلة الإنجيل بلا تحفظ على أنها شهادة رجال صادقين على حقائق إستطاعوا أن يجسدوها"(٨).

ومع ذلك، فهل كان من الممكن وجود أي بدائل معقولة تستطيع أن تكذب هذه المقابلات مع يسوع بعد القيامة؟ هل يمكن أن تكون

هذه الروايات أسطورية في طبيعتها؟ لقد قررت أن أثير هذه المسائل مع هابيرماس للحصول على إجابته.

الإحتمال الأول: إن الظهورات أسطورية

إذا كان فعلاً إنجيل مرقس إنتهى أصلاً قبل ذكر أي ظهورات، فقد يمكن أن يُجادل بالقول بحدوث تطوير في الأناجيل: فمرقس لا يذكر أي ظهور، ومتى يذكر بعضها، ولوقا يذكر بعضها، ويوحنا يذكر معظمها. فسألت هابيرماس الا يُثبت هذا بأن الظهورات كانت مجرد أساطير كبرت بمرور الزمن؟"

فقال هابيرماس مؤكداً "لأسباب كثيرة أقول أن هذا لم يحدث. أولاً، لا يعتقد كل واحد بأن إنجيل مرقس هو أقدم إنجيل. فهناك علماء، وهم في الحقيقة أقلية، يؤمنون أن إنجيل متى كُتب أولاً.

"ثانياً، حتى لو سلمت بصحة رأيك، فإنه يثبت فقط أن الأساطير نشأت بمرور الزمن، ولا يمكن أن يُكذّب الإيمان الأصلي بأن يسوع أقيم من الأموات. هناك شئ قد حدث ودفع الرسل أن يجعلوا القيامة هي الإعلان الرئيسي للكنيسة الأولى. فالأساطير لا تستطيع تفسير روايات شهود العيان الأولى. وبعبارة أخري، فالأساطير تستطيع أن تخبرك كيف تضخمت الحكاية، ولكنها لا تستطيع أن تخبرك كيف بدأت في الأصل، في حين أن المشاركين في القصة شهود عيان، وأبلغوا عن الأحداث في وقت مبكر.

"ثالثاً، إنك تنسى أن بيان كورنثوس الأولى١٥ صدر في تاريخ سابق لأي إنجيل، وبها تصريحات ضخمة حول الظهورات. وفي الواقع، أن التصريح الذي يتضمن أكبر عدد- أن يسوع شوهد حياً من قبل خمسمائة شخص في وقت واحد- يرجع تاريخه إلى أقدم المصادر. وهذا يسبب مشاكل لنظرية تطور الأساطير. وأحسن سبب لرفض نظرية الأساطير ينبع من البيانات المُبكرة في كورنثوس الآولى ١٥، وسفر أعمال الرسل، وكلاهما يسبق الروايات الإنجيلية".

"رابعاً، ماذا عن القبر الفارغ؟ إذا كانت القيامة مجرد أسطورة،

لكان القبر مملوءاً. ومع ذلك، فقد كان خاوياً في صباح يوم القيامة وهذا سيتطلب فرضية إضافية".

الإحتمال الثاني: كانت الظهورات هلوسة

لربما كان الشهود مخلصون وصادقون في إيمانهم بأنهم رأوا يسوع. وربما سجلوا ما حدث بدقة. ولكن هل كان من الممكن بأن ما شاهدوه لم يكن سوى هلوسة أقنعتهم أنهم كانوا يقابلون يسوع في حين أنهم لم يقابلوه؟

إبتسم هابيرماس للسؤال ثم سألني "هل تعرف جاري كولينز؟"

فاجأني هذا السؤال ثم أجبته "إني أعرفه بالتأكيد، ولقد كنت في مكتبه من مدة قصيرة لأجري معه حديثاً من أجل هذا الكتاب نفسه".

فسألني هابيرماس "هل تعتقد بأنه كفوء كعالم نفساني؟"

"نعم " قلتها بحذر لأني أحسست أنه يعدني لشئ ما "أنه حاصل على دكتوراه، ويعمل كأستاذ منذ عشرين عاماً، وهو رئيس الإتحاد القومي لعلماء النفس، نعم بالتأكيد أني أعتبره من ذوي المؤهلات".

ناولني هابيرماس قطعة ورق ثم قال "لقد سألت جاري عن إحتمال أن تكون هذه الظهورات كانت هلوسة وهذا هو رأيه الرسمي كعالم نفساني. فبدأت أقرأ المستند:

> الهلوسة هي أحداث فردية. وبطبيعتها فإن شخصاً واحداً فقط يستطيع أن يرى هلوسة معينة في وقت من الأوقات. فهي بالتأكيد ليست شيئاً يستطيع أن تشاهده مجموعة من الناس، وليس من الممكن لشخص أن يسبب هلوسة لشخص آخر، وبما أن الهلوسة تحدث فقط بهذا المعنى الشخصي الذاتي فمن الواضح أن الآخرين لا يمكنهم رؤيتها[٩].

ثم قال هابيرماس "هذه مشكلة كبرى لنظرية الهلوسة، لأن

هناك روايات متكررة عن ظهور يسوع لكثير من الناس أبلغوا عن نفس الشيء.

"وهناك العديد من الحجج الأخرى عن سبب عدم إستطاعة حالات الهلوسة أن تكذب الظهورات. فالتلاميذ كانوا خائفين ومتشككين، ويائسين بعد صلب يسوع، في حين أن الناس الذين يهلوسون يحتاجون لعقل مهيأ للترقب أو التوقع. فبطرس كان لا يخدع بسهولة، ويعقوب كان متشككاً، فهما بالتأكيد لم يكونا مرشحين جيدين للهلوسة.

"كما أن الهلوسات نادرة نسبياً، وعادة يكون سببها المخدرات أو الحرمان الجسماني. فمن ناحية إحتمالات حدوثها، نجد إنك لا تعرف أي شخص حدثت له هلوسة ولم يكن سببها أحد هذين السببين. ومع ذلك، فمن المفترض أن نصدق أنه على مدى أسابيع كثيرة نجد الناس من كل أنواع الثقافات، ومن كل أنواع الأمزجة، ومن أماكن مختلفة، كلهم حدثت لهم حالات الهلوسة، وهذا يؤثر على الإفتراض قليلاً. أليس كذلك؟

"وبالإضافة إلى ذلك، أننا لو أثبتنا أن روايات الأناجيل يعتمد عليها، فكيف تعلل كون التلاميذ أكلوا مع يسوع ولمسوه؟ وكيف يمشي مع إثنين منهم في الطريق إلى عمواس؟ وماهي حكاية القبر الفارغ؟ فلو أن الناس ظنوا فقط أنهم رأوا يسوع، لكانت جثته ما زالت موجودة في القبر".

حسناً- لكني فكرت- إذا لم تكن هلوسة، فلربما كانت شيئ غير ملحوظ أكثر.

فسألت هابيرماس "هل من الممكن أن يكون هذا نوع من التفكير الجماعي، الذي يجعل الناس يحدثوا بعضهم بعضاً عن رؤية شئ غير موجود أصلا. كما لاحظ مايكل مارتن"إن الشخص الملئ بالحماسة الدينية قد يرى ما يريد أو تريد رؤيته، وليس الموجود فعلاً هناك"(١٠).

وهنا ضحك هابيرماس ثم قال "كما تعرف، ناظرت أحد الملحدين وهو أنتوني فلو، أخبرني أنه لا يحب أن يستخدم

الملحدين الآخرين هذه المجادلة الأخيرة لأنها سلاح ذو حدين. وكما قال فلو "المسيحيون يؤمنون لأنهم يريدون، لكن الملحدين لا يؤمنون لأنهم لا يريدون!".

"وفعلاً، هناك العديد من الأسباب تعلل لماذا لم يستطع التلاميذ أن يحدثوا بعضهم بعضاً في هذا الموضوع. ففي وسط إيمانهم كانت هناك أشياء كثيرة معرضة للخطر، وكانوا يواجهون الموت دفاعاً عنها. ألم يكن بعضهم قد تذكروا التفكير الجماعي في تاريخ لاحق ثم أنكروه أو تخلوا عنه بهدوء؟ ثم ما رأيك في يعقوب الذي لم يكن مؤمناً بيسوع، وبولس الذي كان يضطهد المسيحيين، كيف حدثهم أحد عن رؤية شئ؟ وعلاوة على ذلك، ماهي حكاية القبر الفارغ؟

"وفوق كل ذلك، هذا الرأي لا يعلل اللغة الصريحة عن الرؤية في بيان كورنثوس الأولى١٥، وفقرات أخرى. وشهود العيان كانوا على الأقل مقتنعين أنهم رأوا يسوع حياً، والتفكير الجماعي لا يشرح هذه الظاهرة جيد جداً".

ثم سكت هابيرماس فترة كافية ليُحضر كتاب، ويتوج مجادلته بفقرة مقتبسة من العالم اللاهوتي والمؤرخ البارز كارل براتين "حتى المؤرخين الأكثر تشككاً متفقون على أنه بالنسبة للمسيحية الأولى ... كانت قيامة يسوع من الأموات حدثاً حقيقياً في التاريخ، وهي أساس الإيمان نفسه، وليست فكرة أسطورية نشأت من خيال المؤمنين الإبتكاري"[١١].

ثم أضاف هابيرماس "أحياناً الناس يتعلقون بقشة حتى يحاولوا أن يعللوا الظهورات. ولكن لا شئ يناسب جميع الأدلة أحسن من تفسير أن يسوع كان حياً".

لا يوجد شك معقول

لقد قتل يسوع على الصليب، وإن ألكسندر ميثيريل قد جعل ذلك واضحاً بطريقة تنبض بالحياة. فالقبر كان خالياً في صباح يوم القيامة، وإن وليم لين كريج لم يترك مجالاً للشك في هذا،

وإن تلاميذه وآخرون شاهدوه، ولمسوه، وأكلوا معه بعد قيامته، وجاري هابيرماس دعم هذه القضية بأدلة كثيرة جداً. وكما قال العالم اللاهوتي البريطاني المشهور مايكل جرين "ظهورات يسوع جديرة بالثقة والتصديق مثل أي حدث في العصور القديمة.... لا يمكن أن يكون هناك أي شك معقول أو منطقي بأن الظهورات هذه قد حدثت، وأن السبب الرئيسي الذي جعل المسيحيين أصبحوا متأكدين من قيامة يسوع ومنذ الأيام الأولى هو هذا فقط. لقد إستطاعوا أن يقولوا بكل تأكيد "لقد رأينا الرب" وكانوا يعرفون أنه هو"(١٢).

وكل هذا حتى لا يضعف الأدلة. ولقد قمت بحجز تذكرة طائرة للقيام برحلة إلى الجانب الآخر من البلاد لمقابلة خبير واحد آخر متخصص في نوع أخير من الأدلة التي تثبت أن قيامة المسيح هي حدث حقيقي في التاريخ.

ومع ذلك فقبل مغادرة مكتب هابيرماس، كان عندي سؤال واحد أخير. وبصراحة كنت متردداً في توجيه هذا السؤال لأنه كان متوقع جداً نوعاً ما و ظننت إجابته ستكون في الوقت المناسب.

كان السؤال متعلق بالقيامة. وتخيلت أني لو سألت هابيرماس عنها فسيعطيني الإجابة المعروفة عن كونها جوهر العقيدة المسيحية، وهي المحور الذي يدور حوله الإيمان المسيحي. ولقد كنت على حق فقد أعطاني إجابة مألوفة كهذه.

ولكن ما أدهشني كان هذا لم يكن كل ما قاله. هذا العالم الفذ، هذا المناظر الضخم الجسم، والمستعد للهجوم المباشر، هذا المدافع عن الإيمان مع الإستعداد لأي معركة، قد سمح لي أن أحدق في أعماق روحه عندما أعطاني إجابة إنبعثت من أعمق وادي من اليأس سبق له أن سار فيه.

إحياء ديبي

فرك هابيرماس لحيته المائلة للون الرمادي. النعمة النارية وصوت المناظرات العالي إختفى. لم يعد هناك إقتباس من العلماء

أو قراءة من الإنجيل، ولم يعد هناك بناء قضية.

لقد سألته عن أهمية القيامة، ولكن هابيرماس قرر أن يجازف بالعودة إلى سنة ١٩٩٥ عندما كانت زوجته ديبي قد ماتت ببطئ من سرطان المعدة. ولما كنت متأثراً بحساسية الموقف، فكل ما أمكنني أن أفعله هو أن أنصت لما سيقوله هابيرماس.

وهنا بدأ هابيرماس بقوله "كنت جالساً في الشرفة" ثم نظر بعيداً إلى شئ غير محدد وتنهد بعمق ثم استمر يقول "كانت زوجتي في الدور العلوي تموت. وفيما عدا أسابيع قليلة، كانت دائماً في المنزل طوال فترة المرض. لقد كان وقتاً رهيباً، وكان هذا هو أسوأ شئ من الممكن أن يحدث".

ثم التفت لينظر إليَّ مباشرة "ولكن هل تعرف ما الذي أذهلني؟" إتصل بي طلابي تلفونياً، ليس طالب واحد بل عدة طلبة، ثم قالوا "في وقت كهذا، ألست مسروراً بموضوع القيامة؟" بقدر ما كانت هذه الظروف جادة، إضطررت أن أبتسم لسببين:

أولاً، طلابي كانوا يحاولون أن يخففوا من حزني بنفس تعاليمي.

ثانياً، أن هذه الكلمات نجحت في التخفيف عن حزني.

وفيما كنت جالس هناك تخيلت أيوب الذي كان يعاني من كل هذه الأمراض الرهيبة، ويسأل الله أسئلة، لكن الله قلب الموقف وبدأ يسأله بعض الأسئلة القليلة.

"وكنت أعرف أن الله لو جاء إليَّ، فسوف أسأله سؤالاً واحداً فقط "يا رب لماذا ديبي راقدة في السرير؟ وأظن أن الله سيرد بأنه يسألني بلطف "ياجاري، هل أقمت إبني من الموت؟

"فسأقول له: "يا ربي، لقد كتبت سبعة كتب عن هذا الموضوع "إنه طبعاً أقيم من الموت. ولكني أريد أن أعرف عن ديبي"

"وأظن أنه سيعود ويكرر نفس السؤال "هل أنا أقمت إبني من الموت؟ هل أنا أقمت إبني من الموت؟ حتى فهمت هذه النقطة التي يقصدها: إن القيامة تقول أنه لو كان يسوع قد أقيم من الموت منذ

ألفي عام، فهناك الإجابة على موت ديبي سنة ١٩٩٥ . فهل تعرف ماهي الإجابة؟ لقد نجحت معي بينما كنت جالساً في الشرفة وما زالت ناجحة اليوم.

"لقد كان وقتاً مثيراً للعواطف بشكل رهيب، ولكني لم أستطع أن أفهم حقيقة أن القيامة هي الإجابة على آلامها ومعاناتها.

"وكنت مازلت قلقاً. ومازلت أتساءل: ماذا سأفعل في تربية أطفالي الأربعة بمفردي؟ ولكن لم يحدث في أي وقت أن هذه الحقيقة لم تواسيني. لقد كان فقد زوجتي أفظع تجربة مؤلمة أضطررت أن أواجهها. ولكن لو كانت القيامة ستساعدني على إجتيازها فسوف يمكنها مساعدتي على إجتياز أي شئ آخر. لقد كانت القيامة مفيدة سنة٣٠ م. وهي الآن مفيدة سنة ١٩٩٥ وستكون مفيدة سنة ١٩٩٨ وستكون مفيدة بعد ذلك دائماً.

وهنا وجه هابيرماس نظراته إليَّ وقال بهدوء "هذه ليست عظة، فأنا أؤمن بذلك من كل قلبي. لو كانت هناك قيامة فستكون هناك سماء، وإذا كان يسوع قد أقيم فإن ديبي اقيمت وأنا أيضاً سأقام في يوم من الأيام.

"عندئذ سأراهما كليهما"

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. لقد خفض هابيرماس موضوع القيامة إلى سؤالين: هل مات يسوع؟ وهل شوهد حياً بعد ذلك؟ بناء على الأدلة التي عرفتها حتى الآن. كيف ستجاوب على هذين السؤالين ولماذا؟

٢. إلى أي حد كان بيان كورنثوس الأولى١٥ مؤثراً في تقييمك لمسألة: هل شوهد يسوع حياً؟ وماهي أسبابك لإستنتاجك إنها مهمة أوغير مهمة في بحثك؟

٣. في دقائق قليلة إكشف عن الظهورات في الأناجيل التي ذكرها هابيرماس. هل جعلتك تشعر بأنها صادقة؟ وما تقييمك لها كأدلة على القيامة؟

٤. هابيرماس تحدث عن أن القيامة كان لها معنى شخصي عنده، هل واجهت أنت خسارة في حياتك الشخصية؟ وكيف سيؤثر إيمانك بالقيامة على طريقة رؤيتك لها؟

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Ankerberg, John, and John Weldon. *Ready with an Answer*. Eugene, Ore.: Harvest House, 1997.

Geivett, R. Douglas, and Gary R. Habermas, eds. *In Defense of Miracles*. Downers Grove, 111.: Inter-Varsity Press, 1997.

Habermas, Gary, and Antony Flew. *Did Jesus Rise from the Dead? The Resurrection Debate*. San Francisco: Harper & Row, 1987.

Habermas, Gary, and J. P. Moreland. *Beyond Death: Exploring the Evidence for Immortality*. Westchester, 111.: Crossway, 1998.

Morison, Frank. *Who Moved the Stone?* Grand Rapids: Zondervan, 1987.

Proctor, William. *The Resurrection Report*. Nashville: Broadman & Hoi-man, 1998.



الأدلة الظرفية

هل هناك أي حقائق مساندة تُشير إلى القيامة؟

لم يكن هناك أي شهود شاهدوا تيموثي ماك فيي وهو يعبئ حمولة طنين من المتفجرات المصنوعة من الأسمدة على عربة نقل ريدر مستأجرة. ولم يراه أحد وهو يقود العربة إلى واجهة المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما ثم يفجر القنبلة، فيقتل ١٦٨ شخص. ولم تلتقط أي كاميرا فيديو صورته وهو يهرب من مكان الحادث.

ومع ذلك، فقد استطاعت هيئة محلفين أن يستنتجوا بما لا يدع مجالاً للشك أن ماك فيي كان مذنباً بارتكاب أسوأ عمل إرهابي محلي في تاريخ الولايات المتحدة. لماذا؟ لأنه بمساعدة حقيقة بعد حقيقة، ومستند بعد مستند، وشاهد بعد شاهد، إستخدم المدّعين الأدلة الظرفية لكي يقيموا قضية محكمة ضده.

بينما لا أحد من الـ ١٣٧ شخصاً الذين تم إستدعاؤهم للوقوف على منصة الشهود قد رأى ماك فيي وهو يرتكب الجريمة، فإن شهادتهم قدمت أدلة غير مباشرة تثبت إدانته. فهناك رجل أعمال قال أن ماك فيي إستأجر سيارة نقل رايدر، وأحداً من أصدقاؤه قال أن ماك تحدث عن تفجير المبنى ليُعبر عن غضبه ضد الحكومة، وأحد العلماء قال أن ملابس ماكفيي كانت تحتوي على بقايا

متفجرات عندما قبض عليه.

أسند المدّعون هذا بما يزيد على سبعمائة مستند، تتراوح من إيصالات فندق، وإيصالات سيارة أجرة، وتسجيلات تليفونية إلى مفتاح العربة النقل، إلى فاتورة من مطعمٍ صيني. وعلى مدى ثمانية عشر يوماً نسجوا بمهارة نسيجاً مقنعاً من الأدلة التي يتمكن ماك فيي بشكل يائس أن يفلت منها.

فشهادة شاهد العيان تُسمى دليلاً مباشراً لأن الناس يصفون تحت القسم أنهم رأوا المدعى عليه شخصياً وهو يرتكب الجريمة. وبينما هذه الأدلة منٍ شاهد عيان في أغلب الأحيان تعتبر ملزمة، فقد تتعرض أحياناً لضعف الذاكرة، والتحيز، أو حتى التلفيق المباشر. وفي المقابل نجد أن الأدلة الظرفية تتكون من حقائق غير مباشرة يمكن إستخلاصها بطريقة منطقية[1]. وإن تأثيرها المؤكد يمكن أن يصبح بنفس قوة- وفي حالات كثيرة أقوى- من أقوال شاهد العيان.

إسأل ثيموثي ماك فيي. لربما كان يظن إنه إرتكب الجريمة الكاملة بتجنب شهود العيان، لكنه مع ذلك حصل على حكم الإعدام بسبب الحقائق الظرفية التي أشارت إليه وبطريقة مدمرة كأي شهادة من شاهد عيان.

بعد أن درسنا من قبل الأدلة المقنعة للقبر الفارغ، وروايات شهود العيان عن يسوع الذي أقيم من الموت، حان الوقت الآن للبحث عن أيٍ أدلة ظرفية التي قد تدعم قضية القيامة. وكنت أعرف أن حدثاً غير عادي مثل قيامة يسوع، لو كان حدث فعلاً، فإن التاريخ سيكون قد تناثرت فيه أدلة غير مباشرة تدعمه.

وقد أخذني هذا البحث مرة أخرى إلى جنوب كاليفورنيا، وفي هذه المرة إلى مكتب أستاذ يجمع بطريقة بارعة بين سعة الإطلاع في التاريخ، والفلسفة، والعلوم.

جي. بي. مورلاند، ذو الشعر الرمادي القاتم، والشوارب الفضية، والنظارة ذات الإطار الذهبي التي تجعله يبدو أكبر من عمره الذي يبلغ الخمسون عاماً. ومع ذلك ممتلئ بالنشاط. وكان يتكلم بنغمة حماسية مفعمة بالحيوية، وكثيراً ما يميل للأمام في كرسيه الدوار لتاكيد نقاطه التي يشرحها، وأحياناً يقفز فجأة كأنه سيثب فوقي ويخنقني بحججه.

"إني أحب هذا الموضوع" قال هذا أثناء فترة إستراحة قصيرة أثناء محادثتنا عندما ذكر النقاط الواضحة.

وإن عقل مورلاند المنظم للغاية، يعمل بطريقة نظامية ومنطقية، لدرجة أنه يبدو قادراً أن يوضح قضيته بلا مجهود بجمل كاملة وفقرات شاملة، بدون إستخدام كلمات ضائعة أو إفكار غير عادية، كلها معدة إستعداداً للمراجعة والطبع. وعندما يتوقف جهاز التسجيل الخاص بي يسكت ليعطي الوقت الكافي لوضع شريط جديد، ثم يبدأ بالضبط من حيث توقف دون أن تفوته نقطة.

وبينما يعتبر مورلاند فيلسوفاً مشهوراً (حاصل على دكتوراه من جامعغة جنوب كاليفورنيا) ويبحر مستريحاً في دنيا مفاهيم كانت وكيركجارد، ولكنه لا يتبحر في الأفكار التجريدية المعنوية. وخلفيته في العلوم (حاصل على درجة كيمياء من جامعة ميسوري) وإتقانه للتاريخ (كما يظهر بوضوح في كتابه الممتاز "تسلق المدينة العلمانية *Scaling the Secular City*" يثبته في عالم الحياة اليومية وتمنعه من أن يطفو عالياً في طبقات التفكير السماوي الأثيري النقي.

ومورلاند الحاصل أيضاً على ماجستير في اللاهوت من مدرسة دالاس اللاهوتية، حيث يقوم بالتدريس في برنامج الماجستير في الفلسفة وعلم الأخلاق.

نُشرت مقالاته في أكثر من ثلاثون مجلة متخصصة، مثل "المجلة الفلسفية الأمريكية الفصلية" و "ما وراء الفلسفة" و"الفلسفة وأبحاث علم الظواهر" وقد ألف أو إشترك في تأليف أو نشر إثنا عشر كتاباً من بينها "المسيحية وطبيعة العلم *Christianity and*

the Nature of Science؛ هل الله موجود؟ *Does God Exist?* (مناظرة مع كاي نيلسون) و "مناظرة بين الحياة والموت *The Life and Death Debate*" و"فرضية الخلق *The Creation Hypothesis*" و"ما بعد الموت *Beyond Death*" "إستكشاف أدلة الخلود *Exploring the Evidence for Immortality*" و"المسيح تحت النار *Jesus under Fire*", "أحب إلهك من كل فكرك *Love Your God with All Your Mind*".

وعندما جلست مع مورلاند في مكتبه الصغير لكن البسيط، علمت أن الأدلة الظرفية تعتبر جمع وليست مفرد. وبعبارة أخرى، أنها تبني طوبة وراء طوبة ثم طوبة حتى يصبح عندنا أساس ثابت يمكن أن تبنى عليه النتائج بكل ثقة واطمئنان.

وهكذا بدأت مقابلتنا بتحدي صريح: "هل تستطيع أن تعطيني خمسة أدلة ظرفية تقنعك بأن يسوع قام من الأموات؟"

نصت مورلاند بإهتمام شديد لسؤالي، فسألني "خمسة أمثلة؟ خمسة أشياء ليست بمحل نزاع من قبل أي شخص؟"

فأومأت برأسي موافقاً. وعندئذ دفع كرسيه للخلف بعيداً عن مكتبه وإستهل بدليله الأول: الحياة المتغيرة للتلاميذ واستعدادهم للموت في سبيل إعتقادهم بأن يسوع قد قام من الأموات.

العرض الأول: التلاميذ ماتوا في سبيل إعتقاداتهم

وبدأ مورلاند حديثه قائلاً "عندما صُلب يسوع، كان إتباعه مكتئبين ومثبطي الهمة. ولم يعد لديهم ثقة بأن يسوع قد أرسل من الله، لأنهم إعتقدوا بأن أي شخص يُصلب هو ملعون من الله. كما علموا أيضاً بأن الله لن يترك مسيحه المنتظر [المسيا] يعاني الموت. لذا تفرقوا. وحركة يسوع توقفت كلها عن مساراتها".

ثم بعد فترة زمنية قصيرة، نجدهم يتخلون عن وظائفهم، ثم يتجمعون من جديد، ويكرسون أنفسهم لنشر رسالة خاصة جدا بأن يسوع المسيح كان هو المسيا المُرسل من الله والذي مات على

الصليب، ثم عاد إلى الحياة، وشوهد حياً من قبلهم.

"وأنهم مستعدون أن يقضوا بقية حياتهم في إعلان هذا، دون إنتظار أجر من أي إنسان. ولم يكن هناك قصر ينتظرهم على البحر الأبيض المتوسط. وكانوا يواجهون حياة الضيق والمشقة. وكانوا كثيراً يقضون يومهم بلا طعام وينامون في العراء معرضين لعناصر الطبيعة. وكانوا يتعرضون للسخرية والضرب والحبس في السجون. وأخيراً، كان معظمهم يعدمون بطريقة وحشية مليئة بالعذاب.

"لماذا؟ أمِن أجل أهداف مفيدة؟ كلا، بل لأنهم كانوا مقتنعين بما لا يدع مجالاً للشك بأنهم رأوا يسوع حياً بعد أن قام من الموت. ما الذي لا تستطيع أن تفسره هو كيف أن هذه المجموعة من الرجال بالذات توصلوا إلى هذا الإيمان المتميز دون أن يمروا بتجربة رؤية المسيح بعد قيامته. ليس هناك تفسير كافي آخر".

فقاطعته بقولي "نعم، ولكن .." عندي إعتراض، نعم أوافق إنهم كانوا مستعدين لأن يموتوا في سبيل معتقداتهم. وكذلك أيضاً المسلمون، والمورمون، وأتباع چيم چونز، وديفيد كوريش. وهذا يُرينا بأنهم كانوا متعصبون، لكن دعنا نواجه المسألة: هذا لا يثبت أن ما كانوا يؤمنون به كان حقيقياً".

"إنتظر دقيقة. فكر بعناية في الفرق". قال مورلاند وقد أصر على رأيه واستدار في الكرسي الدوار ليواجهني مباشرة، وقد ثبت كلتا قدميه على الأرض.

"المسلمون قد يكونون راغبين بالموت في سبيل إيمانهم بأن الله أعلن نفسه لمحمد، ولكن هذا الرؤيا لم تتم بطريقة يلاحظها الجميع علناً، لذا فقد يكونون مخطئين في هذا الأمر. وقد يظنون بإخلاص أنها حقيقية ولكن لا يستطيعون أن يعرفوا هذا كحقيقة واقعة لأنهم لم يشهدوها بأنفسهم.

"ومع ذلك فالرسل كانوا مستعدين للموت من أجل شئ شاهدوه بأعينهم ولمسوه بأيديهم. فقد كانوا في موقف فريد ليس فقط ليؤمنوا أن يسوع قام من الأموات لكن بسبب المعرفة المؤكدة. فلو كان

لديك أحد عشر شخصاً موثوق بهم وليس لديهم أي دوافع خفية، وليس أمامهم شئ سيكسبونه بل أشياء كثيرة سيخسرونها، وأنهم جميعاً لاحظوا شيئاً شاهدوه بأعينهم، والآن ستجد بعض الصعوبة في تكذيبها بهذه الطريقة".

وهنا إبتسمت لأني كنت قد قمت بدور المدافع عن الشيطان بإثارة هذا الإعتراض. ففي الواقع كنت أعرف أنه على حق. ففي الحقيقة إن هذا الفرق الحاسم كان بالغ الأهمية في رحلتي الروحية.

ولقد شرح لي بهذه الطريقة: الناس مستعدين للموت في سبيل معتقداتهم الدينية لو آمنوا بإخلاص أنها صادقة، ولكن الناس ليسوا مستعدين للموت في سبيل معتقداتهم الدينية لو عرفوا أن معتقداتهم باطلة وزائفة.

وبينما معظم الناس يمكن أن يكون لديهم إيمان بأن معتقداتهم صحيحة فقط، إلا إن التلاميذ كانوا في موقف للمعرفة بلا شك فيما إذا كان يسوع قد قام من الموت أم لا. وادعوا أنهم رأوه، وتحدثوا معه، وأكلوا معه. فلو لم يكونوا متأكدين تماماً، لما كانوا قد سمحوا لأنفسهم أن يعذبوا حتى الموت لإعلانهم إن القيامة قد حدثت(٢).

فقلت له "حسناً. لقد إقتنعت بتلك النقطة. لكن هل لديك شيء آخر؟"

العرض الثاني : تحول المتشككين إلى مؤمنين

استمر مورلاند "مثال آخر من الأدلة الظرفية، أنه كان هناك متشككون قساة القلوب الذين لم يؤمنوا بيسوع قبل صلبه- وكانوا إلى حد ما معادين للمسيحية- والذين تحولوا وأقروا بالإيمان بالمسيحية بعد موت يسوع. فليس هناك سبب وجيه لهذا إلا أنهم إكتشفوا المسيح الذي قام من الأموات".

فقلت له "من الواضح أنك تتحدث عن يعقوب- أخو يسوع- وشاول الطرسوسي الذي أصبح بولس الرسول، ولكن هل لديك

أي دليل يُمكن تصديقه بأن يعقوب قد كان متشككاً بيسوع؟"

فقال مورلاند "نعم ، عندي. فالأناجيل تخبرنا أن عائلة يسوع، ببضمن ذلك يعقوب، كانوا متحيرين بما كان يدعيه أن يكون. ولم يؤمنوا به؛ بل تحدوه. وفي الديانة اليهودية القديمة كان من المحرج جداً لعائلة حاخام ألا يعترفوا به. لذلك فإن كُتّاب الأناجيل لم يكن لديهم أي حافز لتلفيق هذا التشكك إذا لم يكن صحيحاً".

"وفيما بعد يخبرنا يوسيفوس المؤرخ أن يعقوب- أخو يسوع- الذي كان رئيساً لكنيسة أورشليم، رُجم حتى الموت بسبب إيمانه بأخيه. لماذا تغيرت حياة يعقوب؟ يُخبرنا بولس بأن يسوع الذي قام من الأموات ظهر له. وليس هناك أي تفسير آخر".

وهنا لم تقفز إلى ذهني أيٍ إعتراضات أخرى. فسألته "وشاول الطرسوسي؟ فأجابني قائلاً "إن شاول كفريسي، كان يكره أي شئ يعارض تعاليم الشعب اليهودي. فبالنسبة له كانت هذه الحركة المعادية لليهودية، والتي تدعى المسيحية، تعتبر قمة الولاء لليهودية. وفي الواقع انه حقق شعوره بالإحباط بإعدام المسيحيين حين أتيحت له الفرصة.

"وفجأة نجده لم يتساهل مع المسيحيين فقط بل وإنضم إلى حركتهم. كيف حدث هذا؟ حسناً، كل الناس متفقين أن بولس هو الذي كتب الرسالة إلى أهل غلاطية، وهو يخبرنا بنفسه في هذه الرسالة بما دفعه للإنعطاف متحولاً ١٨٠ درجة ويصبح أهم مناصر للعقيدة المسيحية. وبقلمه الذي كتب به الرسالة يقول أنه رأى يسوع الذي قام وسمع يسوع يعينه ليكون أحد أتباعه".

ولقد كنت أنتظر مورلاند أن يذكر هذه النقطة حتى أتمكن من تحديه باعتراض من ناقد المسيحية مايكل مارتن. فقد قال مارتن أنه إذا إعتبرت تحول بولس دليلاً على صدق القيامة، فلابد أن تعتبر تحول محمد إلى الإسلام كدليل على صدق أن يسوع لم يقم من الموت لأن المسلمون ينكرون قيامة المسيح!".

فقلت لمورلاند "إنه أساساً يقول أن القيم الإثباتية لتحول بولس وتحول محمد يلغيان أحدهما الآخر. بصراحة، تبدو هذه كنقطة

جيدة. ألا تعترف أن مارتن على حق؟"

لكن مورلاند لم يأكل الطعم بل قال بصوت ملئ بالثقة "دعنا نلقي نظرة على تحول محمد. لا أحد يعرف شيئاً عن هذا التحول. محمد يدعي أنه دخل كهفاً وحدثت له تجربة دينية كشف له الله فيها القرآن. ولا يوجد شاهد عيان آخر ليؤكد صحة هذا الكلام. ومحمد لم يقدم أي علامات إعجازية ليؤكد أي شئ[1]. ومن السهل لأي شخص أن حوافر خفية ليصبح من أتباع محمد لأنه في سنوات الإسلام الأولى إنتشر الإسلام أساساً بالفتوحات وإن أتباع محمد إكتسبوا نفوذاً سياسياً وسيطرة على البلاد التي فتحوها وحولوها إلى الإسلام بحد السيف.

"قارن هذا بإدعاءات أتباع يسوع الأوائل بمن فيهم بولس. فقد إدعوا أنهم رأوا أحداث عامة رآها أناس آخرين أيضاً. وهذه كانت أشياء حدثت خارج عقولهم وليس داخل عقولهم فقط.

"علاوة على ذلك، عندما كتب بولس رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس- التي لا يشك أحد بأنه كتبها- ذكّر أهل كورنثوس أنه صنع معجزات عندما كان بيهم في وقت سابق. وبالتأكيد كان سيعتبر غبياً لو ذكر هذه العبارة لو عرفوا أنه لم يصنع معجزات".

فسألته "وماهي النقلة التي تريد أن تثبتها؟"

فقال "تذكر أنها ليست مجرد الحقيقة البسيطة أن بولس قد غير آرائه. لابد أن تفسر كيف حدث له هذا التغيير في معتقداته بالذات- وهو التغيير الذي يتناقض مع تربيته. وكيف رأى يسوع الذي قام في حدث عام شهده آخرون- حتى لو كانوا لم يفهموه- وكيف صنع

---

[1] يبدو أن مورلاند يختزل بدايات نزول الوحي على محمد (ص)، وهو ما قد يقدم صورة باهتة لطبيعة التجربة النبوية لرسول الإسلام. ويعلم جميع قراء العربية بطبيعة هذه التجربة بمراحلها: نزول الوحي بغار حراء؛ شهادات عائشة بالوحي النبوي على الرسول؛ تأكيدات نبوة الرسول. وحول هذه التفاصيل برجاء الرجوع إلى: السيرة النبوية لابن هشام؛ محمد للدكتور محمد حسين هيكل. والباب الخاص ببدء نزول الوحي بصحيح البخاري، وكذا صحيح مسلم.

معجزات ليدعم إدعائه بأنه رسول".

فقلت له "حسناً، حسناً. فهمت النقطة التي تريد إثباتها وسوف أسلم بأنها نقطة جيدة. وبهذا أشرت إليه أن ينتقل إلى دليله التالي.

العرض الثالث: تغييرات في العادات الإجتماعية الأساسية

لكي يوضح صنفه التالي للبرهان الظرفي، إضطر مورلاند أن يمدني ببعض المعلومات الهامة حول الثقافة اليهودية.

فبدأ يشرح قائلاً "في زمن يسوع، كان اليهود مضطهدين لمدة سبعمائة عام من قبل البابليين، والأشوريين، والفرس، وحينها من قبل اليونانيين والرومانيين. فتشتت الكثير من اليهود وعاشوا كأسرى في هذه البلاد الأخرى.

ومع ذلك، فما زلنا نرى اليهود اليوم، بينما نحن لا نرى الحيثيين، والبيرزيين، والعمونيين، والأشوريين، والفرس، والبابليين، والشعوب الأخرى التي كانت تعيش في ذلك الوقت. لماذا؟ لأن هذه الشعوب وقعوا أسرى عند أمم أخرى، حيث تزاوجوا، وفقدوا هويتهم القومية.

"لكِن، لمَ لمْ يحدث هذا لليهود؟ لأن الأشياء التي جعلت اليهود يهوداً، هي تلك التركيبات الهيكلية الاجتماعية التي أعطتهم هويتهم القومية، والتي كانت مهمة بالنسبة لهم بشكل لا يصدق. وكان اليهود ينقلون هذه التراكيب الإجتماعية لأبنائهم، ويحتفلون بها في إجتماعات المعبد اليهودي كل سبت، ويعززوها بطقوسهم، لأنهم كانوا يعرفون أنهم إن لم يفعلون ذلك فإنه سريعاً لن يكون هناك يهود إطلاقاً. وسوف يندمجون في ثقافات الأمم التي تأسرهم.

"وهناك سبب آخر يبين لماذا كانت هذه المؤسسات الإجتماعية مهمة جداً: فقد كانوا يؤمنون أن هذه المؤسسات قد سُلمت لهم من الله. وكانوا يؤمنون أنهم لو تخلوا عن هذه المؤسسات فسوف يخاطرون بأرواحهم التي ستُلعن إلى جهنم بعد الموت.

"والآن نجد حاخام يدعى يسوع يظهر من منطقة من مناطق

الطبقة الدنيا. ويقوم بالتعليم لمدة ثلاث سنوات، ويجمع حوله أتباعاً من الطبقة الدنيا والمتوسطة، ثم يقع في متاعب ومشاكل مع السلطات، ثم يصلب مع ثلاثين ألفاً رجل يهودي آخرين الذين تم إعدامهم في تلك الفترة.

"ولكن بعد صلبه بخمسة أسابيع، أكثر من عشرة آلاف يهودي صاروا من أتباعه وإدعوا أنه مؤسس ديانة جديدة. وويصبحون بذلك: إنهم مستعدون أن يتخلوا عن أو يعدلوا خمسة من العادات الإجتماعية التي كانوا قد تعلموها منذ الطفولة بأن لها مثل هذه الأهمية إجتماعياً ولاهوتياً.

فقلت له "وهكذا فالمعنى المتضمن هو أن شيئاً ضخماً كان يحدث"

فصاح مورلاند قائلاً "إن شيئاً ضخماً جداً كان يحدث!".

إحداث ثورة في الحياة اليهودية

دعوت مورلاند للمرور بهذه الهياكل الإجتماعية الخمسة ويوضح كيف أن أتباع يسوع قد غيروها أو تخلوا عنها.

فقال: "أولاً، لقد علموهم منذ أيام إبراهيم وموسى أنهم لابد أن يقدموا ضحية حيوانية كل سنة ليكفروا عن خطاياهم. والله سينقل خطاياهم إلى ذلك الحيوان، وأن خطاياهم ستغفر لهم حتى يكونوا في صلح مع الله. ولكن فجأة بعد موت النجار الناصري، لم يعد هؤلاء اليهود يقدمون الأضاحي.

"ثانياً، شدد اليهود على إطاعة الوصايا التي إتمنهم عليها الله من خلال موسى. وفي رأيهم، أن هذه الوصايا هي التي تميزهم عن الأمم الوثنية. ومع ذلك، فبعد موت يسوع بفترة قصيرة، بدأ هؤلاء اليهود يقولون أنك لن تصبح عضواً في جماعتهم لمجرد محافظتك على شريعة موسى (الوصايا العشر).

"ثالثاً، حافظ اليهود على راحة السبت بدقة، بعدم القيام بأي عمل ماعدا الطقوس الدينية كل يوم سبت. وبهذه الطريقة يستطيعون الحصول على المكانة الصالحة عند الله، ويضمنون خلاص

عائلتهم ويكونون في المكانة الصالحة مع الأمة. ومع ذلك، بعد موت هذا النجار الناصري، هذا التقليد الذي دام ألف وخمسمائة عام تغير فجأة. فهؤلاء المسيحيون الذين كانوا يهوداً يعبدون يوم الأحد، لماذا؟ لأنه اليوم الذي قام فيه يسوع من الأموات.

"رابعاً، كانوا يؤمنون بالتوحيد المجرد. فيما يُعلّم المسيحينن يعلّمون بشكل آخر للتوحيد، فهم يقولونٍ أن الآب والإبن والروح القدس هم إله واحد. وهذا يختلف إختلافاً جذرياً عما آمن به اليهود. وكانوا يعتبرونه من أعلى درجات الهرطقة أن نقول أن شخصاً يمكنه أن يكون إله وإنسان في ذات الوقت. ومع ذلك يبدأ اليهود بعبادة يسوع كإله منذ العقد الأول للديانة المسيحية.

"خامساً، صوّر هؤلاء المسيحيين المسيا كشخص تألم ومات من أجل خطايا العالم، بينما اليهود دُرِبوا على أن يؤمنوا بأن المسيا سيكون زعيماً سياسياً سيحطم الجيوش الرومانية".

بذلك السياق، أسس مورلاند للضربة الحاسمة، وهو يرمقني بنظرات حادة متفرسة ثم قال "بالنسبة لي، كيف يمكنك أن تفسر لماذا في فترة قصيرة من الزمن، ليس فقط يهودي واحد بل جماعة كاملة مكونة مما لا يقل عن عشرة آلاف يهودي، كانوا مستعدين للتخلي عن ممارسة هذه الممارسات الخمسة التي ظلت تلائمهم إجتماعياً ولاهوتياً، لقرون كثيرة؟ إن تفسيري بسيط: لأنهم شاهدوا يسوع الذي قام من الأموات".

بينما كانت النقطة التي شرحها مورلاند مؤثرة للغاية، فقد رأيت مشكلة في فهم الناس لها في هذه الأيام. فقلت له أنه "من الصعب جداً على الأمريكيين في القرن العشرين أن يستوعبوا الطبيعة الغير عادية لهذا التحول.

"ففي هذه الأيام نجد الناس عندهم مرونة في إيمانهم، فهم يتنقلون مترددين بين المسيحية ومعتقدات العصر الحديث. فهم يمارسون البوذية كهواية، ويخلطون ويقارنون ويبتكرون الحياة الروحية الخاصة بهم. وبالنسبة لهم إن أحداث نوع التغييرات التي ذكرتها لا تبدو بذات أهمية كبرى".

أومأ مورلاند برأسه موافقاً، ويبدو أنه قد سمع هذا الإعتراض من قبل ثم قال "سأسأل شخصاً هكذا" ما هو أعز وأحب شئ تؤمن به؟ أن كان والديك صالحين؟ أو أن القتل لا أخلاقي؟ فكر كيف سيكون الأمر جوهرياً أن أجعلك تغير أو تتخلى عن هذا الإيمان الذي تعتز به إلى هذا الحد. الآن بدأنا نتفاهم".

"تذكّر أن هذا هو مجتمع كامل من الناس يتخلون عن إعتقادات عزيزة عليهم والتي نُقَلت إليهم عبر قرون، وإعتقدوا بأنها من الله نفسه. وهم يفعلون ذلك مع أنهم يعرضون سعادتهم للخطر، كما أنهم كانوا يعتقدون أنهم يجازفون بالحكم على أرواحهم بأن تلقى في جهنم، لو كانوا مخطئين في هذا التغيير.

"والأكثر من ذلك أنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم قد أكتشفوا أفكار أفضل. فقد كانوا مقتنعين جداً بالتقاليد القديمة. لكنهم تخلوا عنها لأنهم رأوا معجزات لم يستطيعوا تفسيرها والتي أجبرتهم أن ينظروا إلى الدنيا بطريقة أخرى".

"نحن الغربيين فرديين، نؤمن بأن مصالح الفرد فوق كل اعتبار، ونحب التغيرات التكنولوجية والإجتماعية. فالعادات والتقاليد ليست ذات أهمية كبرى عندنا".

فأجاب مورلاند "سأسم بهذا. ولكن هؤلاء الناس كانوا يقدرون قيمة العادات والتقاليد. وقد عاشوا في عصر كان فيه- كلما كان الشئ أقدم- كلما كان أفضل. وفي الواقع أنه بالنسبة لهم كلما تراجعوا إلى الوراء أبعد ليتمكنوا من تتبع فكرة كلما كان من المحتمل أن تكون صحيحة، وهكذا فالإنتقال إلى أفكار جديدة كان مناقضاً لما نحن عليه اليوم".

ثم إختتم حديثه قائلاً "صدقني إن هذه التغييرات في الهياكل الإجتماعية اليهودية لم تكن مجرد تعديلات بسيطة أجريت بطريقة عرضية غير رسمية. إنما كانت ضخمة وهامة جداً. إنها لم تكن أقل من زلزال إجتماعي. والزلازل لا تحدث بدون سبب".

أشار مورلاند إلى ظهور الطقوس الدينية من الشركة والمعمودية في الكنيسة الأولى كأدلة ظرفية أخرى تثبت أن القيامة حقيقية. ولكني كان لديَّ بعض الشكوك.

فسألته "أليس من الطبيعي فقط أن الديانات التي تبتكر طقوسها وممارساتها؟ فلدى كلِ الديانات طقوسها وممارساتها. لذا، كيف تقول أن هذا يثبت شيئاً عن القيامة؟"

فأجابني "آه، لكن دعنا ندرس سر التناول (الشركة) لحظة. الشيء الغريب أن هؤلاء الأتباع الأوئل ليسوع لم يجتمعوا معاً لكي يمجدوا تعاليمه أو يذكروا كم كان رائعاً. بل كانوا يجتمعون بانتظام ليتناولوا وليمة إحتفالية لسبب واحد: أن يتذكروا أن يسوع قد قُتل علناً بطريقة غريبة ومشينة.

"فكر في هذا بحسب الظروف العصرية الحديثة. لو كان مجموعة من الناس يحبون چون إف. كيندي، وأنهم يجتمعون بانتظام لتذكّر مجابهته لروسيا، وتعزيزه للحقوق المدنية، وشخصيته الساحرة. ولكنهم سوف لا يحتفلوا بحقيقة أن لي هارفي أزولد قد قتله!

"ومع ذلك، فهذا يعتبر مماثل لما كان المسيحيون الأوائل يفعلونه. كيف ستفسر ذلك؟ سأشرحه بهذه الطريقة: لقد أدركوا أن قتل يسوع كان خطوة ضرورية نحو نصر أعظم بكثير. فإن قتله لم يكن الكلمة الأخيرة، إنما الكلمة الأخيرة كانت أنه هزم الموت من أجلنا جميعاً بقيامته من الأموات. فكانوا يحتفلون بإعدامه لأنهم كانوا مقتنعين أنهم قد رأوه حياً من القبر".

فسألته "وماذا عن المعمودية؟"

فأجاب "تبنّت الكنيسة الأولى إقتبسوا شكلاً من أشكال العماد يسمى عماد البروزلايت (أي المهتدي حديثاً إلى اليهودية) إقتبسوه من تربيتهم وتنشئتهم اليهودية. وعندما كانت الأمم (غير اليهود) يريدون إتباع شريعة موسى، كان اليهود يعمدونهم بشهادة إله إسرائيل. ولكن في العهد الجديد كان الناس يعتمدون باسم الله الآب والله الإبن والله الروح القدس، بمعنى أنهم رفعوا يسوع إلى منزلة الله الكاملة".

"وليس هذا فقط، بل أن المعمودية كانت بمثابة إحتفال بموت يسوع تماماً مثل التناول. فبالنزول تحت الماء فأنت تحتفل بموته وبإخراجك من الماء تحتفل بحقيقة أن يسوع قد أقيم إلى حياة جديدة".

فقاطعته قائلاً "إنك تفترض أن هذه الأسرار المقدسة لم تكن فقط مقتبسة من الديانات التي تسمى الديانات السرية."

فأجاب مورلاند "الأسباب وجيهة: أولاً، ليس هناك دليل قوي أن أي ديانة سرية كانت تؤمن بموت الله وقيامته، حتى بعد فترة العهد الجديد. ولذلك، فلو كانت هناك أي إستعارة فإنهم هم الذين إستعاروا من المسيحية.

"ثانياً، ممارسة المعمودية مُستمدة من العادات اليهودية، وكان اليهود يعارضون جداً السماح لأفكار الأمم أو اليونانيين أن تؤثر على طقوس عبادتهم. وثالثاً، هذين الطقسين المقدسين يمكن أن يرجع تاريخهما إلى أول جماعة مسيحية، وهذا تاريخ مبكر جداً بحيث لا يمكن لتأثير أي ديانات أخرى للزحف إلى فهمهم لمعنى موت يسوع".

العرض الخامس: ظهور الكنيسة

مهد مورلاند لهذه النقلة الأخيرة بقوله "عندما يحدث تغير ثقافي هام، فإن المؤرخون يبحثون دائماً عن الأحداث التي يمكن أن تفسرها".

فقلت له "نعم هذا كلام معقول".

فقال "حسناً. دعنا نفكر عن بداية الكنيسة المسيحية. ما من شك أنها بدأت بعد موت يسوع بقليل وانتشرت بسرعة كبيرة لدرجة أنها خلال فترة حوالي عشرين عاماً كانت قد وصلت حتى إلى قصر القيصر في روما. وليس هذا فقط بل إن هذه الحركة إنتصرت على عدد كبير من المذاهب الفكرية المنافسة، وفي النهاية إكتسحت الإمبراطورية الرومانية كلها.

"والآن، لو فرضنا أنك من سكان المريخ ونظرت إلى أسفل إلى القرن الأول، فهل كنت تظن أن المسيحية أو الإمبراطورية الرومانية ستبقيان على قيد الحياة؟ من المحتمل أنك لن تضع نقودك أو تركز أملك علي مجموعة من عامة الشعب، ورسالتهم الأساسية كانت أن نجاراً مصلوباً من قرية غامضة قد انتصر على القبر. ومع ذلك، فقد كانت المسيحية منتصرة لدرجة أننا اليوم نسمي أبنائنا بطرس وبولس ونسمي كلابنا قيصر ونيرون!

"لقد أعجبتني الطريقة التي استخدمها سي. إف. دي. مول، عالم العهد الجديد، بجامعة كامبردج، للتعبير عن إنتصار المسيحية حيث قال: "لو كان ظهور النصارى، يعتبر ظاهرة ثبت صدقها بواسطة العهد الجديد بشكل لا يمكن إنكاره، قد أحدثت حفرة كبيرة في التاريخ، حفرة في حجم وشكل القيامة، فماذا يقترح المؤرخ العلماني من وسائل لكي يسدها؟""(٣)

وبينما لم تكن هذه النقطة هي أقوى نقاط مورلاند، لأن هناك حركات دينية أخرى ظهرت وانتشرت أيضاً، فإن الأدلة الظرفية لا تعتمد على قوة حقيقية واحدة فقط. بل بالأحرى على الوزن المتراكم لعدة حقائق مع بعضها التي تُرجّح كفة الميزان نحو النتيجة. وبالنسبة لمورلاند نجد أن النتيجة واضحة.

ثم قال مورلاند "انظر، لو أراد شخص أن يدرس هذه الأدلة الظرفية ووصل إلى الحكم بأن يسوع لم يقم من الأموات، فمن العدل تقديم تفسير بديل يكون معقولاً لكل من هذه الحقائق.

"تذكر، ليس هناك شك أن هذه الحقائق صادقة؛ والمشكلة هي كيف تفسرها. وأنا لم أجد لها تفسيراً أحسن من "القيامة".

أما أنا، فقد اعدت شريط الأدلة الظرفية في ذهني: إستعداد التلاميذ للموت في سبيل ما عرفوه بالتجربة؛ وحياة المتشككين التي حدث فيها إنقلاب مثل يعقوب وبولس؛ والتغيرات الجذرية في العادات الإجتماعية التي ظل اليهود متعلقين بها على مر القرون؛ والظهور المفاجئ لأسرار التناول والمعمودية؛ والظهور ثم النمو المذهل للكنيسة.

فبعد حصولي على كل هذه الحقائق التي لاخلاف عليها، إضطررت على موافقة مورلاند بأن القيامة، والقيامة وحدها هي التي تجعل هذه الحقائق كلها معقولة. لا يوجد تفسير آخر يجاريها. وهذه هي الأدلة الغير مباشرة فقط. فلو أضفت إليها البرهان الفعّال لقبر يسوع الفارغ، والأدلة المقنعة الخاصة بظهورات يسوع بعد القيامة، تعتبر القضية منتهية.

كان هذا أيضاً هو تقييمالسير ليونيل لوكهو، المحامي الذكي البارع الذي حصل على ٢٤٥ حكم براءة متتالية ومذهلة من جرائم قتل مما اكسبته موقعاً بموسوعة جينيس للأرقام القياسية العالمية كأفضل محامي ناجح في العالم[٤] ومنحته الملكة إليزابيث لقب فارس مرتين، هذا القاضي والدبلوماسي السابق، أخضع الحقائق التاريخية عن القيامة للتحليل الدقيق لعدة سنوات قبل أن يعلن: "أقول بشكل واضح بأن أدلة قيامة يسوع المسيح تعتبر ساحقة جداً لدرجة أنها تجبرك على قبولها ببراهين لا تدع مجالاً للشك إطلاقاً"[٥].

لكن إنتظر. هناك المزيد.

إتخاذ الخطوة النهائية

بعد أن إنتهت محادثتنا. بدأت أنا ومورلاند نتمازج حول كرة القدم بينما فصلت جهاز التسجيل وبدأت ألملم مذكراتي. ومع إني كنت في عجلة من أمري لكي ألحق برحلة الطائرة للعودة إلى شيكاغو، قال لي شيئاً دفعني للتمهل.

ثم قال ملاحظاً "هناك نوع آخر من الأدلة التي لم تسأل عنها؟"

فراجعت مقابلتنا في ذهني ثم قلت له "إني أستسلم، ما هو؟"

فقال "إنه اللقاء المستمر مع المسيح المُقام والذي يحدث في جميع أنحاء العالم، وفي كل الثقافات، مع أشخاص من جميع أنواع الخلفيات والشخصيات، من المتعلمين جيداً وغير المتعلمين،

الأغنياء والفقراء، المفكرين ومحبي الإستطلاع من الرجال والنساء. جميعهم سيشهدون بأنه أكثر من أي شئ آخر في حياتهم، أن يسوع المسيح قد غيرهم".

وانحنى مورلاند للأمام ليؤكد كلامه. "وبالنسبة لى، إن هذا يزودنا بالدليل النهائي، فليس بالدليل الوحيد لكنه البرهان النهائي الأكيد، أن رسالة يسوع يمكن أن تفتح الباب للقاء مباشر مع المسيح الذي قام".

فقلت له "أفترض أنك قد إجتزت بهذا اللقاء، فلما لا تحدثني عنه".

فقال مورلاند " في سنة ١٩٦٨ كنت كميائياً متشككاً حيث كنت أعمل في جامعة ميسوري، عندما واجهتني حقيقة أنني لو فحصت إدعاءات يسوع المسيح بطريقة إنتقادية لكن بعقلية متفتحة لوجدت أكثر من دليل كافٍ لتصديقها.

"لذا، إتخذت خطوة الإيمان في نفس الإتجاه الذي يشير إليه الدليل، باستقبال يسوع كغافر ذنوبي وقائدي، وبدأت أقص عليه- للمسيح الذي قام- بطريقة واقعية ومتطورة.

"وفي خلال ثلاثين عاماً تلقيت مئات الإجابات والإستجابات الدقيقة لصلواتي. ولقد وجدت أشياء لا يمكن تفسيرها ببساطة بالتفسيرات الطبيعية، وقد شعرت أن حياتي قد تغيرت بطريقة أكثر مما كنت أتخيل".

ولكني إعترضت وقلت له "أن الناس يحدث لحياتهم تغيير في الديانات الأخرى التي معتقداتهم تتناقض مع المسيحية فسألته "أليس من الخطير أن تبني قراراتك على تجارب شخصية؟.

فقال "دعني أوضح لك شيئين: أولاً، أنا لا أقول لك أن تثق في تجارك فقط، لكني أقول استخدمٍ عقلك بهدوء وقدّر، وزَن الأدلة، ثم دع التجربة تكون دليلاً مؤكداً.

"ثانياً، إذا كان هذا الدليل يشير إلى شئ صادق، أي فإن الدليل نفسه يحتاج إلى إختبار عن طريق التجربة".

فقلت له "حدد كلامك".

فقال "الإختبار عن طريق التجربة يكون كالآتي "إنه ما زال حياً ويمكني أن أكتشف ذلك بأن أحكي له" لو كنت واحداً من المحلفين وسمعت أدلة كافية تقنعك بأن شخصاً يعتبر مذنباً، فليس من المعقول أن توقف الخطوة النهائية لإدانته. وبالنسبة للناس أن يقبلوا دليل قيامة يسوع، ولا يتخذ الخطوة النهائية باختباره عن طريق التجربة فسيفوتهم معرفة إلى أين يشير الدليل في النهاية.

فقلت له "إذن لو كان الدليل يشير بقوة إلى هذا الإتجاه، فإنه من المعقول والمنطقي أن يتتبعوه إلى عالم التجربة.

فأومأ برأسه موافقاً ثم قال "هذا صحيح تماماً. فهو التأكيد النهائي للدليل. في الواقع إنني أقول هذا "إن الأدلة تصرخ لتطالب بالإختبار عن طريق التجربة".

مشاورات

أسئلة للتأمل ومجموعات الدراسة

١. كان التلاميذ في موقف فريد يمكنهم معرفة مؤكدة إن كان يسوع قد قام من الأموات، وكانوا مستعدين للموت في سبيل إعتقادهم أنه قام. هل تستطيع أن تفكر في أي شخص في التاريخ- بمعرفته وبإرادته- مات من أجل أكذوبة؟ ماهي درجة التأكد التي تحتاجها قبل أن تكون مستعداً لأن تضحي بحياتك من أجل عقيدة تؤمن بها؟ وإلى أي حد من الدقة تود أن تبحث في مسألة لو كنت ستبني حياتك عليها؟

٢. ماهي أعز معتقداتك؟ وما الذي يجعلك تتخلى عن هذه الآراء العزيزة أو تعيد التفكير فيها خاصة لو كنت تعتقد بصدقٍ أنك تجازف بحلول اللعنة على روحك لو كنت مخطئاً؟ كيف تشير إجابتك عن الحقيقة التاريخية بأن آلاف من اليهود قد تخلوا فجأة عن خمسة عادات إجتماعية ودينية كبرى بعد صلب يسوع بقليل؟

٣. بخلاف قيامة يسوع، هل تستطيع أن تفكر في أي تفسير يستطيع أن يعلل جميع الخمسة أصناف من الأدلة التي ناقشها مورلاند في نفس الوقت؟ كيف تظن أن شخصاً مثله سيرد على إفتراضاتك؟

٤. مورلاند أنهى حديثه بالتحدث عن الإختبار المبني على التجربة؟ ما الذي يجب أن يحدث قبل أن تكون مستعداً لإتخاذ هذه الخطوة بنفسك؟

مصادر أخرى حول هذا الموضوع

Green, Michael. *Christ Is Risen: So What?* Kent, England: Sovereign World, 1995.

McDowell, Josh. *The Resurrection Factor*, 105-20. San Bernardino, Calif.: Here's Life, 1981.

Moreland, J. P. *Scaling the Secular City*. Grand Rapids: Baker, 1987.

Moule, C. F. D. *The Phenomenon of the New Testament*. London: SCM Press, 1967.



ما الذي تثبته الأدلة وما الذي تعنيه اليوم؟

التاريخ كان ٨ نوفمبر سنة ١٩٨١. كان يوم أحد. وكنت قد حبست نفسي في غرفة مكتبي بمنزلي، وقد قضيت فترة بعد الظهر في إعادة تشغيل شريط الرحلة الروحية التي استغرقت واحد وعشرين شهراً.

وكان تحقيقي عن يسوع مشابهاً لما قرأتموه تواً، فيما عدا أنني قد قمت أولاً بدراسة كتب وأبحاث تاريخية أخرى بدلاً من التناقش الشخصي مع العلماء. سألت الأسئلة وحللت الأجوبة بأكبر قدر ممكن لعقلية متفتحة. والآن وصلت إلى قرار حاسم. لقد كانت الأدلة واضحة. والمسألة الوحيدة المتبقية هي ما يمكن أن أفعله أنا معها.

سحبت ورقة من التي يستخدمها المحامون، وبدأت بتدوين قائمة بالأسئلة التي سألتها ثم بدأت بها تحقيقي، وبعض الحقائق الرئيسية التي إكشفتها. وبطريقة مماثلة، تمكنت من تلخيص موجز لما تعلمناه في فحصنا للأدلة.

- **هل بالإمكان الوثوق بسير حياة يسوع؟**

لقد ظننت ذات مرة أن الأناجيل هي مجرد دعاية دينية، ملوثة بطريقة يائسة بخيالات مبالغ فيها وحماسة الإنجيليين. ومع

ذلك فإن كريج بلومبيرج، وهو أحد أبرز خبراء البلاد في هذا الموضوع، أقام قضية مقنعة بأن الأناجيل تعكس شهادة شهود العيان وتحمل علامات مميزة من الدقة لا تحتمل الخطأ. وهذه الروايات عن تاريخ حياة يسوع قديمة، بدرجة لا يمكن معها تكذيبها على أنها إختراعات أسطورية. وفي الواقع أن المعتقدات الأساسية في الإيمان بمعجزات يسوع، وقيامته، وألوهيته يرجع تاريخها إلى فجر الحركة المسيحية.

- **هل تصمد سير حياة يسوع أمام التمحيص؟**

جادل بلومبيرج بطريقة مقنعة بأن كُتّاب الأناجيل قصدوا حفظ التاريخ الذي يمكن الإعتماد عليه، وكانوا قادرين على فعل ذلك، وأنهم كانوا أمناء وراغبين أن تتضمن رواياتهم حتى الموضوعات التي يصعب شرحها، ولم يسمحوا للتحيز أن يؤثر على رواياتهم. وإن التوافق بين الأناجيل حول الحقائق الأساسية مع الإختلاف في بعض التفاصيل يؤكد المصداقية التاريخية لرواياتهم. وعلاوة على ذلك، فإن الكنيسة الأولى لم يكن ممكناً أن تتأصل وتزدهر في أورشليم إذا كانت تُعلّم بحقائق عن يسوع التي كان معاصروه يستطيعون كشفها كمبالغ فيها أو زائفة. وباختصار، فإن الأناجيل كانت قادرة على تخطى جميع إختبارات إثبات صحتها الثمانية.

- **هل حفظت سير حياة يسوع بشكل موثوق لنا؟**

قال العالم العالمي بروس متزجير أنه بالمقارنة مع الوثائق القديمة الأخرى، هناك عدد لم يسبق له مثيل من مخطوطات العهد الجديد وبأنها يمكن أن يرجع تاريخها إلى وقت قريب من الكتابات الأصلية. وأن العهد الجديد الحديث يعتبر خالياً من التناقضات النصية بنسبة ٩٩,٥٪ بدون أي شك في العقائد المسيحية الأصلية. وإن المعايير التي استخدمتها الكنيسة الأولى لتحديد أي الكتب التي تعتبر جديرة بالثقة، فد أكدت أننا نملك أفضل السجلات عن يسوع.

- **هل هناك دليل موثوق به عن يسوع من خارج سيرة**

• هل هناك دليل موثوق به عن يسوع من خارج سيرة حياته بالأناجيل؟

"لدينا وثائق تاريخية عن يسوع أفضل من أي وثائق عن مؤسس أي ديانة قديمة أخرى" هذه هي العبارة التي قالها إدوين ياموكهي. فالمصادر من خارج الإنجيل تعتبر أدلة مؤيدة أن كثير من الناس آمنوا أن يسوع صنع معجزات الشفاء، وأنه المسيا، وأنه صُلب، وأنه بالرغم من هذه الوفاة المخزية إلا أن أتباعه الذين آمنوا أنه كان لا يزال حياً عبدوه كإله. وهناك واحد ممن الخبراء دعم بالوثائق تسع وثلاثون من المصادر القديمة التي تدعم بالأدلة أكثر من مائة حقايقة تتعلق بحياة يسوع، وتعاليمه، وصلبه، وقيامته. وهناك سبعة مصادر علمانية والعديد من العقائد القديمة المتعلقة بألوهية يسوع، "موجودة بالتأكيد في الكنيسة الأولى" بحسب ما ذكره العالم جاري هابيرماس.

• هل يؤكد علم الآثار أم يُناقض سير حياة يسوع ؟

إن عالم الآثار چون ماكراي قال أنه ليس هناك شك بأن مكتشفات علم الآثار عززت مصداقية العهد الجديد. ولم يحدث أن أي إكتشاف أثبت عدم صحة مرجع من مراجع الإنجيل. وعلاوة على ذلك، فإن علم الآثار أثبت أن لوقا، الذي كتب حوالي رُبع العهد الجديد، كان مؤرخاً مدققاً بنوعٍ خاص. وقد علق أحد الخبراء على ذلك بقوله إذا كان لوقا مدققاً باجتهاد في تقاريره التاريخية (عن التفاصيل الصغرى) فعلى أي أساس منطقي نستطيع أن نفترض أنه كان ساذجاً أو غير مدقق في كتابة تقاريره عن مسائل أكثر أهمية بكثير، ليس فقط بالنسبة له بل بالنسبة للآخرين أيضاً؟ مثل قيامة يسوع، على سبيل المثال".

• هل يسوع التاريخ هو نفس يسوع الإيمان؟

قال جريجوري بويد أن منتدى يسوع للحلقات الدراسية الذي نشر له قدر كبير من الدعاية، والذي يشك في يسوع قال أن معظم ما هو منسوب إليه يمثل "عدداً ضئيل للغاية من العلماء المتطرفين، الذين يعتبرون على الطرف الأيسر البعيد جداً عن

أفكار العهد الجديد". وقد أكد المنتدى إمكانية حدوث المعجزات من البداية، واستخدم معايير مشكوك فيها وبعض المشاركين في المنتدى مدحوا وأطروا بالحاح مستندات شوهتها الأساطير مشكوك فيها للغاية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن فكرة أن الروايات عن يسوع مستمدة من أساطير عن آلهة يموتون ثم يقومون لم تنجح في مواجهة الفحص الدقيق. وقد قال بويد "إن الأدلة على أن يسوع هو الذي قال عنه التلاميذ ..... تبعد بسنوات ضوئية كثيرة عن أسبابي التي تجعلني أصدق أن ثقافة الجناح الأيسر في منتدى يسوع صادقة وصحيحة". إجمالاً، يسوع الإيمان هو نفسه يسوع التاريخ.

- **هل كان يسوع مقتنعاً حقاً بأنه إبن الله؟**

بالرجوع إلى أقدم التقاليد التي تعتبر آمنة بلا شك من تطوير الأساطير لها، واستطاع بن وذرنجتون الثالث أن يثبت أن يسوع كان لديه قدرة فائقة على إدراك هويته. وبناء على الأدلة قال وذرنجتون "هل كان يسوع يؤمن أنه إبن الله، والوحيد المختار من الله؟ الإجابة، نعم. هل كان يعتبر نفسه إبن الإنسان؟ الإجابة، نعم. هل كان يعتبر نفسه المسيا النهائي؟ نعم، فتلك هي الطريقة التي نظر بها يسوع إلى نفسه. هل كان يؤمن أن أي شخص أقل من الله أن يكون بإمكانه أن يُخلّص العالم؟ كلا: لا أصدق ذلك.

- **هل كان يسوع مجنوناً عندما إدّعى بأنه إبن الله؟**

قال عالم النفس المشهور جاري كولنز أن يسوع لم يبدي أي عواطف أو إنفعالات غير ملائمة، وأنه كان على إتصال بالواقع، وأنه كان حاد الذكاء ولديه بصيرة مذهلة في الطبيعة البشرية، وكان يتمتع بعلاقات عميقة ودائمة. وقد استنتج جاري كولنز قائلاً "أنا لا أرى أي علامات تدل على أن يسوع كان يعاني من أي مرض عقلي معروف". وبالإضافة إلى ذلك فإن يسوع دعم قوله أنه الله عن طريق الأعمال المعجزية في معجزات الشفاء، وإظهار السيطرة المذهلة على الطبيعة. والتعاليم التي لا نظير لها، والفهم الإلهي الرائع للناس، وقيامته من الأموات، التي كانت

- **هل حقق يسوع صفات الله؟**

بينما التجسد- أن يصير الله إنسان- واللانهائي يصبح محدود ومتناهي، توسع من خيالنا، فالعالم اللاهوتي البارز دي. إي. كارسون أثبت أن هناك الكثير من الأدلة بأن يسوع أظهر السمات المميزة للألوهية. وبناء على رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي الإصحاح ٢، يعتقد كثير من اللاهوتيين أن يسوع بإرادته تخلى عن الإستخدام المستقل والمتفرد لتلك السمات المميزة بالألوهية، وهو يمارس رسالته لخلاص البشرية. ومع ذلك فإن العهد الجديد يؤكد بنوع خاص أن يسوع كان أمتلك كل مؤهلات الألوهية، بما فيها أنه كان كلي المعرفة، وكلي الوجود، وكلي القدرة، وأبدي، أزلي، وبلا يعتريه تغيير.

- **هل ضاهى يسوع- ويسوع وحده- هوية المسيا؟**

قبل أن يولد المسيح بمئات السنين، تنبأ الأنبياء بمجئ المسيا أو الواحد المكرس والمختار الذي سيخلص شعب الله. وفي الواقع أن العشرات من هذه النبوءات التي ذكرت في العهد القديم إبتدعت بصمة صفات لا يلائمها إلا المسيا الحقيقي. وهذا أعطى لإسرائيل طريقة يمكنهم أن يرفضوا الدجالين، ويصادقون على أوراق إعتماد المسيا الحقيقي. ومقابل الميزات ذات الأعداد الفلكية نجد فرصة واحدة في تريليون، تربليون، تربليون، تربليون، تربليون، تربليون، تربليون، نجد أن يسوع، ويسوع وحده، على مدى التاريخ، الذي ضاهي بصمات الصفات التي جاءت في النبوءات. وهذا يؤكد شخصية يسوع بدرجة مدهشة من اليقين.

- **هل كان موت يسوع إفتعال و قيامته خدعة؟**

بتحليل الحقائق الطبية والتاريخية، خلُص الدكتور الكسندر ميثيريل بأنه لم يكن ممكناً أن ينجو حياً بعد آلام الصلب الرهيبة، وبعد الجررح العميق الذي إخترقت رئتيه وقلبه. وفكرة أنه أغمى عليه، بطريقة ما، وهو على الصليب وتطاهر بأنه ميت ينقصها أي أساس من الأدلة. فقد كان الرومان الذين يقومون بتنفيذ الإعدام، كانوا أكفاء بشراسة لعلمهم أنهم سيواجهون الموت بأنفسهم لو

أن أي واحد من ضحاياهم نزل من على الصليب حياً. وحتى لو كان يسوع، بطريقة ما، ظل حياً خلال فترة التعذيب، فإن حالته المروعة لم يكن باستطاعتها أبداً أن تثير حركة عالمية مبنية على الإفتراض المنطقي بأنه إنتصر إنتصاراً مجيداً على القبر.

- **هل اختفى حقاً جسد يسوع من قبره؟**

قدّم وليم لين كريج أدلة مذهلة بأن الرمز الثابت للقيامة- أي القبر الفارغ ليسوع- كان حقيقة تاريخية. فالقبر الفارغ قد ذكر صراحة، أو ضمناً في مصادر قديمة للغاية، فإنجيل مرقس وبيان كورنثوس الأولى١٥، التي يرجع تاريخهما إلى وقت قريب من الأحداث لدرجة أنه ليس من الممكن أن تكون من إبتكار الأساطير. وحقيقة أن الأناجيل تذكر أن النسوة قد اكتشفن القبر الفارغ تدعم مصداقية القصة. فموقع قبر يسوع كان معروفاً للمسيحيين واليهود على السواء، ولذلك كان من الممكن أن يراجعه المتشككون. وفي الواقع أن لا أحد، ولا حتى السلطات الرومانية والزعماء اليهود، إدعوا في أي وقت من الأوقات أن القبر ما زال به جسد يسوع. وبدلاً من ذلك فقد إضطروا أن يخترعوا القصة السخيفة أن التلاميذ- بالرغم من عدم وجود الحافز أو الفرصة- قد سرقوا الجثة، وهي قصة لا يصدقها حتى أكثر النقاد تشككاً.

- **هل شوهد يسوع حياً بعد موته على الصليب؟**

إن أدلة ظهورات يسوع بعد قيامته لم تظهر تدريجياً على مر السنين، لأن الأساطير شوهت ذكريات حياته. وبالأحرى، وكما قال خبير القيامة جاري هابيرماس، إن القيامة كانت "البيان الرئيسي للكنيسة الأولى منذ بدايتها". والبيان القديم من كورنثوس الأولى١٥، يذكر أشخاص معينين قابلوا يسوع بعد قيامته، وبولس حتى تحدى المتشككين الذين ظهروا في القرن الأول أن يتحدثوا مع هؤلاء الأشخاص شخصياً ليقرروا صحة المسألة بأنفسهم. وسفر الأعمال تناثرت فيه تأكيدات قديمة جداً عن قيامة يسوع بينما تصف الأناجيل مقابلات عديدة بالتفصيل. وقد استنتج العالم اللاهوتي البريطاني مايكل جرين أن "ظهورات يسوع موثقة

تماماً كأي شئ في الأزمنة القديمة، فلا يمكن أن يوجد أي شك معقول أنها حدثت.

- **هل هناك أي حقائق مساندة تُشير إلى القيامة؟**

چيه. بي. موريلاند بما قدمه من الأدلة الظرفية أضاف توثيقاً نهائياً للقيامة.

أولاً، التلاميذ كانوا في موقف فريد يمكنهم أن يعرفوا إذا كانت القيامة قد حدثت، وقد لاقوا الموت بسبب إعلانهم بأنها حقيقية. فلا أحد بعلمه وبرغبته يموت في سبيل أكذوبة.

ثانياً، بخلاف القيامة ليس هناك سبب وجيه يجعل المتشككين مثل بولس ويعقوب يتحولون إلى المسيحية، ويرغبون في الموت في سبيل إيمانهم.

ثالثاً، خلال أسابيع بعد الصلب، بدأ آلاف من اليهود يتخلون عن تقاليد إجتماعية هامة كانت لها أهمية إجتماعية ودينية حاسمة عبر القرون. وكانوا يعتقدون أنهم يجازفوا بحلول اللعنة عليهم إن كانوا مخطئين.

رابعاً، أكدت الطقوس الدينية المبكرة للتناول والمعمودية على قيامة يسوع وألوهيته.

خامساً، الظهور الإعجازي للكنيسة في مواجهة الإضطهاد الروماني الوحشي "يحدث فجوة هائلة في التاريخ، حفرة بحجم وشكل القيامة" كما يقول سي. إف. دي. مول.

تحدي مولير الفاشل

إني أعترف: بأني هوجمت بكمية ونوعية الأدلة بأن يسوع هو إبن الله الفريد. فعندما جلست إلى مكتبي بعد ظهر يوم الأحد، هززت رأسي بذهول. لقد رأيت متهمين يساقون إلى غرفة الإعدام من أجل دليل أقل إقناعاً بكثير! فالحقائق المتراكمة أشارت بشكل واضح إلى استنتاج بأنني لم أكن مستريحاً تماماً إلى التوصل إليه.

وبصراحة، كنت أريد أن أصدق أن تأليه يسوع كان نتيجة تطور أسطوري. الذي كان فيه بعضٍ الناسٍ، حسني النية ولكن أسئ إرشادهم، حولوا ببطئ شخصاً حكيماً إلى إبن الله الأسطوري. وكان هذا يبدو آمناً ومؤكداً، ومهما يكن فإن واعظاً متجولاً في القرن الأول لم يستطع أن يطالبني ولكن بينما كنت أقوم بأبحاثي وأنا أظن أن هذا التفسير المبني على الأساطير كان واضحاً للغاية أصبحت مقتنعاً أنه لا أساس له إطلاقاً.

والذي حسم لي المسألة كانت الدراسة المشهورة من قبل إيه. إن. شروين هوايت، المؤرخ الكلاسيكي العظيم، من جامعة أكسفورد، والذي أشار إليه وليم كريج في مقابلتنا. أن شروين هوايت فحص بدقة السرعة التي تنشأ بها الأساطير في الأزمنة القديمة. وكان استنتاجه: حتى جيلان كاملان لم تكن كافية لظهور أسطورة تمحو جوهر حقيقة تاريخية ثابتة(١).

والآن، إدرس قضية يسوع. فمن الناحية التاريخية، خبر قبره الفارغ، وروايات شهود العيان عن ظهوراته بعد القيامة، والإعتقاد بأنه كان فعلاً إبن الله الفريد ظهرت فعلاً في التو واللحظة.

وبيان كورنثوس الأولى١٥، الذي يؤكد موت يسوع عن خطايانا ويذكر قائمة بظهوراته بعد القيامة لشهود ذكر أسماءهم، كان يُقرأ من قبل المسيحيين بروايته بمجرد مرور ٢٤ شهراً بعد الصلب. ووصف مرقس للقبر الخالي كان مستمداً من مصادر يرجع تاريخها إلى ما بعد الحدث نفسه بسنوات قليلة.

والأناجيل، التي أعلنت صحة تعاليم يسوع، ومعجزاته، وقيامته، كانت متداولة أثناء حياة معاصري يسوع، الذين كان يسعدهم أن يصححوا الحقائق التي سجلتها الأناجيل، لو وجدوا بها تزيين أو تزييف. حتى التراتيل المسيحية البدائية تؤكد طبيعة يسوع الإلهية.

وقد لخصها بلومبيرج بهذه الطريقة: "خلال أول سنتين بعد موته، كانت هناك أعداداً كبيرة من أتباع يسوع، يبدو أنهم كتبوا بياناً عن موت يسوع للتكفير عن ذنوبنا، وكانوا مقتنعين أنه قام

من الأموات جسدياً، وربطوا بين يسوع والله، وآمنوا أنهم وجدوا تأييداً لكل هذه المعتقدات في العهد القديم"(٢).

واستنتج وليم كريج "أن الفترة الزمنية اللازمة للظهور الواضح للأساطير المتعلقة بأحداث الأناجيل كان سينقلنا إلى القرن الثاني بعد الميلاد. وهو نفس الوقت فعلاً الذي دُونت فيه الأناجيل الأسطورية المشكوك في صحتها. وهذه هي الروايات الأسطورية التي يبحث عنها النقاد"(٣).

فلم يكن هناك ببساطة وقت كاف للأساطير لإفساد سجل يسوع التاريخي، خاصةً في وجود شهود العيان الذين كانوا ما زالوا يعرفونه معرفة شخصية. وعندما كان عالم اللاهوت الألماني جوليوس ميلير سنة ١٨٤٤ يقول أنه يتحدى أي شخص يجد مثالاً واحداً لأسطورة تنشأ بهذه السرعة في أي وقت في التاريخ، وكانت الإجابة من علماء عصره، وحتى يومنا هذا، السكوت التام(٤).

في يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٨١، أدركت بأن الإعتراض الأكبر على يسوع قد أسكت أيضاً بأدلة التاريخ. ووجدت نفسي أضحك على كيف إنقلبت الموائد.

في ضوء الحقائق المقنعة التي عرفتها أثناء بحثي، في مواجهة هذا السيل الكاسح من الأدلة في قضية المسيح، كانت سخرية الأقدار هي أنني سأحتاج لمزيد من الإيمان لأحافظ على إلحادي أكثر مما أحتاجه لأؤمن بيسوع الناصري!.

المعاني التي تتضمنها الأدلة

تذكر قصة چيمس دكسون المذكورة في مقدمة هذا الكتاب؟ كانت الأدلة تشير بقوة إلى تجريمه بقتل رقيب شرطة شيكاغو. حتى أنه هو نفسه قد إعترف بجريمته!.

ولكن عندما أجرى تحقيق أدق، حدث تحول فجأة: فالسيناريو الذي يناسب الحقائق تماماً هو أن الرقيب الشرطي لفق التهمة لديكسون الذي كان بريئاً من جريمة إطلاق النار. وأطلق سراح

ديكسون، وكان الضابط هو الذي أدين. وفي ختام بحثنا في قضية يسوع، نستحق أن نعيد الرجوع إلى الدرسين العظيمين من هذه القصة.

- **أولاً، هل كان جمع الأدلة دقيقاً فعلاً؟**

نعم كان دقيقاً، ولقد إخترت خبراء أستطاعوا أن يذكروا موقفهم ويدافعون عنه بالأدلة التاريخية التي أمكنني أن أختبرها عن طريق الإستجواب. ولم أكن مجرد مهتماً بآرائهم، بل كنت أريد الحقائق فكنت أتحداهم بالنظريات الحالية للملحدين، والأساتذة المتحررين. ولما كنت أعرف خلفيتهم وثبوت تميزهم، وخبرتهم، وشخصيتهم، فإن هؤلاء الأساتذة كانوا أكثر من مؤهلين أن يقدموا حقائق تاريخية يعتمد عليها عن يسوع.

- **ثانياً، ما هو أحسن تفسير يتناسب مع مُجمل الأدلة؟**

في يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٨١ كان رأيي المتعلق بالأساطير، الذي كنت متمسكاً به سنوات كثيرة قد تفكك تماماً. والأكثر من ذلك كان تشككي كصحفي بخصوص الأشياء الخارقة للطبيعة قد تلاشى في ضوء الأدلة التاريخية المذهلة أن قيامة يسوع كان حدثاً تاريخياً حقيقياً. وفي الواقع لم يستطيع عقلي أن يفكر في تفسير واحد يناسب الأدلة التاريخية بنفس الدرجة مثل الإستنتاج بأن يسوع كان فعلاً ما قاله عن نفسه، إبن الله الفريد الوحيد.

والإلحاد الذي كنت قد اعتنقته طول هذه المدة إنهار تحت وطأة الحقائق التاريخية. لقد كانت نتيجة أساسية مذهلة، وبالتأكيد ليست النتيجة التي كنت أتوقعها في هذه العملية البحثية. ولكنها كانت بحسب رأيي، قرار فرضته الحقائق.

وكلها قادتني إلى: إذن ماذا؟ إذا كان هذا صحيح، فما هو الفرق الذي سينتج عنه؟ كانت هناك عدة أشياء واضحة يتضمنها.

- إذا كان يسوع هو إبن الله، فإن تعاليمه أكثر من مجرد أفكار من معلم حكيم، بل إنها بصيرة إلهية أستطيع أن أبني حياتي عليها.

- إذا كان يسوع يضع معيار الأخلاقيات، فبإمكاني الآن أن يكون لديَّ أساس ثابت لقراراتي واختياراتي، بدلاً من أن أبنيها على الرمال المتحركة دائماً على النفعية والأنانية.

- إذا كان يسوع قام فعلاً من الأموات، فإنه ما زال حياً اليوم ومن الممكن أن أقابله شخصياً.

- إذا كان يسوع قد إنتصر على الموت فيمكنه أن يفتح الباب أمامي لحياة الخلود، أيضاً.

- إذا كان يسوع له قوة إلهية فإن له قدرة خارقة على الطبيعة لكي يرشدني ويساعدني ويغيرني عندما أتبعه.

- إذا كان يسوع يعرف شخصياً آلام الضياع والمعاناة فيمكنه أن يريحني، ويعزيني، ويشجعني في وسط الإضطراب الذي حذرنا بنفسه أنه لا يمكن تجنبه في عالم أفسدته الخطايا.

- إذا كان يسوع يحبني كما يقول، فإنه يعرف الأفضل لإهتماماتي ولمصالحي ويحفظها عن ظهر قلب. وهذا يعني أنني لن أخسر شيئاً بل أكسب كل شئ بتسليم ذاتي له ولأهدافه.

- إذا كان يسوع هو ما يدعي أن يكون (وتذكر أنه لا يوجد أي زعيم لأي ديانة أخرى من الديانات الكبرى تظاهر بأنه إله) وبما أنه خالقي فإنه يستحق ولائي وإخلاصي وطاعتي وعبادتي بحق.

أتذكر أني كتبت هذه المعاني المتضمنة على ورقتي (من الأوراق التي يستعملها المحامون) ثم رجعت إلى الخلف مستنداًعلى الكرسي. لقد وصلت إلى نهاية رحلتي التي إستغرقت عامين. وأخيراً حان الوقت لأتعامل مع أكثر سؤال يلح عليَّ وهو "والآن ماذا؟"

معادلة الإيمان

بعد أبحاث شخصية إستغرقت أكثر من ستمائة يوم وساعات لاتعد ولاتحصي، فإن حكمي الشخصي في قضية... المسيح كان واضحاً. ومع ذلك، وأنا جالس على الكرسي أمام مكتبي أدركت أني محتاج إلى ما هو أكثر من قرار عقلاني. فكنت أريد أن أتخذ الخطوة المبنية على التجربة والتي وصفها جي. بي. مورويلاند في المقابلة الأخيرة.

فلما بحثت عن طريقة لتنفيذ هذه الفكرة سحبت إنجيلاً وفتحته على إنجيل يوحنا ١: ١٢، وهي آية قابلتها أثناء أبحاثي "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ".

الأفعال الرئيسية في هذه الآية توضح بدقة حسابية ما يتطلبه تجاوز مجرد الموافقة العقلية على ألوهية يسوع والدخول معه في علاقة دائمة بأن أصبح من أفراد أسرة الله بالتبني: آمن + إقبل = تُصبح.

١. آمن

كشخص متعلم في الصحافة والقانون، دُربت على أن أستجيب للحقائق، حيثما تقودني. وعندي، أن المعلومات أظهرت بوضوح وبطريقة مقنعة أن يسوع هو إبن الله الذي مات بدلاً عني لكي يتلقى العقوبة التي كنت أستحقها للسيئات التي إرتكبتها.

وكانت هناك كثير من السيئات. وسأوفر على نفسي الحيرة والإرتباك الذي ينتج عن الدخول في التفاصيل، ولكن الحقيقة هي أنني كنت أعيش أسلوب حياة دنسة ومخمورة ومنهكة في الشئون الذاتية ولا أخلاقية. وفي مهنتي خنت زملائي وطعنتهم من الخلف لأكسب ميزة شخصية وانتهكت، بشكل متكرر، المعايير القانونية والأخلاقية للبحث عن قصص. وفي حياتي الشخصية كنت أضحي بزوجتي وأبنائي على مذبح النجاح. وقد كنت كذاباً

وغشاشاً ومخادعاً.

لقد إنكمش قلبي وتضاءل حتى أصبح جامداً كالصخر نحو أي شخص آخر. وكان حافزي الأساسي هو المتعة الشخصية. ومن دواعي السخرية، أنني كلما بحثت عنها بنهم، كلما أصبحت مراوغة ومدمرة للذات.

وعندما قرأت في الإنجيل أن هذه الخطايا أبعدتني عن الله، الذي هو قدوس ونقي وطاهر، وهذا رن في أذني أنه حقيقي. وبالتأكيد أن الله الذي أنكرت وجوده على مر السنين كان يبدو بعيداً عني للغاية، وأصبح واضحاً عندي أنني محتاج لصليب يسوع ليسد هذه الفجوة. وقد قال بطرس الرسول في رسالته الأولى٣: ١٨ "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ، ".

بكل هذا أؤمن به الآن. فأدلة التاريخ وتجربتي الشخصية أقوى من أن أتجاهلها.

٢. إقبل

كل نظام إيمان آخر درسته أثناء بحثي كان مبنياً على خطة "إفعل". وبعبارة أخرى، كان من الضروري للناس أن يفعلوا شيئاً، فمثلاً يستخدموا عجلة الصلاة التي تستعمل في بلاد التبت، ويدفعون الصدقات، ويذهبون للحج، ويمرون بالتناسخ، ويتخلصون من كارما من الآثام السابقة، ويصلحون شخصياتهم لكي يحاولوا الرجوع إلى الله بطريقة ما. وبالرغم من أحسن جهودهم، فإن كثيراً من الناس المخلصين لا يريدون أن يفعلوا ذلك.

أما المسيحية فهي من نوع فريد. فهي مبنية على خطة "ماتم عمله" فإن يسوع قد فعل لنا على الصليب ما لا نستطيع أن نفعله لأنفسنا. فقد دفع وتحمل عنا عقوبة الموت التي نستحقها بسبب تمردنا وسيئاتنا، وهكذا يمكننا أن نتصالح مع الله.

لم أكن مضطراً أن أكافح وأناضل لكي أحاولِ أن أفعلِ المستحيل لكي أجعل نفسي شريفاً. فالإنجيل يقول مراراً وتكراراً أن يسوع يمنحنا الغفران والحياة الأبدية كهبة مجانية التي لا يمكن إكتسابها (انظر، رومية ٦: ٢٣؛ أفسس٢: ٨- ٩؛ وتيطس ٣: ٥) وهي تسمى النعمة- النعمة الفائقة، وهي ميزة لا أستحقها وهي متاحة لأي شخص يقبلها في صلاة التوبة بإخلاص، حتى لو كان شخصاً مثلي.

نعم، كان لا بد أن أتخذ خطوة الإيمان، كما نفعل في أي قرار نتخذه في حياتنا. ولكن هنا الفرق الحاسم: لم أعد أحاول أن أسبح ضد التيار القوي- تيار الأدلة- وبدلاً من ذلك إخترت أن أسيرِ في نفسِ الإتجاه الذي تتدفقِ فيه سيل الحقائق. كان هذا معقولاً وعقلانياً، وكان هذا منطقياً. والأكثر من ذلك، بطريقة داخلية وغير قابلة للتوضيح، لقد كان ايضا ماأحسست به أن روح الله يدفعني ويحثني لأفعل.

لذا في يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٨١، تحدثت مع الله في صلاة قلبية صادقة وغير مكتوبة معترفاً ومتحولاً عن فعل الشر، ومتقبلاً هبة الغفران والحياة الأبدية من خلال يسوع. فقلت له أنني بمساعدته أريد أن أتبعه وأتبع طرقه من الآن فصاعداً.

لم تكن هناك صواعق البرق ولا إجابات مسموعة ولاإحساس بالوخز. وإني أعرف أن بعض الناس يشعرون بتدفق العطفة في مثل هذه اللحظة، أما أنا فكان هناك شئ آخر منعش ينفس القدر، كان هناك تدفق العقل والصواب.

٣. أصبح

بعد إتخذت تلك الخطوة، علمت من يوحنا١: ١٢ أني قد عبرت البداية إلى تجربة جديدة. فقد أصبحت شيئاً مختلفاً: إبناً لله، وقد تبناني في أسرته إلى الأبد من خلال يسوع التاريخي الذي قام من الأموات. وقد قال بولس الرسول في كورنثوس الثانية ٥: ١٧ "إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ

مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً".

وكما هو متوقع، بمرور الزمن عندما حاولت أن أتبع تعاليم يسوع وأفتح نفسي لقوته المُغيرة، فإنٍ أولوياتي، وقيمي، وشخصيتي كانت (وستظل) تتغير تدريجياً. وعلى نحو متزايد أحتاج إلى دوافع يسوع ووجهات نظره أن تصبح فيَّ. ولكي أوضح ما قاله مارتن لوثر كنج الأبن. قد لا أكون بعد الرجل الذي يجب أن أكونه أو الرجل الذي سأكونه يوماً ما بمساعدة المسيح، ولكن بحمد الله أنني لست الرجل الذي إعتدت أن أكونه!.

لربما كان ذلك يبدو باطنياً [صوفي] إليك؛ أنا لا أعرف. ومن مدة ليست بعيدة كانت كذلك بالنسبة إليَّ. ولكنها الآن حقيقية تماماً وللذين من حولي. وفي الحقيقة، أن الفرق كان جوهرياً في حياتي لدرجة أنه بعد شهور قليلة بعد أن أصبحت من أتباع يسوع صعدت إبنتي ذات الخمس سنوات إلى زوجتي وقالت لها "أمي، أريد من الله أن يفعل من أجلي مثل ما فعله مع أبي".

فها هي فتاة صغيرة كانت فقط تعرف أباً كان دنساً غاضباً خشن الألفاظ، وغائباً في أغلب الأحيان. ومع أنها لم تقابل أي عالم أبداً، ولم تحلل الحقائق أبداً، ولم تبحث أبداً في الأدلة التاريخية، إلا أنها شاهدت عن قرب التأثير الذي يستطيع يسوع أن يُحدثه في حياة شخص واحد. وفي الحقيقة كأنها كانت تقول "إذا كان هذا هو ما يفعله الله في الإنسان، فهذا ما أريده لنفسي".

وعندما أنظر إلى الوراء، حوالي عشرين عاماً، أستطيع أن أرى بوضوح أن اليوم الذي إتخذت فيه القرار في القضية... المسيح لم يكن سوى حدثاً بالغ الأهمية في حياتي.

تَوَصَّل إلى قرارك

والآن جاء دورك. منذ البداية شجعتك أن تدرس الأدلة التي في هذا الكتاب كمحلفين عادل ونزيه قدر المستطاع، وتتوصل إلى إستنتاجاتك بناء على وزن الأدلة. وفي النهاية فالقرار لك، أنت وحدك، لا أحد غيرك سيعطيك صوته.

ربما بعد قراءة خبير بعد خبير، والإستماع إلى جدال بعد جدال، ورؤية إجابة سؤال بعد سؤال، واختبار الأدلة بمنطقك وحسن فهمك للأمور، ستكون قد وجدت، مثلي أن القضية... المسيح حاسمة.

وكلمة يؤمنون في إنجيل يوحنا١: ١٢، وضعت في المكان المناسب، وكل ما تبقى هو أن تقبل نعمة يسوع، وعندئذ ستصبح إبنه أو إبنته، منهمكاً في مغامرة روحية يمكن أن تزدهر باقي أيام حياتك وإلى الأبد. وبالنسبة لك فإن موعد الخطوة المبنية على التجربة، قد حان ولا أستطيع أن أشجعك بقوة أكثر من ذلك على إتخاذ تلك الخطوة الحاسمة.

من ناحية أخرى، لربما كانت هناك أسئلة ما زالت تشغلني. وريما أني لم أواجه الإعتراض الأهم الذي يدور في عقلي. هذا عدل كافي. فلا يوجد كتاب واحد يستطيع أن يبحث في كل فرق دقيق جدا. ومع ذلك فإني واثق أن كمية المعلومات التي وردت في هذه الصفحات ستكون على الأقل قد أقنعتك أنها معقولة- وفي الواقع أساسية- للإستمرار في بحثك.

حدد بدقة أين تظن أن الأدلة تحتاج إلى تدعيم، ثم إبحث عن إجابات إضافية من خبراء محترمين جداً، وإذا إعتقدت أنك توصلت إلى سيناريو يعلل إلى الحقائق بطريقة أفضل. فكن مستعداً أن تخضعها إلى فحص دقيق عقل حازم.

إستخدم المراجع المقترحة في هذا الكتاب لكي تتعمق أكثر. إدرس الإنجيل بنفسك (عندي إقتراح واحد "الرحلة": طبعة خاصة من الإنجيل مخصصة للناس الذين لم يؤمنوا بعد حتى الآن أنه كلام الله) (٥)

صمم بأنك ستتوصل إلى قرار عندما تجمع كمية كافية من المعلومات، وإدرك بأنك لن تتوصل أبداً إلى قرار كامل لكل مسألة واحدة. وربما حتى تحتاج أن تهمس بصلاة إلى الله الذي لست أنت متأكداً من أنه موجود، وتسأله أن يرشدك إلى حقيقته. وعن طريق هذا كله سيكون لديك تشجيعي المخلص عندما تستمر

في مسعاك الروحي.

وفي نفس الوقت، أشعر فعلاً بالتزام قوي لأحثك أن تجعل لهذه المسألة الأولوية في حياتك. فلا تدرسها مصادفة أو بلا إحترام لأن هناك أشياء كثيرة تتوقف على إستنتاجك. وكما عبر عنها مايكل ميرفي بطريقة ملائمة فقال "نحن أنفسنا، وليس مجرد إدعاء الصدق، موضع الرهان في هذا البحث"(٥) وبعبارة أخرى، إذا كان استنتاجي في قضية يسوع صحيحاً، فإن مستقبلك وأبديتك تتوقف على كيف ستكون استجابتك للمسيح. وكما أعلن يسوع "فَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ" (يوحنا ٨: ٢٤).

هذه كلمات جادة، صدرت عن قلق صادق ومحب. وإني أقولها لأؤكد أهمية هذه المسألة وعلى أمل أن يحثك أن تفحص قضية يسوع بدقة ونشاط..

ومع ذلك، ففي النهاية، تذكر بأن بعض الإختيارات غير قابلة للتطبيق. فالأدلة المتراكمة قد قضت عليها من قبل. هذا ما لاحظه سي. إس. لويس، الأستاذ اللامع المتألق من جامعة كامبردج، والذي كان في الماضي متشككاً، الذي أخيراً كسبناه بواسطة الأدلة التي تؤكد ألوهية يسوع.

> أحاول هنا أن أمنع أي شخص من أن يقول الكلام الغبي فعلاً الذي كثيراً ما يقوله الناس عنه: "إني مستعد أن أقبل يسوع كمعلم أخلاق عظيم، ولكني لا أقبل إدعائه بأنه الله". هذا هو الشيء الذي يجب ألا نقوله. فالرجل الذي كان مجرد رجل وقال نوع الكلام الذي قاله يسوع لن يكون معلم أخلاق عظيم. فإما أن يكون مجنوناً... أو ربما يكون شيطان من جهنم. فلابد أن تختار: إما أن هذا الرجل كان وما زال إبن الله أو رجل مجنون أو شئ أسوأ.
>
> يمكنك أن تعتبره مغفل، ويمكنك أن تبصق عليه، وتقتله كشيطان؛ أو تستطيع أن تركع عند قدميه وتدعوه الرب والله. ولكن لا تدعنا نتوصل إلى كلام فارغ يدل على

التنازل بقولنا أنه معلم إنساني عظيم. فلم يترك لنا هذا الأمر مفتوحاً للإختيار. ولم يقصد أن يفعل ذلك.[٧]



قائمة الاقتباسات

Archer-Gleason L. Archer, *The Encyclopedia of Bible Difficulties* (Grand Rapids: Zondervan, 1982).

Anderson-J. N. D. Anderson, *The Evidence for the Resurrection* (Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1966).

Ankerberg-John Ankerberg and John Weldon, *The Facts on the Mormon* Church (Eugene, Ore.: Harvest House, 1991).

Ankerberg-John Ankerberg and John Weldon, *Knowing the Truth about the Resurrection* (Eugene, Ore.: Harvest House, 1996).

Ankerberg-John Ankerberg and John Weldon, *Ready with an Answer* (Eugene, Ore.: Harvest House, 1997).

Armstrong-Karen Armstrong, *A History of God* (New York: Ballan-tine/Epiphany, 1993).

Baigent-Michael Baigent, Richard Leigh, and Henry Lincoln, *Holy Blood, Holy Grail* (New York: Delacorte, 1982).

Barnett-Paul Barnett, *Is the New Testament History?* (Ann Arbor, Mich.: Vine, 1986).

Barnett-Paul Barnett, *Jesus and the Logic of History* (Grand Rapids: Eerdmans, 1997).

Black-Henry Campbell Black, Black's *Law Dictionary*, 5th ed. (St. Paul, Minn.: West, 1979).

Blomberg-Craig Blomberg, *The Historical Reliability*

of the Gospels (Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1987).

Boyd, Gregory A. *Cynic Sage or Son of God? Recovering the Real Jesus in an Age of Revisionist Replies*. Wheaton, 111.: BridgePoint, 1995.

Boyd-Gregory A. Boyd, *Jesus under Siege* (Wheaton, 111.: Victor, 1995).

Boyd-Robert Boyd, *Tells, Tombs, and Treasure* (Grand Rapids: Baker, 1969).

Braaten-Carl Braaten, *History and Hermeneutics*, vol. 2 of *New Directions in Theology Today*, ed. William Hordern (Philadelphia: Westminster Press, 1966).

British Medical Journal-»A Case of Congenital Ichthyosiform Ery-throdermia of Brocq Treated by Hypnosis,» British Medical Journal 2 (1952).

Brown-R. E. Brown, «Did Jesus Know He Was God?» Biblical Theology Bulletin 15 (1985).

Bruce-F. F. Bruce, The New Testament Documents: Are They Reliable? (Grand Rapids: Eerdmans, 1960).

Bruce-F. F. Bruce, The Books and the Parchments (Old Tappan, N.J.: Revell, 1963).

Bruce-F. F. Bruce, Jesus and Christian Origins outside the New Testament (Grand Rapids: Eerdmans, 1974).

Bruce-F. F. Bruce, The Canon of Scripture (Downers Grove, 111.: Inter-Varsity Press, 1988).

Chicago Tribune-«Bomb Victim's Body Not in Grave,» Chicago Tribune (January 14, 1998).

Clifford-Ross Clifford, The Case for the Empty Tomb (Claremont, Calif.: Albatross, 1991).

Collins, Gary R. Can You Trust Psychology? Downers Grove, 111.: Inter-Varsity Press, 1988.

Collins, Gary R. Christian Counseling: A Comprehensive Guide. Dallas: Word, 1988.

Collins, Gary R. The Soul Search. Nashville: Nelson, 1998.

Craig-William Lane Craig, Knowing the Truth about the Resurrection (Ann Arbor, Mich.: Servant, 1988).

Craig-William Lane Craig, Reasonable Faith (Westchester, 111.: Crossway, 1994).

Craig-William Lane Craig, The Son Rises: Historical Evidence for the Resurrection of Jesus (Chicago: Moody Press, 1981).

Craig, William Lane, and Frank Zindler. Atheism vs. Christianity: Where Does the Evidence Point? Grand Rapids: Zondervan, 1993. Videocassette.

Crossan-John Dominic Crossan, The Historical Jesus (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1991).

Donato-Maria Donate, «That Guilty Look,» Chicago Tribune (April 1, 1994).

Drane-John Drane, Introducing the New Testament (San Francisco: Harper & Row, 1986).

Dunn-James D. G. Dunn, Jesus and the Spirit (London: SCM Press, 1975).

Dunn-James Dunn, The Living Word (Philadelphia: Fortress, 1988).

Edwards-William D. Edwards et al., «On the Physical Death of Jesus Christ,» Journal of the American Medical Association (March 21, 1986), 1455-63.

Evans-Colin Evans, The Casebook of Forensic Detection (New York: John Wiley & Sons, 1996).

Finegan-Jack Finegan, The Archaeology of the New Testament (Princeton: Princeton Univ. Press, 1992).

Foreman, Dale. Crucify Him. Grand Rapids: Zondervan, 1990.

France-R. T. France, The Evidence for Jesus (Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1986).

Fruchtenbaum, Arnold. Jesus Was a Jew. Tustin, Calif.: Ariel Ministries, 1981.

Frydland, Rachmiel. What the Rabbis Know about the Messiah. Cincinnati: Messianic, 1993.

Geisler-Norman Geisler and Thomas Howe, When Critics Ask (Wheaton, 111.: Victor, 1992).

Geisler-Norman L. Geisler and William E. Nix, A General Introduction to the Bible (1968; reprint, Chicago: Moody Press, 1980).

Geivett-R. Douglas Geivett and Gary R. Habermas, eds., In Defense of Miracles (Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1997).

Grant-Michael Grant, Jesus: An Historians Review of the Gospels (New York: Charles Schribner's Sons, 1977).

Green-Michael Green, Christ Is Risen: So What? (Kent, England: Sovereign World, 1995).

Green-Michael Green, The Empty Cross of Jesus (Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1984).

Greenleaf-Simon Greenleaf, The Testimony of the Evangelists (Grand Rapids: Baker, 1984).

Gregory-Leland H. Gregory III, «Top Ten Government Bloopers,» George (November 1997).

Gruenler-Royce Gordon Gruenler, New Approaches to Jesus and the Gospels (Grand Rapids: Baker, 1982).

Habermas-Gary Habermas, The Historical Jesus (Joplin, Mo.: College Press, 1996).

Habermas-Gary Habermas, The Verdict of History (Nashville: Nelson, 1988).

Habermas-Gary Habermas and Antony Flew, Did Jesus Rise from the Dead? The Resurrection Debate (San Francisco: Harper & Row, 1987), xiv.

Habermas, Gary, and J. P. Moreland. Beyond Death: Exploring the Evidence for Immortality. Westchester, 111.: Crossway, 1998.

Habermas-Gary Habermas and J. P. Moreland, Immortality: The Other Side of Death (Nashville: Nelson, 1992).

Harris, Murray J. Jesus As God. Grand Rapids: Baker, 1993.

Harris, Murray J. Three Crucial Questions about Jesus. Grand Rapids: Baker, 1994.

Hengel, M. Crucifixion in the Ancient World. Philadelphia: Fortress, 1977.

Ignatius-Ignatius, Trallians 9.

McRay-John McRay, Archaeology and the New Testament (Grand Rapids: Baker, 1991).

Metzger-Bruce M. Metzger, The Canon of the New Testament (Oxford: Clarendon Press, 1988).

Metzger-Bruce M. Metzger, The Text of the New Testament (Oxford: Oxford Univ. Press, 1992).

Miller-Kevin D. Miller, «The War of the Scrolls,» Christianity Today (October 6, 1997).

Montgomery-John Warwick Montgomery, ed., Christianity for the Tough-Minded (Minneapolis: Bethany House, 1973).

Moreland, J. P. Scaling the Secular City. Grand Rapids: Baker, 1987.

Morison, Frank. Who Moved the Stone? Grand Rapids: Zondervan, 1987.

Moule-C. F. D. Moule, The Phenomenon of the New Testament (London: SCM Press, 1967).

Miiller-Julius Mtiller, The Theory of Myths, in Its Application to the Gospel History, Examined and Confuted (London: John Chapman, 1844).

Neill-Stephen Neill, The Interpretation of the New Testament 1861 - 1961 (London: O.U.P., 1964).

O>Collins-Gerald O>Collins, The Easter Jesus (London: Barton, Longman & Todd, 1973).

Patzia-Arthur G. Patzia, The Making of the New Testament (Downers Grove, III: InterVarsity Press, 1995).

Peck-M. Scott Peck, People of the Lie (New York: Touchstone, 1997).

Pelikan-Jaroslav Pelikan, The Christian Tradition: A History of the Development of Doctrine, vol. 1, The Emergence of the Catholic Tradition (100-600) (Chicago: Univ. of Chicago Press, 1971).

Phlegon-Phlegon, Olympiades he Chronika 13, ed. Otto Keller, Rerum Naturalium Scriptores Graeci Minores, I (Leipzig: Teurber, 1877).

Possley-Maurice Possley, «Mob Hit Man Aleman Gets One Hundred to Three Hundred Years,» Chicago Tribune (November 26, 1997).

Proctor, William. The Resurrection Report. Nashville: Broadman & Hoi-man, 1998.

Rosen-Marjorie Rosen, «Getting Inside the Mind of a Serial Killer,» Biography (October 1997).

Rosen, Moishe. Y'shua, the Jewish Way to Say Jesus. Chicago: Moody Press, 1982.

Rosen-Ruth Rosen, ed., Jewish Doctors Meet the Great Physician (San Francisco: Purple Pomegranate, 1997).

Schaff-Philip Schaff, The Person of Christ (New York: American Tract Society, 1918).

Schonfield-Hugh Schonfield, The Passover Plot (New York: Bantam,

1965). Sherwin-White-A. N. Sherwin-White, Roman Society and Roman

Law in the New Testament (Oxford: Clarendon Press, 1963). Smith-Morton Smith, «Biblical Arguments for Slavery,» Free Inquiry

(Spring 1987), 30.

Sowell-Thomas Sowell, Race and Culture (New York: Basic, 1995). Stoner-Peter W. Stoner, Science Speaks (Chicago: Moody Press, 1969). Stott, John. Basic Christianity. Grand Rapids: Eerdmans, 1986. Strobel-Lee Strobel, «His <I Shot Him> Stuns Courtroom,» Chicago

Tribune (June 20, 1975). Strobel-Lee Strobel, «Pal>s Confession Fails; Defendant Ruled

Guilty,» Chicago Tribune (June 21, 1975). Strobel-Lee Strobel, «Jury in Makeshift Courtroom Hears Dying Boy

Tell of Attack,» Chicago Tribune (February 24, 1976). Strobel-Lee Strobel, «>Textbook> Thumbprint Aids Conviction in

Coed>s Killing,» Chicago Tribune (June 29, 1976). Strobel-Lee Strobel, «Four Years in Jail-and Innocent,» Chicago

Tribune (August 22, 1976). Strobel-Lee Strobel, «Youth>s Testimony Convicts Killers, but Death

Stays Near,» Chicago Tribune (October 25, 1976). Strobel-Lee Strobel, «Did Justice Close Her Eyes?»

Chicago Tribune

(August 21, 1977). Strobel-Lee Patrick Strobel, Reckless Homicide: Ford>s Pinto Trial

(South Bend, Ind.: And Books, 1980). Strobel-Lee Strobel, God's Outrageous Claims (Grand Rapids: Zon-

dervan, 1997).

Telchin-Stan Telchin, Betrayed! (Grand Rapids: Chosen, 1982). Templeton-Charles Templeton, Act of God (New York: Bantam, 1979). Templeton-Charles Templeton, Farewell to God (Toronto: McClelland

& Stewart, 1996). Thompson, J. A. The Bible and Archaeology. Grand Rapids: Eerdmans,

1975. Warfield-Benjamin B. Warfield, Introduction to Textual Criticism of

the New Testament (London: Hodder & Stoughton, 1907). Webster's-Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language (New York: Gramercy, 1989). Wilcox-M. Wilcox, «Jesus in the Light of His Jewish Environment,»

Aufstieg und Niedergang der romischen Welt 2, no. 25.1 (1982). Wilkins-Michael J. Wilkins and J. P. Moreland, eds., Jesus under Fire

(Grand Rapids: Zondervan, 1995).

Wilson-lan Wilson, Jesus: The Evidence (1984; reprint, San Francisco: HarperSanFrancisco, 1988).

Witherington-Ben Witherington III, The Christology of Jesus (Minneapolis: Fortress, 1990).

Yamauchi-Edwin Yamauchi, «Josephus and the Scriptures,» Fides et Historia 13 (1980).

Yamauchi, Edwin. The Stones and the Scriptures. New York: J. B. Lip-pencott, 1972.

Zindler-Frank Zindler, «Where Jesus Never Walked,» American Atheist (Winter 1996-1997).

Zodhiates, Spiros. Was Christ God? Grand Rapids: Eerdmans, 1966.

Zondervan-The Journey (Grand Rapids: Zondervan, 1996).



مقدمة: إعادة فتح تحقيق العمر

1. Lee Strobel, «Four Years in Jail—and Innocent,» Chicago Tribune (August 22, 1976) and «Did Justice Close Her Eyes?» Chicago Tribune (August 21, 1977).

١. أدلة شهود العيان

1. Lee Strobel, «Youth's Testimony Convicts Killers, but Death Stays Near,» Chicago Tribune (October 25, 1976).

2. Irenaeus, *Adversus haereses* 3.3.4.

3. Arthur G. Patzia, *The Making of the New Testament* (Downers Grove, III: InterVarsity Press, 1995), 164.

4. Ibid., 49.

5. Karen Armstrong, *A History of God* (New York: Ballantine/Epiphany, 1993), 82.

6. William Lane Craig, *The Son Rises: Historical Evidence for the Resurrection of Jesus* (Chicago: Moody Press, 1981), 140.

7. Armstrong, *A History of God*, 79.

8. 1 Corinthians 15:3—7.

٢. فحص أدلة شهود العيان

1. Lee Strobel, «*Jury in Makeshift Courtroom Hears Dying Boy Tell of Attack*,» Chicago Tribune (February 24, 1976).

2. Luke 1:1-4.

3. Simon Greenleaf, *The Testimony of the Evangelists* (Grand Rapids: Baker, 1984), vii.

4. Cited in Craig Blomberg, «*Where Do We Start Studying Jesus?*» in Michael J. Wilkins and J. P. Moreland, eds., *Jesus under Fire* (Grand Rapids: Zondervan, 1995), 34.

5. See Gleason L. Archer, The Encyclopedia of Bible Difficulties (Grand Rapids: Zondervan, 1982) and Norman Geisler and Thomas Howe, When Crit¬ics Ask (Wheaton, 111.: Victor, 1992).

٣. الأدلة الوثائقية

1. See Lee Patrick Strobel, Reckless Homicide: Ford's Pinto Trial (South Bend, Ind.: And Books, 1980), 75-92 and Lee Strobel, God's Outrageous Claims (Grand Rapids: Zondervan, 1997), 43-58. Ford was ultimately acquitted of criminal charges after the judge withheld key documents from the jury, though the automaker was successfully sued in civil cases. Allegations about the Pinto were first reported in Mother Jones magazine.

2. F. F. Bruce, *The Books and the Parchments* (Old Tappan, N.J.: Revell, 1963), 178, cited in Josh McDowell, Evidence That Demands a Verdict (1972; reprint, San Bernardino, Calif.: Here>s Life, 1986), 42.

3. Frederic Kenyon, Handbook to the Textual Criticism of the New Testa¬ment (New York: Macmillan, 1912), 5, cited in Ross Clifford, The Case for the Empty Tomb (Claremont, Calif.: Albatross, 1991), 33.

4. Frederic Kenyon, *The Bible and Archaeology* (New York: Harper, 1940), 288.

5. Norman L. Geisler and William E. Nix, *A General*

Introduction to the Bible (1968; reprint, Chicago: Moody Press, 1980), 361.

6. Ibid., 367, emphasis added.

7. Patzia, *The Making of the New Testament*, 158.

8. Benjamin B. Warfield, *Introduction to Textual Criticism of the New Testament* (London: Hodder & Stoughton, 1907), 12—13.

9. Geisler and Nix, *A General Introduction to the Bible*, 195. They note that some include Philemon, 1 Peter, and 1 John among the disputed books, but «it is probably better to refer to these as omitted rather than disputed books.»

10. Ibid., 207.

11. Ibid., 199. This does not include the Apocrypha, which were accepted by particular churches for a particular period of time and today are considered valuable though not canonical. Examples: Shepherd of Hernias, Epistle to the Corinthians, Epistle of Pseudo-Barnabas, Didache, Apocalypse of Peter, The Acts of Paul and Thecla, and Ancient Homily or the Second Epistle of Clement.

12. Ibid.

٤. الأدلة المؤيدة

1. Webster's *Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language* (New York: Gramercy, 1989), 328.

2. Maurice Possley, «*Mob Hit Man Aleman Gets One Hundred to Three Hundred Years*,» Chicago Tribune (November 26, 1997).

3. Charles Templeton, *Act of God* (New York: Bantam, 1979), 152.

4. Josephus, *The Antiquities* 20.200. See also Edwin

Yamauchi, «*Josephus and the Scriptures*,» Fides et Historia 13 (1980), 42-63.

5. Josephus, *The Antiquities* 18.63-64.

6. Michael Martin, *The Case against Christianity* (Philadelphia: Temple Univ. Press, 1991), 49.

7. Tacitus, *Annals* 15.44.

8. Pliny the Younger, Letters 10.96.

9. Gary Habermas, *The Historical Jesus* (Joplin, Mo.: College Press, 1996), 196-97.

10. Paul L. Maier, Pontius Pilate (Wheaton, 111.: Tyndale House, 1968), 366, citing a fragment from Phlegon, Olympiades he Chronika 13, ed. Otto Keller, Rerum Naturalium Scriptores Graeci Minores, 1 (Leipzig: Teurber, 1877), 101. Translation by Maier.

11. See P. Maier, «*Sejanus, Pilate, and the Date of the Crucifixion*,» Church History 37 (1968), 1-11.

12. M. Wilcox, «*Jesus in the Light of His Jewish Environment*,» Aufstieg und Niedergang der romischen Welt 2, no. 25.1 (1982), 133.

13. Luke Timothy Johnson, *The Real Jesus* (San Francisco: HarperSan-Francisco, 1996), 120.

14. Ignatius, Trallians 9.

15. See Gary Habermas, *The Verdict of History* (Nashville: Nelson, 1988).

16. Ibid, 169.

٥. الأدلة العلمية

1. For the full story, see Joe McGinniss, Fatal Vision (New York: New American Library, 1989). For a description of the scientific evidence, see Colin Evans, The Casebook of

Forensic Detection (New York: John Wiley & Sons, 1996), 277-80.

2. Luke 18:35, Mark 10:46.

3. Norman Geisler and Thomas Howe, *When Critics Ask* (Wheaton, 111.: Vic¬tor, 1992), 385.

4. John Ankerberg and John Weldon, *Ready with an Answer* (Eugene, Ore.: Harvest House, 1997), 272.

5. Michael Martin, *The C ıse Against Christianity* (Philadelphia: Temple Univ. Press, 1991), 69, emphasis added.

6. John McRay, *Archaeology and the New Testament* (Grand Rapids: Baker, 1991), 155, emphasis added.

7. Robert Boyd, *Tells, Tombs, and Treasure* (Grand Rapids: Baker, 1969), 175, cited in Habermas, The Historical Jesus, 172.

8. Geisler and Howe, *When Critics Ask*, 185.

9. Frank Zindler, «*Where Jesus Never Walked,*» American Atheist (Winter 1996-1997), 34.

10. lan Wilson, Jesus: The Evidence (1984; reprint, San Francisco: Harper-SanFrancisco, 1988), 67.

11. Jack Finegan, *The Archaeology of the New Testament* (Princeton: Princeton Univ. Press, 1992), 46.

12. Wilson, Jesus: *The Evidence*, 67.

13. Wilkins and Moreland, Jesus under Fire, 209.

14. Ibid., 211.

15. Kevin D. Miller, «*The War of the Scrolls,*» Christianity Today (October 6, 1997), 44, emphasis added.

16. Joseph Smith, *History of the Church*, 8 vols. (Salt Lake City: Deseret, 1978), 4:461, cited in Donald S. Tingle,

Mormonism (Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1981), 17.

17. John Ankerberg and John Weldon, *The Facts on the Mormon Church* (Eugene, Ore.: Harvest House, 1991), 30, emphasis in original.

18. Clifford Wilson, Rocks, Relics and Biblical Reliability (Grand Rapids: Zondervan; Richardson, Tex.: Probe, 1977), 120, cited in Ankerberg and Weldon, Ready with an Answer, 272.

٦. أدلة النقض

1. Henry Campbell Black, *Black's Law Dictionary*, 5th ed. (St. Paul, Minn.: West, 1979), 1139.

2. Lee Strobel, «His <I Shot Him> Stuns Courtroom,» Chicago Tribune (June 20,1975) and «Pal's Confession Fails; Defendant Ruled Guilty,» Chicago Tribune (June 21, 1975).

3. Gregory A. Boyd, *Jesus under Siege* (Wheaton, 111.: Victor, 1995), 88.

4. John Dominic Crossan, *The Historical Jesus* (San Francisco: Harper-SanFrancisco, 1991), 329.

5. Johnson, *The Real Jesus*, 3, 5, 8.

6. Ibid, 26.

7. Ibid.

٧. دليل الهوية

1. Marjorie Rosen, *«Getting Inside the Mind of a Serial Killer,»* Biography (October 1997), 62-65.

2. Ibid., 64.

3. R. E. Brown, *«Did Jesus Know He Was God?»* Biblical Theology Bulletin 15 (1985), 78, cited in Ben Withering-

ton III, *The Christology of Jesus* (Min¬neapolis: Fortress, 1990), 277.

4. Jaroslav Pelikan, *The Christian Tradition: A History of the Development of Doctrine*, vol.1, *The Emergence of the Catholic Tradition* (100—600) (Chicago: Univ. of Chicago Press, 1971), 173, cited in William Lane Craig, *Reasonable Faith* (Westchester, 111.: Crossway, 1994), 243.

5. Craig, *Reasonable Faith*, 252.

6. Ibid., 244.

7. Royce Gordon Gruenler, *New Approaches to Jesus and the Gospels* (Grand Rapids: Baker, 1982), 74.

8. James D. G. Dunn, *Jesus and the Spirit* (London: SCM Press, 1975), 60, cited in Craig, *Reasonable Faith*, 252, emphasis added.

٨. الدليل النفسي

1. Leland H. Gregory III, «*Top Ten Government Bloopers*,» George (Novem¬ber 1997), 78.

2. Charles Templeton, *Farewell to God* (Toronto: McClelland & Stewart, 1996), 112.

3. Wilson, Jesus: *The Evidence*, 141.

4. Ibid., 109, *emphasis in original*.

5. «*A Case of Congenital Ichthyosiform Erythrodermia of Brocq Treated by Hypnosis*,» British Medical Journal 2 (1952), 996, cited in Wilson, Jesus: *The Evidence*, 103.

6. M. Scott Peck, *People of the Lie* (New York: Touchstone, 1997).

7. Wilson, Jesus: *The Evidence*, 107.

8. C. S. Lewis, *The Screwtape Letters* (London: Collins-

Fontana, 1942), 9.

9. Philip Schaff, *The Person of Christ* (New York: American Tract Society, 1918), 97, cited in McDowell, *Evidence That Demands a Verdict*, 107, empha¬sis added.

٩. دليل الرسم التخطيطي

1. Maria Donato, «*That Guilty Look*,» Chicago Tribune (April 1, 1994).

2. Denny Johnson, «Police Add Electronic <Sketch Art-ist> to Their Bag of Tricks,» Chicago Tribune (June 22, 1997).

3. Templeton, *Farewell to God*, 230.

4. Morton Smith, «*Biblical Arguments for Slavery*,» Free Inquiry (Spring 1987), 30.

5. Thomas Sowell, *Race and Culture* (New York: Basic, 1995).

6. Josh McDowell and Bart Larson, *Jesus: A Biblical Defense of His Deity* (San Bernardino, Calif.: Here>s Life, 1983), 62-64.

١٠. دليل بصمة الإصبع

1. Evans, *The Casebook of Forensic Detection*, 98—100.

2. Lee Strobel, «>Textbook> Thumbprint Aids Conviction in Coed's Killing,» Chicago Tribune (June 29, 1976).

3. For basic details on fulfilled prophecies, see McDowell, Evidence That Demands a Verdict, 141—77.

4. Peter W. Stoner, *Science Speaks* (Chicago: Moody Press, 1969), 109.

5. For a discussion of the Daniel prophecy, see Robert C. Newman, «*Ful¬filled Prophecy As Miracle*,» in R. Douglas

Geivett and Gary R. Habermas, eds., *In Defense of Miracles* (Downers Grove, 111.: InterVarsity Pres', 1997), 214-25.

6. Stan Telchin, *Betrayed!* (Grand Rapids: Chosen, 1982).

7. Ruth Rosen, ed., *Jewish Doctors Meet the Great Physician* (San Fran¬cisco: Purple Pomegranate, 1997), 9-23.

8. Ibid., 34-35.

١١. الدليل الطبي

1. Surah IV: 156-57.

2. Wilson, Jesus: *The Evidence*, 140.

3. Craig, *Reasonable Faith*, 234.

4. D. H. Lawrence, *Love among the Haystacks and Other Stories* (New York: Penguin, 1960), 125.

5. Hugh Schonfield, *The Passover Plot* (New York: Bantam, 1965), 165.

6. Habermas, *The Verdict of History*, 56.

7. Michael Baigent, Richard Leigh, and Henry Lincoln, *Holy Blood, Holy Grail* (New York: Delacorte, 1982), 372.

8. Johnson, The Real Jesus, 30.

9. J. W. Hewitt, *«The Use of Nails in the Crucifixion,»* Harvard Theologi¬cal Review 25 (1932), 29—45, cited in Josh McDowell, The Resurrection Fac¬tor (San Bernardino, Calif.: Here's Life, 1981), 45.

10. William D. Edwards et al, *«On the Physical Death of Jesus Christ,»* Journal of the American Medical Association (March 21, 1986), 1455-63.

١٢. دليل الجسد المفقود

1. Gerald O'Collins, *The Easter Jesus* (London: Darton, Longman & Todd, 1973), 134, cited in Craig, The Son Rises, 136.

2. For a tape of the debate, see William Lane Craig and Frank Zindler, *Atheism vs. Christianity: Where Does the Evidence Point?* (Grand Rapids: Zon-dervan, 1993), vid-eocassette.

3. Templeton, *Farewell to God*, 120.

4. Martin, *The Case against Christianity*, 78-79.

5. Ibid., 81.

6. Michael Grant, *Jesus: An Historian's Review of the Gos-pels* (New York: Charles Schribner>s Sons, 1977), 176.

7. Kirsopp Lake, *The Historical Evidence for the Res-urrection of Jesus Christ* (London: Williams & Norgate, 1907), 247-79, cited in William Lane Craig, Knowing the Truth about the Resurrection (Ann Arbor, Mich.: Servant, 1988), 35-36.

8. J. N. D. Anderson, *The Evidence for the Resurrection* (Downers Grove, 111.: InterVarsity Press, 1966), 20.

١٣. دليل الظهورات

1. «Bomb Victim's *Body Not in Grave*,» Chicago Tribune (January 14, 1998).

2. Martin, *The Case against Christianity*, 87.

3. Gary Habermas and Antony Flew, *Did Jesus Rise from the Dead? The Resurrection Debate* (San Francisco: Harper & Row, 1987), xiv.

4. Ibid., xv.

5. Martin, *The Case against Christianity*, 90.

6. Craig, *The Son Rises*, 125.

7. John Drane, *Introducing the New Testament* (San Francisco: Harper & Row, 1986), 99.

8. Michael Green, *Christ Is Risen: So What?* (Kent, England: Sovereign World, 1995), 34.

9. Also cited in Gary Habermas and J. P. Moreland, Immortality: *The Other Side of Death* (Nashville: Nelson, 1992), 60.

10. Martin, *The Case against Christianity*, 75.

11. Carl Braaten, *History and Hermeneutics*, vol. 2 of New Directions in The¬ology Today, ed. William Hordern (Philadelphia: Westminster Press, 1966), 78, cited in Habermas and Flew, Did Jesus Rise from the Dead? 24.

12. Michael Green, *The Empty Cross of Jesus* (Downers Grove, 111.: Inter-Varsity Press, 1984), 97, cited in Ankerberg and Weldon, Knowing the Truth about the Resurrection, 22, emphasis in original.

١٤. الأدلة الظرفية

1. Black, Black's *Law Dictionary*, 221.

2. See Josh McDowell, *More Than a Carpenter* (Wheaton, 111.: Living Books, 1977), 60-71.

3. C. F. D. Moule, *The Phenomenon of the New Testament* (London: SCM Press, 1967), 3.

4. Donald McFarlan, ed., *The Guinness Book of World Records* (New York: Bantam, 1991), 547.

5. Clifford, *The Case for the Empty Tomb*, 112.

الخاتمة: حكم التاريخ

1. A. N. Sherwin-White, *Roman Society and Roman Law in the New Testament* (Oxford: Clarendon Press, 1963),

188-91.

2. Blomberg, «*Where Do We Start Studying Jesus?*» in Wilkins and More-land, Jesus under Fire, 43, emphasis added.

3. Craig, *The Son Rises*, 102, emphasis added.

4. Julius Miiller, *The Theory of Myths, in Its Application to the Gospel His¬tory, Examined and Confuted* (London: John Chapman, 1844), 26, cited in Craig, The Son Rises, 101.

5. *The Journey* (Grand Rapids: Zondervan, 1996).

6. Michael Murphy, «*The Two-Sided Game of Christian Faith,*» in John Warwick Montgomery, ed., *Christianity for the Tough-Minded* (Minneapolis: Bethany House, 1973), 125, cited in Ankerberg and Weldon, *Knowing the Truth about the Resurrection*, 44.

7. C. S. Lewis, *Mere Christianity* (New York: Macmil-lan-Collier, 1960), 55— 56.

أشهر قصة في التاريخ

المشروع: حدد ما إذا كان هناك برهان قاطع أن يسوع الناصري هو حقاً ابن الله.

الصحفي: لي ستروبل، الذي تعلم في جامعة ييل Yale للحقوق، والمحرر القانوني السابق لصحيفة شيكاغو تريبيون — وذي الخيفة الالحادية.

الخبراء: دستة من الدارسين يحملون شهادات الدكتوراه من جامعات كامبريدج، برنستون، برانديز، وجامعات أخرى مرموقة، وهم مشهورون بخبراتهم حول موضوع يسوع.

القصة: مستعيداً رحلته الروحية، يستجوب ستروبل الخبراء بأسئلة صعبة مباشرة: عن مدى مصداقية العهد الجديد؟ وهل هناك برهان مؤيد ليسوع من خارج الكتاب المقدس؟ وهل هناك أي سبب يدعو للإيمان باعتبار أن القيامة كانت حدثاً تاريخياً واقعياً؟ ...

هذا الكتاب الحيوي الجرئ ليس رواية. إنه سعي مشوق نحو الحق عن أشهر شخصيات التاريخ. فماذا سيكون حكمك في كتاب "القضية .. المسيح The Case for Christ"؟

"لي ستروبل يتحرى بتماسك شديد البرهان المؤيد لحق المسيحية الكتابية. فالمؤمنون واللاأدريون على حدٍ سواء سيتعلمون من هذا الكتاب سريع الأحداث."

بروس م. ميتزر — دكتوراه في الفلسفة، أستاذ العهد الجديد، Emeritus، معهد برنستون اللاهوتي.

"لي ستروبل يطرح الأسئلة التي يتسائلها المتشكك العنيد. كتابه جيد جداً حتى قرأته بصوت عال لزوجتي في الأمسيات بعد العشاء. كل متسائل لا بدَّ أن يملكه."

فيليب جونسون، أستاذ القانون، جامعة كاليفورنيا في بيركلي.

"هذا الكتاب سيصير من الكلاسيكيات."

بيل هايبلز، راعي أعلى، Willow Creek Community Church

"مدهش تماماً. حقاً كتاب فريد أوصي به من أعماق قلبي." رافي زكريا

٠١٦١١٣٧٣٢٩٨
website:www.el-kalema.com
email:info@el-kalema.com

مكتبة
دار الكلمة
LOGOS